وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية ـ كلية التربية
قسم التاريخ / الدراسات العليا

هجرة أهل الشام إلى مصر
١٨٦٠ – ١٩١٨
(دراسة تاريخية)

إطروحة دكتوراه تقدم بها الطالب

رحيم جودي غياض العبادي

إلى مجلس كلية التربية – جامعة القادسية

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الحديث

إشراف

الأستاذ الدكتور

أحمد محمد طنش

١٤٣٨ هـ ٢٠١٧م

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)

صدق الله العلي العظيم

سورة الاسراء - الآية/٧٠

الإهـــداء

الى روح والدي ووالدتي . . . طيب الله ثراهما . . . وتغمدهما برحمته . . .
وأسكنهما فسيح جناته .

الى أخوتي (أبو حيدر) و (أبو جعفر) . . . فخراً واعتزازاً

الى أخواتي (أم سماح) و (أم حسين) . . . نبع الحنان

الى زوجتي . . . مع الود

الى أبنائي الأعزاء (سارة) و (أحمد) و (آيات) و (علي) . . . كل الحب

بعد أن أنعم الله علينا، ووفقنا بإنجاز هذه الأطروحة، فأن من الواجب علينا أن نتقدم بوافر الشكر، والتقدير، وعظيم الامتنان لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور أحمد محمد طنش الذي كانت لمتابعته، وتوجيهاته الصادقة، الأثر البالغ في انجاز هذه الأطروحة من خلال الجهد الذي بذله في التقويم، ووضع الملاحظات العلمية الدقيقة .

ومما يحتم علينا واجب الوفاء، والعرفان بالجميل أن أتقدم بالشكر، والتقدير لأستاذنا الكبير الدكتور عماد أحمد عبد الصاحب الجواهري أمده الله بالعمر المديد، الذي وجهني باختيار الموضوع ، كما أزجي شكري وتقديري الكبيرين لأساتذتي الكرام الذين حرصوا على تقديم كل ما في وسعهم أثناء السنة التحضيرية للدكتوراه وهم الأستاذ الدكتور المرحوم محمد هليل الجابري (رحمه الله)، والأستاذ الدكتور حسن علي عبد الله السماك، والأستاذ الدكتور عبد العزيز احمد الموسوي، والأستاذ الدكتور محمد صالح الزيادي، والأستاذ الدكتور عبد الكريم الشيباني، والأستاذ المساعد الدكتور عاصم حاكم عباس الجبوري، والأستاذ المساعد الدكتور جبار رشك شناوة، كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأستاذ المساعد الدكتور عباس خميس رئيس قسم التاريخ، وأساتذة قسم التاريخ في كلية التربية جامعة القادسية، والاستاذ الدكتور عبد الرزاق احمد النصيري رئيس جامعة واسط ، وصديقي الدكتور فوزي خيري الذي تَجَشَّمَ عناء الطباعة معي .

فلا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعميق الامتنان الى الدكتور صالح الطائي الأنسان النبيل لما قدمه من مساعدة، وأسجل شكري وتقديري إلى الباحث رائد السوداني، والأخ زيد الكتبي صاحب مكتبة الأندلس في الكوت ، لما قدموا لي من مصادر قيمة ساهمت في تذليل الكثير من الصعوبات، كما انسي أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى صديقي العزيز عدنان الخالدي، والدكتور رحيم عبد علي الغرباوي أستاذ اللغة العربية في الكلية التربوية المفتوحة في واسط .

ولا يفوتني أن أشكر كافة العاملين في دار الكتب والوثائق في بغداد ومكتبة جامعة القادسية ومكتبة كلية التربية والمكتبة العامة المركزية في القادسية ومكتبة جامعة واسط

والمكتبة العامة المركزية في واسط والمكتبة المركزية في جامعتي بغداد والمستنصرية ، كما أشكر كل من ساهم ومد يد العون والمساعدة في انجاز هذه الأطروحة ... ولله ولي التوفيق .

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	أ
الإهداء	ب
شكر وتقدير	ج
المحتويات	د
المقدمة ونطاق البحث وتحليل المصادر	١- ٥
التمهيد	٦- ٢٨
الفصل الأول **العوامل المؤثرة في هجرة أهل الشام إلى مصر**	٢٩ - ٦٨
المبحث الأول : العوامل السياسية	٢٩ -٥١
المبحث الثاني : العوامل الاقتصادية	٥٢ -٦٠
المبحث الثالث: العوامل الاجتماعية	**٦١- ٦٨**
الفصل الثاني **دوافع هجرة أهل الشام إلى مصر**	٦٩- ٩٠
المبحث الأول : التوزيع الجغرافي للشوام في مصر	**٦٩-٧٤**
المبحث الثاني : الدعاية البريطانية في هجرة الشوام	**٧٥-٨٥**
المبحث الثالث : حركة الإصلاح في مصر	٨٦-٩٠
الفصل الثالث **دور أهل الشام في مصر**	**٩١-١٣٢**
المبحث الأول : في الحياة السياسية	٩١-١٠٩
المبحث الثاني : في الحياة الاقتصادية	١١٠-١١٣

المبحث الثالث : في الحياة الاجتماعية	١١٤-١٣٢
الفصل الرابع **اسهامات أهل الشام في الثقافة في مصر**	**١٣٣-١٧٠**
المبحث الأول : الصحافة	١٣٣-١٥٢
المبحث الثاني : حركة الترجمة	١٥٣-١٥٨
المبحث الثالث : النوادي والجمعيات الثقافية والحركة المسرحية	١٥٩-١٧٠
الخاتمة	١٧١-١٧٢
الملاحق	١٧٣-١٧٩
قائمة المصادر	١٨٠- ٢٠٥

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أن الإطروحة الموسومة بـ (هجرة أهل الشام إلى مصر ١٨٦٠-١٩١٨ دراسة تاريخية) المقدمة من قبل الطالب (رحيم جودي غياض العبادي)، جامعة القادسية / كلية/ قسم التاريخ ، قد قُومت لغوياً من قبلي، وأنها خالية من الأخطاء اللغوية والأسلوبية .

التوقيع :
الاسم : د . نهى حسين كندوح
الدرجة العلمية : أستاذ مساعد
التاريخ : / ٩/ ٢٠١٦

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أننا اطلعنا على اطروحة الدكتوراه الموسومة بـ (هجرة أهل الشام الى مصر ١٨٦٠- ١٩١٨ دراسة تاريخية) وقد ناقشنا الطالب (رحيم جودي غياض) في محتوياتها وما له علاقة بمضمونها ووجدنا انها جديرة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، وبتقدير (جيد جداً) .

أ.م.د حسين كامل جابر
عضواً

أ.م.د سامي ناظم حسين
عضواً

أ.م.د عادل مدلول علي
عضواً

أ.د فاهم نعمة ادريس الياسري
عضواً

أ.د احمد محمد طنش
عضواً ومشرفاً

أ.د عبد الله كاظم الدلفي
رئيساً

مصادقة عمادة الكلية

مصادقة عمادة كلية التربية / جامعة القادسية – قرار لجنة المناقشة

الاستاذ الدكتور

خالد جواد العادلي

عميد كلية التربية

٢٠١٧/ ٥ /٢٢

المقدمة :

ميز الباحثون بين نوعين رئيسيين من الهجرة :هجرة اضطرارية، وأخرى تلقائية، كما صنفوا عوامل الهجرة إلى قوى دافعة **(Push Force)**، وأخرى جاذبة **(Pull Forces)**، وتكمن دوافع الهجرة أساساً في أن هناك قوى مؤثرة تتفاعل لدى الأفراد، تشجعهم على مغادرة المكان الطرد، أو (الدفع) **(Push)**، وتغري على الانتقال إلى مكان آخر (الجذب) **(Pul)**، وظاهرة الهجرة مهمة من حيث أشكالها، وتنوعها، وأسبابها، ونتائجها وعلاقتها بالأرض، فضلاً عن تأثيرها البارز في المجتمعات الطاردة، والجاذبة على حدّ سواء فأضحت مجالاً رحباً لأهتمامات المؤرخين الذين عالجوا هذه الظاهرة من خلال دراسات منهجية زمنية تسلسلية راعت المراحل التاريخية .

ارتبطت بلاد الشام مع بلاد النيل بروابط سياسية، واقتصادية، واجتماعية وثيقة على مرَّ العصور التاريخية، وكان التأثر الحضاري المتبادل بين الإقليمين أهم ما يميز هذا الارتباط، فالمصادر التاريخية تشير إلى هذا الترابط والتأثر منذ عصور قديمة، وهجرة أهل الشام إلى مصر حركة انتقالية طبيعية بين أبناء المناطق الواحدة، ذات الروابط التاريخية والجغرافية والإرادة على العيش المشترك، فهي تتم في إطار عملية الطرد والجذب السكاني .

تنبع أهمية الدراسة من هذا المنطلق، واختيار العنوان (هجرة أهل الشام إلى مصر ١٨٦٠ – ١٩١٨ دراسة تاريخية)، ولم يكن اختيار التوقيت الزمني اعتباطاً، وانما ركزت الدراسة على المدة الممتدة من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وحتى بدايات القرن العشرين، وفق تسلسل تاريخي يبدأ من عام ١٨٦٠ اندلاع الحرب الأهلية أو ما تعرف بـــ (الفتنة الكبرى) بين الموارنة والدروز، وينتهي بنهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨، وما نتج عنها من نتائج تمثلت في انهيار الدولة العثمانية .

تناولت عدة مصادر عربية هجرة الشوام الى مصر خلال الحقبة العثمانية، إلاَّ أن هناك العديد من القضايا المهمة التي لم يتوقف عندها المؤرخون، لاسيما الاسباب الجوهرية للهجرة ، وتأتي هذه الدراسة تكملة لكثير من الدراسات العربية الاخرى التي سبقتها، وعلى الرغم من ذلك لم نجد أي دراسة أكاديمية في الجامعات العراقية تبحث في موضوع هجرة الشوام إلى مصر سوى إشارات خاطفة في بعض الكتب، وحتى هذه الإشارات لم تكن قادرة على رسم صورة واضحة المعالم، ومحاولة للإجابة على الكثير من الأسئلة المطروحة، والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذه الدراسة وهذا ليس انتقاصاً من الدراسات التاريخية، التي تناولت موضوعات الهجرة الشامية، وإنما هذه الدراسة حتماً ستكون رديفاً لدراسات أخرى مماثلة، ورافد جديد للدراسات الأكاديمية في العراق .

إن أية دراسة تاريخية لا تكتسب أهمية علمية، أن لم تحدد منطلقاتها المنهجية التي تستند عليها في معالجة موضوعاتها، ولذلك اعتمد الباحث منهج الوصف التحليلي، وعلى أساس اطلاع الباحث على ذلك الكم الهائل من المصادر بشتى لغاتها نبعت خطة الأطروحة، ومنهجها من طبيعة المادة العلمية التي استطاع الباحث جمعها خلال السنوات الثلاث التي عكف فيها على دراسة تلك المصادر حتى تبلورت في نهاية المطاف خطة الأطروحة، وفقاً لمنهجية قامت على مراعاة التسلسل الزمني في عرض الإحداث التاريخية .

قسمت الأطروحة إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، شملت المقدمة أهمية الدراسة والإطار الزماني، والمكاني، أما التمهيد ، ثم أربعة فصول، كل فصل احتوى ثلاثة مباحث : وقد تناول الفصل الأول العوامل المؤثرة في هجرة أهل الشام إلى مصر، وشمل المبحث الأول العوامل السياسية في حين تناول المبحث الثاني العوامل الاقتصادية، أما المبحث الثالث فقد تطرق إلى العوامل الاجتماعية، أما الفصل الثاني تضمن دوافع هجرة اهل الشام إلى مصر، وتناول المبحث الأول حركة الاصلاح في مصر، وأبرزها افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩، وأثرها بالهجرة ،

وتناول المبحث الثاني اثر الدعاية البريطانية في الهجرة ، من خلال تأثير حركة الارساليات التبشيرية، أما المبحث الثالث فتضمن التوزيع الجغرافي للشوام في مصر.

تناول الفصل الثالث دور أهل الشام في مصر، فقد تطرق المبحث الأول إلى الحياة السياسية، مثل موقف الشوام من الاحتلال البريطاني (١٨٨٢-١٩١٨)، وموقف صحافة الشوام من الثورة العرابية، أما المبحث الثاني الحياة الاقتصادية في حين تضمن المبحث الثالث الأسر الشامية ودورها في الحياة السياسية الاقتصادية والاجتماعية في مصر .

تطرق الفصل الرابع إلى تأثير أهل الشام في الحركة الثقافية والفكرية في مصر، وجاء في ثلاثة مباحث تناول المبحث الأول الطباعة والصحافة، أما المبحث الثاني فقد تضمن دور الشوام في حركة الترجمة، وتطرق المبحث الثالث الى المنتديات الثقافية والنوادي وأثر الشوام في الحركة المسرحية، إما الفقرة الأخيرة هي الخاتمة، التي توصل فيها الباحث من خلال دراسة جادة، الى الخلاصة باستنتاجات ونتائج سطرها بين ثنايا الأطروحة في نهاية المطاف، فضلاً عن الملاحق، وقائمة المصادر .

تحليل المصادر :

بما أنّ الهدف من هذه الأطروحة تقديم حقائق تاريخية لرسم صورة واضحة المعالم عن هجرة أهل الشام إلى مصر، فكان لابد من الرجوع إلى المصادر الأصيلة، لكي يكون عرض الوقائع وتفسيرها سليماً صحيحاً، ولذلك فقد استقت الدراسة مادتها العلمية من وثائق ومصادر متنوعة عربية منها، وأخرى أجنبية، قدمت في مجملها معلومات قيمة ومهمة غطت جوانب الأطروحة المتعددة، ويمكن تقسيم المصادر على المجموعات الآتية :-

أولاً:- الوثائق العربية والأجنبية (غير المنشورة) :

من أهم الوثائق التي أغنت الأطروحة بمعلومات علمية هي وثائق المحكمة الشرعية المصرية، وتوجد هذه الوثائق بأرشيف المحكمة الشرعية، المحفوظة بمقر التسجيل العقاري المصري بشارع رمسيس بالقاهرة، وهي وثائق لا يرقى اليها الشك في قيمتها العلمية، وتضم هذه الوثائق التوجيهات، والسجلات التي استخدمت في البحث هي :

١. **أرشيف المحكمة الشرعية .**
٢. **سجلات محكمة القسمة العسكرية .**
٣. **سجلات محكمة الصالحية .**

كان (لمحفوظات) عابدين، الموجودة في دار الوثائق القومية في القاهرة دورها الواضح في تغطية محاور مهمة من موضوعات الاطروحة، لكونها تحتوي على مادة علمية استفادت منها الاطروحة، ولم يكن العمل امام الباحث سهلاً وميسراً فيها، بل جعل التبحر فيها لعددها الهائل وتعدد لغاتها ووجهات نظرها المتباينة مهمة شاقة أغنت الاطروحة بمعلومات اظهرت الدقة التي صمتت عنها كثيرٌ من المصادر، والمراجع الاخرى .

ثانياً: (الكتب الوثائقية) :

شكلت الكتب الوثائقية ركناً اساسياً في فصول الاطروحة، لاحتوائها على معلومات قيمة وعلى درجة عالية من الاهمية، ومن اهم الكتب الوثائقية التي أعتمدت عليها الدراسة : كتاب **أسد رستم، (الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا)**، في خمسة مجلدات، دراسة وثائقية إذ تجلى بأصالته العلمية عبر استخدامه للمحفوظات الملكية المصرية نفسها في القاهرة واختياره الوثائق التي تخص الحكم المصري في بلاد الشام (١٨٣١-١٨٤١)، وعرض المؤلف المواقف الدولية المساندة والمعارضة للوجود المصري في بلاد الشام، ولاسيما الموقف الروسي، والبريطاني الذي أستمر حتى اتفاقية لندن في ١٥ تموز ١٨٤٠.

اما الكتاب الوثائقي الاخر كتاب **عبد العزيز سليمان نوار، (وثائق أساسية عن تاريخ لبنان الحديث)**، وكتاب **أحمد حامد إبراهيم، (نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية)**، مجموعة من الوثائق السياسية، فضلاً عن الوثائق الانكليزية التي نشرها **المسيو (دوان)** في منشورات الجمعية الجغرافية المصرية تحت عنوان **(مصر وانكلترا)**، وهو عمل علمي اكاديمي يفيد كل باحث يعنى بشؤون مصر، إذ تضمن على مجموعة من الوثائق القيمة وفرت على الباحث قدراً كبيراً من الجهد والوقت .

ثالثاً: الكتب الأجنبية :

كانت المصادر الاجنبية، ولاسيما الفرنسية، والانجليزية والروسية والتركية حضورها الواسع بين ثنايا الاطروحة واغنت مفاصلها بمعلومات قيمة عبرت عن وجهات نظر مختلفة تميل في الغالب الى وجهات النظر السياسية لبلدانها، ولا سيما ما كتبه الذين عاصروا الاحداث، وأسهمت بتزويد الدراسة بمعلومات غاية في الأهمية .

المصادر الفرنسية : ويأتي في مقدمتها كتاب Archives des Affaires Etrangeres Francaises A. A. E. F Corresp.pol., BeyrouthRegistrell, fol 18 **(أرشيف الشؤون الأدارية في القنصلية الفرنسية ببيروت)**، إن هذا الكتاب غني بموضوعاته التي طرحها بأفق منهجي مستوحٍ من منهجية البحث السيولوجي المستند إلى مجموعة هامة من المصادر، والمراجع، والصحف، والمجلات، والمقابلات الشخصية .

المصادر الانجليزية : شملت مجموعة كتابات الإداريين، والسياسيين، والموظفين الانجليز الذين شاركوا في تطورات الإحداث بمصر، وكانت لهم اليد الطولى في إدارة شؤونها ومراقبة أحوالها، ومن أهم هؤلاء اللورد كرومر في كتابيه : (Abbas II) (Modren Egypt) وهي في الغالب تنحاز إلى وجهة النظر البريطانية، ولاسيما كتابه (وصف مصر)، وبالرغم من ذلك فقد سرد بعضهم الحوادث بصدق وموضوعية، لم يجدها الباحث في كتب مؤرخي مصر، ومع ذلك توخينا الحذر في أخذ المعلومة .

رابعاً : كتب المذكرات الشخصية :

تعد من المصادر المهمة للباحثين بالنظر للمادة التاريخية التي تضمها بين دفيتها، إلا أنها تقتضي من الباحثين التعامل معها بحذر وعدم الاستسلام لها بسهولة إلا بعد مقارنتها بالوثائق، والمصادر الأخرى، والتدقيق في محتوياتها، إذ يغلب عليها الذاتية في الطرح على الموضوعية ، وتعبر أغلبها عن وجهة نظر صاحبها بالأحداث، وقد تيسرت للباحث العديد من هذه المذكرات، وكانت رافداً آخر من روافد المعلومات التي قدمت خدمة كبيرة للدراسة، ومن بين كتب المذكرات، كتاب **أحمد شفيق، (مذكراتي في نصف قرن)** في ثلاثة أجزاء كتبت بطريقة الحوليات، تناولت المدة الواقعة مابين (١٨٧٣ - ١٩٢٣)، وقد تميزت هذه المذكرات بالصراحة، والوضوح تارة، والأنحياز للأسرة الخديوية تارة أخرى، فلم يستطع أحمد شفيق التخلص من ولائه لأسرة محمد علي باشا فعندما تحدث عن الثورة العرابية، أتهم أحمد عرابي بالغرور، وبأنه السبب في ضياع مصر، وسقوطها بيد الاحتلال البريطاني، وقدم لنا أحمد شفيق في مذكراته الشخصية صورة أقرب إلى الواقع من أي مصدر آخر يبعد عنها زماناً ومكاناً بحكم عمله في القصر الخديوي .

أما الكتاب الآخر من كتب المذكرات الذي اعتمدته الدراسة كان كتاب **عبد الحميد الثاني ،(مذكراتي السياسية ١٨٩١ – ١٩٠٨)**، على الرغم مما تحمله هذه المذكرات من انطباعات شخصية قد تتخللها المبالغة، والتهويل، ووجهات نظر شخصية، وحكمه على بعض الأحداث متأثراً بموقعه بصفته أحد سلاطين الدولة العثمانية، مما أفقده الموضوعية في بعض الأحيان ومع ذلك فأنها إضافت للدراسة كثيراً من المعلومات القيمة .

خامساً : الرسائل والأطاريح الجامعية :

استعان الباحث بعدد من الرسائل، والاطاريح الاكاديمية بتغطية فقرات عديدة من الدراسة، ومنها رسالة سؤدد عبد الحسين سبتي الربيعي،(**دور النخبة في الحياة الفكرية والسياسية في مصر١٨٦٩-١٩١٨ (دراسة تاريخية)**، تناولت انبعاث النهضة الفكرية وإلاصلاحية، وظهور اتجاهات سياسية متعددة، لاسيما في صفوف النخبة المثقفة التي احتكت بالحضارة الغربية من خلال الإرساليات التبشيرية الأوربية، ورسالة ماهر محمد سعيد درويش ،(**هجرة الشوام إلى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)**، التي تناولت ظاهرة الهجرة من بلاد الشام إلى مصر نتيجة استبداد الحكم العثماني، وأطروحة **عبد الرزاق أحمد النصيري ، (دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق)** التي رفدت الدراسة بمعلومات قيمة عن تأثير النهضة الفكرية في بلاد الشام .

سادساً : المصادر العربية والمعربة :

شكلت المؤلفات العربية، والمعربة الرافد الثالث بعد الوثائق المنشورة، وغير المنشورة من المصادر الأساسية للدراسة، والتي اعتمدت عليها في جميع فصولها، ومباحثها وتفصيلاتها، وكان للكتب العربية والأجنبية دور مهم في إنضاج هذه الدراسة، ويمكننا التأكيد على أهمية مؤلفات المؤرخ اللبناني **مسعود ضاهر** أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في الجامعة اللبنانية، وأبرز ما استخدمته هو كتابه (**هجرة الشوام الى مصر**)، حيث اعتمد على منهج مركب يمزج بين أساليب بحثية عديدة، تتراوح بين تحليل الوثائق وإجراء المقابلات وكذلك المذكرات وغيرها، لذا جاء كتابه ممنهجاً على أساس أمتزاج الذاكرة الشخصية بالذاكرة الجمعية، وقد تنوعت مصادر الوثائق التي اعتمد عليها الكتاب بين تلك التي أتاحتها سجلات العائلات والهيئات الحكومية والقنصليات والسفارات والكنائس والجامع الأزهر وغيرها، أما كتاب **جهاد نصري العقل ، الهجرة الحديثة من لبنان وتعاطي المؤسسات الرسمية والأهلية معها (١٨٦٠-٢٠٠٠)** ، فقد عالج تعاطي أبرز المؤسسات الرسمية والأهلية مع ظاهرة الهجرة اللبنانية ، معتمداً على مجموعة من الوثائق والمصادر والصحف والمجلات، فضلاً عن المقابلات الشخصية، وكتابا المؤرخ المصري **عبد الرحمن الرافعي** المعنونان: (**عصر محمد علي**) و(**عصر اسماعيل**) اللذان رفدا الاطروحة بمعلومات دقيقة وتفصيلية غطت جوانب واسعة من فصول الاطروحة .

إما المصدر الأخر ذو الأهمية الكبرى للأطروحة فهو كتاب **لطيفة محمد سالم ،(الحكم المصري في بلاد الشام)**، وهو بالاساس رسالة ماجستير غير منشورة، فقد غطت التطورات السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، واستند الكتاب على الوثائق العربية ،والوثائق الانجليزية، والفرنسية المنشورة، وغير المنشورة، وعدها حجر الزاوية بالنسبة الى الموضوعات المتصلة بالحكم المصري في بلاد الشام، انتفعت بها الاطروحة في تلك الحقبة المهمة من تاريخ بلاد الشام انتفاعاً كبيراً .

اما المصادر المعربة فكان لها دورٌ واضحٌ في اسعاف الدراسة بمعلومات متوازنة تعبر عن وجهة نظر معتدلة يمكن الاستناد اليها في كثير من مفاصلها، واهم تلك المصادر كتاب **فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي، (تاريخ الأقطار العربية الحديث)**، الذي يعد أول أول دراسة تاريخية روسية تستعرض بصورة منتظمة تاريخ الدول العربية خلال القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، تميز بتحليله لأغلب الإحداث التي وقعت في مدة الأطروحة تحليلاً واقعياً وموضوعياً، فتح للباحث أفاقاً واسعة في متابعة، وتحليل بعض المواقف الدولية، ولاسيما موقف بريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية، وأضاف معلومات غنية ورصينة لموضوعات كانت مصادر كثيرة قد أهملتها، وكتاب الدبلوماسي الروسي **قسطنطين بازيلي ، (سورية و فلسطين تحت الحكم العثماني)** ، الذي يعد مصدراً تاريخياً مهماً وثق وسرد تفاصيل دقيقة، وإن كانت من وجهة نظر روسية بحتة .

سابعاً : الصحف والمجلات :

كان للصحف والمجلات العراقية والعربية والأجنبية الدور الكبير بالمساهمة في تذليل الكثير من الصعوبات التي واجهت الباحث، وشكلت رافداً مهماً استقى منه معلومات قيمة ويأتي في مقدمتها الصحف اللبنانية والمصرية من أبرزها **(المنار)**، و**(الهلال)**، **(الأهرام)**، و(**المقطم)**، والتي احتوت على كثيرٍ من القوانين الرسمية، وتكمن أهمية هذه الصحف والمجلات على معلومات مهمة استفادت منها الأطروحة .

ثامناً : الموسوعات والمعاجم :

كانت للموسوعات العربية والأجنبية والمعاجم بصماتها الواضحة في متن هذه الدراسة ويأتي في مقدمتها **(الموسوعة السياسية)** لمؤلفها (**عبد الوهاب الكيالي)**، **والموسوعة العربية الميسرة ، لمحمد شفيق غربال، ومعجم دائرة المعارف ، لبطرس البستاني** حيث أضافت الكثير من المعلومات والتفسيرات التي احتاجتها الدراسة بمختلف الجوانب .

تاسعاً : شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) (Internet) .

كانت الاستفادة من المقالات التي نشرت على شبكة الانترنيت مقتضبة بسبب الشك الذي يساور الباحث، وهو أنّ البحوث والمقالات التي تبث في هذه الشبكة قد لا يخضع كثيرٌ منها إلى الخبير العلمي الذي يصحح الهفوات ويقيل العثرات، ومن تلك المقالات مقال مصطفى عاشور (قناة السويس من التدويل الى التاميم)، والمقال الاخر هو نشر على موقع :

http: llwww.manhal.net larticls .php? action=show &id= 16837

أما الصعوبات التي واجهت الباحث فقد تمثلت بعدم توافر الوثائق، والمصادر الأساسية التي تخص الدراسة، في المكتبات الوطنية داخل العراق، كما تعذر على الباحث صعوبة السفر إلى بلاد الشام نظراً للأوضاع الراهنة لاسيما في سورية ، وبالرغم من ذلك تمكن الباحث تذليل تلك الصعوبات بعد جهود مضنية، استطاع بموجبها الحصول على الوثائق، والمصادر عن طريق المراسلات، والاستعانة ببعض الأصدقاء من عراقيين، وعرب للحصول على مبتغاه، فضلاً عن التنقل بين المحافظات بحثاً عن تلك المصادر .

واجه الباحث صعوبة في دراسة تاريخ بلاد الشام، دراسة علمية، وموضوعية ، بسبب ذلك أنّ بعضاً من المؤرخين الشوام تطلعوا إلى الأحداث من منظار طائفي فأخذ الواحد منهم يبرز محاسن طائفته، ومثالب الطوائف الأخرى، مقدماً البراهين والوثائق التي تدعم أدعاته مهملاً ما يخالف نظرته الطائفية إلى الإحداث، مغلفاً آرائه بمظاهر الحيادية في الطرح، الأمر الذي جعل الباحث يتوخى الحذر في الوصول إلى الحقيقة التاريخية، والرجوع إلى عدد كبير من المصادر لدراسة تاريخ بلاد الشام، فضلاً عن المصادر الخاصة بهجرة الشوام إلى مصر حتى تكون النظرة متكاملة لكل الإحداث، ويكون الحكم مستنداً إلى تطبيق تحليل في كثير من الحوادث .

وختاماً أضع أطروحتي بين يدي أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، الذين حتماً سيقومونها بدقة على النحو الذي يضفي عليها رصانة، ومتانة مستمدة من علميتهم، وخبرتهم، وتجربتهم الأكاديمية، وحسبي إني بذلت غاية جهدي من أجل أن تخرج هذه الأطروحة بصورتها الحالية، وصدق الكاتب العماد الأصفهاني عندما قال: **" إني رأيت انه لا يكتب أنساناً كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل "**، وهو من أعظم العبر، وهذا دليل على استيلاء النقص على جملة البشر، ويظل الكمال لله وحده، ومنه نستمد العون والتوفيق .

التمهيد

كانت بلاد الشام ومصر تؤلفان وحدة اقتصادية وجغرافية طبيعية، فموقعها الاستراتيجي مكمل لمصر من الناحية الجغرافية، وقد اعترف محمد علي باشا، بهذه الحقيقة منذ أوائل عهد ولايته، ورغب بحروبه في إن يجعل الإقليمين وحدة سياسية، وكتب إلى وكيله في الآستانة نجيب أفندي قائلا : **" إن الشام لازمة لسلامة مصر"** (١) .

كان مشروع محمد علي باشا إنشاء دولة حديثة تختلف من حيث تركيبتها البنيوية، عن نموذج المؤسسة العثمانية التقليدية، فسعى إلى ضم بلاد الشام، بهدف تحقيق تكامل بين أجزاء الدولة يرتكز إلى توحيد علاقات السوق من جهة، وتنشيط التفاعل السكاني من جهة أخرى (٢).

يعتقد معظم المؤرخين أن حملة محمد علي باشا على بلاد الشام حملة دفاعية هجومية **"أما كونها دفاعية، فأن محمد علي باشا يعلم أن الدولة العثمانية ما زالت تسعى لاسترداد مركزها في مصر ، ما وجدت سبيلاً إلى ذلك، وأن السلطان محمود الثاني(٣)، لم يكن خالص النية نحوه، بل كان ينظر بعين الحسد إلى تقدم مصر، وما كسبته من المكانة العالية، فأخذ يتحين الفرص، وينتزع حكم مصر منه، فطموح محمد علي باشا في حملته الدفاع عن مركزه في مصر، أما الهدف من كونها حملة هجومية، التوسع على حساب الدولة العثمانية "** (٤) .

حاول محمد علي باشا في بادئ الأمر الاستيلاء على سورية عبر الوسائل السلمية، من خلال الطلب من السلطان محمود الثاني، بأن يفِ بما وعده، ويمنحه ولاية سورية مكافأة له في حرب اليونان (٥)

---

(١) الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨- ١٩٤٨، مكتبة مدبولي ،(القاهرة- ١٩٩٨) ، ص ٣٠٠ .

(٢) سليم نفاع ، علاقات لبنان الخارجية في عهد الشهابيين ، مجلة المشرق ، بيروت ، ج٧ ، السنة الثانية عشر ، تموز ، ١٩٢٠ .

(٣) السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩) : يعد علماً من أعلام الإصلاح العثمانيّ، وقد بدأت في عهده المرحلة الثانية من الإصلاحات، فاهتم بإدخال التعديلات، والتحسينات إلى صفوف الجيش، وحين ثار الانكشارية على ذلك قضى عليهم، وأبادهم بقوة السلاح، كما وضع الأوقاف تحت إشراف الدولة، وفتح المدارس على الطراز الغربي، وأرسل البعثات إلى أوروبا، وانشأ شبكة من المدارس، وقام بأوّل مسح، وإحصاء سكاني، كما ألغى الإقطاع العسكري، وبنى سفناً حربية، وأصدر الجرائد، والصحف، وأبدى اهتماماً بشؤون الأقليات غير الإسلامية، ويعد أول من وضع أساس الحكومة الحديثة في الدولة العثمانية. ينظر : وائل عبدالإله محاميد، تاريخ الشرق الأوسط الحديث، ط٢، (القدس - ٢٠٠٨)، ص ١٤٠ .

(٤) عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، ط ٦ ، دار المعارف ، (القاهرة – ٢٠٠١) ، ص ٢١٩ .

(٥) حرب اليونان: نشبت الثورة اليونانية في نيسان ١٨٢٠ ضد السلطات العثمانية من اجل تخلص اليونانيين من الحكم العثماني، وقد استولى اليونانيون على جزيرة المورة١٨٢٢، وقد استعان السلطان محمود الثاني بقوات محمد علي باشا والي مصر، الذي أثارت انتصارات ابنه إبراهيم باش على اليونانيين حفيظة الدول الأوربية الكبرى (بريطانيا وروسيا وفرنسا) التي تدخلت عن طريق أسطولها المشترك في محاصرة الأسطول العثماني والمصري، وتم القضاء عليهما بصورة كاملة في معركة نافا رينو ١٨٢٧، اضطر بعدها السلطان محمود الثاني إلى وقف القتال ومنح الحكم الذاتي لليونانيين، تمكن بعدها اليونانيون عام ١٨٣٢ من حصولهم على الاستقلال، لمزيد من التفاصيل ينظر: حسين عبد الواحد بدر ، المسألة اليونانية ١٨٢١- ١٨٣٢ دراسة تاريخية في ثورة اليونان واستقلاله عن الدولة العثمانية، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد ،٢٠٠٣ ، كذلك ينظر : Henry Smith, the Question of Greek Independence, a Study of British Policy in the Near East 1821-1942, (London-1942), PP. 10-76

جهز محمد علي باشا حملة عسكرية عام ١٨٣١، باتجاه بلاد الشام ، بقيادة ابنه إبراهيم باشا ([١])، وضم بلاد الشام إلى مصر، وكان الحكم المصري في سورية حكماً مركزياً مباشراً أما في لبنان فقد ظلت الإدارة الحكومية بيد الأمير بشير الثاني، وبدأت مرحلة تخضع فيها لتنظيمات إدارية جديدة وفقا لسياسة مخططة مسبقا لتحقيق أهداف مرسومة بذلت من أجلها المجهودات الكبيرة استحوذ النظام الإداري الذي ستخضع له المنطقة على الاهتمام، فهو الركيزة الأساسية للحكم الجديد ([٢]) .

كانت رغبة محمد علي باشا ضم أكثر عدد من الشوام في الجيش المصري لتحقيق طموحاته لاسيما أن رجال الشام ذو تكوين يلائم الطبيعة الحربية ، فكان يقول عنهم **: " من جبال لبنان أجند جنودي، فأدرب منهم جيشاً كبيراً، ولا أقف به إلا على ضفاف دجلة والفرات"** وبالتالي فإن اندماج الشوام في الجيش المصري، كان عاملاً مهماً في ازدياد هجرتهم الى مصر ([٣]) .

ويبدو من ذلك أن اصلاحات محمد علي باشا بدأت بالظهور انطلاقاً من ترسيخها في مصر اولاً، ومن ثم جرى نقل بعضها الى بلاد الشام مع حملته إذ أدخل تغييرات جوهرية واصلاحات جذرية في شتى النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكانت أولى الخطوات التي اتخذتها هي إبعاد الصبغة العثمانية، حينما ألغى إبراهيم باشا التقسيمات الإدارية التي سادت بلاد الشام خلال فترة الحكم العثماني .

عين في عام ١٨٣١ متسلمين على المدن الساحلية صور، وصيدا، وبيروت، وطرابلس وربطهم به مباشرةً ، ثم عدل بعد عام عن ذلك، وفوض الأمير بشير الشهابي الثاني في عام ١٨٣٢ بإدارة شؤون المدن، فولى الأخير متسلمين عليها من أقاربه ([٤]) .

شهدت لبنان أول أشكال التمثيل الشعبي، أو ما يسمى (ديوان المشورة) ([٥])، عن طريق المجالس التمثيلية التي أنشأها الحكم المصري في بلاد الشام، منذ وقت مبكر في أواسط القرن

---

(١) إبراهيم باشا : هو الابن الأكبر لمحمد علي باشا ، ولد عام ١٧٨٩ في قرية نصرتلي التابعة لمقاطعة دراما في مقدونيا ، والخاضعة لسيادة الدولة العثمانية ، أتقن اللغة التركية والفارسية والفرنسية ، فضلاً عن اللغة العربية وكان إبراهيم باشا عضد أبيه الأقوى وساعده الأشد ، فقد أدى دوراً بارزاً في تاريخ مصر الحديث، أبان عهد والده، وكان يلقب (بيد محمد علي باشا الحربية)، وقد عهد إليه والده بمهام عدة منها إدارة شؤون مصر الإدارية والحربية، ثم حاكماً على للصعيد، وقائداً للحملة المصرية ضد الوهابية (١٨١١- ١٨١٩) وحرب اليونان (١٨٢٢- ١٨٢٧)، وقاد الحملة المصرية على بلاد الشام (١٨٣١- ١٨٤٠)، وعين في عام ١٨٤٨ نائباً في حكم مصر بسبب مرض والده، الأ أنه توفي في نفس العام الذي توفي به والده محمد علي باشا، وهو عام ١٨٤٨، ودفن في مقبرة الأسرة الخديوية . ينظر: بان حسب الله علوان، إبراهيم باشا نشاطه العسكري ودوره السياسي والإداري (١٧٨٩- ١٨٤٨)، رسالة ماجستير،(غير منشورة)، كلية التربية ، جامعة ديالى، ٢٠٠٥.

(٢) فيليب حتي، تاريخ لبنان ، ص ٥١٣ .

(٣) عبد الرحمن زكي، التاريخ الحربي لعصر محمد علي باشا ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، دار المعارف ،(القاهرة- ١٩٥٠) ، ص ٢٢.

(٤) " تاريخ حوادث بيروت منذ سنة ١٥١٧ " ، مجلة أوراق لبنانية ، بيروت ، ج١ ، السنة الأولى ، كانون الثاني ، ١٩٥٥ ، ص ٢٥.

(٥) أعتمد إبراهيم باشا مبدأ الشورى في حكم بلاد الشام فألف في كل مدينة يزيد عدد سكانها على عشرين ألف نسمة مجلس يسمى (ديوان المشورة) يتراوح عدد أعضائه بين(١٢- ٢١) عضواً ينتخبون من أعيان البلاد وتجارها، ومما لاريب فيه أن هدف هذه المجالس كان خدمة الحكومة المركزية، وتسيير مهمتها، ومعاونتها فيتحصيل الأموال المطلوبة (الميري)، لكنها كانت بلا شك مقدمة على طريق تعويد الأهالي أسلوب الحكم والشورى، عبد الكريم غرايبة، المصدر السابق ، ص ٥٨.

التاسع عشر، وقام التمثيل الشعبي على أساس مجالس تمثيلية، تم اختيارها بالتعيين على قاعدة تمثيل الطوائف الكبرى في تلك المقاطعات، كانت المجالس الأولى خطوة متقدمة نسبياً على نظام الملل العثماني، الذي كان سائداً في جميع أرجاء السلطنة العثمانية ([1]) .

يبدو أن محمد علي باشا كان يؤمن إيماناً راسخاً أن تطبيق نظام الملل العثماني تطبيقاً عقلانياً من خلال مجالس تمثيلية، يمكنه أن يحول التنوع العرقي والمذهبي والقبلي في المقاطعات اللبنانية الى مصدر غنى وتنوع لسكانها .

أعطيت المجالس التمثيلية بعض الصلاحيات الاستشارية في القضايا الإدارية والمالية ، وكانت الطائفية إحدى أبرز الركائز التي بنا عليها التمثيل الشعبي في إمارة جبل لبنان الذي تم حصره بأبناء الأسر القوية أو أسر الأعيان ذات النفوذ والسيطرة على مناطق وطوائف بكاملها فضلاً عن سيطرتها على القوى المنتجة من الفلاحين والحرفيين وصغار التجار وكانت للمجالس التمثيلية صلاحيات واسعة منها الرقابة على إعمال الحكومة لجهة التخطيط وتنفيذ المشاريع الإنمائية، وجباية الضرائب ومراقبة صرفها، والسهر على أمن المواطنين، وبعد ممارسته الفعلية في الرقابة تحول مجلس الإدارة الى مختبر حقيقي لممارسة التمثيل الشعبي على أساس من التوازنات الطائفية الواضحة، فضلاً عن تمثيل أسر وبعض الأثرياء من التجار وعدد من اصحاب المهن الحرة والمثقفين وخريجي المدارس ([2]) .

اسند إبراهيم باشا لبعض الشوام مناصب كبيرة في حكم بلادهم ، وهو مالم يكن مألوفاً في عهد الإدارة العثمانية ، فقد كتب لويس بلان في كتابه (تاريخ عشر سنوات) ! قائلاً : **" أذا أردنا أن نعرف مبدأ الفائدة لسوريا من انتقالها من الحكم التركي الى الحكم المصري فما علينا إلا أن نلقي نظرة على سهول انطاكية التي اكتست بأشجار الزيتون وضواحي بيروت التي كثرت فيها الكروم والنشاط الذي انبعث في حلب ودمشق "** ([3]) .

مثلت مدة الحكم المصري على حد تعبير المؤرخ اللبناني فيليب حتي **:"أروع ما حققه لبنان خلال أكثر من ثلاثة قرون من العصر الإقطاعي، فتميزت بالتقدم نحو تطوير لبنان وتحقيق استقلاله وتوسعه، سواء بموافقة الباب العالي، أو تحدياً له ففي عهد الأمير بشير الشهابي الثاني حظي لبنان بالعدل والأمن والأمان، وجرى توسيع الطرق الضيقة، وأقيمت طرق جديدة ، واصلحت الجسور القديمة وشيدت جسور حديثة ، كما أدرك الأمير حاجة البلاد الى الخدمات الطبية، فأرسل خمسة من الطلاب الى أعرق المدارس الطبية في المنطقة، مدرسة الطب في القاهرة، التي أسسها حليفه محمد علي باشا"** ([4]) .

يرى الباحث توفر مناخ الحرية النسبية، ونمو ثقافة قبول الاخر، والاختلاف، والتسامح التي عرفتها بلاد الشام خلال الحكم المصري، وما تركه من تغييرات جذرية مهمة في الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، لعب دورا مهما، واساسياً في بروز، وتكثيف ظاهرة

---

(١) مسعود ضاهر، الديمقراطية اللبنانية ، مجلة العربي ، العدد ٦٠٩ ، آب ٢٠٠٩ ، ص ٢٠.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
(٣) عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، ص ٣٠٠ .
(4) Philip Hitti : A short History of Lebanon , Mac Millan , London, 1965, pp. 148 .

الهجرة في منتصف القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين من بلاد الشام الى مصر ضمن نطاق حركة هجرة اوسع شملت مختلف المدن المصرية .

من التغييرات الاجتماعية التي نشأت عن حكم محمد علي باشا على بلاد الشام اطلاق الحريات الدينية، والعدالة، والمساواة بين الرعايا على اختلاف الاديان، والمذاهب، ومن جملة الاصلاحات في بلاد الشام (١)، السماح للنصارى تبوأ مناصب حكومية عالية، وأن يركبوا الخيل، ويعتموا بالعمامة البيضاء (٢)، وهي امتيازات كان المسلمون فقط يتمتعون بها، ومن دلائل سياسة التسامح إزاء النصارى إن محمد علي باشا قد منح حنا البحري مدير الخزينة السورية لقب (بك)، وهذه أول مرة يمنح هذا اللقب لنصراني عربي في السلطنة العثمانية (٣) .

تمتع النصارى بالحرية الدينية من خلال إنشاء الكنائس والأديرة وترميمها، ووقف الأوقاف الذرية والخيرية على أفرادها وكنائسها ، وحج عدد كبير من النصارى للقدس، واحتفلوا بأعيادهم مع حرص محمد علي باشا على توفير الأمن للزائرين النصارى في أثناء الاحتفالات الدينية ، فقد ورد نص في وثيقة يوصي فيها محمد علي باشا متسلم غزة بحماية النصارى خلال فترة الحج الى القدس **:" النصارى الشوام الذين يريدون الحج للقدس لا تدع أحد يتدخل في شؤونهم، وحماية جميع الزوار من كل طوائف النصارى الوافدين الى القدس كعادتهم كل سنة حاملين قفص الشموع الى كنائسهم، واكرامهم عند وصولهم الى القدس"** (٤) .

كان الاعتماد على الشوام له ثقله في ميدان الادارة ، ولم يغز الموظفون المصريون بلاد الشام، ولم يستخدم الا القليل منهم في حالة وجود بديل من اصحاب البلاد، او تكون مهمته تعليمية فيطلب حنا بك البحري صيارفة مصريين من ذوي القدرة لتدريب الصيارفة الشوام ليستعين بهم في تنظيم سير الاعمال الحسابية (٤) .

يروى عن حنا بك البحري الذي تولى منصباً رفيعاً في حكومة سوريا، ان زملائه المسلمين كانوا لا يعاملونه بالإكرام الذي يستحقه منصبه، وكان محمد علي باشا قد منحه رتبة مير ميران أي (امير الامراء)، فشكى امره الى إبراهيم باشا فهذا لم يحدث احداً عن هذه الشكوى، لكنه دخل مرة الى مجتمع ضم كبار رجال مجلسه، وبينهم حنا بك البحري فنهضوا واقفين، فقال ابراهيم باشا: يابك تقدم نحوي دون ان يذكر اسم البك الذي طلب تقدم، ولم يخطر ببال احد انه يقصد بحري بك دون غيره من البكوات الواقفين امامه، فتقدم موظف اخر اسمه حافظ بك فقال له إبراهيم باشا: إني أنادي بحري بك، فرجع حافظ بك الى مكانه، وتقدم بحري

---

(١) كان الحكم المصري في سورية حكماً مركزياً مباشراً، إما في لبنان فقد ظلت الإدارة الحكومية في يد الأمير بشير الشهابي الثاني : للمزيد من التفاصيل ينظر : زهراء فاروق علوان المشايخي، الأمير بشير الشهابي الثاني وأثرة السياسي في أمارة جبل لبنان ١٧٨٨- ١٨٤٠ (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ٢٠١١ .

(٢) شكى نفر من علماء الشام من تطاول النصارى عليهم، وركوبهم الخيل كالمسلمين لم يكن من إبراهيم باشا إلا أن سخر منهم ، ونصحهم أن يركبوا الجمال من اليوم حتى يصيروا أعلى من النصارى . أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع ،(جدة -٢٠٠٤) ، ج ٢، ص ١٨.

(٣) فيليب حتي، تاريخ لبنان ، ص ٥١٢ .

(٤) اسد رستم ، الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا ، منشورات الجامعة الامريكية ، (بيروت – ١٩٣٣) ، المجلد الثالث ، ص ٢٣٨ .

بك، ولما دنا منه قال له : تفضل وأجلسه على مقربة منه ، أما سائر رجال المجلس فبقوا في أماكنهم ، وقال لهم : أجلسوا، فبعد هذا الحادث صار كبار رجال الحكومة يعاملون حنا بحري المعاملة اللائقة بمقامه ([1]) .

مارس نصارى الشوام طقوسهم بحرية تامة، كخروجهم مثلاً في موكب أو في زيارة ، فقد ذكر القنصل البريطاني في دمشق ذلك قائلاً : **(أنه قبل عام ١٨٣١ ، كان يتعذر عليه دخول دمشق راكباً مطية، إما الآن فلا يعترضه طريقة احد)** ([2])، لقد حقق الحكم المصري لبلاد الشام قسطاً من المساواة الاجتماعية، واتاح للكنائس فرصة للنمو، والتطور، والغيت العوائد، والرسوم ، والضرائب التي كان يدفعها النصارى للمسلمين كافة، ولم يعد بوسع الدولة العثمانية التراجع عما تم في عهد محمد علي باشا ([3]) .

شهدت الزراعة في ولايات بلاد الشام نوعاً من الاهتمام خلال مدة الحكم المصري، حيث كانت تتأثر بحركة التطور الاقتصادي التي شهدتها ولاية مصر في عهد محمد علي باشا، واعترف المسؤولون البريطانيون بفضل الإدارة المصرية في تطوير، وتنمية اقتصاديات بلاد الشام ([4])، وكان ذلك واضحاً من سياق التقارير المقدمة من قبل القناصل حول الحكم المصري لبلاد الشام إذ أشار القنصل البريطاني مستر برانت (Mr . Brandt) في دمشق، فقد كتب الى سفير دولته في الاستانة حول طبيعة الحكم في بلاد الشام قائلاً :(**لما كانت بلاد الشام تحت الحكم المصري عاد الكثير الى سكنى المدن، والقرى المهجورة، والى حراثة الأرض المهملة، وهذا ما حدث، لاسيما في حوران، وفي الأرجاء الواقعة حول حمص، وفي كل الجهات الواقعة على حدود البادية، وكانت بلاد الشام تحت إدارة شريف باشا وقيادة الجيش الذي يبلغ زهاء ٤٠ الف جندي منظم، وغير منظم، بأمرة إبراهيم باشا الذي كان نشطاً وحازماً في توطيد الأمن والاستقرار في ربوع الشام)** ([5]) .

شجع إبراهيم باشا الزراعة، فأبعد عن الفلاحين القسوة، والصرامة، واعطاهم الامان والاستقرار، فنراه يقدم على المساعدات المادية للفلاحين للنهوض بأراضيهم، فأوجد ما يمكن ان نطلق عليه (بنك التسليف الزراعي)، واقام صرافاً في بعض المدن الرئيسية (حلب، دمشق) لتقديم السلف، والمنح لهم، ولم يقتصر الأمر على السلف بل أعطيت المنح للمناطق المحتاجة إذ تم توزيع (مائة وخمسة عشر كيساً) على سواحل عكا وبلاد مقاطعات صفد، وأصدر أوامره بتجفيف المستنقعات في الإسكندرية ([6]) .

شكل النظام الإقطاعي الهيكل الأساسي للمجتمع الشامي قبل الوجود المصري، وطبق بكل مظاهره عليه، وجاء الحكم المصري ليعصف بهذا النظام، وليهدم أسسه، وقواعده ليقوم عليها

---

(١) سليمان أبو عز الدين ، المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥١٣ .
(٣) احمد حامد إبراهيم، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة – ٢٠٠٩)، ص ٣٦ .
(٤) عبد العزيز سليمان نوار، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧-١٩٢٠، جامعة بيروت ، (بيروت-١٩٧٤)، ص ص ٤٠٤-٤١١ .
(٥) محمد كرد علي، الحكومة المصرية في بلاد الشام، المطبعة السلفية، (القاهرة – ١٩٢٥)، ص ٤٣ .
(٦) لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤١، مكتبة مدبولي، ط٣ ، (القاهرة-١٩٩٩)، ص١٤١ .

آخر له سماته التي مثلت تغييراً اجتماعياً، واعيد توزيع الأراضي، وحلت الجيوش العسكرية الإقطاعية، وجردت من السلاح بالقوة دون تمييز بين الأشراف، وغيرهم من عامة الناس، كما الغى نظام زراعة أراضي السلطان ([1]) .

منح إبراهيم باشا عام ١٨٣٦ الفلاحين (٣٣٠) الى (٤٠٠) قرشاً نقداً، و(٤٧٧) شنبيل قمح، و(٢٠٧) شنبيل شعير([2])، كما زيد عدد المحاريث حتى وصل الى (٢٢٢٩) محراث ([3])، وقد ذكر القنصل البريطاني مور(Mur) قائلاً : **(إن كل ذلك كان لمصلحة سوريا إذ أزال عنها عبئاً كبيراً، واستفادت اللاذقية من أرضها الخصبة بعد أن حرمت مدة طويلة، وبهذا يكون إبراهيم باشا قد مكن الفلاحين من زراعة الأراضي)** ([4])، وأعطيت التراخيص بأن الذي يزرع في أرض غير حية تصبح ملكاً له، كما أعفى إبراهيم باشا الفلاحين من الضرائب مدة ثلاث سنوات، فعادت الحياة للقرى المهجورة ، عقب استجلاب الفلاحين من القرى المجاورة لها ([5]) .

وقفت الإدارة المصرية مع الفلاحين، وساندتهم ضد مستغليهم من التجار الأجانب وأصحاب الحمايات الذين نزلوا القرى، الذين كانوا يشترون المحاصيل قبل حصدها ويغبنون فيها أصحابها، وقدم المرابون القروض، وبالتالي تحكموا في أسعار الشراء بما يوافق هواهم، فأراد إبراهيم باشا أن يخلصهم من تلك الأوضاع ويلغي هذه العمليات الزائفة ولاسيما مسألة الدفع مقدماً، وطلب توضيحات كاملة لحسابات الفلاحين مع هؤلاء الذين اندسوا في القرى، وأصبح للواحد منهم فرائسه التي لم تقل عن ثمانية في كل قرية وذلك ليطبق العدل والحق، وحدد فائدة القروض بـ (٢٥%) بعد أن كانت الأرباح تصل إلى (١٠٠%) ([6]) .

كانت أهم خطوة قدمت للفلاحين هي صد هجمات البدو الرحل عنهم، بعد أن أنشأت لهم القرى، في محاولة لنزع صفات الطبيعة القبلية من داخلهم، وغرس فيهم حب الأرض وممارسة الحياة الاجتماعية في ظل نظام دولة، والإقلاع عن العادات السيئة بل والشريرة المتوارثة فيهم ووكل إبراهيم باشا للبدو زراعة الأراضي المهجورة بل، والصحراء وقد اشار الى ذلك القنصل البريطاني فارن (Varen) بالقول : **(أصبحوا منتجين واستفادت البلاد من توطيد الأمن، وفي الوقت نفسه من زيادة الأراضي المزروعة)** ([7]) .

أصبحت الزراعة أهم مصدر اقتصادي لبلاد الشام بعد تلك المجهودات التي بذلتها الإدارة المصرية، وتجاوب عامل الإنتاج البشري، فالفلاحون لم يبخلوا على أرضهم، وأعطوها بعد أن تحسنت أحوالهم بوجود الحكم الجديد الذي رفع عنهم أعباء ما قبله، وذكر موليناري قنصل

---

(١) عبد العزيز محمد عوض ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

(2) Fo.78, Vol. 284. Werrry- Campbell,Op. Cit .20, 1836 .

(3) Ibid.Vol.283, Campbell" S Report, Op.Cit .

(4) Fo.78,Vol, 284. Werry- Compbell, Oct. 20, 1836 .

(٥) لطيفة محمد سالم ، الحكم المصري في الشام ١٨٣١ – ١٨٤١ ، ص ١٤٤.

(٦) الخوري بولس فرالي ، فتوحات إبراهيم باشا في فلسطين ولبنان وسوريا، نقلاً عن تقارير انطون كتافاكو، قنصل النمسا في عكا وصيدا، مطبعة العلم ، (بيروت – ١٩٣٧) ، ص ٦٣ .

(7) Vol. 283 (1836), July --- Aug., From Col . p Campbell , Diplmatic No 27 .

سردينيا في حلب : **(أن الفلاحين وصلوا إلى أحسن حالة تحت الحكم المصري، وأصبحوا أغنياء ، ولم يتعرضوا للمضايقات التي كانوا يقاسون منها قديماً)** (١) .

تعددت أنواع الإنتاج الزراعي بالشام، وقد نمتها الإدارة المصرية، ومثلت زراعة التوت الهيكل الاقتصادي الذي اعتمد عليه في تنفيذ البرنامج العام، فالحرير هو مصدر الثروة القومية ومادة التصدير الأولى إلى أوربا، وازداد الإنتاج وارتفع معدله، وقد ركزت عليه العناية لمضاعفة الإنتاج ، وتم الاتفاق مع الفلاحين لإعطائهم ربع الحرير مقابل رعايتهم للشرانق، واستغلت كل أرض صالحة لزراعة التوت حتى بساتين الولاة السابقين جلب لها الفلاحون لاسيما أصحاب الخبرة في التربية وآتت إنتاجها (٢) .

تحتل زراعة الزيتون المرتبة الثانية في الأهمية الاقتصادية نظراً لتعدد أغراضه في الاستهلاك والصناعة، وهو ينمو طبيعياً في أجزاء من الشام، ونال الاهتمام الكامل، والرعاية التامة مع الإدارة المصرية، فصدرت الأوامر بالإكثار من غرس أشجار الزيتون، ففي مكاتبة من أفندي الديوان إلى السر عسكر يقول له : **(إن أهل هذه الديار لا يعلمون غرس الأشتال فيأتون بنوع صغير من أشجار الزيتون البرية فيغرسونها ثم يطعمونها، أما أهل نابلس فهم ملمون بغرس الأشتال فينبغي أن يستقدم خبراء منهم)** (٣) .

سافر خبراء زراعة الزيتون من مصر، وتقرر أن **" يعهد إلى الشبان المصريين الأحد عشر شاباً بالعناية بأشجار الزيتون البرانية، والزيتون المسمى جليك المغروسة في صحراء عكا ، وعين في معيتهم العدد اللازم من الأشخاص، وأصدر إلى الشيخ سعيد عبد العال أوامر شديدة وأكيدة بأن يشرف عليهم إشرافاً دقيقاً "** (٤) .

اهتمت السياسة الزراعية المصرية بالكروم لما له من عائد اقتصادي مربح فتعددت أنواعه الجيدة وبودلت الأعواد بين المناطق وزرعت في أجزاء لم تزرع فيها من قبل بعد أن أحضر إليها ذوو الخبرة فألزم إبراهيم باشا الفلاحين بزرع التوت والزيتون والكروم في كل قرية حتى تعمم على أرض الشام، ففي عام ١٨٣٦م تقرر زراعة ٤٠٠، ٢٤٧ من أشجار التوت ٤٥٥، ٥٢ من أشجار الزيتون ٩٠٠، ٢٦٤ من أشجار العنب (٥) .

وجهت العناية لزراعة القطن رغم أنه قصير التيلة، ولكن أكثر من زراعته بناء على التخطيط المرسوم، إذ رغبت الحكومة الاستيلاء عليه لحسابها، وأجريت التجارب على زراعته فزرعت بعض أفدنة من القطن الهندي، وأنبتت كل شجيرة بين خمس، وعشر لوزات، وبذلت المجهودات في هذا الشأن حتى وصل الإنتاج إلى ٣٦٠٠ قنطار في السنة (٦) .

---

(1) Fo . 78. Vol. 283, Campbell" s Report op. cit .
(2) Fo . 78, Vol .380, Dr Bowring , 0p. cit., Perrier: op.cit., pp.91,92 .
(٣) دار الوثائق القومية المصرية في القاهرة، معية تركي وثائق منشورة ، محفظة ٦٥، ترجمة جزء من التقرير ٧٩، في ٤ صفر ١٢٤٩ ، (١٨٣٣) .
(٤) دار الوثائق القومية المصرية في القاهرة، معية تركي وثائق منشورة ، محفظة ٦٥، ترجمة جزء من التقرير ٩٧ ، ١٤ شوال ١٢٤٨ (١٨٣٣) .
(5) Fo . 78, Vol . 284 , Werry --- Campbell , Oct . 20 , 1836 .
(6) Fo . 78 , 283 , Campbell"s Report , op . cit .

زرعت بلاد الشام الحبوب فكثر الغلال وفقاً للسياسة المتبعة حتى أن مصر أوقفت ما كانت تورده، إذ صدر أمر من المعية السنية لناظر شونة الغلال بشأن : **(إلا يرسل غلالاً إلى موانئ بر الشام بلا أمر من الآن فصاعداً لكثرة هذا المحصول في هذا العام بتلك الجهات)**، وتعددت أصناف الذرة التي زرعت، وساعدت خصوبة الأرض على العطاء، فبدون مجهود كبير تعطي الحبة أثنى عشر مثلاً ([1])، وعلى ذلك أصبح هناك اكتفاء ذاتي في الظروف العادية بعد أن أعطى الإنتاج المطلوب، وغطيت الاحتياجات، ولم تعد الشام في حاجة للاستيراد ([2]) .

استحوذت زراعة القنب على اهتمام الإدارة المصرية، نظراً لحاجتها له في مستلزمات الأسطول، فصدر أمر من قبل إبراهيم باشا بزراعته في المناطق الصالحة، وطلب المزيد من زراعة الطباق، وزرعت نباتات الصباغة لاستخلاص اللون الأحمر الذي تحتاج الصناعة له ولاسيما الطرابيش، وأنتج منها حوالي(٧٠- ٨٠) قنطاراً في السنة ([3]) .

سعت السياسة الزراعية في إدخال الزراعة الجديدة، فأرسلت من مصر بذور التيلة بأنواعها لزراعتها في طرابلس، واللاذقية، وامتدت زراعتها للشمال في انطاكية، وكلس، وعينتاب، وأجريت التجارب على زراعة قصب السكر، وأحضرت تقاوي الذرة الإفرنجية من مصر لزراعتها في طرابلس، وصيدا، وعكا، وصور، وبذلت المجهودات من أجل زراعة البن، فتم استيراد شجيراته لغرسها في طرابلس وصيدا وعكا وغزة على سبيل التجربة ، ونالت البساتين الاهتمام، وأحضر لها محترفوها من مصر، لاسيما العاملون في ارض إبراهيم باشا في شبرا، كما عمرت القصور وزرعت أشجارها، ورتبت أزهارها، ونمى اخضرارها، واعتني بأمرها ([4]) .

عملت الإدارة المصرية على توفير المياه للزراعة، فحسنت طرق الري، وقضت على عوائقها، واهتمت بالأنهار، وصدر أمر إبراهيم باشا بانتداب خبراء من الجيش لهذه المهمة وأرسلت مصر المهندسين، سافر رئيس مهندسي إقليم القليوبية إلى عكا لأجل تطهير الترع وعمل الجسور، وتم تطهير، وتعميق مجرى النهر الموصل من عينتاب إلى حلب، ففي تقرير لحنا بحرى ذكر فيه : **(غمرنا طريق النهر في حلب لخرابه، فزاد ماء النهر ثلث ما كان عليه من قبل فسر الأهالي من ذلك)** ([5]) .

ووفقاً لتلك المجهودات التي قدمتها الإدارة المصرية من أجل الارتقاء بالمستوى الانتاجي كانت النتيجة في صالح التقدم الزراعي وتطوره، ووصلت الأرض الزراعية في مدى سنتين ثمانين إلف فدان، وازدادت أسعار الأراضي، وبلغ إيجارها ثلاثة أمثال مما سبق كما ارتفعت أجور عمال الفلاحة من قرش إلى أربعة أو خمسة قروش، وجاء ذلك وفقاً لارتفاع مستوى المعيشة عامة ([6]) .

---

(1) Fo . 78. Vol . 283 , Campbell " s Report , op . cit .
(2)Ibid . Vol . 380 , Dr Bowring , op cit .
(٣) سليمان أبو عز الدين، المصدر السابق ، ص ٣١٦ .
(٤) لطيفة محمد سالم ، الحكم المصري في الشام ١٨٣١ – ١٨٤١ ، ص ١٥١ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ .
(٦) داود بركات ، البطل الفاتح إبراهيم باشا وفتحه الشام ١٨٣٢، المطبعة الرحمانية ، (القاهرة – ١٩٢٥) ، ص ١٠٢ .

تميزت بلاد الشام، ولاسيما مناطقها الشمالية بوفرة الغابات وانتشارها، وتعددت الأشجار واختلفت أنواعها، الصنوبر، البلوط الأصفر والأخضر، الزان، الزيزفون، الجميز الدردار، الجوز، الأرز ، وكانت مصر في حاجة إليها لخدمة صناعاتها المدنية، والعسكرية، ومن هنا أضحى الاهتمام والعناية بها، وخرجت التعليمات من مصر للقيادة في الشام بشأن ذلك (لما يرجى منها من عظيم الفائدة) ومن أجل هذه السياسة الحق المتخصصون الدارسون للعلوم الزراعية بفرنسا بمصلحة تطعيم الأشجار (١) .

لم تهمل السياسة الزراعية الإنتاج الحيواني، فأقدمت على عمليات تهجين هادفة تحسين السلالات لنوعية الإنتاج، فكتب إبراهيم باشا إلى والده يبين له : **" أن غنم بر الشام من النوع ذي الإلية الكبيرة ولحمه ثقيل الأكل ولكن هناك مراع كثيرة تصلح لأن ترعى فيها المواشي" كما يطالب أمداده بأغنام من كريت " أجلب منها ٥٠٠ نعجة ، ١٠٠ رأس من ذكور الغنم من نوع قبريرجن لنطلقها في إيالة صيدا، ليكون لنا أثر في بر الشام، وتأكل الناس لحم قبريرجن اللذيذ فيما بعد "** (٢) .

كما أحضرت الأغنام من إسبانيا، وهجنت مع الأغنام العربية، فصدر الأمر من إبراهيم باشا بشراء إلف شاة من شياه البلاد العربية، وتربيتها مع الغنم الذكور الإسبانية، وفي هذه المرة كان الهدف الانتفاع بصوف المارينو، هذا وأرسلت مصر الأغنام لبلاد الشام، وبذلت الإدارة المصرية كل مساعيها من أجل زيادة الإنتاج، ومنع إبراهيم باشا ذبح الحملان الصغيرة (٣) .

يرى الباحث إن النهضة الزراعية، والتقدم الذي حصلت عليه بلاد الشام أثناء الحكم المصري، كان له الأثر البالغ في هجرة الشوام إلى مصر سواء قبل أو خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، نتيجة للصورة الإيجابية التي انطبعت في أذهان الشوام عامة، والنصارى منهم على وجه الخصوص تجاه مصر .

أما الصناعة، فقد اشتهرت بلاد الشام بدقة صناعاتها اليدوية، ومع الحكم المصري دخلت الصناعة في نطاق التقدم، واتخذت لها طابعاً خاصاً اتفق والسياسة العامة للدولة، حقيقة أنها لم تنل كل الاهتمام مثل الزراعة، ولكنها خطت الخطوات التي جعلت لها المركز الداعم للاقتصاد.

تعد صناعة الحرير من أهم الصناعات، وهي صناعة قديمة، واهتمت بها الإدارة المصرية وفقاً لتحقيق الهدف الذي رسمته من أجلها، فتابعتها منذ بداية دورتها حتى إنها استوردت بيض دود القز من فرنسا وايطاليا، وأعدت له الأماكن الخاصة التي تبعده عن تقلبات الطقس، وعملت على اتساعها إذ وصل الإنتاج إلى ١٢٠٠ قنطار انجليزي في السنة موزعة بين دمشق وحلب ولبنان وبيروت وطرابلس وصيدا وحماه (٤) .

---

(١) أسد رستم ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .
(٢) محافظة الأبحاث ، المصدر السابق ، محفظة ٦٤ ، ٩ الشام ، ترجمة الوثيقة ٦٤ ، ١٦ ذو القعدة ١٢٤٩ (١٨٣٣) .
(٣) محافظة الأبحاث، محفظة ٦٨ ، ١٣ الشام ، ترجمة الوثيقة ٤٢ ، ٢٦ محرم ١٢٥٢ (١٨٣٦) .
(٤) أحمد أحمد الحتة، جهود إبراهيم باشا في خدمة الزراعة والصناعة والتجارة ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، (القاهرة – ١٩٤٨) ، ص ١٠٣ .

حظيت المنسوجات الصوفية بالتقدم حيث أنتجت بالآلات بعد أن استغلت ينابيع المياه وتأسيس مصنع في صور لوجود الصوف في جبال نابلس ولبنان، وخرج الإنتاج بأسعار منخفضة، وصدر الأمر" **بإرسال غنم من مصر موافقة لصناعة جوخ الصوف"**، وعلى ذلك حصل الاكتفاء الذاتي، لاسيما في المناطق الباردة، وفي قرى الجبال صنع السجاد القيم في نوعه والرخيص في ثمنه، كما أنشئت مدابغ الجلود في حلب، وقد كتب إبراهيم لوالده يوضح **:" لما جئت إلى حلب، أمرت بالشروع في إنشاء الأحواض اللازمة، لدبغ الأنواع الثلاثة من الجلود جلد البقر، جلد الغنم، جلد الماعز، وقد تم أنشاؤها وسيشرع في هذه الأيام في الدبغ "** (١) .

أنشئت المعاصر لاستخراج زيت الزيتون في طرابلس وضواحيها، وأحضرت الآلات من فرنسا واستخدم المتخصصون الأوربيون وأعطت أفضل النتائج من حيث الكمية والنوع ، وعليه قامت صناعة الصابون في طرابلس والقدس ونابلس ويافا والرملة واستخدم فيها نبات البازيلاء (الصودا) وكانت أثمانها منخفضة، وصدر الأمر بإنشاء دوائر الأرز وطلب لها عمال مصريين كما استغلت السواحل في صيد الإسفنج والأسماك وصناعة الملح التي دخلت في البنادق (٢) .

ووجدت المصنوعات الخشبية، واشتهرت القدس بها ولاسيما اليدوية ، والدقيقة منها ارتبطت بالعقيدة المسيحية، واستخدمت الأخشاب في صناعة البراميل، ونظرا للاحتياج إلى الأخشاب عامة ولخدمة أغراض الأسطول والجيش خاصة أعطيت الأشجار الأهمية الكبرى، وعليه ازداد العمل والنشاط في مناطق الغابات بالشمال فأرسل النجارين البارعين من مصر لمعاينة الأشجار والغابات الموجودة في جهات بر الشام، عما إذا كانت تصلح للانتفاع بها، كما حضر من مصر مهندس أوربي في أواخر عام ١٨٣٧ ليشرف على قطع الأشجار، وتحضير مليون، لاستعمالها في السدود وأعمال النيل (٣) .

شكلت الثروة المعدنية ثقلاً في الميدان الصناعي، ولهذا ما برحت الإدارة المصرية عن البحث، والتنقيب لتكمل تخطيطها الاقتصادي في بلاد الشام فاستقدمت الخبراء الأوربيين لهذا الغرض، وبحث النمساويون في الشمال عن الرصاص والنحاس والفضة والذهب والتحق بهم عشرة من متفوقي (تلاميذ المهندسخانة)، وذلك ليرافقوهم هناك في كل الجهات التي سيقومون فيها بأبحاثهم وتجاربهم، وأن يجتهدوا في اكتساب الخبرة في فن المعادن نظرياً، وعملياً (٤) .

كانت لبنان وبيروت وصيدا مجال نشاط رجال التعدين الإنجليز، فعثر على الفحم الحجري في منطقة جياع بالقرب من صيدا، وطلب محمد علي باشا إرسال ٥٠٠ قنطار من المستخرج والمزيد من العمق لاحتمال وجود الأحسن جودة، وألقى على الأمير بشير عاتق هذا الأمر

---

(١) محافظة الأبحاث ، المصدر السابق ، محفظة ١٨ ، ١٣ الشام ، ترجمة الوثيقة ٤٣ ، ٢٨ محرم ١٢٥٢ (١٨٣٦) .

(٢) داود بركات، المصدر السابق، ص ١٤٧ .

(3) Fo . 78. Vol . 283 .MrWerry"s Answers , Douin : op . cit ., Le Baron de Boislecomte au Minstre , Iere Sept . 1833.

(٤) المصدر معية تركي ، المصدر السابق محفظة ٣٢ ، دفتر ٧٤ ، ترجمة الأمر رقم ٢٥٩ ، ٨ ذو الحجة ١٢٥١ (١٨٣٦) .

وحملت السفن شحونات الفحم الحجري إلى الإسكندرية، وصدرت أوامر محمد علي باشا للأمير بشير بمتابعة واستمرارية التنقيب عنه لحاجة مصر له ولوقف استيراده من الخارج ([1]) .

ويمكن القول أن السياسة الصناعية للحكم المصري في بلاد الشام ، قد عملت على تنمية الإنتاج الصناعي وحسنت من الأوضاع القائمة، وابتكرت الجديد، وكان الهدف الذي تسعى إليه تحقيق الاستقلال الاقتصادي، وإحلال الصناعات الوطنية محل الأجنبية، أعطت انطباعاً ايجابياً عن الحكم المصري عند الشوام، وجعلتهم يتجهون للهجرة صوب مصر للإقامة، والاستقرار فيها خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين .

لم تهتم الدولة العثمانية، بالجوانب الثقافية والفكرية، في مدن الشام، واتسمت دوماً بالطبيعة العسكرية المتعنته، وانتشار ظاهرة التصوف، مما أصاب الثقافة العربية بالوهن ([2])، ولكن خلال الحكم المصري ظهرت عدة أنواع من الصحف، أثرت في الحياة الثقافية في بلاد الشام وهي الصحف الرسمية مثل (تقويم وقائع) لتكون جريدة الدولة الرسمية، على غرار جريدة (الوقائع المصرية)، التي أصدرها محمد علي باشا، وقد وصلت إلى بلاد الشام مع إبراهيم باشا، وأعجب بها المثقفون الشوام ([3]) .

احتل التعليم موقعاً على خريطة الخدمات التي قدمتها الإدارة المصرية للشوام ، بالرغم من أن بلاد الشام له تاريخه في النهضة العلمية ، ولكن مع الإدارة العثمانية التي صاحبها التأخر انعكس الأمر على التعليم فقد ساد الجهل وخيم حتى أنه لم يعد في الشام (واحد من مائة يحسن القراءة) ([4]) .

ذكر في السياق نفسه بطرس البستاني في ذكرياته عن بيروت قائلاً **: " قبل الحكم المصري، لم تجد تقريباً في هذه المدينة ، إن لم أقل في البلاد كلها، شخصا قادراً على قراءة أو كتابة اسمه " وفي ذكرياته كتب الخياط يقول: "** كان التعليم من الأمور العسيرة والخطيرة مهما علت الهمة وسمت الرغبة في طلبه"، وترك لنا القنصل الروسي قسطنطين بازيلي شهادة طريفة غريبة تقول**:" اضطرت بريطانيا لنقل مبنى قنصليتها نزولا عند مطالب السكان المسلمين، الذين أصروا على أن ظل شارة الصليب الموجود فوق العلم البريطاني ينعكس على المسجد القريب فتجفل منه الملائكة الدائرة حول قبة المسجد "** ([5]) .

ويبدو أن الحالة التعليمية والثقافية تغيرت مع قدوم الحكم المصري، حيث جاء حاملاً الأفكار التقدمية، والنهضة الكبيرة التي أوجدها في مصر لينقلها إلى بلاد الشام في إطار البرنامج الجديد الذي أعده وشمل جميع أوجه ومظاهر المدنية، وعلى ذلك اتجه النشاط إلى مجال التعليم الذي اعتبره ركيزة قوية اعتمدت عليها بلاد الشام في نهضتها العلمية الحديثة .

أن التغيير الثقافي بشكل عام ، والتغيير السياسي يتبعهما تغيير اجتماعي ملحوظ فأثناء الحكم المصري لبلاد الشام، تغلغل النفوذ الغربي في البلاد، وأصبحت بيروت الميناء الرئيس، وراحت

---

(١) أمين سامي ، تقويم النيل ، دار الكتب ، (القاهرة – ١٩٣٦) ، ص ٤٤٣ .
(٢) أنس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٧٨)، ص ٣٠ .
(٣) أديب خضور ، الصحافة السورية نشأتها تطورها وواقعها الراهن، (دمشق- ١٩٧٢)، ص ٥٢ .
(٤) ميخائيل مشاقة ، مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، (القاهرة – ١٩٠٨) ، ص ٢٣ .
(٥) قسطنطين بازيلي، المصدر السابق، ص ٢٧ .

أهميتها تزداد يوماً بعد يوم، فقد كانت مقر القناصل، ومركز الإرساليات التبشيرية، والتعليمية، ومركزاً تجارياً وصناعياً يقصده أهل الجبل والسوريون من جهة والأوربيون على اختلاف جنسياتهم من جهة أخرى، وبينما كانت بيروت قبل حملة محمد علي باشا تتقوقع داخل سور مدن القرون الوسطى، بدأ الناس بعدها يفتشون على مواقع أكثر انفراداً وجمالاً وتعرضاً للشمس، والهواء وأكبر مساحة لبناء البيوت والقصور والمدارس ([1]) .

وفي عام ١٨٣٥ وضعت خطة خاصة بإنشاء مدارس حكومية في المدن الرئيسية وفقاً للنظام المتبع في مصر، فأنشأت مدرسة نظامية، كلية حكومية في دمشق احتوت على ٦٠٠ طالب مسلم يتعلمون اللغة التركية، ويصرف لهم الزى الرسمي ومكافأة شهرية تقدر ب١٥٠ قرشاً ووجبات يومية ومعظم الطلبة من المدن ومنهم من القرى المجاورة وقليل منهم من العائلات الغنية والأكثرية من الفقراء ومتوسطي الحال ([2]) .

أما مدرسة حلب النظامية فضمت بين٤٠٠ -٤٥٠ طالباً من المدينة، وما يجاورها وجمعت بين النظامين الخارجي والداخلي، ويتلقى فيها الطلبة اللغات العربية والتركية والفارسية وآدابها والرياضيات والتاريخ، ويعطى الطالب لقب (أفندي) ومكافأة تتراوح بين ١٥ ـــ ٧٠ قرشاً شهرياً والزي الرسمي، وعلى نفس النظام كانت مدرسة انطاكية، ومما يذكر أن لحلب نشاطها في ميدان التعليم، فقد أسس حاكمها إسماعيل بك مدرسة (الإسماعيلية) في عام ١٨٣٩، وأوقف عليها الأموال، وجعل فيها مكتبة، واختصت بالعلوم الفقهية، وأرسل إبراهيم باشا يطلب من مصر المدرسين، وأصحاب الدراية، والكفاءة خاصة في علم الحساب، والنحو ([3]) .

أما عن الكتب ، فلم يكن في بلاد الشام مكتبات عامة ، فاعتمد في وجودها على جلبها من مصر، وفي البداية استحسن مجلس شورى حلب أن ترسل لمدينته مطبعة بأجهزتها وأدواتها لتطبع بها الكتب المحتاج إليها، لكن اتفق رأي المسؤولين على تحديد نوع الكتب المطلوبة وعددها لتطبع بالمطبعة العامرة بمصر، وذلك لعدم وجود العمال المهنيين في هذا المجال واقتصار أمر الطباعة على المطبعة الرسمية المصاحبة لإبراهيم باشا والتي تطبع فيها أخبار اليوم، وعليه وردت من حلب ودمشق واللاذقية وطرابلس ويافا وغزة قوائم الكتب لإصدار الأمر لديوان المدارس بالقاهرة لإرسالها إلى المدن المذكورة أعلاه لتوزيعها، وشملت مختلف فروع العلوم والآداب، الطب البشري والبيطري، الرياضيات، الهندسة، الزراعة، القواميس، الأديان العلوم الفقهية، الفلسفة، المنطق، التاريخ، كما وجه الاهتمام بمقدمة ابن خلدون، وعمل على نسخها من نسخ المغرب، ونقلها للتركية ([4]) .

وضعت الأسس لإرسال البعثات التعليمية للقاهرة، وطلب الأمير بشير من كلوت بك مفتش صحة الجيش أن يستأذن محمد علي باشا في مسألة الابتعاث لدراسة الطب، فوافق وأعطى المجانية، فكان الوفد الأول مؤلفاً من أربعة رابعهم مملوك الأمير، كما قامت الإدارة المصرية

---

(١) فيليب حتي، لبنان في التاريخ ، ص ٥١٦ .
(٢) لطيفة محمد سالم ، الحكم المصري في الشام ١٨٣١ – ١٨٤١ ، ص ٢٠٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ .
(٤) أسد رستم ، المصدر السابق ، المجلد الأول ، ص ٨٩ ، وثيقة ٣٧ ، ١٠- ١٣ رجب ١٢٤٧ (١٨٣١) .

بإيفاد مجموعة من الشوام إلى أوربا وفقاً لنظام البعثات المتبع في مصر ([1])، وأوفد الأمير بشير الشهابي الثاني عدداً من الطلاب اللبنانيين، ليدرسوا الطب في أول معهد طبي حديث في الشرق العربي، في القصر العيني، الذي أسسه محمد علي باشا على أسس غربية حديثة، وعادوا إلى وطنهم لممارسة مهنة الطب، فكانوا أول رعيل من الأطباء في لبنان ([2]) .

شهدت بلاد الشام تطوراً فكرياً وثقافياً، وقد مهد الحكم المصري، لهذا التطور عندما سمح بدخول التأثيرات الأوربية، التي زادت من النشاط الثقافي، من خلال تقديم التسهيلات للطوائف الدينية غير الإسلامية، لتمارس مدارس الطوائف مهمتها بحرية ، فوجدت في دمشق مدرسة أولية للأرثوذكس اليونان ألحقت بالكنيسة، وضمت ١٣٠ تلميذاً ولها طابعها الديني، والدراسة فيها تشمل القواعد الأولية والتاريخ الخاص باليونان قديماً وحديثاً، وعلى شاكلتها مدرسة في بيروت وأخرى في القدس، ووجدت المدارس الكاثوليكية تدرس اللغات الفرنسية والايطالية والجغرافية والتاريخ ، ووجدت مدارس للموارنة تعلم فيها التلاميذ اللغة العربية ([3]) .

وفي بيروت أسست المدارس الأمريكية، ومثلت كلية الأمريكان أهمية، ودرس الطلبة فيها اللغتين العربية والإنجليزية والرياضيات والجغرافيا والفلك والكيمياء، وأصبحت بيروت أعلى مستوى ثقافي من أية مدينة أخرى في الشام، حيث وجدت فيها المطابع التي اختصت بالأجانب وطبعت الكتب التعليمية الأولية، كما كانت هناك مطبعة في لبنان يديرها الكاثوليك واقتصرت طباعتها على الكتب الدينية ([4])، وكان لليهود عشر مدارس صغيرة في دمشق ، ضمت الواحدة من ٢٥ – ٦٠ تلميذاً، يتلقون فيها اللغة العبرية، وتقتصر على الذكور من سن ٣ – ١٣ ومصاريفها من ٣- ٥ قروش أسبوعياً، وتعد لممارسة الأعمال التجارية، وهناك مدارس أخرى في باقي المدن التي يسكنها اليهود ([5]) .

ويتضح مما سبق ذكره أن الحكم المصري في بلاد الشام، أراد خلق كيان متميز للشام، تمثل في الأنظمة التي استحدثها في الإدارة، والقضاء، والتعليم، والخدمات العامة، والاهتمامات الدينية، والعلاقات الخارجية، والإصلاحات الإيجابية، التي بقيت محل تقدير من قبل الكثير من الشوام، لاسيما فيما يتعلق بتكريس حالة الأمن، والاستقرار، وسياسة التسامح الديني التي انتهجها إبراهيم باشا تجاه مختلف الطوائف الدينية بإعفاء الرهبان من دفع الجزية، وترميم الكنائس أثناء حكمه وسعيه لتحقيق العدالة والمساواة بين فئات المجتمع، هذا إلى جانب التغييرات الواسعة في البنية الاقتصادية، والاجتماعية والتي تعلقت بتحديد مقدار الضرائب التي تجبى من الفلاحين، وإيقاف ابتزاز الإقطاع، والقيام بأعمال عمرانية كبناء المدارس ورصف الطرق، وأحياء الأراضي، فضلاً عن الاهتمام بالتعليم، ونشر الكتب، والقيام ببناء المدارس، وغيرها من الإجراءات ساهمت مساهمة فعالة في هجرة الشوام إلى مصر .

---

(١) محمد عبد الفتاح أبو الفضل ، الصحوة المصرية في عهد محمد علي باشا ، (القاهرة -١٩٩٨) ، ص١٨٧.
(٢) فيليب حتي ، تاريخ لبنان ، ص ٥٠٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٨٨ .
(4) Fo . 78 , Vol . 380 , Dr Bowring , op. cit .
(5) Ibid , Rustum : op . p 90.

أخطاء الحكم المصري في بلاد الشام :

وبالرغم مما ذكر فأن ذلك لا يمنع أن هناك العديد من الأخطاء ارتكبها الحكم المصري في بلاد الشام فالأوامر التي أصدرها محمد علي باشا إلى ولده إبراهيم باشا في أوائل عام ١٨٣٤ أوجبت إجراء ما يلي :

١. احتكار الحرير في بلاد الشام .
٢. تحصيل (الفردة) ([١])، أي فريضة الرؤوس من جميع الرجال على اختلاف مذاهبهم .
٣. التجنيد في البلاد الساحلية .
٤. نزع السلاح من أيدي أهل البلاد وجرد الأسلحة ([٢]) .

لم يتردد إبراهيم باشا في تنفيذ أوامر والده، رغم الوعود التي كان قد قطعها لأهل الشام ويبدو أن تلك الأوامر، قضت على آمال الشوام في الانعتاق، والحرية، والخلاص من الاستبداد، والتسلط العثماني ([٣])، يتضح عدم تنفيذ إبراهيم باشا لوعوده، التي قطعها لأهل الشام، وتنفيذه أوامر والده" **لأنه أعتاد على الطاعة العمياء في تنفيذ مشيئة محمد علي باشا** " كما ذكر المؤرخ الشامي سليمان أبو عز الدين ([٤]) .

كان الجيش في الواقع عماد الإدارة المصرية في بلاد الشام، ولهذا فإن توطيد الحكم المصري فيها كان يقتضي بالضرورة دعم الجيش، والقضاء على العناصر المناهضة له، فطبق إبراهيم باشا سياسة التجنيد الإجباري في عام ١٨٣٤م، مما أثار حفيظة الأهالي، بعد ما تضرر اقتصاد الريف تبعاً لذلك، حيث كانت تلك الخدمة الإلزامية مدى الحياة، وهذا يعني أن الفلاح المُجند كان مضطراً إما أن يستأجر غيره لزراعة الأرض، أو بيعها، ونظراً لتفشي هذه الظاهرة انتشرت عادة الاحتماء بالقنصليات الأجنبية، أو الهجرة إلى خارج البلاد، أو تشويه الأعضاء لتحاشي الخدمة العسكرية ([٥]) .

فرض الحكم المصري على الشوام ، ضريبة جديدة (مال أعانة) أو (فردة)، شملت جميع الذكور من الشوام، ماعدا العاجزين والقاصرين، وذوي العاهات، كما جند إبراهيم باشا في عام ١٨٣٣ (إلف ومئتي) جندي من الدروز، بالرغم من رفض الدروز لهذا التجنيد، ومحاولتهم الثورة على الحكم المصري، ثم سعى إبراهيم باشا إلى تجنيد (إلفي) مقاتل مسيحي عام ١٨٣٨

---

(١) **ضريبة الفردة :** من الضرائب التي فرضتها الإدارة المصرية، إذ كانت تأخذ على الرؤوس من جميع الرجال على اختلاف مذاهبهم، وقد أمر إبراهيم باشا جبايتها عن عمر سبعة سنوات مقدمة على الأحياء والأموات .للمزيد ينظر، مؤرخ مجهول، حروب إبراهيم باشا المصري في سوريا والأناضول، تحقيق : أسد رستم، المطبعة المصرية ، (مصر- د. ت)، ج ٢، ص ٥ .

(٢) **ينظر وثيقة جرد وجمع الأسلحة من الشوام، ملحق رقم (١)**، عبد المجيد عبد الملك، تاريخ الإقطاع في لبنان، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، (بيروت -٢٠٠٠)، ص ٢١٠ .

(3) Vingtrinier, Aime , SolimanPacha , Paris , 1886 , p .227.

(٤) سليمان أبو عز الدين ، المصدر السابق ، ص ١٦٦.

(٥) لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في بلاد الشام ، ص ص ٢٨٧ – ٢٩٣.

ووجههم لقتال دروز حاصبيا، فكان لهذا التجنيد، ومحاربة الشبان المسيحيين للدروز أثر في تعميق هوة الخلاف بين النصارى والدروز، وإشعال الفتن بينهما ([1]) .

ومن الإجراءات التي ولدت التذمر والاستياء، وجعلت الناس تنقم على الحكم المصري هي احتكار القطن والحرير وفرض التجنيد الإجباري ([2])، وقد وصف انطون كتافاكو الحالة في جبل لبنان في احد تقاريره التي أرسلها في ١ تموز عام ١٨٣٥م إلى انطون لوران Anton Laurin قنصل النمسا العام في الإسكندرية ذاكراً فيها : **(مما يدعوا للأسف إن لبنان يتمخض الآن بثورة سببها احتكار القطن، والحرير، وإعلان التجنيد الذي يرغب إبراهيم باشا في إدخاله إلى لبنان ويقال إن الجبل متحد كله على مقاومة هذا القرار، فأن لم يعدل سعادته عنه، وصمم النية على تنفيذه سيكون بلا محالة سبباً لاضطرابات عظيمة في هذه الجهات)** ([3]) .

لم يكن الأمير بشير غافلاً عن السبب الرئيسي لنقمة أهل الشام على الحكم المصري وقدم الأمير شهادة واضحة على كراهية الشوام للتجنيد الإجباري بالقول :**" ومنذ أن أصبحت بلاد الشام تحت السيطرة المصرية، تحسنت حالة البلاد تحسناً ملموساً، ولولا التجنيد الإجباري لوسعنا القول أن البلاد سعيدة حقاً ... "** ([4]) .

ومن الجدير بالذكر أن الحكم المصري كان يرى في البنية العسكرية للحكم عنصر قوة داخلية، وعامل هيبة، وتوسع، والحفاظ على الأمن لذلك اقتضت الضرورة باعتماد نظام التجنيد الإجباري بصورة منتظمة، وكان نظام الجندية يطبق في مصر بطرق شديدة القسوة، ولاسيما باللجوء إلى أسواق العبيد في أفريقيا لذلك واجهت أساليب إبراهيم باشا في التجنيد الإجباري مقاومة عنيفة وصلت حد الثورة المسلحة في بلاد الشام .

استقرت كراهية الجندية في القلوب، فالشوام نفروا منها وأحبوا الأرض وارتبطوا بها، ولم تكن الحرب التي سيدخلونها من اجل الدفاع عن النفس، أو مصلحة لوطنهم، أو لتحقيق انتصار لزعيم لهم، وإنما فرضاً عليهم أن يلتحقوا بالجيش بدون نظام محدد، أو مدة معينة، فأعتبر من دخله مفقوداً، ولم يكن التسريح يتم إلا مع العاهات المستديمة في أرجلهم، أو في عيونهم، أو في رؤوسهم ([5]) .

أدى الهروب من الخدمة العسكرية الإجبارية إلى المطاردة، ومضايقة أسر الهاربين بواسطة جنود كانوا يسمون(عسكر الجوالة) فضلاً عن العملاء المحليين الذين يساعدون السلطة المصرية في العثور على هؤلاء في الأماكن التي يلجئون إليها، أو يختبئون فيها ([6])، مما جعل

---

(١) انطون كتافاكو، فتوحات إبراهيم باشا المصري في فلسطين ولبنان وسوريا، وثائق منشورة، عربها وعلق عليها الخوري بولس قرالي، وثيقة رقم (٣١)، مطبعة القديس بولس،(بيروت – ١٩٣٧)، الوثيقة ٣٣، ص ٤٣ .
(٢) محمد كرد علي، الحكومة المصرية في الشام، المطبعة السلفية، (القاهرة – ١٩٢٥) ، ص ٢٣.
(٣) انطون كتافاكو، المصدر السابق، الوثيقة ٣٣، ص٢٣ .
(٤) جوزف ححار، أوربا ومصير الشرق العربي، ترجمة بطرس الحلاق وماجد نعمة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت – ١٩٧٦)، ص ١١٤.
(5) Fo . 78, Vol. 283,Mr Barkers Report , April 30 , 1838, Farren : op .p.449, Dodwell: op. 256 .
(٦) مصطفى بزي، المصدر السابق، ص ١٤٣ .

الخدمة العسكرية ثقيلة الظل، وشديدة الوطأة على السكان، فأخذ الشبان يغادرون البلاد مفضلين الهجرة على البقاء تحت سيف الخدمة المسلط على رؤوسهم) ([1]) .

ذكر قسطنطين بازيلي الذي عاصر تلك المدة في السياق نفسه ما نصه: " بعث الحكم المصري بهذا التجنيد الإجباري أشد رعب في الشعب ، وأعظم كراهية، إزاء كل الإصلاحات، والتي كانت مواتيه للمنطقة من نواح كثيرة، إلا أن ثمنها كان يدفع ضريبة دم مرهقة جدًا " ([2]) .

بلغ عدد الفارين من الشوام بعد فرض التجنيد الإجباري نحو (مائة ألف) نحو صحراء سيناء مصر، وشبه الجزيرة العربية، وبادية الشام حيث مضارب البدو، وقبرص، واليونان والأناضول، ولإيقاف هذا النزيف أصدر إبراهيم باشا قرارًا بتحمل سكان الحي، أو القرية ضرائب الفارين منهم هذا ما أدى إلى ارتفاع الضرائب بمعدلات عالية للغاية، أدت إلى زيادة الحنق الشعبي على الحكم المصري ([3]) .

إلا أن الثغرة الرئيسة في حكم إبراهيم باشا ليست، كما يعتقد بعض المؤرخين، بتعسفه وتشدده **" وإنما كانت بشكل أساسي في الفارق الشاسع بين عقلية المصريين الحديثة، وإرادتهم في بناء دولة حديثة على الطراز الأوربي، والعقلية السائدة في البلاد الشامية التي ترتكز على تقاسم السلطة بين رجال الإقطاع، والأمراء، والولاة الأتراك، ولم يكونوا يفقهون معنى الدولة المركزية أن الشعوب لم تكن تعي بعد أهمية تحررها من الإقطاع والنظام القبلي، فلم تتكلل جهود إبراهيم باشا بالنجاح في تنظيم البلاد، وتوطيد السلطة، والاستقرار، والأمن، والامان وعلمنة الدولة، وضرب الإقطاع "** ([4]) .

يبدو أن احتكار الحرير والقطن، وفرض الضرائب الباهضة فضلاً عن التجنيد الإجباري قد أسهم في حركة هجرة الشوام، فالشاب إذ لم يفر من وجه السلطات المصرية في هذه السن المبكرة من عمره فلا بد من سوقه في حروب كحرب سفر برلك، وحرب السويس، و حرب القرم، وحرب الدردنيل، وحرب اليمن، لذلك كانت الهجرة سبيلاً من السبل إمام الشباب لتفادي الانخراط في الخدمة العسكرية، والبحث عن آفاق جديدة يحققون بها مستوى رفيعاً من الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية .

حركت السيطرة المصرية على بلاد الشام، الدول الأوربية، وعلى رأسها بريطانيا التي وجدت في محمد علي باشا، وبروز دوره الإقليمي، عائقاً إمام فرض سيطرتها السياسية والاقتصادية في المنطقة، لذلك توحدت جهود كل الدول الأوربية، وأعادت جميع الأملاك التي استحوذ عليها إلى الدولة العثمانية مقابل إعطائه حكما وراثيا في مصر ([5]) .

---

(١) سعيد حمادة، المصدر السابق ، ص ١٣ .
(٢) قسطنطين بازيلي المصدر السابق، ص ١٦١.
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦١.
(٤) فؤاد شاهين، الطائفية في لبنان حاضرها وجذورها التاريخية والاجتماعية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، (بيروت- ١٩٨٦) ، ص ٩٢ .
(٥) هدى علي بلال ، الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل، المجلد، ١٠ ، العدد ٤ ، في ١٦ حزيران ٢٠١١ ، ص ٣٤١ .

احتفظ محمد علي باشا ضمن ممتلكاته الوراثية بمصر، والسودان، واعاد للسلطان العثماني جميع الأراضي الباقية أي سوريا وفلسطين وكيليكيا والجزيرة العربية وكريت، وقلص جيشه حتى بلغ (١٨ إلف) جندي ، وحرم من حق تعيين الجنرالات في جيشه، ومن حق بناء السفن الحربية وأعاد إلى تركيا كل أسطولها الحربي، واعترف بأنه تابع للسلطان، وتعهد بدفع جزية كبيرة إلى خزينته([١])، فقد أضعفت الدول الأوربية حسب تعبير كارل ماركس([٢]) **:" الشخص الوحيد الذي كان بمقدوره تحويل تركيا من العمامة المفتخرة إلى رأس حقيقي"** ([٣]) .

عقب نهاية الحكم المصري عام ١٨٤١، أصبح بلاد الشام على شفا حفرة من نار، وبات الصراع السياسي يطفو على سطح السياسة في المشرق العربي، أصحاب نظرية المحافظة على القديم، والذين تمثلوا في الزعامات الإقطاعية، والطائفية لذا جاهدوا لاسترجاع امتيازاتهم، لاسيما الدولة العثمانية التي انهكت قواها إلا أنها عاشت في انتظار عودة المجد إليها، أما القوى الأوربية فقد كانت تتحين الفرص لتنقض على فرائسها ولتمحو أية عقبات تقف أمامها، ولتسخر لنفسها شعوب المنطقة ولتحقق أهدافها التوسعية ([٤]) .

الحروب الأهلية في بلاد الشام :

الأحداث الطائفية :

يبدو أن الأوربيين قد استغلوا تعدد الطوائف المسيحية في بلاد الشام الخاضعة لسيطرة الدولة العثمانية، وامتيازات الحماية لتحقيق مآرب سياسية على حساب الأقليات المسيحية، والغير مسيحية الطامحة إلى التحرر، والانعتاق من الاضطهاد، والاستبداد العثماني، والتمتع بالاستقلال التام، فضلاً عن التعصب الديني في بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الذي شكل عامل أساسي من عوامل استبدال الولاء للوطن بالولاء للدين، وللطائفة، لاسيما في لبنان بشكل خاص، ويجب أن لا ننسى أن لبنان كان يشكل المحطة الأولى من محطات انتشار طوائف الأقليات في الشرق .

وهناك امثلة كثيرة على التعصب الديني، فالموارنة مثلاً تعرضوا إلى الاضطهاد على يد خصومهم في الكنيسة الأرثوذكسية التي كان مركزها انطاكيا، والى القتل الجماعي من قبل اليعاقبة الذين كانوا يرفضون أن يكون للسيد المسيح ثلاث طبائع (إنسان، وإله، وروح القدس)،

---

(١) بشرى ناصر، الإدارة المصرية في بلاد الشام (١٨٣١- ١٨٤١) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ٢٠٠٣ .

(٢) كارل ماركس : صاحب النظرية الماركسية، ولد في مدينة تريف بألمانيا، ٥ أيار عام ١٨١٨، كان أبوه محامياً اعتنق والداه اليهوديان الديانة المسيحية ، وأصبحت أسرته بروتستانتية، درس في جامعات بون وبرلين وفينا، وتأثر بهيجل، وفي باريس تعرف إلى فريدرتش أنجلز، وأصدر بالتعاون معه كتابي (العائلة المقدسة) و (الأيديولوجية الألمانية)، ثم أصدر عام ١٨٤٧ كتاب(بؤس الفلسفة) كان بداية لأفكار ماركس في التفسير الاقتصادي للتاريخ، ولتحديد الأساس العلمي للاشتراكية، وفي عام ١٨٦٧ أصدر كتابه (رأس المال) الذي عرض فيه لأول مرة بالتحليل العلمي الدقيق قوانين الاستغلال الرأسمالي، شارك ماركس في مختلف الأنشطة السياسية والاجتماعية، والفكرية، توفي في ١٤ آذار عام ١٨٨٣ . لمزيد من التفاصيل ينظر : أرنست فيشر وفرانز مارك ، ماركس الحقيقي، ترجمة خليل سليم، دار أبن خلدون للطباعة والنشر، (بيروت -١٩٧٣) ، كما ينظر : الآن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث، ١٧٨٩- ١٩٤٥، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين ، ، دار المأمون للترجمة والنشر، (بغداد -١٩٩٢)، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(٣) فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٤) لطيفة محمد سالم ، الحكم المصري في بلاد الشام ، ص ٢٩٨.

ويؤمنون بالطبيعة الواحدة، إذ هاجم اليعاقبة رهبان مار مارون المسيحيين في ديرهم في أعالي نهر العاصي، وقتلوا منهم ٣٥٠ راهباً على الأقل دفعة واحدة، الأمر الذي اضطر الموارنة إلى الهجرة ([١])، وكان وادي النيل البلد الذي استهوى المهاجرين أولاً ([٢]) .

ظلت مصر الملاذ الآمن للشوام لما يجدونه فيها من الأمن الاطمئنان والاستقرار السياسي، والازدهار الاقتصادي وتوفر فرص العمل خلال عهد محمد علي باشا، القائم على المساواة الدينية فكان المسيحيون، واليهود من مختلف إنحاء المعمورة يدخلون مصر بالترحاب فتضمن حقوقهم، ويؤيد نشاطهم التجاري، ومنحهم حق اللجوء السياسي كما حدث للأمير بشير الشهابي الذي فر إليها عام ١٨٢١ بعد حروبه مع والي سوريا ([٣]) .

الفتنة الأولى عام ١٨٤٠ :

ظهرت بواكير الهجرة في بلاد الشام بشكل رئيسي في عام ١٨٤٠ عندما بدأت الفتنة الأولى بين الدروز، والموارنة، وتعرفها العامة باسم (الحركة الأولى)، مع خروج الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا من بلاد الشام بموجب اتفاقية لندن في ١٥ تموز ١٨٤٠ ([٤]) .

اشتدّ التوتر الطائفي، وظهر الخلاف بين زعماء الإقطاع الموارنة، وفلاحيهم، لكنّ الأمير بشير الثالث مضى في سياسته اقتداء بسلفه علّه يُضْعِف بذلك الجميع فيبقى الحُكْمُ له وحده مستندًا على دعم رجال الدين الموارنة الذين كانوا يعطفون على مطالب العامّة الموارنة المطالبة بالانعتاق من الاستغلال، والاستبداد في توقهم إلى الاستقلال، والحرية، وعندما اشتبكت المصالح وهاجت الخواطر، ولم تنجح الدول في اقتراح الأمير حيدر أبي اللمع خلفاً للأمير بشير الثالث وبسبب معارضة البطريرك يوسف حبيش لعدم انتماء الأمير المقترح للسلالة الشهابية ، فلن يتمكن بالتالي من فرض احترامه على سائر الإقطاعية، وفي صيف ١٨٤١ أثار المنشور البطريركي حفيظة الدروز، واعتبروه خطة للقضاء على كل الامتيازات التي يتمتعون بها من سلطات، وحقوق اقطاعية، وقد ورد في هذا المنشور:**" إن حاكم جبل لبنان لا يكون إلا من عائلة بيت شهاب المارونية "** ([٥]) .

قيادة الجبل اللبناني ليست بالأمر السهل ، وسرعان ما ظهر ضعفُ الأمير وعدم كفايته في مواجهة مصاعب الحكم، فالدولة العثمانية بعد الذي أصابها من سلفه القوي الذي تحالف مع المصريين ضدها قررت إضعاف سلطة الأمير الجديد، والقضاء على النزعة الاستقلالية عند اللبنانيين بتشديد السلطة المركزية، فبادرت وأنعمت على الاقطاعيين المنفيين من الدروز

---

(١) شكري نصر الله ، تاريخ لبنان واللبنانيين نظرة إلى الوراء ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت – ٢٠٠٦) ، ص ٢٦ .

(٢) فيليب حتي، تاريخ لبنان ، ص ٥٧٦.

(٣) البرت حوراني ، الفكر العربي الحديث في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩٣٩، ط٣ ، (بيروت -١٩٧٧) ، ص ٧٤.

(4) Richard Edwards , La Syri , 1840- 1860 , (Paris-1862), P . 17 .

(٥) تشارلز تشرشل ، الدروز والموارنة تحت الحكم التركي من سنة ١٨٤٠ – ١٨٦٠ ، ترجمة دار لحد خاطر، (بيروت - ١٩٨٦)، ص ٢٨ .

بفرمانات سلطانية أعادت إليهم الامتيازات، والاقطاعات التي خسروها في زمن الأمير بشير وصودف إن بيعت آنذاك إلى مسيحيين ([1]).

رفض الأمير الجديد تنفيذ الأوامر الشاهانية، وبادر إلى اتخاذ تدابير جديدة تساهم بأضعاف الاقطاعية، ولاسيما المسيحيون منهم كآل الخازن وآل حبيش اقتداء بسلفه فتحالف هؤلاء فورًا مع زعماء الدروز، ووقفوا بوجه الأمير، ونشطت في هذا الوقت قوى الخارج من عثمانية وأوروبية في سبيل تأمين مصالحها الخاصة، فعمل العملاء كعادتهم على تجييش الاقطاعية ضد سلطة الأمير، وعلى زرع بذور التفرقة بين الأهالي بتحريض الدروز على الموارنة حلفاء العهد السابق ([2])، وان يكون كل الموارنة أينما، وجدوا سواء في جبل لبنان، أو في إي مكان آخر، تحت الحماية الفرنسية، ومنع نظام السخرة عن أهالي جبل لبنان، ولا يحق للحاكم إن يكون له حكم، أو تسلط على رجال الدين، وان لا يكون لأي من البطاركة الثلاث المقيمين في الأستانة أي تسلط أو معارضة للطائفة المارونية بنوع من الأنواع ([3]) .

كثفت الاستعدادات العسكرية لدى الفرقاء، وكانت الشرارة الأولى لإشعال نار الفتنة، أن رجلاً من دير القمر اصطاد حجلاً في ارض لعائلة أبي نكد في خراج بعقلين، فأعترضه بعض الدروز وتشاجروا معه فسمع رفاقه ضجيجهم، فبادر احدهم إلى دير القمر، وبث الخبر مهيجاً ، فهاجت الشبان، وتدججوا بالسلاح ، وانضم آل جنبلاط وآل عماد برجالهم إلى النكدين فأحرقوا دير القمر في ١٤ تشرين الأول ١٨٤١، ولم تلبث أن شملت الفتنة قرى اخرى في الشوف، وفي منطقة الغرب جزين، وعبية، والشويفات، والحدث، وبعبدا، كما أحرقت قصور الشهابيين، وقد وقع بعض من الموارنة ممن هربوا في قبضة الجنود الأتراك المرابطين في ضواحي المدينة فهاجموهم، ونهبوا أموالهم، وجردوا النساء من حليهن، وألبستهن، هذه الحادثة، وسواها من حوادث القتل، والنهب التي تعرض لها السكان على أيدي الجنود تفسر لنا مغزى قولهم **: " أنه لأفضل لنا إن ينهبنا الدروز من إن يحمينا الأتراك "** ([4])، فأن الدروز حسب تقاليدهم الموروثة، لا يتعرضون للنساء بسوء إطلاقاً ([5]) .

سارع الباب العالي إلى التدخل، وأمر والي صيدا بإرسال العساكر العثمانية إلى جبل لبنان وتوزيعها على المناطق الرئيسة للحيلولة دون أي صدام قد ينشب مجدداً، كما طلب من زعماء الدروز، والنصارى بان يكفوا عن القتال ([6]) .

كان البطريرك الماروني يرغب بتوتر الأوضاع لكي يبرهن على سوء إدارة الأمير بشير الثالث، واقناع الدولة بتعيين ما يريده رفض تهدئة الأوضاع، وصمم على تقديم (المؤونات والعلائف، والبارود، والرصاص) عبر التشديد على أعيان الموارنة بدعم هذه الخطط لذلك استمرت المعارك، وكانت الهزيمة واضحة على نصارى الشوف، فقرر الدروز توسيع نطاق المعارك لتشمل زحلة ذات الأكثرية النصرانية بحجة دعمها للنصارى، لكن والي صيدا أرسل

---

(١) تشارلز تشرشل ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .
(٢) شاهين مكاريوس، المصدر السابق، ص ٢٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
(4) Churchill Druzea , p. 52 : Jessup , p. 162.
(٥) فيليب حتي ، تاريخ لبنان ، ص ٥٢٧ .
(٦) محمد ترحيني ، الأسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي ، (بيروت –١٩٨١) ، ص١٥.

عساكره مرة أخرى إلى زحلة لمنع تكرار حوادث القتل ([1])، أسفرت هذه الفتنة الأولى (الحركة الأولى) عن مقتل ثلاثمائة رجل معظمهم من الدروز، وعن خراب في الممتلكات تقدر قيمته بنصف مليون من الدولارات ([2]) .

ويتضح مما سبق ذكره أن الحروب الأهلية اسفرت عن فقدان الثقة بين الطوائف اللبنانية، وازدياد روح الكراهية، لاسيما بعد تجاهل الحكومة أمر التعويض على الأضرار، وإعادة السكان إلى قراهم ومعاقبة رؤوس الفتنة، الأمر الذي انعكس بشكل خطير على مستقبل لبنان، وفتح الباب على مصراعيه امام فتن واحداث أشد هولاً منها سنأتي على ذكرها لاحقاً في ثنايا الأطروحة .

الفتنة الطائفية الثانية عام ١٨٤٥:

في عام ١٨٤٥ قام الموارنة، بإحراق أربعة عشر قرية درزية، وزحفوا على المختارة مقر (الجنبلاطيين)، حيث كان بانتظارهم فيلق تركي أصلاهم ناراً حامية في انحياز واضح للأتراك إلى جانب الدروز، وامتدت نار الفتنة إلى جزين ودير القمر، والى أماكن أخرى ، فأسرع الباب العالي بإيفاد وزير الخارجية شكيب افندي، فثبت نظام القائمقاميتين الذي ظل معمولاً به حتى عام ١٨٦٠ ([3]) .

لجأ الأتراك إلى تدبير جديد من خلال تقسيم جبل لبنان إلى قسمين، أو قائمقاميتين شمالية للنصارى يحكمها قائم مقام نصراني، وجنوبية يحكمها قائم مقام درزي، وكلاهما مسؤولان إمام والي صيدا المقيم في بيروت، وقد اتخذت طريق (بيروت – دمشق) الحد الفاصل بين القائمقاميتين ، وقد باءت جميع محاولات فرنسا للإبقاء على الحكم الموحد بزعامة الشهابيين بالفشل، فعين حيدر من الأمراء اللمعيين قائم مقاماً في المقاطعة المسيحية، وأحمد ارسلان قائم مقاماً على الدروز، وكان حيدر حديث عهد بالنصرانية، وكان احمد ارسلان حدثاً لم يستطع إن يفرض هيبته على مشايخ الدروز([4])، لم تنعم القائمقاميتان بالهدوء على الرغم من الإصلاحات التي ادخلها العثمانيون بسبب الإدارة السيئة التي اتبعها بشير احمد أبو اللمع قائمقام النصارى فقد عمد بعد توليه المنصب عام ١٨٥٤، إلى فرض ضرائب فادحة على سكان قائمقاميته التي شكل الفلاحون فيها النسبة الأكبر ([5]) .

ويرى الدكتور فؤاد شاهين أستاذ العلوم الاجتماعية في جامعة بيروت : **" إن تجربة نظام القائمقاميتين، قدمت النموذج الأولي للانقسام البنيوي للمجتمع، والتراجع عن المشروع الاتصالي بين الطوائف إلى الواقع الانفصالي، وترسيخ الانقسام الاجتماعي كأساس مشترك في بناء الدولة من خلال قائمقانية للنصارى محورها الموارنة، وقائمقامية للمسلمين محورها الدروز، ساهم هذا الشكل، الذي سعى إليه الزعماء الانعزاليون من كل الطوائف في تكريس واتساع الهجرة إلى خارج البلاد "** ([6]) .

---

(١) محمد ترحيني، المصدر السابق، ص ١٥.

(٢) فيليب حتي، تاريخ لبنان ، ص ٥٢٨ .

(3) Correspondence Relatiue to The Affairs of Syria , pt. I, 1843,1844, 1845, (L0ndon,Vol ,I ,PP., 176 seq. De Testa, vol . III, PP.174 seq. Khazin, Vol. I ,176 seq ,Rabbath, vol.II, PP. 163 – 6 .

(4) Richard Edwards, La Syria , 1840 – 1860 (Paris, 1862) , p . 71.

(٥) أ . سيميليا نسكايا ، المصدر السابق ، ص ١٨٨.

(٦) فؤاد شاهين ، المصدر السابق ، ص ٨ .

إذ شبه أحد الدبلوماسيين الفرنسيين نظام القائمقاميتان بالمخروط قائلاً : **" أن المخروط يقع متمايلاً يميناً ويساراً كلما وضع على رأسه، ويستقر كلما وضع على قاعدته "** مقترحاً إعادة توحيد جبل لبنان وعودة الحكم الشهابي إليه ([1]) .

أصبحت الحياة الخاصة، والعامة للطوائف في بلاد الشام مليئة بشتى أنواع الحواجز والمنغصات، وهذا ما ذكره الرحالة الفرنسي نرفال: **" فيكفي أن يبتعد التدخل الأجنبي وأن تختفي الشائعات ، كما يكفي أن يلتقي الأخوة ببساطة حتى يشعروا أنهم أصدقاء يداً في يد وأفكارهم في نفس الاتجاه فينسوا خلافاتهم، ويتذكروا ماضيهم المجيد، ولا يشعروا نحو نزاعاتهم إلا بالأسف، والندم "** ([2]) .

وعلى أثر ذلك بدأت طلائع ثورة اجتماعية تهدف بالقضاء على الإقطاع، والتحرر من ربقة الإقطاعيين، وقد نشبت عام ١٨٥٨ ثورة مارونية قام بها الفلاحون بزعامة رجل من العامة هو طانيوس شاهين من ربفون الذي كان يعمل بيطاراً في دير للعازريين هناك ([3])، فطردوا آل الخازن، وجماعة أخرى من أعيان الموارنة من اقطاعاتهم، واستولوا عليها، ووزعوها على الفلاحين، وأعلن شاهين قيام حكومة فلاحين، ونصب نفسه حاكماً مطلقاً ([4]) .

تجاهل البطريك الماروني الأمر، في حين شجع الحوارنة، والقسس الذين كانوا من عامة الناس على الثورة ، وأيدوها، لان سلطة الاكليروس الماروني، ونفوذه كان قد تضاءل كثيراً إزاء نفوذ الإقطاعيين الموارنة، وسلطتهم الواسعة وقد أخذت الثورة منعطف طائفي أدى في نهاية الأمر إلى دخول الموارنة، والدروز في نزاع مرير بلغ ذروته في عام ١٨٦٠([5]) .

ويتضح مما سبق ذكره أن الدولة العثمانية أرادت من نظام القائمقاميتين أن تبرهن للدول الأوربية أن هذا النظام لن يعود على لبنان بالأمن، والاستقرار، وعلى الرغم من أنه يتعارض مع سياسة الباب العالي، ومصالح الدول الكبرى، فإن مصيره الفشل المحتوم، لكنها اصرت على ذلك، ويبدو أن الاقتراح الجديد كان عاملاً في تأجيج الصراع الطائفي، وسبباً رئيسياً في حدة التوتر، وازدياد وتيرة الهجرة .

التنظيمات العثمانية :

تباين حكم العثمانيين لبلاد الشام من حقبة إلى أخرى، ومن بيئة عربية، إلى أخرى نظراً لطبيعة العهود، والأساليب والقوانين والأحكام، فضلاً عن عوامل داخلية معقدة في دواخل منظومة المجتمع العربي، فالدولة العثمانية دولة استبدادية شرقية بامتياز، وتميزت بتقاليدها المملوكية، والعسكرية الاقتصادية عن غيرها من الدول الإسلامية، وبسبب ضعف هياكلها الإدارية، ومؤسساتها الاقتصادية، وقوتها المركزية إثر صدمات الغرب، بدأت خطواتها الإصلاحية، ويرى الكثير من المؤرخين، والباحثين أن ما عرف باسم حركة التنظيمات التي شهدتها الدولة العثمانية جاءت استجابة لضغوط الدول الكبرى ، نتيجة تقديم العون للسلطان

---

(١) منير إسماعيل، لبنان في السياسات الأوربية ١٨٤٠- ١٨٦٠، دار النشر للسياسة والتاريخ ، (بيروت- ٢٠٠٥) ، ص ١٤٠ .

(٢) هدى عدره ، ثلاث رجالات إلى الشرق (لامارتين ، نرفال ، فلوبير) ، دار الحسيني للطباعة والنشر، (بيروت -١٩٩٤)، ص ، ٣٢٦ .

(٣) انطوان العقيقي ، ثورة وفتنة في لبنان ، (بيروت – ١٩٣٨) ، ص ٨٢ .

(4) Khazin , vol , I , PP .111-12 .

(٥) نادية كرامي ، واقع الثورة اللبنانية ، اسبابها وتطورها وحقائقها، (بيروت – ١٩٥٩) ، ص٤ .

العثماني سياسياً، وعسكرياً لاستعادة سيطرته على بلاد الشام، قابله إصدار الدولة العثمانية مراسيم التنظيمات، لتحسين أوضاع رعاياها من غير المسلمين، ورفع الجزية عنهم، والسماح لهم بدخول إدارتها، وجيشها وفوق كل شيء مساواتهم بالمسلمين، أي خلق مبدأ المواطنة .

بدأت هذه الحركة بإعلان السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ -١٨٦١) البيان الإصلاحي المعروف بـــ (خط شريف كولخانة) (١) عام ١٨٣٩، وخط همايون (٢) عام ١٨٥٦، وصدرت مراسيم أخرى للإصلاحات غير إن هذه الإصلاحات ذهبت سدى لأنها كانت مرتجلة وعابرة من جهة، ولان الدول الأوربية الطامعة في الدولة العثمانية لم تدع لها فرصة النجاح من جهة ثانية، ولان السلاطين العثمانيين إثناء هذه المحاولات كانوا مستبدين، ومسرفين فلم يتبنوا الرغبة في الإصلاح تبني المدرك، والمخلص من جهة ثالثة (٣) .

ومما لاشك فيه أن الدولة العثمانية استطاعت تنفيذ جزءاً كبيراً من برنامجها الإصلاحي (التنظيمات) في بلاد الشام، وأدى تطبيقه إلى نمو اقتصادي واضح ساعد في تقديم الخدمات المدنية للمجتمع، وأسهم في تطور المجتمع، ورفاهيته بشكل أفضل مما كان عليه الحال في النصف الأول من القرن التاسع عشر، فقد تحسنت الحالة الاجتماعية في بلاد الشام .

واجهت حركة التحديث اتجاهاً معارضاً تمثل بتيارين هما **الأول** : ظهر بشكل مبكر منذ مطلع القرن الثامن عشر، مثلته قوات الانكشارية(٤) بقوادها الذين رأوا في إقامة قوات جديدة خطراً على كيانهم ، وكذلك رجال الدين الذين كانوا يحرصون على الاحتفاظ بأساس الدولة العثمانية التقليدي (٥)، و**الثاني** : تمثل بقسم من البيروقراطيين الذين رأوا في هذا الانفتاح خطراً

---

(١) **خط شريف كولخانة :** يعتبر خط شريف كولخانة مرحلة هامة من مراحل التحديث شهدتها الدولة العثمانية منذ القرن الثامن عشر، وبالرغم أنه لم يكن بداية التحديث حسب ما يذهب إليه بعض الكتائب بالنظر إلى محتوى هذا الذي كان بمثابة الاعتراف القانوني والسياسي بالتغيير البنيوي والإداري التي جرت في عهد سليم الثالث، إلا أن الخصائص الرئيسية لهذا الخط تكمن في ملامحه التي كانت صورة للدساتير شهدتها أوروبا خلال الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. وقد اصطنعت المهارة في دمج هذا الملامح في النظم التقليدية العثمانية، بالإضافة إلى المبادئ الأخرى التي أملتها الضروريات العملية، ولم يكن مستمدا من الشريعة بل استهدف مصلحة الدولة مثله في ذلك مثل كثير من القوانين التي أصدرها السلاطين السابقون .عبد العزيز محمد عوض، المصدر السابق ، ص١٩.

(٢) **خط همايون :** تبيّن أن خط كلخانة لم يكن كافيا في نظر الدول الأوروبية التي تطمح إلى عمليات "إصلاح" أوسع، تقدم لها ضمانات الاختلاف الكامل والفصل العلمي بين الإسلام والمؤسسات العثمانية، لذلك عادت الدول الأوروبية لممارسة ضغوطها على الدولة العثمانية، فأصدر السلطان عبد المجيد الأول في ١٨ شباط ١٨٥٦، خط همايون حرب القرم (١٨٥٣- ١٨٥٤)، فكان هذا الخط بمثابة هدية إلى إنجلترا وفرنسا اللتين وقفتا ضد تقسيم السلطنة في أعقاب حرب القرم . المصدر نفسه ، ص ١٩ .

(٣) محمد عزة دوزة ، تركيا الحديثة ، مطبعة الكشاف ، (بيروت- ١٩٤٦) ، ص ٨ .

(٤) مصطلح مركب من كلمتين في الأصل هما " ينى " أي الجديد و " جري " أي العسكر أو الجيش فتصبح بذلك العسكر أو الجيش الجديد ، ويعود تأسيس هذه القوات إلى زمن السلطان مراد الأول ١٣٦٠-١٣٨٩م ، وكان هؤلاء يتألفون في بداية الأمر من الأسرى الذين يعطى خمسهم للدولة بوصفهم من الغنائم مقابل ضريبة الخمس ، وفيما بعد أصبح العنصر الأساس لهذه القوات الصبيان المسيحيين الذين يؤخذون من أهاليهم بموجب ضريبة الديوشرمة أو ضريبة الغلمان ، شكل الانكشارية قوام الجيش العثماني وعماده حتى أن مصير الدولة العثمانية أعتمد عليهم إلى حد كبير إلا إن هذه الأهمية بدأت تتضاءل بعد أن أصبح الانكشارية مصدر قلق وإضعاف للدولة العثمانية عندما أخذوا يتدخلون في شؤونها، ويزجون بأنفسهم في السياسة العليا . خليل علي مراد ، تاريخ العراق الإداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني (١٦٣٨-١٧٥٠) ، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص١٣٢ .

(٥) البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨-١٩٣٩ ، ترجمة كريم عزقول ، دار النهار ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص٦٨ .

على كيان الدولة، وان محاولة إدخال مؤسسات أوربية بالجملة إلى الدولة العثمانية، لا يمكن إن ينجح ، بل لابد من إن تضعف السلطنة العثمانية ([1]) .

ويبدو أن المثقفين سارعوا إلى إطلاق حزمة من الاصلاحات، والأطروحات الفكرية، اتسم بعضها بالإصلاح، وإنقاذاً كيان آخذ بالانهيار، فيما حفل بعضها الآخر بآراء انقلابية لا يجمع بينها تجانس، ولكنها كانت تجمع بلا استثناء على ضرورة التغيير المنشود .

أطلق المصريون على أهل بلاد الشام تسمية (الشوام) لتمييزهم عن الجاليات الأخرى الكثيرة التي هاجرت إلى مصر، وتفاعلت مع شعبها، والشوام تعبير اصطلاحي أطلقه سكان البلد الذي يؤمه المهاجرون، المقصود بالشوام كل من هاجر من المناطق التابعة للولايات العثمانية في بلاد الشام، والتي تضم (سوريا، لبنان، فلسطين،الأردن) إلى مصر، مع ضرورة الأخذ بنظر الاعتبار ورود لفظ (أهل الشام)، أو (سوري) أو(لبناني) أو (فلسطيني) أو (الأردني) في بعض الفقرات، لاسيما في النصوص المقتبسة، وهي أينما وردت تأتي متناغمة مع التعريف السابق، ولا تخرج عن إطار الدلالة العامة للفظ (الشوام)، والذي ورد في كثير من المصادر .

(١) اكرم كيدو ، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة، هاشم الأيوبي ، منشورات جروس برس ، طرابلس –١٩٩٩ ، ص ٨٥.

الفصل الأول : العوامل المؤثرة في هجرة أهل الشام إلى مصر:

المبحث الأول : العوامل السياسية :

شهدت بلاد الشام في منتصف القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، حركة هجرة متزايدة على نطاق واسع إلى مصر، وبنسب متفاوتة، وبأشكال مختلفة ومتباينة، وعلى مدد متقطعة، فمنهم من هاجر إليها طلباً للحرية كالأدباء، والشعراء، والكتاب، والصحافيين ، ومنهم من هاجر إليها بدافع الظروف الاقتصادية على اختلاف أنواعها، ويمكن القول أن اتساع ظاهرة الهجرة جاء نتيجة الأزمات التي طرأت على الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية في بلاد الشام خلال العهد العثماني، والتي سوف نستعرضها في الفصل الأول .

و ذكر سليمان البستاني (١)، في السياق نفسه ما نصه :**" إن المهاجرة من بلاد الشام فئتان: فئة فرت من البطش، والاغتيال، وفئة جلت في طلب الرزق، ومرجع هجرة كلا الفريقين إلى الاستبداد والاضطهاد العثماني "** (٢) .

ارتبط تزايد حالات الهجرة إلى مصر ارتباطاً وثيقاً بالدرجة الرئيسية بعاملين أساسيين يتمثلان في**" انبعاث نهضة فكرية وإصلاحية، وظهور اتجاهات سياسية متعددة لاسيما في صفوف النخبة المثقفة "**(٣)، التي احتكت بالحضارة الغربية من خلال " الإرساليات التبشيرية الأوربية (٤)، التي فتحت المدارس، ومنحتهم فرصة التعليم، وأسست المطابع، ونشرت الكتب

---

(١) **سليمان البستاني:** ولد في الشوف بلبنان عام ١٨٥٦، دخل المدرسة الوطنية لصاحبها بطرس البستاني ، أتقن العربية والانكليزية والفرنسية، دعي إلى البصرة لإنشاء مدرسة فيها، اتخذ من بغداد مقراً له ، أقام في العراق ثماني سنوات، عاد إلى بيروت، وسافر إلى الأستانة، ثم إلى مصر، ثم طرق الهند، ثم قفل إلى بغداد عام ١٨٨٨، فتزوج فيها ومكث زهاء سنتين، ثم قصد الأستانة وأقام بها سبع سنوات ، وعاد إلى مصر عام ١٨٩٦ ، وشارك في تصنيف الجزئين العاشر والحادي عشر من دائرة المعارف ، ثم نشر إلياذة هوميروس عام ١٩٠٤ ، ولما نودي بالدستور عام ١٩٠٨ رجع إلى لبنان، فاختارته بيروت مبعوثاً عنها في مجلس المبعوثان، وجعله السلطان محمد رشاد عضواً في مجلس الأعيان ، ثم عهد إليه وزارة التجارة والزراعة عام ١٩١٣ ، توفي أحدى مستشفيات نيويورك في عام ١٩٢٥. بيت الحكمة، موسوعة إعلام العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ،الجزء الأول ، (بغداد- ٢٠٠٠) ، ص ٢١٨.

(٢) سليمان البستاني ، عبره وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، تحقيق خالد زياد ، ط١ ، دار الطليعة ، (بيروت- ١٩٧٨) ، ص ١٦٧ .

(٣) أطلق تعبير النخبة (الفئة) المثقفة في العصر الحديث على المنصرفين للعمل الفكري أو ما يعرف بأهل الفكر(انتلجينسيا) (Intellegentsia)، وهو مصطلح اشتقت دلالته عن الأصل اللاتيني (Intellegentsin) ويقصد به المثقفون الذين يشكلون فئة متقدمة، أو نخبة فنية اجتماعية سياسية، وقد بدأ تداول مصطلح (الانتلجينسيا) منذ أواخر القرن التاسع عشر، وأول من استخدمهما كمصطلح اجتماعي سياسي هم الروس . ينظر : سيار كوكب الجميل ، (انتلجينسيا) العراق – التكوين ، الاستشارة القومية ، مجلة آفاق عربية " بغداد "، السنة ١٦، أيلول ١٩٩١، ص٣٤ .

(٤) بدأت الإرساليات التبشيرية تصل إلى بلاد الشام منذ الربع الأول من القرن الثامن عشر، واخذ المبشرون يفتحون المدارس في جهات مختلفة من بلاد الشام، فقد قام المبشرون الكاثوليك بإنشاء مدرسة (عينطوره) عام ١٧٣٤، والتي تعد أولى المدارس العصرية في لبنان ، كما انشأ البروتستانت عددا من المدارس في بيروت وجبل لبنان ، وتوجت جهود الأمريكان في عام ١٨٦٦ بافتتاح (الكلية السورية الإنجيلية) في بيروت ، وقد سبقهم الفرنسيون عام ١٧٨٤ إذ أسسوا كلية (القديس يوسف)، وترك إقبال الطلبة على هاتين الكليتين للاغتراف من منهليهما أثره الواضح في خلق جيل يجمع بين الثقافتين الغربية والعربية . ينظر: سؤدد عبد الحسين سبتي=

وأدت دوراً واضحاً في حركة الإحياء الثقافي العربي الذي وَفَرَّ مناخاً للنهضة العربية، وأقامت جسراً لاتصال التراث العربي بالثقافة الأوروبية الحديثة من ناحية، وبالسياسة التي كانت تمارسها الدولة العثمانية تجاه بلاد الشام، وممارسات السلطان عبد الحميد الثاني (١)، تحديداً من ناحية أخرى "(٢) .

شهدت البلاد العربية في مطلع القرن التاسع عشر ولاسيما بلاد الشام، نهضتها المعاصرة وكان عامل الاتصال بأوربا أثر في ذلك الحدث من خلال البعثات العلمية والاستشراق والمدارس والطباعة ثم الصحافة، **"ومولد الصحافة العربية كان وليد اتصال الغربيين ببلاد الشرق العربي، ولا غرو فالفن الصحافي كما نعرفه اليوم نشأ وترعرع في أحضان الحضارة الغربية، وكان الغربيون هم الذين ابتدعوه وحسنوه وجاءوا به إلى الشرق " (٣)** .

يبدو أن شرارة الاحتكاك بالغرب ساهمت، بشكل أو بآخر في انتشال الوعي الحضاري والثقافي العربي من دهاليز عصور الانحطاط والتخلف، ويمكن الجزم بأن هذا الاحتكاك بالغرب بالرغم من علاته سيظل من وجهة نظر التطور التاريخي من أهم المقدمات التي ميزت ما اصطلح عليه بالنهضة العربية الحديثة، وإن مفهوم الحرية بمعناه السياسي، والذي استعمل نقيضاً للحكم المطلق الاستبدادي لم تتضح معالمه، ولم يستعمله رواد حركة النهضة العربية نصلاً ناجعاً لمقاومة النظم الاستبدادية ،إلا في بداية النصف الأول من القرن التاسع عشر، وشكلت النهضة العربية عصراً جديداً في الواقع العربي، بعد أن عانى هؤلاء المثقفون اصحاب التطلعات السياسية، والإصلاحية من الاستبداد العثماني .

ومع ظهور ملامح النهضة العربية، وتأثير أفكار الثورة الفرنسية في الحرية والعدالة والمساواة برز خطاب إصلاحي يدعوا إلى الإصلاح، لاسيما في صفوف النخبة المثقفة بعد أن تبين لهم **"فساد الأوضاع وأن الإصلاح أصبح ضرورة ملحة "(٤)** .

=الربيعي ، دور النخبة في الحياة الفكرية والسياسية في مصر (١٨٦٩-١٩١٨) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير ، (غير منشورة) ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ٢٠٠٨ ، ص٢٢ .

(١) **السلطان عبد الحميد الثاني :** الابن الثاني للسلطان عبد المجيد بن السلطان مراد الخامس، ولد في ٢١ أيلول ١٨٤٢، تعلم اللغتين العربية والفارسية فضلا عن اللغة التركية، بويع بالخلافة وهو في الرابعة والثلاثين من عمره بعد خلع أخيه السلطان مراد الخامس في ٣١ أب عام ١٨٧٦، وهو السلطان السادس والثلاثون في تاريخ الأسرة الأسرة العثمانية وظل جالساً على العرش ثلاثة وثلاثين عاماً حصلت في عهده تطورات سياسية هامة وإصلاحات واسعة، حكم حكما فردياً من مقر إقامته في قصر يلدز، كما ربط جميع مؤسسات الدولة بيده ازدادت في نهاية عهده المؤامرات والدسائس لغرض عزله حتى اجبر على التنازل عن السلطة بعد انقلاب عام ١٩٠٨، توفي عام ١٩١٨ عن عمر ناهز السادسة والسبعين . لمزيد من التفاصيل ينظر: سليمان جوقه باش، السلطان عبد الحميد الثاني شخصيته وسياسته، ترجمة عبد الله احمد إبراهيم، المركز القومي للترجمة،(القاهرة -٢٠٠٨) .

(٢) ماهر محمد سعيد درويش ، هجرة الشوام إلى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين ، ٢٠٠٣ ، ص ١٤ .

(٣) وائل عزت البكري، تطور النظام الصحفي في العراق ١٩٨٠-١٩٥٨ دراسة تحليلية، بغداد، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد-١٩٩٤)، ص١٤.

(٤) نقولا زيادة، دراسات في الحضارة والتاريخ ، شاميات ، دار رياض الريس،(لندن – ١٩٩٢) ، ص ٢٥١.

أخذ رواد النهضة العربية يوجهون سهام نقدهم للدولة العثمانية، والدعوة للإصلاح ونيل الحرية، والمطالبة بالدستور، والحد من صلاحيات السلطان للحد من مساوئ الحكم الفردي والرد على الاستبداد من خلال" **اعتماد صيغة الدولة الدستورية التي ترتكز على وجود دستور وبرلمان تشريعي وفصل للسلطات الثلاث، وعلى حقوق، وواجبات تنظم العلاقة بين الأفراد والمجتمع من جهة، والهيئات الحاكمة من جهة أخرى** " (١) .

أن عملية الرد على التسلط، والاستبداد الفردي، قد صيغت من خلال المطالبة بالدستور (المشروطية) (٢)، التي تقيد السلطان بأحكام ومجلس تمثيلي منتخب من الأمة، وكانت أول تجربة دستورية في العالم الإسلامي (إعلان الدستور) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي أقر أول دستور للبلاد في ٢٣ كانون الأول ١٨٧٦ بإقامة التمثيل الشعبي عن طريق مجلسين أحدهما للنواب (المبعوثان)، والآخر للشيوخ (الأعيان)، وقيام إدارة الولايات على أساس اللامركزية (٣) .

عرف عن السلطان عبد الحميد الثاني بأنه من أنصار الحكم المطلق ، وعدواً للحركات الدستورية، وعندما ارتقى العرش انقض على الإصلاحات الدستورية، فاصطبغ النظام الإقطاعي الاستبدادي في عهده بطابع العنف الشديد والدموية، ووصف بالسلطان (الأحمر)(٤)، الذي خضبت يده بدماء الأبرياء(٥)، فقد أصدر في ١٤ شباط ١٨٧٧ قراراً بتعليق العمل بالدستور(القانون الأساسي) وحل مجلس النواب (المبعوثان) وسارع إلى إقالة مدحت باشا(٦)، من منصبه كصدر أعظم ونفاه بتهمة الخيانة العظمى، وساءت حالة الحكم وتعرض الناس للظلم والاضطهاد وحرموا من أي نوع من أنواع الحرية، وسعى لتوطيد سلطانه عن طريق الأخذ بإرادة أساليب الطغيان (٧) .

---

(١) هشام شرابي ، المصدر السابق ، ص٦٤.

(٢) سمى الأتراك الدستور باسم (القانون الأساسي) كما اصطلحوا على تسمية العهد الدستوري بـ(عهد المشروطية) أي تكون سلطة السلطان مقيدة أو مشروطة بقيود يعينها ويقررها الدستور. ينظر: ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية ،(القاهرة -١٩٥٧)، ص ٩٧ .

(٣) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي، الجزء٤ ، ط٢ ، دار العلم للملايين، (بيروت – ١٩٥٥) ، ص ٦٣ .

(٤) أول من أطلق وصف Le Sultan rouge أي (السلطان الأحمر) على عبد الحميد الثاني، كان المؤرخ الفرنسي وعضو الأكاديمية الفرنسية البرت واندال . محمد مصطفى هلالي، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، دار الفكر، (القاهرة -٢٠٠٤) ، ص١٢ .

(٥) سامي الكيالي ، أبو الهدى الصيادي ، مجلة العربي ، العدد١٥٢ ، تموز ١٩٧١ ، ص٢٤.

(٦) **مدحت باشا:** من أصول بلغارية ، ولد في استانبول عام ١٨٢٢، تقلد مناصب مختلفة في الإدارة ، تسلم في سن الأربعين ولاية بلغاريا ، ثم ولاية الدانوب ، وفي عام ١٨٦٩ عين والياً على بغداد ، واسند إليه منصب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية ، نفي خارج استانبول على أثر اتهامه بمؤامرة خلع السلطان عبد العزيز واستقر به المطاف في الحجاز عام ١٨٨١، وبعد ذلك عمل السلطان عبد الحميد الثاني على قتله عام ١٨٨٤ يعد من كبار المصلحين في الدولة العثمانية ، لقب مدحت باشا بالكثير من الألقاب منها "أبو الدستور"، "زعيم الأحرار" ، "محطم التيجان" ، "خالع الملوك ". لمزيد من التفاصيل ينظر: صديق الدملوجي، مدحت باشا، مطبعة الزمان (بغداد – ١٩٥٣) ؛ كما ينظر : محمد عصفور، العراق في عهد مدحت باشا (١٨٦٩- ١٨٧٢) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٥٣ .

(٧) كارل بروكلمان ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

بدلاً من إن تساعد التجربة النيابية العثمانية السلطان عبد الحميد الثاني، في تطوير مجتمعات الدولة العثمانية، فأنها زادت الأمر سوءاً لعدم تفهم معظم تلك المجتمعات الشرقية لطبيعة، وأهداف الحياة النيابية الغربية، فضلاً عن التخلف الذي كانت تعيشه في حياتها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية عموماً ، كما **" إن السلطة العثمانية لم تحترم تلك المؤسسة النيابية التي عرفت باسم (مجلس المبعوثان) فالانتخابات جرت بدون قانون انتخابات، وبدون أحزاب، فقامت المجالس البلدية بانتخاب النواب "** (١) .

علل السلطان عبد الحميد الثاني ذلك بالقول: **" أن هناك ثغرات في مشروع الدستور المقترح لا تتلائم مع عادات وتقاليد أمتنا"** (٢)، وكان يرى أن البلاد **" لم تتطور التطور الكافي لتقبل الحكم الدستوري "**(٣)، وبالتالي فأن**" تطبيق الدستور وتشكيل حكومة نيابية يعني حدوث الفوضى التي تؤدي بالدولة العثمانية إلى الخراب "** (٤) .

نتيجة لما عانته بلاد الشام من ظروف قاسية تحت الحكم العثماني بدأت طلائع المهاجرين الشوام بالهجرة إلى مصر، وهم الذين لمسوا عن كثب ويلات الحكم المطلق ، والاستبداد الحميدي وآثاره الوخيمة فضاقت في وجوههم سبل العيش (٥)، وجدنا أن أغلبهم قد هاجروا بعد تعليق العمل بالدستور وحل مجلس النواب عام ١٨٧٧ .

كان إبراهيم اليازجي(٦)، أول صوت انبعث بالدعوة إلى القومية العربية في بلاد الشام يصدح بصوته في الجمعية العلمية السورية بقصيدته البائية الشهيرة قائلاً :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

أثرت القصيدة في الناس، وأثارت منهم الهمم، لأنها عبرت عن مشاعرهم ، وقامت قيامة الوالي فرنكو نصري باشا (١٨٦٨-١٨٧٣) في بيروت، ونشر إتباعه لمعرفة صاحبها، ولكنه لم يوفق(٧)، وقد أشار القنصل الروسي قسطنطين بازيلي **(Constantine Basile)** في أحد تقاريره إشارة واضحة المضمون السياسي والقومي والرمزية التي تحملها القصيدة (٨)، ولم يكن

---

(١) رشاد اكرم كوجه ، تاريخ الانتخابات في تركيا ، مجلة عالم التاريخ ، العدد (٥) ، ١٩٥٠ ، ص ٢٧.

(2) Devereux The First Ottoman Constitutional Period, pp. 61-79 .

(٣) السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١- ١٩٠٨، ط٢ ، مؤسسة الرسالة، (بيروت- ١٩٧٩) ، ص ١٠٤ .

(٤) المصدر نفسه، ص ١٠٥ .

(٥) أسعد الأسطواني، بزوغ الوعي القومي في بلاد الشام، مجلة العربي الكويتية ، العدد ٣٦٧، حزيران ١٩٨٩، ص ٥٢.

(٦) **إبراهيم اليازجي:** ولد في بيروت عام ١٨٤٧ ، نظم الشعر في شبابه ، أنصرف إلى المطالعة واللغة أنخرط في الجمعية العلمية السورية في بيروت عام ١٨٦٨، ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة العربية، أنصرف إلى تدريس اللغة العربية وآدابها في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت، تولى تحرير مجلة (الطبيب) عام ١٨٨٤ ثم مجلة (الضياء) عام ١٨٩٨، أصدر مجموعة من الكتب منها: (نجمة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد) في ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها (ثلاثة أجزاء) وكتاب (الفرائد الحسان من قلائد اللسان) و(تنبيهات على لغة الجرائد)، توفي في مصر عام ١٩٠٦، ودفن في بيروت . بيت الحكمة ، موسوعة أعلام العرب، الجزء الأول، (بغداد – ٢٠٠٠) ، ص ٢٣ .

(٧) عيسى ميخائيل سابا ، إبراهيم اليازجي ، دار المعارف ، (القاهرة -١٩٦٥) ، ص ٤٩.

(٨) قسطنطين بازيلي ، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني ، ترجمة طارق معصراني ، ط٤ ، دار التقدم ، (موسكو – ١٩٨٩) ، ص ١٣٢ .

منتظر أن تطيب الإقامة لإبراهيم اليازجي في بلاد الشام بعد هذه الصيحة المدوية، فبادر بالهجرة إلى مصر ([1]) .

تقييد الحريات الصحفية :

نشأت الصحافة العربية ([2])، وتطورت نتيجة الاحتكاك بالغرب احتكاكاً مباشراً وعسيراً في آن واحد ، **" وكان الإطار القانوني الخاص بتنظيم الصحافة في الولايات العثمانية ([3])، وتحديداً في بلاد الشام شبه منعدم وحفلت مسيرة الصحافة، بالكثير من المنغصات والعوائق التي واجهتها من قبل السلاطين العثمانيين، ولاسيما عهد عبد الحميد "** ([4])، كلها عوامل جعلت ظاهرة الهجرة من أبرز مميزات الصحافة العربية ، وكان عدد المهاجرين بالمئات **" وأن أرباب الصحف الشوام، وهم يعدون بالعشرات، فضلاً عن مشاهير الكتبة الذين كانوا يساعدون في التحرير والتحبير ونضرب صحفاً عن سرد أسمائهم لكثرتهم فإنهم قاطبة تركوا بلاد الشام كي يكونوا آمنين على حياتهم من غدر السلطان عبد الحميد الثاني وأعوانه "** ([5]) .

ذكر المؤرخ نقولا زيادة :**" إن عبد الحميد الثاني ضيق على الناس الخناق، وأحكمت عليهم المنافذ، فحيل بينهم وبين العدل والأمن، وأصبحوا يعيشون تحت رحمة حكام يندر بينهم من لا يريد رضا السلطان، وحاشيته بأي ثمن، وطوقتهم شبكة من الجواسيس، وأطلق السلطان لنفسه العنان حكماً وتعسفاً "** ([6]) .

فرض عبد الحميد الرقابة على الصحف، والمطبوعات، وانتشر في البلاد الجواسيس المرتبطين برجال القصر يعرفون باسم (الخفية) لأنهم يتجسسون على الناس بالخفاء وأما التقارير التي يقدمونها فكانت تسمى (جورنال) وكانوا يعرفون باسم (الجورنالجي) واندسوا بين الناس في الشوارع والمقاهي ، ويقدموا التقارير السرية وكثيراً ما كانت هذه التقارير تعد مبرراً

---

(١) عيسى ميخائيل سابا ،المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٢) أول صحيفة صدرت في بلاد الشام هي صحيفة (حديقة الأخبار) في بيروت عام ١٨٥٨ أصدرها خليل الخوري . حازم النعيمي، الحرية والصحافة في لبنان، العربي للنشر والتوزيع ، (القاهرة ـ ١٩٨٩)، ص ٨٤ .

(٣) كان أول قانون للصحافة صدر في العهد العثماني باسم "نظام المطابع والمطبوعات " قد صدر في الأول من كانون الثاني عام ١٨٦٥، والذي تضمن خمساً وثلاثين مادة، وعد دستوراً للصحافة في كافة ولايات الدولة العثمانية، وطالبت المادة الأولى بضرورة الحصول على إجازة من الحكومة لإصدار الجريدة ، وأن تكون الإجازة من نظارة المعارف للمواطنين العثمانيين، في حين يحصل الأجانب على الموافقة من نظارة الخارجية ، كما نصت المادة الثانية من النظام، أما المادة الرابعة فطالبت أصحاب الصحف في داخل، وخارج الدولة العثمانية أن يرسلوا نسخة إلى "مدير المطبوعات " في اسطنبول، والى الوالي في الولايات، وفي آخر الجريدة اسم صاحبها أو محررها، ومنعت المادة التاسعة "جميع الجورنالات الأجنبية التي فيها قدح في الدولة العلية وتعرض لأمورها يجب منع دخولها إلى الممالك العثمانية" وتضمنت المواد من العاشرة إلى الرابعة والثلاثين أنواع الغرامات وعقوبة السجن، وعقوبات أخرى لكل من يخالف قانون المطبوعات أو تجاوز على "مقام مولانا السلطان" وأعضاء الحكومة العثمانية والولاة وموظفي الدولة أو "هتك ناموس شخص " و "طبع ذماً في سفراء الدول الأجنبية وكافة موظفي السفارات" ونصت المادة الأخيرة على أن "هذه القوانين تعد دستوراً يعمل بها . لمزيد من التفاصيل عن قانون السنة ١٩٠٩ ينظر : ميشال الغريب، الصحافة اللبنانية والعربية تاريخها وقوانينها مقارنتها بالصحافة الأجنبية، (بيروت-١٩٨٢)، ص ص١٢-١٣ .

(٤) جوزيف الياس ، تطور الصحافة السورية في مائة عام (١٨٦٥- ١٩٦٥) ، الجزء الأول ، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت -١٩٨٣) ، ص ١٠ .

(٥) فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، مطبعة صادر ، (بيروت- ١٩٣٣) ، ص ١١ .

(٦) نقولا زيادة ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥.

لاعتقال بعض الأشخاص يرافقه التعذيب، وينتهي في بعض الأحيان إلى السجن والنفي أو الهجرة للبحث عن الحرية (١) .

كان الناس أذا دخلوا الحدائق، أو المتنزهات أو الأماكن العامة، لا يتخاطبون إلا همساً، خوفاً من جاسوس أو واش يغتنم لفظة يسمعها، فيبادر بنقلها إلى أولي الشأن فيعرض قائلها للموت أو السجن، وقد بلغت الجاسوسية في زمن السلطان عبد الحميد الثاني مبلغاً لم يكن له مثيل في وقت من الأوقات (٢) .

شكل هاجس البحث عن الحرية، قطباً جاذباً لعدد كبير من المثقفين الشوام في منتصف القرن التاسع عشر، فهاجروا صوب مصر وكان من الطبيعي أن تكون مصر هي المهجر القريب الذي تطلعت إليه قلوب الشوام فالجوار، والتاريخ، واللغة، والعادات ، والتقاليد المشركة (٣)، هي من اجتذبت نخباً ثقافية متميزة من الكتاب ، والأدباء والصحافيين ،والشعراء الشوام ، فضلاً عن مناخ الحرية النسبية التي عرفها الشوام أثناء الحكم المصري، وما تركه من إصلاحات مهمة في المجالين الثقافي والفكري **" ولم يكن هناك خير من وادي النيل المكفولة فيه حرية القلم آنذاك "(٤)، نتيجة الظلم والاضطهاد الذي مارسه الحكم العثماني ولاسيما إبان عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان معروفاً " بكراهيته للصحف وكتابها وخشيته من تأثيرها لذا أمر بتقييدها وفرض الرقابة عليها وإجبارها على مدحه وتعظيمه " (٥)** .

يبدو أن صحافة الشوام قد أسهمت منذ ظهورها، في نمو الوعي القومي، وتوعية النخب والرأي العام العربي بقضاياه المصيرية، والدعوة للاستقلال التام، ورفض التسلط العثماني، ولا يمكن إغفال دور تلك الصحف الرائدة في هجرتها القديمة، والتي برز منها مئات المفكرين والكتاب والصحفيين والفنانين الشوام الذين احتضنتهم مصر، واستوعبت طاقاتهم الإبداعية ، وكان دورهم كبيراً في مجال الطباعة، والصحافة، والترجمة، والمسرح، ويبقى أن نذكر أبرز من هاجر إليها من الكتاب، والصحفيين الشوام بصحفهم، أو قاموا بإصدار الصحف فيها خلال العهد العثماني .

بدأت الموجة الأولى لهجرة الصحفيين الشوام إلى مصر في عهد الخديوي إسماعيل(٦)، وبالتحديد في العشر سنوات الأخيرة من حكمه (١٨٦٩-١٨٧٩)، وكان رائد تلك الهجرة

---

(١) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٨٧ .
(٢) جرجي زيدان ، الانقلاب العثماني ، دار الهلال ، (القاهرة – ١٩٥٠) ، ص ٧ .
(٣) عادل الغضبان، الشيخ نجيب الحداد، دار المعارف، (القاهرة -١٩٦٥) ، ص ٨ .

(٤) مسعود ضاهر، التاريخ أخذ مكانته بتجاوز الأسطورة إلى الوثائق، مجلة العربي الكويتية ، العدد ٦٤٠ ، أيار ٢٠١٢ ، ص ٧٣ .
(٥) فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ص ٧ .
(٦) **الخديوي إسماعيل :** ولد في قصر المسافرخانه بالجمالية ، عام ١٨٣٠ ، تعلم مبادئ العلوم واللغات العربية والتركية والفارسية ، أرسله والده وهو في سن الرابعة عشر إلى فينا، لكي يعالج بها من إصابته برمد صديدي ثم التحق بالبعثة المصرية الخامسة إلى باريس لينتظم لينضم إلى تلاميذها، وفى باريس درس علوم الهندسة والرياضيات والطبيعة، كما أتقن اللغة الفرنسية تحدثاً وكتابة وتأثر بالثقافة والمعمار الفرنسي كثيراً، بعد وفاة عمه محمد سعيد باشا ، تولى مقاليد الحكم عام ١٨٦٣، عمل على تطوير الملامح العمرانية والاقتصادية والإدارية في مصر بشكل كبير ليستحق لقب المؤسس الثاني لمصر الحديثة بعد إنجازات جده محمد علي باشا، خلعه عن العرش السلطان العثماني تحت ضغط كل من إنجلترا وفرنسا في عام ١٨٧٩، توفي عام ١٨٩٥ في=

الصحافي لويس الصابونجي([1])، الذي يعد أول صحافي من الشوام هاجر إلى مصر بعد أن أصدر راشد باشا والي سوريا العثماني أوامره بغلق وتعطيل صحيفته(النحلة) في بيروت عام١٨٧٠، ثم أصدر مجلة أخرى سماها (النجاح) فتعرض للمضايقة ، وقد أشار المؤرخ فيليب دي طرازي **:" أن الصحيفتين المذكورتين كانتا من أوائل الصحف التي عطلتها السلطات العثمانية بسبب تجاوز الحدود " فأعاد إصدارها في مصر عام ١٨٧١ باسم (النحلة الحرة) "** وذكر الصابونجي بشكل غير مباشر في افتتاحية أول عدد يصدر منها في القاهرة إلى سبب تعطيل صحيفته قائلاً: **"النحلة الحرة تُطبع في بلاد حرة تُنشر عند اللزوم، ودون ميعاد لإصلاح ما تفسده الجنة والجنان بين العباد " ([2])** .

ابتليت الصحافة في بلاد الشام ، بظاهرة استبدادية مؤلمة ،(مقص رقيب المطبوعات) وكانوا يطلقون عليه (المكتوبجي) حسب منطوق اللغة الرسمية للسلطنة العثمانية ، ازداد سيف وسطوة الرقيب ومزاجيته لاسيما في عهد عبد الحميد الثاني ، مما أدى إلى أمرين في آن واحد عزوف المثقفين في بلاد الشام عن تأسيس صحف، ونشاط حركة الهجرة إلى الخارج ، بحثاً عن بيئة أكثر قدرة على تلبية شروط حياة أفضل مما هو عليه الحال في بلادهم ([3]) .

بات تطبيق سياسة الرقابة على المطبوعات ، وتضييق الخناق على الطباعة والنشر ، من أهم الموضوعات المنتقدة في سياسة عبد الحميد الثاني ، التي ظل يدافع عنها بحجة أن ظروف الأمة لم تكن مواتية أو ناضجة بالقدر الذي يسمح لها بحرية الصحافة ، وقد ذكر ذلك في مذكراته بالقول : **" إن الكثرة الكاثرة من شعبنا لم تزل جاهلة غرة ساذجة وإن الدخول في دائرة الروايات الكثيرة المترجمة عن الفرنسية ، يفسد القلوب والأفكار ، وهؤلاء الأرمن والروم هم أناس مفسدون أراذل ، ورواياتهم تناقض الحقيقة، ولا تمت إلى الواقع بصلة وإذا ما نشرت هذه الأشياء في الصحف دون خضوعها للرقابة فإنها سوف تخلف تأثيراً سيئاً في نفوس الشعب " ([4])** .

خضعت الصحف لرقابة (المكتوبجي) المسبقة أي يجب إرسالها إليه قبل نزولها إلى الشارع حيث يقوم بقراءة موادها ويحذف ما يريد، أو يمنع صدورها كليا دون تهمة أو محاسب، ويحدد المكتب جيل أصحاب ومحرري الصحف ممنوعات عامة ، وعند الحاجة ممنوعات خاصة مرتبطة بوقت أو حدث، وقد يكون اخف عقاب لمخالفة التعليمات إن يأمر (المكتوبجي)

=منفاه ، بقصر أمير جان في اسطنبول . حسين كفافى، الخديوي إسماعيل ومعشوقته مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة-١٩٩٧) .

(١) **لويس الصابونجي :** القس يوحنا لويس بن يوسف بن يعقوب الصابونجي ولد في ديار بكر عام ١٨٣٨، تلقى أصول اللغات العربية والسريانية والايطالية، ونال الدكتوراه في الفلسفة، عين رئيساً للطائفة السريانية، من أبرز أعلام النهضة العربية ، توفي عام ١٩٠٩. ينظر: هاشم عثمان، الصحافة السورية ماضيها وحاضرها ١٨٧٧-١٩٢٠، (دمشق-١٩٩٧)، ص٢ .

(٢) حسن كامل الموجي، دور الشاميين في الصحافة المصرية ١٨٤١ – ١٩٠٠، (القاهرة – ١٩٩٣) ، ص ص ١-٧ .

(٣) شريف الراس ، غرائب المكتوبجي ، مجلة العربي الكويتية ، العدد٣٦٧ ، حزيران ١٩٨٩ ، ص ٤٤ .

(٤) عبد الحميد الثاني ، مذكراتي السياسية ، ص ١٠٥.

بضرب الصحفي بواسطة (الفلقة) كما حدث مع الصحفي اللبناني سليم سركيس في عام ١٨٧٧الحادثة شهيرة بقيام (المكتوبجي) بضربه بواسطة (الفلقة) ([١]) .

تعرض الكثير من الصحافيين إلى الاضطهاد، والمتابعة، وأقفلت صحف، ومجلات مجبرة أو مخيرة هاجر الكثير من الصحفيين الى مصر، وعذب وأهين آخرون، فرزق الله حسون ([٢])، هرب من الآستانة محكوماً عليه بالإعدام بريطانيا، وهاجر سليم سركيس الى مصر ([٣])، خوفاً من الظلم، والاضطهاد، والضغط بعد أن ضرب وسجن أكثر من مرة ، وسليم عباس الشلفون([٤])، هاجر على نحو ما فعل سواه ومجلة (الجنة) توقفت عن الصدور ([٥]) .

كان رجال الاستبداد الحميدي يهتمون اهتماماً خاصاً بالصحافة والطباعة ، ويخضعونها على الدوام لمراقبة دقيقة وصارمة ، ولا يحق لأية جريدة أن تنشر كلمة واحدة، ولو كانت في باب الإعلانات ، دون أن تحصل على موافقة الرقيب الدائم ([٦])، (المكتوبجي) أو (شرطي الفكر) كما يطلق عليه أهل الصحافة ، مواقف عجيبة ومدهشة وغير معقولة ! مما دفع الصحافي سليم سركيس أن يؤلف كتاب بعنوان (غرائب المكتوبجي) أهداه إلى السلطان عبد الحميد الثاني وبدأ الإهداء بهذه الجملة**" مولاي يسوؤني إنني من جملة رعاياك "**، وبالكتاب نقد جرئ وشديد اللهجة للرقابة العثمانية على الصحف، فصدر عليه الحكم بالإعدام، ونقتطف من هذا الكتاب **: " أن محرر الجريدة لا يجوز له أن يذكر كلمة (جمهور) في كتاباته، بل يجب أن يقول (الشعب)أو**

---

(١) أديب مروة ، الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، منشورات دار مكتبة الحياة ،(بيروت – ١٩٦٠) ص٤٢٨ .

(٢) **رزق الله حسون :** ولد في مدينة حلب عام ١٨٢٥ ، تلقى دراسته الابتدائية في حلب، ثم سافر إلى لبنان فانتسب إلى دير (بزمّار) فدرس العلوم اللاهوتية والرياضيات والطبيعيات. واللغتين الفرنسية والعربية، كما أتقن الروسية والإنجليزية فيما بعد، وكان بحكم نشأته يعرف الأرمنية (أصله أرمني) والتركية، عمل مترجمًا فيالقنصلية النمساوية في حلب، ثم سافر إلى باريس ولندن، وفي طريق عودته مرّ بمصر، ثم توجه إلى الآستانة فأصدر فيها جريدة (مرآة الأحوال) ذات الميول القومية العربية ، توفي في لندن عام ١٨٨٠. منير مشابك موسى، الفكر السياسي العربي في العصر الحديث، مكتبة السائح ، (طرابلس - ١٩٩٥) .

(٣) **سليم سركيس :** صحفي وأديب لبناني ولد في بيروت عام ١٨٦٩ بدأ ينشر مقالاته في سن باكرة في الخامسة عشرة من عمره في مجلة "الجنان" والتي كان يرأس تحريرها سليم بطرس البستاني، بعد تخرجه في المدرسة الوطنية التحق بجريدة "لسان الحال" والتي كان يرأس تحريرها عمه "خليل سركيس"، وعمل بها ثمان سنوات سافر إلى أوروبا بعدها وزار إيطاليا وفرنسا وأقام بإنجلترا زهاء عامين فأنشأ في لندن جريدة "رجع الصدى"، ثم سافر إلى باريس لينشأ جريدة "كشف النقاب" ، ثم من باريس إلى الإسكندرية حيث حرر في جريدة "لسان العرب" وينشأ جريدة "المشير" في غرة تشرين الثاني ١٨٩٤، أصدر في عام ١٨٩٦ كتاب "غرائب المكتوبجي"، واستقر في نيويورك حيث استكمل إصدار جريدة "المشير" هناك، وأصدر أيضا جريدتي "الروي" و"البستان"، ثم عاد إلى مصر بعد إلغاء حكم الإعدام، وأصدر فيها مجلة "سركيس" حتى وفاته عام ١٩٢٦ . لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ط٣، دار المشرق، (بيروت- ١٩٩١) .

(٤) **سليم عباس الشلفون:** ولد في بيروت عام ١٨٥٣، تلقى تعليمه الأوّلي في المدرسة اليسوعية، حيث تعلم اللغة العربية والفرنسية وشيئًا من الإيطالية، ثم ترك اليسوعية ولازم الشيخ إبراهيم اليازجي وتعلم على يديه العربية نثرًا وشعرًا، ثم سافر إلى مصر، حيث تردد على كبار العلماء آنذاك وأفاد منهم كثيرًا ، كتب بعض المقالات السياسية والأدبية ، وله بعض الخطب البليغة، وكذلك بعض الافتتاحيات في مختلف الجرائد والمجلات التي عمل فيها ، توفي عام ١٩١٢ . لويس شيخو، الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت – ١٩٢٦) .

(٥) فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج٢ ، ص١٠ .

(٦) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص٨٨ .

(القوم)، وفي الإعلانات يقال عادة :" نعلن لحضرة الجمهور" فيحذفها (المكتوبجي)، ويضع محلها**" نعلن لحضرة القوم"**، وذلك خوفاً من انشغال أفكار الناس بالجمهورية (١) .

أمرت السلطات العثمانية في عام ١٨٧٨ بإغلاق صحيفة (لسان الحال)(٢)،التي أصدرها خليل سركيس (٣)، عام ١٨٧٧ لمدة أربعة أشهر لنشرها مقالات لم تعجب بعض الولاة ، كما أودع واصف باشا(١٨٨٣-١٨٩٢) متصرف جبل لبنان الصحفي يوسف الشدياق في السجن، وفعل الأمر نفسه مع الصحفي فيليب الخازن متهماً إياهما بمراسلة صحيفة (صدى الشرق) التي أصدرها الصحفي اللبناني حبيب فارس في مصر بعد أن هاجر إليها هرباً من الاضطهاد (٤).
يبدو أنَّ ظاهرة هجرة الصحافيين إلى مصر، كانت واضحة في تلك الفترة بشكل جلي ويمكن اعتبار تلك الظاهرة من أهم مظاهر الهجرة المرتبطة بانعدام الأمن والاستقرار والمدفوعة بأسباب سياسية بعد أن تعرض الصحافيون لمضايقات عدة تجلت بشكل رئيسي بالقوانين التعسفية التي حدت من حرية الصحافة في بيروت ودمشق وحلب وغيرها من مدن الشام المتحضرة ، فقد فرض الولاة القيود، واضطهدوا اصحاب الصحف، وكتابها، إذ كان إصدار الصحيفة يتطلب موافقات معظم موظفي الولاية فضلاً عن موافقة العاصمة (٥) .

كانت صحف الشوام، ولاسيما اللبنانية منها منذ بدء ظهورها وانتشارها، تنطق بلسان بعض الطوائف الدينية، ومثال على ذلك صحيفة (البشير) التي صدرت في ٣١ كانون عام ١٨٨٧ في بيروت وكانت أسبوعية، كاثوليكية، أدبية، علمية إخبارية، أسسها الأب أمبروسيوس مونو رئيس الإباء اليسوعيين في سوريا، لخدمة الطوائف الكاثوليكية الشرقية، وكان يعلو اسم الصحيفة قول يسوع : **" تعرفون الحق والحق يحرركم "** (٦) .

ويبدو أن هناك صحف في بلاد الشام ظهرت نتيجة دوافع طائفية مذهبية ثم تحولت على مرور الوقت إلى صحف وطنية جامعة، وأن كانت لم تستطع التحرر نهائياً من صبغتها الدينية والطائفية، وقد أخذت كل طائفة تنافس الأخرى في إصدار صحيفة أو مجلة تمثل رأيها وتبث

---

(١) سليم سركيس ، غرائب المكتوبجي ، (بيروت -١٨٩٦) ، ص ١٩ .
(٢) **لسان الحال :** صحيفة سياسية تجارية أدبية علمية صناعية أصدرها خليل سركيس في ١٨ تشرين الأول عام١٨٧٧. ينظر عبد الرحيم غالب، مئة عام من تاريخ الصحافة ، لسان الحال، جروس برس، (بيروت-١٩٨٨) ، ص ٥ .
(٣) **خليل سركيس :** ولد في قرية عبية عام ١٨٤٢ ، وفي عام ١٨٦٨ أنشأ بالاشتراك مع بطرس البستاني "مطبعة المعارف" ، وفي عام ١٨٧٣ تزوج إحدى كريمات البستاني، في عام ١٨٧٥ تخلى عن مطبعة المعارف، وحصل على امتياز مطبعة خاصة به سماها "المطبعة الأدبية" التي أصدر عنها جريدة " لسان الحال" عام ١٨٧٧ ومجلة "المشكاة" عام ١٨٧٨، في عام ١٨٩٢ سافر إلى الأستانة ولقي فيها الحفاوة والتكريم، وقلد الوسامين المجيدي الثالث والعثماني الرابع ، وألّف كتاباً عن هذه الرحلة، جمع فيه العديد من الحوادث التاريخية والفوائد القيّمة ، لكن الدهر لم يصفُ له، فقد التهمت النار مطبعته عام ١٨٩٥، وأصيب بفقد أخيه، ثم ابنتيه انتخب عضواً في مجلس ولاية بيروت، ورئيساً للجمعية الخيرية الإنجيلية ، في عام ١٩١١أصيب بمرض فاضطر إلى اعتزال العمل في المطبعة والجريدة ، واعتمد في ذلك على ابنه الوحيد "رامز" الذي قام بإدارتهما خير قيام، وكان يتلقى توجيهات والده وإرشاداته فيعمل بها وينفذها له، وظل يعاني المرض طوال أربع سنواتإلى أن وافته المنية في عام ١٩١٥ . كمال اليازجي، رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث (١٨٠٠ ـ ١٩٠٠) ، مكتبة رأس بيروت ، (بيروت- ١٩٦٢) .
(٤) حازم النعيمي، المصدر السابق ، ص ٨٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .
(٦) فيليب طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج ٢ ، ص ١١ ؛ **ينظر ملحق رقم (٢) رأس الصفحة الأول من العدد (٩٠٢) لصحيفة (البشير)** . ينظر: عبد الرحيم غالب، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

الدعاية لعقيدتها وتدافع عن مصالحها ، وغالباً ما كانت الصحف الطائفية تدخل في جدل ديني حول مسائل لاهوتية لا علاقة لها مطلقاً بالحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام ([1]) .

فقد أسس يعقوب صروف([2])، وفارس نمر([3])، مجلة (المقتطف) في بيروت عام ١٨٧٦ في رعاية (الكلية السورية الإنجيلية) ، وتوقفت المجلة عن الصدور بعد نشرها دراسة عن نظرية تشارلز داروين (أصل الأنواع)([4])، وكانت الكلية خاضعة لإدارة بروتستانتية([5])، فعدت نشر

---

(١) أديب مروه ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

(٢) **يعقوب صروف:** ولد في قرية " الحدث" في لبنان عام ١٨٥٢، وتلقى علومه العالية في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت، ونال عام ١٨٧٠ شهادة البكالوريوس في العلوم، أصبح مدرساً اللغة العربية في صيدا للمرسلين الأمريكان ، ثم في الكلية السورية عام ١٨٧٣، ثم مدرس للكيمياء التحليلية في الجامعة حتى عام ١٨٨٤ ، وألف خلال عمله في الكلية كتاباً في الكيمياء ، وترجم عدد من الكتب الأدبية منها " سر النجاح" و" الحرب المقدسة"، وترجم مع فارس نمر كتب أخرى ، واصدر معه أيضاً مجلة المقتطف، ونشر بحثاً طويلاً في "نوابغ العرب والانكليز" وله عشرون قصة منها "فتاة الفيوم" و" أمير لبنان" ، وأضاف إلى ثروة اللغة العربية اصطلاحات علمية عديدة ساقها في عرض مقالاته في الفلسفة والأدب والتاريخ منح شهادة الدكتوراه الفخرية في الفلسفة عام ١٨٩٠ من الجامعة الأمريكية في نيويورك وبعد ثلاث سنوات زار بعض العواصم الأوربية، وتوفي في عام ١٩٢٧. خير الدين الزركلي ، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط١٢ ، ج ٩ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٩٩٧) ، ص ٣٦٦ .

(٣) **فارس نمر**: ولد في حاصبيا عام ١٨٥٦ـ في لبنان وانتقل إلى بيروت، ثم القدس ، وفي عام ١٨٦٨ عاد إلى مدينته . تلقى بعض العلوم في المدارس البريطانية ، ثم انتقل إلى بيروت ، وتخرج في الكلية السورية الإنجيلية عام ١٨٧٤، شارك في إنشاء مجلة" المقتطف" الشهرية ، وترجم كتاب" الظواهر الجوية" عن الانكليزية عام ١٨٧٥، وعين مدرس للغة العربية وآدابها في الكلية عام ١٨٨٣، وأصبح مدير للمرصد الفلكي في عام ١٨٨٤، انتقل إلى مصر بعد إغلاق المقتطف في بيروت، وأصدرها في القاهرة عام ١٨٨٥، وبعد سنتين أسس" جمعية الاعتدال" في القاهرة ، وانضم إليه يعقوب صروف، وشاهين مكاريوس في عام ١٨٨٩ وأسسوا جريدة" المقطم" في القاهرة ، وانتخب عضواً في " مجمع بريطانيا الفلسفي " وفي تموز ١٨٩٠ منح شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة نيويورك ، ترجم مع يعقوب صروف كتاب" سير الإبطال والعظماء" وكتاب" مشاهير العلماء" ، وفي عام ١٩٠٣ أصدر جريدة " السودان " باللغتين العربية والانكليزية في مدينة الخرطوم وكانت أول جريدة تصدر هناك، وكان يتقن الانكليزية ولغات أوربية أخرى، عاد إلى بيروت عام ١٩١١ بعد غياب ستة وعشرون عاماً، وقيل عنه انه " ابلغ كاتب سياسي في الشرق وأفصح خطيب عربي"، وله خلال السنين الطويلة التي عمل فيها في التعليم والصحافة آثار عديدة طبع منها القليل ، توفي في القاهرة عام ١٩٥١. خير الدين الزركلي، الاعلام ،ج ٥ ، ص ٣٢٤.

(٤) الداروينية: نسبة إلى تشارلس داروين (Charles Darwin) (١٨٠٩-١٨٨٢)، وهو عالم طبيعي وضع نظرية التطور في كتاب (أصل الأنواع) عام ١٨٥٩، ثم أيدها بكتابه المعنون (تغير الحيوانات والنباتات في حال الدجن) عام ١٨٦٨، وطبق نظريته على الإنسان في كتابه (تسلسل الإنسان والانتخاب الطبيعي) عام ١٨٧١ ، وعالج على مقتضاها مسائل نفسية في كتابه (التعبير عن الانفعالات في الإنسان والحيوان) عام ١٨٧٢، وانتهى داروين إلى أن الأنواع الحالية، على اختلافها يمكن أن تفسر بأصل واحد، أو ببضعة أصول، نمت وتكاثرت وتنوعت في زمن مديد بمقتضى قانون الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح ، وقوانين ثلاثة ثانوية هي قانون الملاءمة بين الحي، والبيئة الخارجية وقانون استعمال الأعضاء ، أو عدمه، تحت تأثير البيئة ، بحيث تنمو الأعضاء أو تضمر وتظهر أخرى جديدة تبعا للحاجة، وقانون الوراثة القاضي بانتقال الاختلافات المكتسبة إلى الذرية على ما يشاهد في الانتخاب الصناعي. فالنظرية الداروينية آلية تستبعد كل غائية ، ولا تدع للكائن الحي قسطا من التلقائية . يوسف كرم ، المصدر السابق ، ص ص ٣٥١-٣٥٥ .

(٥) **البروتستانت** (Protestant): مصطلح فرنسي مشتق من اللاتينية معناه (المحتج)، أحد المذاهب المسيحية نشأت البروتستانتية على يد مارتن لوثر في القرن السادس عشر، في ألمانيا الذي انشق عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية. ينظر: حسين توفيقي، دروس في تاريخ الأديان، ترجمة أنور الصافي، ط٣، جامعة المصطفى العالمية ، (قم -٢٠٠٣) ، ص ٢٣٧ .

مثل هذه الأفكار هرطقة ودعوة إلى الإلحاد، فقام قسم من طلاب الكلية السورية الإنجيلية عام ١٨٨٢ بالإضراب احتجاجاً على فصل أحد أساتذتهم(١)، وقاد الإضراب جرجي زيدان(٢)، واسكندر البارودي(٣)، الأمر إلى حدوث صدام بين أصحاب الاتجاه المحافظ، والمضربين، وتدخلت الشرطة، وجرى فصل عدد من طلبة الكلية الناشطين في التظاهرة ، فاستقال قسم من أساتذتها تضامناً مع الطلبة ، ومن بين المستقيلين يعقوب صروف وفارس نمر، وطردت صاحبيها نمر وصروف من العمل فقرر الثنائي الهجرة إلى مصر عام ١٨٨٥ (٤)، شأنهم في ذلك شأن كثيرٌ من الشوام الذين هاجروا إلى مصر وعملوا في الصحافة ، بعد أن " أصبح الاستبداد الحميدي عنيفاً برقابته على حرية الرأي والصحافة ، ثم اشتركا مع شاهين مكاريوس (٥) ، في إصدار صحيفة (المقطم) بالقاهرة عام ١٨٨٩ " (٦)، ومن الصحافيين الشوام الذين هاجروا في نهاية عهد الخديوي إسماعيل إلى مصر سليم عنحوري (٧)، والذي أصدر صحيفة (مرآة الشرق) في ٢٤ شباط ١٨٧٩ (٨) .

---

(١) سبب الأحداث إلقاء أحد أساتذة الكلية محاضرة بمناسبة تخرج الدورة الطبية في الكلية وتطرق فيها ايجابياً إلى بعض جوانب نظرية دارون مما أثار أوساط التبشير وإدارة الكلية فاتخذت الإدارة قراراً بفصل المحاضر فأعلن الإضراب . وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠، ط٢، (بيروت- ١٩٧٨) ، ص١٣٩.

(٢) **جرجي زيدان :** ولد في بيروت عام ١٨٦١ ،لأسرة مسيحية فقيرة ، ورغم شغفه بالمعرفة والقراءة، إلا أنه لم يكمل تعليمه بسبب الظروف المعيشية الصعبة، إلا أنه أتقن اللغتين الفرنسية والإنجليزية، وقد عاود الدراسة بعد ذلك، وانضم إلى كلية الطب، إلا أنه عدل إكمال دراسته فيها، وانتقل ، إلى كلية الصيدلة ، وما لبث أن عدل عن الدراسة فيها هي الأخرى ، ولكن بعد أن نال شهادة نجاح في كل من اللغة اللاتينية والطبيعيات والحيوان والنبات والكيمياء والتحليل ، هاجر إلي القاهرة ، وعمل محررًا بجريدة الزمان اليومية، انتقل بعدها للعمل كمترجم في مكتب المخابرات البريطانية بالقاهرة عام ١٨٨٤ ، ورافق الحملة الإنجليزية المتوجهة إلى السودان ،كان بالإضافة إلى غزارة إنتاجه متنوعًا في موضوعاته، حيث ألَّف في العديد من الحقول المعرفية، كالتاريخ والجغرافية والأدب واللغة والروايات، توفي عام ١٩١٤. محمد عبد الغني حسن، جرجي زيدان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،(القاهرة-١٩٧٠) .

(٣) **أسكندر البارودي :** ولد في صيدا عام ١٨٥٦ ، تعلم في المدرسة الأمريكية في بيروت ، درس الطب وأتجه للأدب ، وعني بنفائس المخطوطات العربية، ودرس الحقوق، وأسس مجلة (الطبيب)، توفي في لبنان عام ١٩٢١ . خير الدين الزركلي ، الإعلام ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(٤) فارس يواكيم ، ظلال الأرز في وادي النيل ، دار الفارابي ،(بيروت-٢٠٠٩) ، ص ٢٥ .

(٥) **شاهين مكاريوس :** ولد في بلدة إبل السقي جنوب لبنان ، عام ١٨٥٣، من مؤسسي جريدة (المقطم) إلى جانب يعقوب صروف و فارس نمر، أنشأ عدداً من المجلات منها: (اللطائف)، و(المصورة)، و(العروسة) انتسب إلى جمعية " زهرة الآداب" وانضم إلى محفل لبنان الماسوني عام ١٨٧٤، وانتخب عضوًا بالمجمع العلمي الشرقي ، له اهتمام خاص بالحركة الماسونية في الشرق، له مؤلفات طبعتها "المقتطف" منها: "تاريخ إيران" عام ١٨٩٠، و"السمير في السفر والأنيس في الحضر" عام ١٨٩٥، و"الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العلمية"عام ١٨٩٧ ، و" تاريخ الإسرائيليين" عام ١٩٠٤، و" تراجم شهيرات النساء" نشر قسم منه في مجلة اللطائف، وكتاب "مجموع الرسائل"، وفيه رسائل من علماء عصره وأصدقائه، وكان يعرف بشاهين بك مكاريوس توفي عام ١٩١٠. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، (بيروت – د . ت) .

(٦) وداد سكاكيني، أحمد الزين منشئ مجلة العرفان، مجلة العربي، العدد ١٦١، نيسان ١٩٧٧٢ص ١١٢ .

(٧) **سليم عنحوري :** أحد رواد النهضة العربية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ينظر سامي الكيالي، الأدب العربي المعاصر في سورية ١٨٥٠-١٩٥٠، دار المعارف، (القاهرة- ١٩٦٨)، ص ٤٧ .

(٨) فاروق أبو زيد ، الصحافة العربية المهاجرة ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة -١٩٨٥) ، ص ٧٥.

كان أديب اسحق([1])، من المبشرين بأفكار الثورة الفرنسية آنذاك، وقد لمس التدهور الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي في ظل الاستبداد، والتخلف العثماني، فأخذ يدعو إلى التغيير والإصلاح " والتقيد بقوانين يشترك الشعب في وضعها، وتحقيق المساواة وسريان قانون واحد على جميع المواطنين، لا فرق بين غني فقير، وبين أبناء مذهب ومذهب آخر" ([2]) ،الذي لم يجد بداً من الهجرة بعد أن، وقد سببت له دعواته هذه ملاحقة السلطات العثمانية ومضايقته مما دفعه إلى ترك دمشق والهجرة إلى مصر بالاتفاق مع سليم نقاش([3])، وأصدر صحيفة (مصر) الأسبوعية بالقاهرة عام ١٨٧٧ ([4]) .

اضطر كثيرٌ من الصحافيين الشوام للهجرة هرباً من الاضطهاد وبحثاً عن الحرية ومن هؤلاء سليم وبشارة تقلا واصدرا صحيفة (الأهرام) بالإسكندرية عام ١٨٧٩ ، وهاجر سليم النقاش واصدر صحيفة (التجارة) بالقاهرة عام ١٨٧٨ وهاجر سليم عباس الشلفون عام ١٨٨٠ وعمل في تحرير صحيفة (المحروسة)، وأصدر شبلي شميل ([5])، صحيفة (الشفا) بالقاهرة عام ١٨٨٦ وأنشأ جرجي زيدان بالقاهرة مجلة (الهلال)عام ١٨٩٢ ، وأميل زيدان، وإسكندر كسيب، وجرجي نصار، وخليل زيدان، ونجيب حداد، ويوسف البستاني، وانطون الجميل ، وأسعد خليل داغر ، والمطران جورج حكيم ، وخليل النقاش، ونجيب طراد، ونسيم العازار، ويوسف الخازن، وأنيس الخازن، وأنيس خلاط ، وغيرهم كثير ([6]) .

بدأ خليل مطران ([7])، نشاطه السياسي والقومي عام ١٨٨٩ بنظم مجموعة قصائد كان يقوم بتوزيعها في بيروت بلا توقيع، لحث أبناء الشام على الثورة ضد الأتراك، وكان آنذاك قد بلغ من العمر الثامنة عشرة ، فنظم قصيدة حماسية طويلة يقول فيها :

---

(١) **أديب اسحق :** ولد في مدينة دمشق عام ١٨٥٦ ، واصل تثقيف نفسه تثقيفياً ذاتياً ، واستطاع أن يسبر أغوار الكتب ، ومصادر التراث العربي ، قرأ دواوين الشعر العربي القديمة والحديثة ، واستطاع أن ينمي موهبته التي ظهرت مبكرة في مطلع حياته ، أتقن اللغة التركية ، عمل موظف بسيط في دائرة الجمرك ، كتب وترجم عدة روايات ، هاجر إلى مصر عام ١٨٧٧ وأصدر صحيفة (مصر) الأسبوعية ، كما أصدر بالاشتراك مع سليم النقاش في الإسكندرية صحيفة ثانية باسم (التجارة) فأغلقتها الحكومة وهاجر إلى باريس وأصدر صحيفة عربية فيها أطلق عليها اسم (مصر القاهرة) عام ١٨٨٠، توفي في بيروت عام ١٨٨٥. بيت الحكمة ، موسوعة أعلام العرب ،ج ١ ، ص ٦٦ .

(٢) أديب اسحق ، الكتابات السياسية والاجتماعية ، جمع وتقديم ناجي علوش ، ط٢ ، (بيروت – ١٩٨٢) ، ص ٨٧ .

(٣) **سليم النقاش :** أديب لبناني، ولد في بيروت عام ١٨٨٤ ، انتقل إلى الإسكندرية عام ١٨٧٦، وأصدر مع أديب إسحاق جريدة "مصر" عام ١٨٧٧، ثم جريدة " التجارة " عام ١٨٧٨، فجريدة " المحروسة" عام ١٨٨٠ وله كتاب باسم "مصر للمصريين " أو "حوادث الفتنة العرابية " في تسعة أجزاء ، توفي بالإسكندرية عام ١٩٤٨. بول ستاركي، الأدب العربي الحديث، ترجمة هند تركي السديري، (الرياض- ٢٠١٢)، ص ٣٠٢ .

(٤) نهاد سمعان، أديب اسحق (١٨٨٥ – ١٨٥٦) إنتاج غزير في حياة قصيرة، صحيفة حمص، العدد٢٨٥٢ ، ٢٤ آذار ٢٠١١، ص٣ .

(٥) **شبلي شميل :** شبلي شميل : ولد في كفر شيما في لبنان عام ١٨٥٠، درس الطب في الكلية البروتستانتية في بيروت (الجامعة اللبنانية)، أول من نشر فكرة الاشتراكية، توفي عام ١٩١٧. لمزيد من التفاصيل ينظر : سعد سعدي، المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

(٦) حازم النعيمى ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٧) **خليل مطران :** ولد عام ١٨٧١ ، في بعلبك في لبنان ، ارتحل إلى بيروت ليدرس على يد الأخوين خليل وإبراهيم اليازجي ، هاجر إلى فرنسا ومن ثم إلى مصر ، بدأ الكتابة في الصحف المصرية، ترك الصحافة واتجه نحو الكتابة الأدبية ونظم الشعر وسمي بشاعر القطرين (لبنان و مصر)، وأسهم في مجالات الترجمة، ترك آثار=

بني العرب فيم الصبر والحال ما نرى ويأبى علينا الخسف تاريخنا قدما

وحتام نطوي العمر والليل دامس ونحتمل الإجحاف والضيم والظلما

وتناقلتها الأفواه من بيت إلى بيت، حتى وصلت إلى مسامع الوالي التركي نعوم باشا (١٨٩٠-١٩٠٢)، الذي أرسل يهدده ويتوعده ، فقرر الهجرة إلى باريس عام ١٨٩٠، ولكن السلطات التركية ، لم تغفل عن نشاطاته في باريس، فدست له الدسائس لدى السلطات الفرنسية التي ضيقت عليه الخناق ، فلما شعر بذلك قرر الهجرة إلى مصر، ورست السفينة بميناء الإسكندرية في ١١ آب ١٨٩٢ فلقي الترحيب في ربوع مصر ، مما حدا به إلى القول :

يا مصر أنت الأهل والسكن وحمى على الأرواح مؤتمن

حبي كعهدك في نزاهته والحب حيث القلب مرتهن ([1])

وأقتفى أثرهم شكيب ارسلان ([2])، في الهجرة إلى مصر عام ١٨٩٠ وقد أشار في مذكراته عن بدايات هجرته قائلاً : **" كنت في العشرين أو الواحد والعشرين من العمر على ما اعتقد فمكثت سبعة أشهر في الإسكندرية ثم انتقلت إلى القاهرة ، وكان أكثر اجتماعنا في ذلك الوقت بأستاذنا الشيخ محمد عبده ([3])، وبرهطه المعدودين " ([4]).**

ثم تبعه رفيق العظم ([5])، الذي تعرض لشتى انواع الظلم والاستبداد العثماني في وطنه الأم بلاد الشام فأنضم إلى جمعية (الشورى العثمانية) المناوئة لهم، وقد رأى من تضييق الأتراك على

=أخرى مطبوعة منها : (مرآة الأيام في ملخص التاريخ) و(الموجز في علم الاقتصاد) ، توفي عام ١٩٤٩ . بيت الحكمة ، موسوعة إعلام العرب ،ج ١ ، ص ١٦٥ .

(١) خميس سلمونة ، خليل مطران ، مجلة العربي ، العدد ١٧١ ، شباط ١٩٧٣ ، ص ص ٦٦- ٦٧ .

(٢) **شكيب ارسلان:** كاتب وأديب ومفكر عربي لبناني، لُقِّب بأمير البيان، لغزارة إنتاجه الفكري، ولد عام ١٨٦٩، بقرية الشويفات قرب بيروت، درس في مدرسة دار الحكمة ببيروت على يد المؤرخ يوسف الدبس أصبح مديراً لناحية الشويفات ثم قائمقام على قضاء الشوف انتخب نائبا عن حوران في مجلس المبعوثان العثماني أثناء الحرب العالمية الأولى ، وسكن دمشق ، ثم برلين ، ثم جنيف حوالي ٢٥ سنة عاد بعدها إلى بيروت ، توفي أواخر عام ١٩٤٦ ودفن في الشويفات . ظاهر محمد صكر الحسناوي ، شكيب ارسلان ودوره السياسي في حركة النهضة العربية الحديثة ١٨٦٩-١٩٦٤ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ .

(٣) **محمد عبده :** ولد في " شنرا" في القاهرة عام ١٨٤٩، ونشأ في محلة نصر، تعلم في الجامع الأحمدي بطنطا ثم في الأزهر ، وعمل في التعليم. وكتب في الصحف لاسيما في الوقائع المصرية التي تولى تحريرها وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين من عمره ،وساند ثورة أحمد عرابي عام ١٨٨١ ووقف ضد الاحتلال البريطاني لمصر، وبسبب ذلك نفي إلى بلاد الشام ، ثم سافر إلى باريس فأصدر مع جمال الدين الأفغاني مجلة" العروة الوثقى" في باريس في ١٣ آذار ١٨٨٤، ثم عاد إلى بيروت، وعمل في التعليم والتأليف، وفي عام ١٨٨٨ سمح له بالعودة إلى مصر وتولى منصب القضاء ثم مفتي الديار المصرية ، واستمر كذلك حتى وفاته عام ١٩٠٥. قدري قلعجي، محمد عبده بطل الثورة الفكرية في الإسلام ، (بيروت- ١٩٥٦) .

(٤) سامي الدهان، الأمير شكيب ارسلان : حياته وآثاره ، دار المعارف ، (القاهرة- ١٩٦٠) ، ص٦٩.

(٥) **رفيق العظم :** ولد في دمشق عام ١٨٦٧، والده الأديب الشاعر محمود العظم، وأدخل مدرسة أجنبية بدمشق لتعلّم اللغة الفرنسية بجانب العربية ، وتعلم كذلك التركية ، تعلق بكتب الأدب ودواوين الشعر وهو مازال صغيراً، ثم انصرف إلى كتب النحو والصرف والمعاني والبيان، لازم العلماء والأدباء وبعض المتصوفة زار رفيق العظم مصر سنة ١٨٩٢ومنها انتقل إلى الأستانة ثم عاد إلى دمشق، ليغادرها عام ١٨٩٤ إلى مصر هرباً من مضايقة السلطات لأحرار البلاد، وفي القاهرة انصرف إلى الكتابة والتصنيف، وأخذ ينشر المقالات والدراسات في=

أبناء وطنه في الشام ما بكّر به إلى الهجرة لوادي النيل عام ١٨٩٢ واتخذها وطنًا، واتصل بحلقة محمد عبده، فأفاد من مجالسهم، وكذلك اتصل بالشيخ علي يوسف صاحب صحيفة (المؤيد) وتعرّف على مصطفى كامل، ومحمد فريد من زعماء الإصلاح في مصر، فاستفاد منهما كثيراً، ونضجت في ذهنه فكرة الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي (١) .

هاجر محمد رشيد رضا(٢)، عام ١٨٩٧ إلى مصر، كرد على التدابير البوليسية الاستبدادية التي لجأ إليها السلطان عبد الحميد وعلى استحالة التعبير عن الآراء والأفكار التي بدأ رشيد رضا يتشبع بها من خلال أطروحات (العروة الوثقى)(٣)، في فهم الإسلام ، وكان رضا قد أطلع على أعداد هذه الجريدة قبل هجرته إلى مصر، ويذكر أنه : **" ظفر بنسخة من تلك الجريدة في أوراق أبيه فأنكب على قراءتها في شوق وتلهف ، ثم اخذ ينتقل من منزل إلى آخر باحثاً عن الإعداد الباقية، حتى أذا وجدها نسخها بيده ، واستطاع أن يكمل مجموعة الإعداد التي صدرت من نسخ كانت عند الشيخ حسن الجسر "** (٤)، نشر رضا في صحيفته (المنار) مقالاً دعا فيه: **" إصلاح أوضاع الدولة العثمانية، ومحاربة الاستبداد الفردي، والدعوة إلى حكم الشورى والدستور "** (٥) .

روى محمد رشيد رضا قصة هجرته إلى مصر مع فرح انطون(٦)، فيقول : **" لما أردت الهجرة كتمت الخبر حتى لا يبلغ رجال الحكومة في طرابلس ، فأعطيت كل ما أريد حمله من**

=التاريخ والأدب والاجتماع والإصلاح في كبريات الصحف: الأهرام، والمقطم ، واللواء وفي أشهر المجلات: المقتطف الهلال، والمنار، والموسوعات، وساهم العظم في تأسيس الجمعيات السياسية ، ومنها (جمعية الشورى العثمانية) ، توفي في القاهرة سنة ١٩٢٥. جميل عويدات، أعلام نهضة العرب في القرن العشرين ، الطبعة الأولى ، (بيروت -١٩٩٤) ، ص١٠٠.

(١) عبد الخالق محمد لاشين ، سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية حتى عام ١٩١٤ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٧١) ، ص ٤٠.

(٢) **محمد رشيد رضا :** ولد في قرية القلمون ، قرب طرابلس في لبنان عام ١٨٦٥ ، باشر دراسته الرسمية في المدرسة (الرشدية) التي كان التدريس فيها باللغة التركية ، ثم دخل المدرسة الوطنية الإسلامية في طرابلس حيث درس العلوم الشرعية والمنطق والرياضيات والفلسفة والطبيعيات ، هاجر إلى مصر عام ١٨٩٧ والتقى محمد عبده ، واصدر عام ١٨٩٨ مجلة (المنار) التي حلت محل مجلة (العروة الوثقى) في التجديد والإصلاح، توفي في القاهرة ودفن فيها عام ١٩٢٥. للمزيد من التفاصيل ينظر : محمد أحمد درنيقة، الشيخ محمد رشيد رضا ، دار الرسالة ، (بيروت – ١٩٨٦) .

(٣) **العروة الوثقى :** مجلة أصدرها جمال الدين الأفغاني مع محمد عبده مجلة (العروة الوثقى) في باريس في ١٣ أيار ١٨٨٤ ، عالجت واقع الدول الإسلامية المتردي، وسياسة الدول الكبرى إزائها، ولاسيما بريطانيا ، وقد وصفت بأنها " من أشد المجلات العربية تأثيراً ، وبأن صوتها كان عظيماً في تنبيه الأفكار في الشرق العربي عامة، وكانت تدعوا للثورة وطرد الاستعمار، والاستقلال التام ، والتنديد بالرجعية ، والجمود، وتحمل على الظلم والاستبداد، والأخذ بمبادئ الإصلاح الديني والسياسي ، وقد صدر من مجلة (العروة الوثقى) ثمانية عشر عدداً بين ١٣ آذار و١٦ تشرين الثاني ١٨٨٤، وأعيد طبعها في بيروت عام ١٩١٠. فيليب دي طرازي ، المصدر السابق .

(٤) تشارلز آدمز، الإسلام والتجديد في مصر، ترجمة عباس محمود ، دائرة المعارف الإسلامية، (القاهرة – ١٩٣٥) ، ص ١٧ .

(٥) محمد رشيد رضا، مختارات سياسية من مجلة (المنار)، تقديم ودراسة وجيه كوثراني، دار الطليعة ، (بيروت -١٩٨٠) ، ص ٨ .

(٦) **فرح انطون:** ولد فرح الياس أنطون في طرابلس في لبنان، عام ١٨٧٤، من أسرة أرثوذكسية، ولما بلغ السادسة من عمره دخل المدرسة الابتدائية الأرثوذكسية ينهل من مبادئ العلم فيها ، ثم دخل معهد كفتين ، وتخرج منه عام ١٨٩٠وهو أبن ست عشرة سنة، أخذ يكتب في (المقتطف) وانضوى تحت لواء جمعية أدبية هي=

متاع لفرح أنطون للاتفاق على أن نهاجر معاً في باخرة واحدة ، ورافقني إلى الميناء الأستاذ صالح الرافعي ناظر النفوس ، وليس معنا أي شيء يدل على إرادتي الهجرة ، ولما سأل رجال البوليس عني قيل لهم : هذا ضيف طرابلسي عند ناظر النفوس ، ولما استقر قدمي في الباخرة تنفست الصعداء ، وحمدت الله تعالى أن منَ علي الخروج من تلك البلاد " (١) .

أدرك فرح أنطون أنه مكبل بأغلال شديدة، من شأنها كم الأفواه، وتكسير الأقلام، ولجم الأفكار، فإما أن يخنع ويكيل المدائح للسلطان والحاكمين في الآستانة ، فاختار الهجرة ، وهاجر إلى مصر مع محمد رشيد رضا عام ١٨٩٧ عبر مرفأ بيروت بحثاً عن مكان فكري له في أرض النيل التي استقبلت قبله وبعده وفوداً من حملة الأقلام الشوام الهاربين من الكبت والتضييق إلى الحرية والانعتاق ، ومن شظف العيش ومره ، إلى البحوحة والرغد " (٢) .

انشأ عبد الرحمن الكواكبي(٣)، في حلب صحيفة أسبوعية سماها (الشهباء) (٤) بالاشتراك مع هاشم العطار، امتازت بأنها أخذت تبث في الناس روح العزيمة والإصرار ، ولكن والي حلب كامل القبرصي (١٨٧٥-١٨٨٠) الذي أصبح صدراً أعظم للدولة العثمانية فيما بعد كان يكره حرية الصحافة ، فبادر إلى تعطيل هذه الصحيفة ، بعد أن بدأت تشير إلى استبداد السلطان عبد الحميد الثاني من طرف خفي واستجاب الكواكبي لقرار إغلاقها فعطلها بعد صدور ثلاثة إعداد منها (٥) .

كما أصدر الكواكبي صحيفة أخرى سماها (الاعتدال)(٦)، لكن هذه الصحيفة اختلفت عن غيرها من الصحف فهي لا تكيل المديح للسلطان ولا تخلع عليه من الألقاب ما تخلعه غيرها من الصحف ، وقد تصدت للكشف عن سيئات الموظفين وتعريف الناس بحقوقهم فكانت كفيلة أن تلقى من والي حلب جميل باشا ما لقيته الصحيفة السابقة (الشهباء) على يد سلفه كامل القبرصي (٧)، كما أن أبا الهدى الصيادي (٨)، كان يكره الكواكبي فقد كان بين أسرتيهما عداءً شديداً في

=(جمعية النادي الأدبي) التي أنشأها جرجي يني في طرابلس، هاجر إلى مصر عام ١٨٩٧، توفي عام ١٩٢٢. للمزيد من التفاصيل ينظر: مارون عيسى الخوري، في اليقظة العربية، جروس برس، طرابلس -١٩٩٤) .

(١) محمد رضا رشيد ، رحلتان إلى سورية ١٩٠٨- ١٩٢٠ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت – ٢٠٠١) ، ص١١.

(٢) مارون عيسى الخوري ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٣) **عبد الرحمن الكواكبي :** ولد عام ١٨٥٥ في مدينة حلب، أحد رواد النهضة العربية ومفكريها في القرن التاسع عشر، وأحد مؤسسي الفكر القومي العربي، اشتهر بكتاب " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد "، الذي يعد من أهم الكتب العربية في القرن التاسع عشر التي تناقش ظاهرة الاستبداد السياسي، توفي في القاهرة متأثراً بسم دس له في فنجان القهوة عام ١٩٠٢ودفن عند جبل المقطم . الأعمال الكاملة للكواكبي ، دراسة وتحقيق محمد جمال طحان ، ط ٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت - ٢٠٠٦) ، ص ١٨٥ .

(٤) **الشهباء :** صحيفة سورية دورية تصدر باللغة العربية وهي من أقدم الصحف العربية أسسها عبد الرحمن الكواكبي في حلب عام ١٨٧٧. المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

(٥) عبد الكريم غرايبه ، سورية في القرن ١٩،(القاهرة -١٩٦٢) ، ص ٢٤٨.

(٦) **الاعتدال :** صحيفة سورية دورية تصدر باللغة العربية ، أسسها عبد الرحمن الكواكبي في حلب ، في ٢٠ تموز ١٨٧٩ ، المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

(٦) محمد عبد الرحمن برج ، عبد الرحمن الكواكبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة -١٩٧٢) ، ص٥٢ .

(٧) **أبو الهدى الصيادي :** ولد عام ١٨٤٩في خان شيخون وهي قرية قريبة من حلب، وأتقن علوم الفقه والتفسير والنحو، وفي عام ١٨٧٣عين نقيب إشراف لعموم ولاية حلب وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني حظي مكانة كبيرة لديه، فمنحه مشيخة المشايخ في دار السلطنة وأصبح يلقب بمستشار الملك ، وقد عمل أبو الهدى مدة=

حلب لتطاول آل الصيادي على ادعاء حقهم في نقابة الأشراف بدلاً من الكواكبي ، وتعرض الكواكبي للسجن بتهمة الخيانة الوطنية وبعد إطلاق سراحه وجد في مصر مركز إشعاع للفكر الثوري المتمرد على الاستبداد بكل ألوانه وأوضاعه، وكتم الكواكبي خبر هجرته حتى عن أقرب المقربين إليه ، وعن أخلص أصدقائه ، فأعلن أنه يزمع التوجه إلى عاصمة الدولة العثمانية الأستانة ، ولكن أعد العدة للهجرة إلى مصر في طي الكتمان ولم يفض به إلى أحد فهاجر إليها عام ١٨٩٩، واصطحب معه ولده كاظم ، ووصل القاهرة متستراً متخفياً عن طريق الإسكندرية عام ١٨٩٩([١]) ، وأحس أنها الحرم الآمن ، الذي يفتح له رحابه ليفكر ويعبر كما يشاء ([٢]) .

ذكر كامل الغزي ، الذي ذهب لتوديعه : " على الرغم من زعمه أنه مسافر إلى الآستانة ، فوقع في نفسي أنه سيعرج على مصر ، وحذرته من ذلك وقلت له : إياك يا أخي والسفر إلى مصر فإنك متى دخلتها تعذر عليك الرجوع إلى وطنك لأنك تعد في الحال من الطائفة المعروفة باسم (جون ترك) ، أي الطائفة المتعاونة مع الانجليز من الأتراك " ([٣]) .

بدأ السلطان عبد الحميد الثاني ، يعمل على تشكيل مشروع الخلافة " عثمانياً " من خلال الجمع بين السلطتين الزمنية والروحية ، وبدأت تطرح مقولة " السلطان – الخليفة " على رعايا السلطنة في الداخل وبنص دستوري منذ عام ١٨٧٦([٤])، وفي التعامل مع القوى الأوربية والأقليات من رعايا الدولة العثمانية لاسيما النصارى واليهود، بعدما أسقطت أجهزته الإعلامية والدينية النسب القرشي كشرط للخلافة([٥])، وقوت في الوقت نفسه من ادعاءات السلطان بمنصب الخلافة " لحمايته" الأماكن المقدسة في مكة والمدينة وتأمين طريق الحج ([٦]) .

يبدو أن اتخاذ لقب (خليفة) من قبل السلطان عبد الحميد الثاني ، جاء لأسباب سياسية بالاعتماد على الصفة الدينية لمجابهة نمو الحركات القومية في المنطقة العربية ، ولإخافة الدول الأوربية لاسيما بريطانيا التي كانت تحكم ملايين المسلمين في الهند ، وفي هذا الصدد يقول ساطع الحصري : " أن فكرة الخلافة العثمانية ساعدت كثيراً على استسلام العرب للحكم العثماني وأخرت كثيراً نشوء فكرة القومية العربية " ([٧]) .

كان عبد الرحمن الشهبندر([٨])، معروفاً بصفاته الإنسانية ، ومواقفه الوطنية المعادية لكل أنواع الظلم وقد قُدم إلى المحاكمة بتهمة الاشتراك في تأليف رسالة موضوعها (الفقه والتصوف)

=ثلاثين سنة في خدمة الدولة العثمانية مدافعا عن حقها في الخلافة ومؤكدا واجب المسلمين في الاعتراف بها وكان صاحب رأي عند السلطان عبد الحميد الثاني انظر: خير الدين الزركلي ، الإعلام ،ج٦ ، ص ص ٣٣٤-٣٣٥ ، سامي الكيالي ،الحركة الأدبية في حلب ،(القاهرة -١٩٥٧) ، ص ص ١١٥-١٢٠ .

(١) نزيه كباره ، عبد الرحمن الكواكبي حياته وعصره وآراؤه ، جروس برس، (بيروت – ١٩٩٤)، ص٤٢.

(٢) كامل الشناوي ، الكواكبي الرحالة العربي الثائر، مجلة الهلال ، العدد ١٢ ، أيلول ١٩٦٢ ، ص ١٤ .

(٣) كامل الغزي ، مجلة الحديث ، العدد السادس ، ١٩٢٩، ص ٣٧ .

(٤) المادتان ٣ ، ٤ من الدستور العثماني لعام ١٨٧٦ اعتبرت السلطان " الخليفة الأكبر " . ولمزيد من التفاصيل ينظر : . Angus Hamilton , Problams of the Middle East , London – 1909 , p . 367

(٥) ينظر في هذا الخصوص كتاب أبو الهدى الصيادي ، داعي الرشاد لسبيل الاتحاد والانقياد ، (الأستانة – ١٨٨٠) ، الذي يستبعد النسب القرشي من شروط الخلافة .

(6) (J.W.Redhouse , A Vindication of the Ottoman Sultan's ,London- 1877, P.7 .

(٧) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٣٦.

(٨) **عبد الرحمن الشهبندر:** من أسرة دمشقية عريقة في سوريا ، ولد في دمشق عام ١٨٧٩ ، تلقى علومه الابتدائية في مدارس الحكومة فيها، ثم دخل الجامعة الأمريكية في بيروت، ونال شهادتها العلمية عام ١٩٠١=

وبأنه أحد الذين كتبوا في جريدة المقطّم المصرية حول "خلافة السلطان عبد الحميد الثاني " غير أن صغر عمره أنقذه من السجن ، وعلى أثر ذلك فر إلى العراق ومنه إلى الهند ومن بعدها هاجر إلى مصر ([1]) .

تجاوز الاستبداد الحميدي حدود السيطرة على الأشخاص إلى الهيمنة على العقول من خلال فرض رقابة صارمة على المطبوعات ، فألحقت لجان رقابة بوزارتي التعليم والشؤون الخارجية لمراقبة المطبوعات المحلية والقادمة من الخارج[٢]، وخضع تأسيس دور النشر وإنشاء الصحف لتصريح مسبق لم يكن من السهل الحصول عليه ([3])، وحظر استخدام مصطلحات وأسماء مثل الحرية والديمقراطية والدستور والبرلمان والثورة والإضراب([4])، وخشي السلطان عبد الحميد الثاني على حياته من تمادي الصحافة ، فأصدر أمراً بتقييد حريتها وتضيق الخناق عليها من خلال المراقبة ، وأصبحت تعتمد على عبارات التمجيد بالسلطان و(الدولة العلية) ([5]) .

أدى انعدام الثقة بين الحاكم والمحكوم ، وإنشاء شبكة من الجواسيس، تبث العيون والأرصاد في طول البلاد وعرضها ، إلى الضغط على الحرية الشخصية فكان المرء : **" إذا خطا نظر إلى ما وراء خشية أن يكون له من ظله رقيب وإذا تكلم مع صديق أو رفيق على قارعة الطريق تراه يكاد يهمس همساً خوف أن تبدر منه كلمة تحتمل التأويل"** ([6]) .

هذا ونجد وصفاً معبراً عن انعدام الثقة بين الحاكم والمحكوم ، فالكواكبي في كتابه (طبائع الاستبداد) ينقل لنا صورة معبرة عن العداوة بين المعرفة وأهلها من جهة ، والنظم الاستبدادية من جهة أخرى فالحرب بينهما دائمة ومستمرة ذلك أن أصحاب الفكر يسعون إلى نشر المعرفة وترسيخ أسس الفكر العقلاني التنويري ويجتهد الاستبداد إلى إطفاء نوره حينما قال : **" والغالب أن رجال الاستبداد يطاردون رجال العلم وينكلون بهم، فالسعيد منهم من يتمكن من الهجرة من دياره، وهذا سبب أن كل الأنبياء العظام عليهم الصلاة، وأكثر العلماء الأعلام، والأدباء النبلاء، تقلبوا في البلاد، وماتوا غرباء في الهجرة "** ([7]) .

تفتح فكر عبد الحميد الزهراوي ([8])، منذ صباه على مساوئ الاستبداد الحميدي ، فعمد إلى إصدار نشرة سرية اسماها (المنبر) وراح يحررها ثم يطبعها على (الجلاتين) بعيداً عن عيون

=وكان الخطيب السنوي للجمعية العلمية العربية ، في عام ١٩٠٢نال شهادة الطب من الجامعة الأمريكية ، واختير أستاذاً فيها ، بعد استقلال سوريا عن الحكم العثماني ، وفي عام ١٩٢٠ شكل هاشم الأتاسي وزارته التي سميت (وزارة الدفاع) عهد إلى الشهبندر بوزارة الخارجية ، اغتيل في عيادته في ٦تموز ١٩٤٠ . ينظر : صالح زهران ، موسوعة رجالات من بلاد العرب ، المركز العربي للأبحاث والتوثيق،(بيروت- ٢٠٠١) ص ٣٨٥.

(١) عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، موسوعة السياسة ، الجزء الثالث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت – ١٩٩٠) ، ص٨٢٦ .

(2)Hasan Ali Koçer, Türkie'De Modern Eğitimin Doğuşu ve Gelişimi, S.125-127.

(٣) سليمان البستاني ، المصدر السابق ، ص٩٧.

(٤) مذكرات سليمان فيضي ، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي ، ط٤، (بغداد – ٢٠٠٠) ، ص٦٤.

(٥) أديب مروه، المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

(٦) سليمان البستاني ، المصدر السابق ، ص٩٧.

(٧) عبد الرحمن الكواكبي ، طبائع الاستبداد ، ص ٨٦ .

(٨) **عبد الحميد الزهراوي :** ولد في حمص عام ١٨٥٥، وتعلم في المدرسة الرشيدية ، ثم أتقن اللغة التركية ، وقد أخذ علوم اللغة العربية والفقه والتفسير والحديث من علماء عصره، أصدر صحيفته الأسبوعية (الحضارة)=

الوالي، كما نشر رسالته في الإصلاح (الإمامة وشروطها) التي أغضبت الحكام الترك لما انطوت عليه من آراء جريئة تمس السلطة القائمة ، فأستاء منه الوالي وأرسله مخفوراً إلى الآستانة وتوسط له أبو الهدى الصيادي ، ولم يجد بداً سوى الهجرة إلى مصر ([1]) .

أصدر محمد كرد علي أول صحيفة عربية يومية في دمشق هي (المقتبس) عام ١٩٠٨ بالاشتراك مع شكري العسلي([2])، بعد إعلان الدستور ، ظناً منه أن عهد الاستبداد قد زال وكان أشد ما يؤذيه وينغص عليه عمله الرقابة وقد وصفها بالقول : **" أشد ما يؤلمني كابوس الرقابة ، لأنه يستمد روح القانون من استبداد الحكومة "** وتعرض محمد كرد علي إلى أغراء أصحاب السلطة بالمال ليعدل عن نهجه ، وهددوه بالاغتيال، وفتشت داره غير مرة ، وصودرت أوراقه ، ولم يرجع عن نهجه الذي انتهجه في سبيل الدعوة إلى الإصلاح فعطلت صحيفته (المقتبس) عام ١٩٠٩واختفى عن الأنظار ([3]) .

وصف الأمير شكيب أرسلان ، هجرة صديقه محمد كرد علي إلى مصر بالقول : **"وأرث مقالاته غضب السلطة ، وحركت المشايخ فراحوا يحرضون الوالي عليه ، حتى أضطر أن يتخفى في قرى الغوطة ، يعيش في خوف وذعر ، ينقل من قرية إلى أخرى ، يكمن في النهار ويظهر في الليل ، ليواصل سفره ، متخفياً عن العيون ، ومترقباً عيون الوالي وعسسه ، ورافق قافلة من الإبل ، سار بها صاحبها إلى مصر سلك بها طريقاً برياً مرت بوادي موسى فالعقبة وسيناء ورفح فالإسماعيلية وطالت سفرته وهو على راحلته بلباس عربي ينام ملتحفاً السماء مفترشاً الرمال ودخل القاهرة ولسان حاله ينشد :" أنت يا مصر ملجأ الأحرار "** ([4]) .

حظر عبد الحميد نشر الكتب الطبية المتعلقة بالجنون، أو عرض المسرحيات التي تتعرض لقتل الملوك مثل مسرحيتي (هاملت) ، و(ماكبث) لشكسبير، وكذلك الحال بالنسبة لكتابات بعض الكتاب المقلقين، بما في ذلك مؤلفات نامق كمال ،وضياء باشا، ونتاجات بعض الكتاب الأوربيين أمثال ورسو وفولتير وهيجو([5])، وتحولت الرقابة من فرط شدتها إلى رقابة ذاتية امتدت حتى إلى قواميس اللغة، فالتعريف الذي قدمه قاموس عثماني، لكلمة (Tyrant) مستبد هو طائر أمريكي ! ([6]) .

ظلت بلاد الشام تئن تحت وطأة الحكم الحميدي المستبد، الذي تقيدت فيه الأفكار والأقلام، وانتشرت الجاسوسية ، وصودرت الحرية ، فأخذ أرباب الأقلام الحرة في المهاجرة إلى مصر

=داعياً إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي، وأنتخب رئيساً للمؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس عام ١٩١٣ وعضواً في مجلس المبعوثان، نفذ به الأتراك حكم الإعدام في ساحة الشهداء في دمشق في ٦ أيار ١٩١٦عمر الدقاق، فنون الأدب المعاصر في سورية، دار الشرق العربي،(بيروت – ١٩٦١) ، ص ٨١ -٨٢ .

(١) عمر الدقاق ، المصدر السابق ، ص ٨١ .

(٢) **شكري العسلي :** ولد في دمشق عام ١٨٦٨، نفذ به الأتراك حكم الإعدام في ساحة الشهداء في دمشق في ٦ أيار ١٩١٦ . للمزيد من التفاصيل ينظر: فوزي الخطبا، شهداء النهضة العربية، مطبعة الصفدي، (عمان - ١٩٨٨) ، ص ١٠٣ .

(٣) جمال الدين الألوسي ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

(٥) احمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني ، (القاهرة – ١٩٨٢) ، ص ٣٨٦ .

(٦) فرانسوا جورجو ، النزع الأخير ١٨٧٨- ١٩٠٨، تاريخ الدولة العثمانية ، الجزء الثاني، أشراف روبير مانتران ، (القاهرة-١٩٩٣) ، ص ١٨٤.

ينشئون الصحف، والمجلات، وأخذت صحافة سوريا في التقهقر وأهلها صابرون حتى أعلن الدستور عام ١٩٠٨ ، فقابلته الصحف بالدهشة غير مصدقة ([١]) .

ألغى عبد الحميد الدستور مرة ثانية في عام ١٩٠٩ ، من خلال حركة قام بها بعض المشايخ والدراويش بإثارة فتنة في الأستانة بحجة العدوان على مقام الخلافة العظمى وكان من ابرز الذين تزعموا الحركة درويش وحدتي الذي عمل تحت ستار(الغيرة على الدين) بعد أن التف حوله بعض المشايخ ورجال الدين مرددين شعار: **" الشريعة المحمدية بدلاً من الدستور"** فقاموا بحصار المجلس النيابي والباب العالي، وقدموا طلباً إلى قصر السلطان بإلغاء(المشروطية) وإعلان الشريعة الإسلامية ([٢]) .

أزداد الأمر تعقيداً بعد تعطيل المجلس التمثيلي، وتعليق القانون الأساسي ، وقد وصل الأمر إلى حد اعتبار التكلم عن القانون الأساسي وعن مجلس المبعوثان ، من الأفعال المضرة التي تعرض مرتكبيها إلى الاعتقال والنفي والأبعاد إلى البلاد النائية ، وعادت الدولة العثمانية إلى نظام (الحكم المطلق) إلا أن هذا النظام نفسه ، لم يبق على حالته السابقة بل أخذ يشتد ويقوى شيئاً فشيئاً حتى أصبح في نهاية المطاف إلى (حكم استبدادي فظيع) ([٣]) .

يبدو أن ثورة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨، كانت قد نتجت جزئياً من إعادة العمل بالدستور، الذي بحد ذاته كان نتاجاً من إنتاج عهد التنظيمات ، فضلاً عن ذلك فإن الثورة ، وعلى الرغم من أنّها أنتجت حالة ليبرالية وتخفيفاً عامّاً من سياسات القهر التي كانت سائدة سابقاً ، ووعدت بإصلاحات أساسية وكبيرة ، لم تمثِّل محاولة لتحد حقيقي وجاد للنظام العثماني السائد ، فلم تكن جمعية الاتحاد والترقي نفسها وفي جوهرها حركة تقدمية ، على الرغم من انقلابها على السلطان عبد الحميد الثاني وإنهاء حكمه ، ورفعها شعار: (حرية، مساواة، إخاء، عدالة)، وإعلان حكامها الجدد **"المساواة بين جميع العثمانيين بغض النظر عن الدين أو العرق "** وأن أغلب هذه الوعود لم تطبق على ارض الواقع ، وإنما بقيت مجرد حبر على ورق .

شكّل عام ١٩٠٩ مرحلة انعطاف حاسمة في مسار العلاقات العربية العثمانية ، إذ شهد الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد الثاني وإعلان الدستور، شاعت في الأيام الأولى التي تلت الثورة الأوهام على نطاق واسع حول إمكان إجراء تحولات جذرية لدى العرب وتحررهم الوطني في نطاق تركيا الجديدة وقد أمل العرب خطأ أن يَحُلَّ تعاونهم مع الاتحاديين المشاكل الآنية الدول العربية غير مدركين دعوة الاتحاديين إلى تمثيل جميع الرعايا في دولة تركية تتخذ اللغة التركية لغةً للدولة الرسمية الوحيدة في السلطنة العثمانية ([٤])، وشكل إعلان الدستور العثماني مصدر الهام للمفكرين والصحافيين والأدباء من دعاة الإصلاح ، وجدد عزائمهم ، حتى أولئك الذين كان أمامهم أن يتوجسوا الحذر من خطوة بمثل هذا العنفوان والإثارة ([٥]) .

رحب محمد رشيد رضا بالثورة وبإعلان الدستور، وعقد الآمال الكبار على هذه الثورة ، وفي مقال له تحت عنوان : (النهضة المصرية والدستور) بين فيه اثر إعلان الدستور العثماني على

---

(١) جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت -١٩٦٧) ، ص ٤٢١.
(٢) ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ٩٥.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٦.
(٤) توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤، (القاهرة - ١٩٦٠)، ص ١٤٧.
(٥) سليمان البستاني، المصدر السابق، ص٥٢.

مصر، فقال : **" أنا اشهد إن مصر صارت أقوى استعداداً للحكم النيابي ، وقويت حجة المصريين بعد إعلان الحكومة الدستورية في بلاد الدولة العلية التي هي أمهم ، وهم اقدر أولاد هذه الأم على رفع بلادهم "** وأشار في مقاله إلى أحقية المصريين بالحكم النيابي الذي يتمتع به العثمانيون ، مؤكداً : **" إن كل من يزعم إن استعداد المصريين دون استعداد إخوتهم فهو إمّا جاهل مليم ، وإمّا ظالم مبين "** (١) .

أخذت صحيفة (طنين) تتحامل على العرب ، ونشر الصحفي أحمد شريف مقال ذكر فيه : **" لا يزال العرب يلهجون بلغتهم أو هم يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً، وكأنهم ليسوا تحت حكم الأتراك ، إنَّ من واجب الباب العالي في هذه الحال أن ينسيهم لغتهم ويجبرهم على لغة الأمة التي تحكمهم فإذا أهمل هذا الواجب ، كان كمن يسعى إلى حتفه بظلفه ، لأن العرب إن لم ينسوا لغتهم ، وتاريخهم وعاداتهم ، فإنهم سيعملون عاجلاً أم آجلاً على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية جديدة على أنقاض دولة الترك "** (٢).

وفي فترة لاحقة دعت صحيفة (طنين)، إلى تعزيز القومية الطورانية والتحامل على القوميات الأخرى ففي تشرين الأول ١٩٠٨، كتب حسين مجاهد في الصحيفة يقول**: " إن الأمة التركية كانت وستظل هي الأمة الحاكمة في السلطنة العثمانية ، وأن الترك يتمتعون بحقوق وامتيازات سامية بصفتهم فاتحين ، وأنه لا مجال للاعتراف بحقوق مساوية للعناصر الجنسية الأخرى ، وأن الدستور العثماني ، لا يمكنه أن يكون في شكله النهائي سوى دستور تركيّ "** (٣) .

يبدو أن تلك الآمال لم يكتب لها النجاح طويلاً سرعان ما اصطدمت تلك الآمال والطموحات الواسعة ، بعد سيطرت جمعية الاتحاد والترقي، التي أقامت حكماً استبدادياً فاق الاستبداد الحميدي، فضلاً عن الاتجاهات العنصرية من خلال الميل إلى الحكم المركزي وانتهاج الطورانية ، وتطبيق سياسة التتريك التي تدعو إلى طمس معالم اللغة العربية .

تأثر المناخ الفكري ومستوى ثقافة العامة في بلاد الشام بجملة عوامل منها نمو روح التحرر وتنامي تيار النهضة العربية، وتبلورت مطالب النهضويين العرب ولاسيما مطالب تحقيق اللامركزية السياسية والتدريس باللغة العربية، ونشر الثقافة العربية، وجعل مكان الخدمة الإلزامية في بلد المجند، وتوسيع هامش الحريات والمساواة والتكافؤ وتعريب القضاء وغيره، واعتمد النهضويون العرب لتحقيق أهدافهم وسيلتين رئيسيتين: الأولى هي تأسيس الجمعيات التي كانت بمنزلة أحزاب والثانية هي تأسيس الصحف والكتابة فيها، وتأسيس المكتبات وطباعة المخطوطات ونشرها (٤) .

ظهر في أعقاب ذلك تياران سياسيان : التيار الأول معتدل يدعو إلى التعاون مع الأتراك ضمن الدولة العثمانية في إطار المساواة القومية ونشر الثقافة باللغة العربية والمحافظة على

---

(١) مجلة المنار اللبنانية ، م١٣ ، ج ٥ ، ٧ حزيران ١٩١٠، ص٣٥٤.
(٢) عبد المنعم مصطفى، لورنس، قصة حياته وحقيقة موقفه من الثورة العربية، (بغداد – ١٩٩٠)، ص ١٠٤.
(٣) توفيق برو ، المصدر السابق ، ص ٦٩.
(٤) حسين العودات ، المطابع والمكتبات والصحافة في دمشق في القرن التاسع عشر في المعرفة ، دمشق ، كانون الثاني ٢٠٠٨ ، ص ٣٢٤.

العادات والتقاليد العربيةومثّل هذا الاتجاه (جمعية الإخاء العربي _العثماني) في إستنبول عام ١٩٠٨ و(المنتدى الأدبي) في المدينة نفسها عام ١٩٠٩ ([١]) .

أما التيار الثاني ، فبدأ بالدعوة إلى اللامركزية العربية ، ردّاً على المركزية التركية، ثم تطور إلى المطالبة بالاستقلال الكامل للأقطار العربية عن السلطنة العثمانية، وأحاط أصحاب ذلكالقرار ممارستهم بسرية كاملة وكانت بلاد الشام المركز الرئيس لهذا التيار، ومثلت دمشق بالذات مركز قوتها إذ إنه من أصل (١٢٦) ناشط معروف في الحركة العربية قبل ١٩١٤ ، كان(٤٠ %) من مدن سوريا الداخلية ، وإن دمشق وحدها ضمت حوالي (٨٠ %) من إجمالي العضوية السورية ، وقد تمثل هؤلاء بالجمعية القحطانية ١٩٠٩، والجمعية العربيّة للفتاة ١٩١١ التي أنشأت في باريس ، ثم انتقلت إلى بيروت عام ١٩١٣ ، وجمعية بيروت الإصلاحية عام١٩١٢ ([٢]) .

شجع تزايد أعداد مؤيدي الاتجاه القومي الذي أثار العرب، ولاسيما الشوام منهم بخطورة هذه السياسة وانعكاساتها السلبية على العلاقات العربية التركية، فعقدوا المؤتمر العربي الأول في باريس للفترة من ١٨- ٢٣ حزيران عام ١٩١٣ الذي نبعت فكرته من خمسة شبان من الشوام ممن يدرسون في فرنسا وهم عبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني وتوفيق الفايد من بيروت وعوني عبد الهادي من نابلس وجميل مردم بك من دمشق وأكثرهم من أبناء الشوام من سوريين ولبنانيين سواء منهم من كان مقيماً في بلاد الشام أو في المهجر ، ترأس المؤتمر عبد الحميد الزهراوي ، وانتخب شكري غانم نائباً للرئاسة ، وشارل دباس أميناً للسر ([٣]).

حاول الاتحاديون بشتى الوسائل منع انعقاد المؤتمر فتدخلوا لدى الحكومة الفرنسية لمنع انعقاده على الأراضي الفرنسية ولكن فشلوا ، وعمدوا إلى إثارة الرأي العام الإسلامي ضد المؤتمر ووصفوا المشاركين فيه بأنهم أقلية تأتمر بأمر الأجنبي واستخدموا الصحف التركية المؤيدة للاتحاديين لمهاجمة فكرة انعقاد المؤتمر، ومثال على ذلك ما ذكرته صحيفة (طنين) التركية لسان حال حزب الاتحاد والترقي في ٦ تموز ١٩١٣ تحت عنوان (مؤتمر غريب) أكدت فيه : **"أن موقعي بيان المؤتمر حصلوا على الجنسية الفرنسية ، ولم يبق لهم أقل صلة بالعربية والإسلام "** ([٤]) .

ناقش المؤتمر في جدول إعماله مسألة (هجرة أهل الشام) وعزا الشيخ حسن طبارة ([٥])، في معرض تناوله ملف الهجرة قائلاً : **"إن المهاجرة ناشئة عن ضيق المعيشة، وضيق المعيشة**

---

(١) فلاديمير لوتسكي ، المصدر السابق، ص ٤٠ .

(2) C. Ernest Dawn, From Ottomanism to Arabism: Essays on the Origins of Arab Nationalism, Urbana, 1973, pp. 152-175

(٣) زاهية مصطفى قدورة ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

(٤) وجيه الخيمي، المؤتمر العربي الأول، مجلة الجيل، المجلد ٩ ، العدد ١٢ ، كانون الأول ١٩٨٨، ص ٦١.

(٥) **الشيخ حسن طبارة:** ولد عام ١٨٧١ في بيروت، أنشأ صحيفة (الاتحاد العثماني) عام ١٩٠٨، من دعاة اللامركزية، شارك بالمؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣، أعتقله الاتراك أثناء الحرب العالمية الأولى، وأعدم مع كوكبة من دعاة القومية العربية عام ١٩١٦. ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١٢، دار العلم للملايين، (بيروت– ١٩٩٧)، ج١، ص ١١٣؛ **كما ينظر ملحق رقم (٣) رسالة بعثها جرجي زيدان الى اعضاء المؤتمر العربي الأول في باريس عام ١٩١٣ .** ينظر : مجلة الهلال ، ٢٤ شباط ١٩١١ .

ناتج عن الاضطهاد وسوء الإدارات "([1])، كما عبر نجيب دياب أحد المهاجرين العرب في الولايات المتحدة الأمريكية في خطاب له بالمؤتمر عن أمنياته بالبقاء في حضن الدولة العثمانية وعدم الهجرة ، ولكن بشرط حفظ الحقوق قائلاً **: " أن المهاجرين الشوام يتمنون البقاء في حضن الدولة العثمانية، والاحتفاظ بالوطنية بشرط إن تحفظ حقوق إخوانهم المختلفين في الوطن من نصارى ومسلمين، وأن تكون إعراضهم مصونة، وأموالهم في مأمن ، ومدارسهم تضاء بكهرباء الوطنية ، وأفئدتهم تلتهب بحب الوطنية "** ([2]) .

شعرت حكومة تركيا الفتاة بتعاظم دور المعارضة العربية ضدها ، فاعترفت بالمؤتمر وأرسلت أمين سر حزب الاتحاد والترقي مدحت شكري بك مندوباً عنها إلى باريس الذي وقع اتفاقية مع عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر العربي تعهد فيه بتنفيذ جميع قرارات المؤتمر([3]) .

دخلت الدولة العثمانية في ٢٩ تشرين الأول ١٩١٤ الحرب العالمية الأولى إلى جانب ألمانيا واتخذت سلسلة إجراءات داخلية ، كان لها الأثر العميق في نفوس السكان، لاسيما الأجراء الذي أطلق عليه اسم (السوقيات)، وكانت (السوقيات) تشمل جميع البالغين من مختلف الطوائف ليصار تجنيدهم للحرب ، بعد أن كانت تقتصر فقط على المسلمين قبل إعلان الدستور([4])، وأصدرت مرسوماً بفرض ضريبة حرب قدرها (٣%) على موظفي الدولة ،وأصدرت قراراً آخر في ٤ آب ١٩١٤ ينص على الالتزام بذكر الدين في هويات الأفراد الشخصية تسهيلاً لمعرفة الولاء للدولة ولاسيما في لبنان، ونشطت عمليات التجنيد والمراقبة على البريد، وأخذ رجال المخابرات في التحري ومراقبة الناس، مما أدى إلى فقدان الثقة بين الناس وانتشار التذمر وأتساع الهجرة ([5]) .

قام جمال باشا **([6])**، في نهاية العهد العثماني في بلاد الشام ، في ٦ أيار ١٩١٦ باعتقال كوكبة من رجال الفكر ، والسياسة والصحافة من الشوام ، وتنفيذ حكم الإعدام بهم شنقاً، عندما استولى على القنصلية الفرنسية في بيروت وعثر على وثائق ورسائل اعتبرت مستمسكاً لا دانتهم بالتآمر مع دولة أجنبية ومن هؤلاء الصحافي البارز عبد الغني العريسى في (المفيد) وفيليب الخازن صاحب (الأرز) وشقيقه الصحافي فريد الخازن، وأحمد حسن طبارة صاحب (الاتحاد العثماني) وباترو باولي صاحب(المراقب) وسعيد فاضل عقل صاحب (البيرق) وعبد الكريم الخليل أحد أصحاب (المفيد) وعمر أحمد أحد أصحاب (المفيد) وعارف شهاب المحرر في (المفيد) وجو

---

(١) إبراهيم يزبك ، مؤتمر الشهداء ، مطبعة جريدة اليوم ، (بيروت – ١٩٥٥) ، ص ١٩٦ .
(٢) وجيه الخيمي ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .
(٣) فلاديمير لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ٤١١.
(٤) عبد العزيز محمد عوض ، المصدر السابق ، ص ١٧٣.
(٥) أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، دار القاهرة للطباعة، (القاهرة - د.ت)، ص٣٦.
(٦) **جمال باشا:** ولد أحمد جمال باشا في استانبول عام ١٨٧٢، انهى دراسته العسكرية عام ١٨٩٥، انخرط في صفوف جمعية الاتحاد والترقي عام ١٨٩٩، رقي الى رتبة كولونيل بعد أن قمع التمرد الأرمني وعين والياً على استانبول الشرقية عام ١٩٠٩، ومن ثم عين والياً على بغداد عام ١٩١١، تولى اثناء الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ منصب وزيراً للبحرية، ثم عين والياً على بلاد الشام ،اغتيل عام ١٩٢٢ في تفليس. للمزيد ينظر : مواهب معروف سالم الجبوري، جمال باشا حياته ودوره السياسي، رسالة ماجستير، غير منشورة ، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٤ .

جورج حداد في (الأحوال) وجرجي عطية وأنطوان زريق وبعض من الصحافيين من دمشق وبقية الولايات في بلاد الشام وقد بلغ عدد الصحافيين الذين اعدموا (١٦) صحفياً ([1]) .

نصب جمال السفاح أعواد المشانق في ساحات دمشق وبيروت ، وعلق عليها صفوة رجالات بلاد الشام وامتلأت السجون بالأبرياء، وحكم على الكثيرين بالنفي إلى مجاهل الأناضول ([2])، أخذ طوفان الهجرة إلى مصر يستمر بشكل مضطرد حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وزوال الحكم العثماني عن بلاد الشام في عام ١٩١٨ ([3]) .

في إحصائية حول هجرة الشوام إلى مصر يؤكد جبرائيل منسي **: " إن الهجرة الكبرى كانت في معظمها ما بين عامي ١٨٦٠ و ١٩١٨ ، أي خلال (٥٨) سنة كان معدل عدد المهاجرين سنوياً (٦٠٠) مهاجر ، وكان يبلغ خلال السنوات الأخيرة، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ من ٨ إلى ١٠ آلاف مهاجر، وأن تسعة إعشار هؤلاء المهاجرين الذين دخلوا مصر هم من لبنان "** ([4]) .

يتضح مما سبق ذكره أن هجرة الشوام إلى مصر خلال منتصف القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، لم تنحصر بفئة معينة، أو طائفة معينة، أو عائلة، أو سن محدد، وإنما شملت معظم السكان، ولاشك أن الإحصاءات المتعلقة بالمهاجرة الأولى، غير متوفرة، وأن ما كانت تنشره الصحف والمجلات، لا يمكن أن يعبر عن نسبة المهاجرين الشوام

---

(١) حازم النعيمي ، المصدر السابق ، ص ٨٨ .
(٢) فيليب حتي ، تاريخ لبنان ، ص ٥٨٨ .
(٣) سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ، (بيروت -١٩٣٦) ، ص ١٦ .
(٤) جبرائيل منسي، التصميم الإنشائي للاقتصاد اللبناني وإصلاحه، دار المشرق، (بيروت – ١٩٤٨)، ص ص ٤٢٠- ٤٢١ .

المبحث الثاني : العوامل الاقتصادية

لم تكن الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام افضل من الأوضاع السياسية ، إذ شهد النشاط الاقتصادي تراجعاً واضحاً على نطاق واسع أصاب مختلف الشرائح الاجتماعية في جميع مناطق بلاد الشام بعد الضربات المتتالية التي تعرض لها النشاط الاقتصادي المحلي بكافة أوجهه الثلاث الحرفية والزراعية والتجارية .

لا يمكن التطرق للحالة الاقتصادية المتدهورة في بلاد الشام كعامل طرد باتجاه الهجرة بمعزل عن الوضع الاقتصادي للدولة العثمانية في تلك الفترة ، فقد جاء تأسيس البنوك (١) ، علاوة على كونها مشاريع مربحة (٢)، قدمت قروضاً كبيرة للدولة العثمانية ، ومثلت فرصاً جديدة لاستثمار الرساميل الأجنبية ، وتوالت القروض في تتابع سريع، وبشروط ازدادت إجحافاً (٣) ، ومع تردي الأوضاع الاقتصادية، أعلنت الدولة العثمانية في تشرين الثاني عام ١٨٧٥ توقفها عن دفع الفوائد والأقساط (٤) .

ألغيت بعض نفقات القصر، ووضعت الميزانية تحت إشراف وتدقيق خبراء قبل إن تصل مجلس الوزراء، بعد ازدياد القروض أجنبية (٥)، كما فرضت ضرائب جديدة على العاملين الأجانب (٦)، غير إن حالة الإفلاس قد أوصلت الدولة العثمانية بسبب عجزها المالي إلى حافة الانهيار والإفلاس (٧) .

---

(١) في ٢٤ أيار ١٨٥٦، أفتتح (البنك العثماني) برأسمال بريطاني ، أضيف إليه رأسمال فرنسي ، ليتحول خلال سنوات ، إلى أهم مؤسسة مصرفية في الدولة العثمانية بعد أن صار البنك الرسمي للدولة ، وحمل اسم (البنك العثماني الإمبراطوري) (The Imperial Ottoman Bank) . آلاء حمزة الفتلاوي ، السياسة البريطانية تجاه تركيا ١٩١٩-١٩٢٣، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب - جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص٦.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦.

(٣) قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية. قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط٢، (بيروت – ٢٠٠٣) ، ص٧١.

(٤) زين نور الدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ط٢ ، (بيروت – ١٩٧٧) ، ص ٤٨.

(٥) بلغت القروض الخارجية للدولة العثمانية أوائل العام ١٨٧٧ (١٥،٢٧٣،٢٤٤) ليرة عثمانية . خليل علي مراد، تغلغل الرأسمال الأجنبي في الدولة العثمانية ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٧-١٥١. سيار كوكب علي الجميل ، تحديث اقتصاديات الدولة العثمانية ، ص ١٠٠.

(٦) خليل علي مراد، تغلغل الرأسمال الأجنبي في الدولة العثمانية ، ص ١٤٤.

(٧) كانت مشكلة الديون من أصعب ما كانت تواجهه الحكومة العثمانية ، وكانت مصادر استنزاف موارد الدولة العثمانية أولها الحروب الخاسرة والمكلفة التي خاضتها الدولة، فضلاً عن النفقات الخاصة بإعادة تنظيم وتسليح الجيش والامتيازات التي حصل عليها الأجانب لاستغلال الثروات المعدنية أو في مجال الصناعة والتجارة ، ولغرض إقامة آلية للنظر في مشكلة الديون ، والإشراف على الإجراءات اللازمة للإيفاء بتعهدات الدولة العثمانية إزاء حملة سندات القروض العثمانية ، فقد صدر مرسوم عثماني في الثامن من كانون الأول ١٨٨١ بتأسيس " إدارة الدين العثماني العام لتنظيم تلك الأمور . لمزيد من التفاصيل ينظر : ز. ي . هرشلاغ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني ، (بيروت – ١٩٧٣) ، ص ٥٨ ، سيار كوكب علي الجميل، تحديث الاقتصاديات العثمانية ، المصدر السابق . خليل علي مراد، تغلغل الرأسمال الأجنبي في الدولة العثمانية ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .

أمام هذا الوضع تدخلت الدول الدائنة بهدف مراقبة مالية الدولة العثمانية ، وهو ما نجم عنه إنشاء (مؤسسة إدارة الدين العام العثماني) في عام ١٨٨١ فأخذت الدول الأوربية من خلاله مراقبة مداخيل عدد من المنتجات مثل الملح والحرير والتبغ والقطن ([1]) .

يبدو أن معدل الهجرة ازداد بوتيرة أكبر، في ظل الانهيار الاقتصادي، وارتفاع الأسعار بشكل لم يسبق له مثيل لاسيما بعد أن رفعت الدولة من قيمة الضرائب المفروضة على المنتجات المحلية التي لم تعد قادرة على منافسة المواد المستوردة الأمر الذي أدى إلى تدهور كبير في الحركة التجارية في الولايات العربية .

الامتيازات الأجنبية :

تحولت الامتيازات الأجنبية ([2])، التي كانت الدولة العثمانية قد منحتها إبان قوتها ، إلى أداة تقبض عنقها خلال فترة ضعفها الطويل ، إذ خلقت وضعاً مميزاً لتلك الدول داخل الدولة سمح لها أن تروج تجارتها على حساب الاقتصاد القومي وأن تمتص موارد البلاد وتؤسس (جيباً) اقتصادياً لا علاقة له بأية عملية تكامل وتحديث اقتصادي ([3]) .

على صعيد الصناعات الصوفية والحريرية نجد أن منافسة المصنوعات الأجنبية قد الحق بها إضراراً أسوة بتلك القطنية فابتداء من عام ١٨٢٢ اضطرت معامل الصوف في دمشق ومناطق أخرى إلى الإقفال ليس بسبب المنافسة البريطانية فحسب بل بسبب احتكار التجار الإنكليز الصوف المحلي وشرائه بأسعار مضاربة كذلك تلقت صناعة الحرير في بلاد الشام ضربة قاسية إذ انخفض عدد الأنوال في حلب ودمشق عام ١٨٤٥ من ١٢ إلف ٢٥٠٠ ([4]) .

---

(١) من المشاكل الصعبة كانت مشكلة الديون ، بسبب استنزاف موارد الدولة العثمانية في الحروب الخاسرة والمكلفة التي خاضتها في الحروب الخاسرة ، فضلاً عن النفقات الخاصة بإعادة تنظيم وتسليح الجيش والامتيازات التي حصل عليها الأجانب لاستغلال الثروات المعدنية أو في مجال الصناعة والتجارة ، ولغرض إقامة آلية للنظر في مشكلة الديون ، والإشراف على الإجراءات اللازمة للإيفاء بتعهدات الدولة العثمانية إزاء حملة سندات القروض العثمانية ، فقد صدر مرسوم عثماني في ٨ كانون الأول ١٨٨١ بتأسيس " إدارة الدين العثماني العام لتنظيم تلك الأمور. للمزيد من التفاصيل ينظر : ز. ي . هرشلاغ ، المصدر السابق ، ص ٥٨ . سيار كوكب علي الجميل ، تحديث الاقتصاديات العثمانية ، دراسة في فهم طبيعة المشاكل الاقتصادية التركية خلال القرن التاسع عشر (دراسات تركية، العدد الثاني ، السنة الأولى ، الموصل ، كانون الأول ١٩٩١) .

(٢) الأصل في الامتيازات الأجنبية إنها كانت منحاً تمنح للأجانب من لدن السلطان القوي دلالة على كرمه ، أو على الأكثر اتفاقاً بين أنداد يعترف فيها بتفوق السلطان ، ويعود تاريخ الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية إلى العام ١٣٨٧ بتوقيع معاهدة بين العثمانيين والجنوبيين، حصل فيها الجنوبيين على امتيازات تجارية، لكن المعاهدة صاحبة الحظ الأوفر من الشهرة في هذا المجال كانت عام ١٥٣٥، منح فيها السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) الملك الفرنسي فرانسوا الأول(١٥١٥-١٥٤٧) امتيازات تعدت المجال التجاري لتشمل المجالين القانوني والديني ، ومع ضعف الدولة العثمانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حصلت كل الدول الرأسمالية على امتيازات مشابهة اتخذت شكل اتفاقات تُفرض على السلطان ، وعلى كل حاكم عثماني جديد الاعتراف بها وتجديدها فور ارتقائه العرش .للمزيد من التفاصيل ينظر: سليم أحمد سعيد ، الامتيازات الأجنبية في الإمبراطورية العثمانية وأثرها على البلدان العربية ، بحث دبلوم (غير منشور) ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية- الجامعة المستنصرية ،٢٠٠٠، ص٤ - ١٨ .

(٣) فوزي منصور، خروج العرب من التاريخ، ترجمة ظريف عبدالله وكمال السيد، (بيروت – ١٩٩١)، ص ١١٢.

(٤) شارل عيسوي، التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ترجمة سعد رحمي، (بيروت – ١٩٨٥) ، ص ٣٦ .

تحولت الولايات العربية ولاسيما بلاد الشام ، بفعل الامتيازات الأجنبية إلى سوق للتصريف، ثم إلى شبه مستعمرة للدول الأوربية الرأسمالية ، ومهدت مرحلة التنظيمات الثانية الطريق إلى زيادة التغلغل الرأسمال الأجنبي ، كما اكتسبت الامتيازات الأجنبية شكل الالتزامات الدولية وفتحت الباب على مصراعيه للرأسمال الأجنبي بعد أن تعهدت الدولة العثمانية بمنح امتيازات السكك الحديدية والبنوك وصناعة التعدين وغيرها من الامتيازات كإلغاء الضرائب على السلع الأجنبية الواردة ومنح الأجانب حق شراء الأراضي (١) .

توفر المنسوجات القطنية الأوربية بشتى أنواعها ، وبأفضل الشروط (ضريبة ٥%) أدى إلى الحاق الضرر بالإنتاج المحلي ، ولم تفقد مدن حلب ودمشق وغيرها ، أسواقها الدولية (التصدير إلى الخارج) فحسب بل أخذت تفقد أسواقها المحلية ، نتيجة الجيوب التجارية الأجنبية (البيوت التجارية) التي استقرت في المدن الساحلية (٢)، فضلاً عن تدفق البضاعة الأجنبية الأرخص سعراً ، إلى تعرض الإنتاج الحرفي لأزمة خانقة حالت دون تطوره الطبيعي ، ونتيجة لارتفاع سعر الكلفة والعمل تحت أنظمة سعرية صارمة فشلت الأصناف الحرفية ، في تقديم بضائعها بأسعار واطئة بما يؤهلها للتنافس مع السلع الأجنبية التي لم تكن، ضمن المرحلة الأولى، أجود صنعاً (٣) .

يبدو أن ازدياد التغلغل الرأسمالي في الدولة العثمانية وتحولها ، تبعاً لذلك في أواخر القرن التاسع عشر خلق شبه مستعمرة ، وأتاح للدول الأوربية إمكانيات اقتصادية فائقة مكنت تلك الدول من إحداث تغلغل اقتصادي في كافة أرجاء الدولة دون رقابة أو حواجز لاسيما وضع الصناعات النسيجية " الحرير والصوف والقطن " التي كانت تشكل ثروة عدد من المدن الشامية مثل دمشق وحلب ومدن جبل لبنان ، إذ أدت الضرائب العالية ونقص التعاريف الجمركية إلى تداعي النظام الضريبي والجمركي القائم على حماية الإنتاج المحلي من المنافسة الأجنبية .

إذ كتب رحالة أوربي في أثناء زيارته لدمشق في ١٨٥٠ : **" إن السبب الوحيد لتدهور صناعة المنسوجات الحريرية في دمشق، التي كانت مزدهرة يوما، هو إطلاق حرية استيراد المنتجات البريطانية والسويسرية، إن هذه المنتجات أقل سعرا بنحو الربع من المنسوجات الحريرية الدمشقية، ولكنها أقصر عمرا بكثير، إن الطبقات الفقيرة هي التي تشتري المنسوجات الأوربية، إذ دفعهم تزايد فقرهم إلى الانصراف عن المنسوجات المحلية الأكثر جودة والأعلى سعراً "** (٤) .

أن زيادة فارق السعر وتحول كفة الجودة لصالح المنتجات الأجنبية سحب البساط من تحت المنتجات الحرفية التي تلقت ضربة قاتلة ، طالت حتى بعض الصناعات التي تحمل طابعاً محلياً خاصاً كصناعة الطرابيش (٥)، كما تدهورت زراعة القطن وصناعته بشكل سريع ، فقد

---

(١) فلاديمير لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ٣٧٤.
(٢) فوزي منصور ، المصدر السابق ، ص ١١٢.
(٣) ز.ي. هرشلاغ ، المصدر السابق، ص٢٧-٣٣ .
(٤) جلال أحمد أمين ، المشرق العربي والغرب ، بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية ، ط٤ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت - ١٩٨٣) ، ص٢٩.
(٥) نادية ياسين عبد، الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وأطروحاتهم الفكرية (أواخر القرن التاسع عشر- ١٩٠٨) ، أطروحة دكتوراه ، (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٧ .

انخفضت صادرات حلب من القطن من (١,٥) مليون فرنك إلى عشر هذه القيمة عام ١٨٩٠ بسبب رداءة أنواع القطن وقصر أليافه ومزاحمة القطن المصري والأمريكي له ، واختفت زراعة القطن كذلك في أطراف دمشق ودير الزور وحلب ، كما أدى إدخال احتكارات التبغ إلى حصر زراعته وتحديد المساحات والأنواع فتناقص الإنتاج إلى النصف عام ١٩١١ ([١]) .

ويبدو أن إغراق السوق في بلاد الشام بالبضائع الأجنبية ، أدى في نهاية الأمر إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية ، لاسيما ما يتعلق منه بالحرف الشعبية التي انحسرت ، ونشأت فئة من التجار، استفادت هي وحدها من علاقتها الوسيطة بين الريف والمدينة ، وقد انشأ التجار الكبار رؤوس أموالهم عن طريق الصفقات التجارية الخارجية ، ونظام الالتزام في جباية الضرائب والرسوم الجمركية ، وعن طريق الديون المقدمة للإقطاعيين وعمليات الربا في الريف ([٢]) .

أما في جبل لبنان الذي خضع اقتصاده، كغيره من اقتصاديات البلاد المجاورة ، بشكل متزايد إلى الرأسمال الأجنبي ،" **إذ تحولت هذه البلدان إلى أسواق لتصريف الصناعات الأجنبية، مستفيدة من نظام الامتيازات" ([٣])**، الذي نعمت به الدول الأوربية في إنحاء الدولة العثمانية ، وكان لهذا الأمر تأثير كبير على الفلاحين والحرفيين، بحيث إن أسواق المنطقة تحولت " **لتصريف المنتجات والصناعات الأوربية، وكذلك إلى مصادر خامات لها، مما أعاق تطورها الاقتصادي المستقل، وإنشاء سوقها الداخلية** " ([٤]) ، فضلاً عن تخريب الزراعة وقلة الإنتاج ، وهروب الفلاحين من الأرض ، نتيجة الضرائب الباهظة والديون .

تعرض النشاط الاقتصادي في جبل لبنان الأكثر أهمية وهو تربية دودة القز لإنتاج الحرير لهزة عنيفة أثرت بشكل مباشر على أحوال الناس المعيشية لاسيما أن نصف دخل السكان يأتي من خلاله ، واخذ هذا المردود الحيوي بالتراجع بعد عام ١٨٦٩ ، وتجلى انكفاء صناعة الحرير بتقلص عدد الأنوال المعدة لتصنيع الحرير ، ففي دير القمر مثلاً كان عدد الأنوال يصل (٤٠٠٠) نول عام ١٨٦٠ ، بينما لم يعد يتجاوز (٢٥٠٠) نول في عام ١٩١٠ ([٥])، وكانت أغلبها ملكاً للتجار الفرنسيين الذين تمكنوا من السيطرة على هذه الصناعة بمختلف مراحل إنتاجها زراعة ، حلالات ، تسويق ، تأمين ، بذور ([٦]) .

ذكر فرانسوا لونورمان بهذا الصدد كشاهد عيان **: " لقد طلبت الحملة العسكرية الفرنسية التي أتت إلى بيروت في عام ١٨٦٠ من البطريرك الماروني يوسف بيك كرم ، الذي كان يدافع عن حقوق الفلاحين الذين يزرعون شجرة التوت لإنتاج الحرير أن تنقل بعض الفلاحين على**

---

(١) عبد الكريم غرايبه ، المصدر السابق ، ١٥٢.
(٢) سيميليا نسكايا ، المقدمات الاجتماعية والاقتصادية للحركة المناوئة للإقطاع ، دار الفارابي ، (بيروت ـ ١٩٧١) ، ص ٦٥ .
(٣) سيميليا نسكايا ، الحركات الفلاحية في لبنان في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ترجمة عدنان جاموس ، (بيروت- ١٩٧٢) ، ص ١٧ .
(٤) سيميليا نسكايا ، الحركات الفلاحية في لبنان في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ص ١٧ .
(٥) أحمد الشهال ، الحركات السكانية في لبنان ، دار الشمال ، (بيروت – ١٩٨٧) ، ص ١٨ .
(٦) وجيه كوثراني ، بلاد الشام : السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين ، ط١ ، معهد الإنماء العربي ، (بيروت- ١٩٧٨) ، ص ١٠٥ .

متن بوارجها للإقامة في بلاد الجزائر إذ تؤمن لهم الأراضي الزراعية الخصبة هناك ليمارسوا زراعتها تحت حكم الفرنسيين ، فجاء الرفض قاطعاً "([1]) .

يعد الحرير أهم محصول في جبل لبنان ([2])، وبحلول عام ١٨٧٩ كانت أغلبية الدخل للفلاحين في جبل لبنان ترتبط بصناعة الحرير، وخلال منتصف القرن التاسع عشر ازدهرت تجارته ، وارتفعت أسعاره ، وفي نهاية القرن التاسع عشر، بدأت تجارة الحرير تتراجع ، ودب الإحباط في صفوف الفلاحين ، مما دفعهم إلى ترك قراهم والهجرة إلى المدينة ([3])، فضلاً عن نمو المدينة على حساب الريف أدى إلى نزوح ريفي إلى المدينة ، وهجرة إلى الخارج ، وعلى هذا الأساس ازداد عدد سكان بيروت بشكل ملحوظ ([4])، وتوسعت حدود بيروت التقليدية واستقطبت المدينة عدداً كبيراً من العمال من مختلف المناطق اللبنانية ، " وبلغ عدد سكانها في أواخر القرن التاسع عشر حوالي ١٢٠ الف نسمة " ([5]) .

النظام الإقطاعي :

قامت الدولة العثمانية باعتماد النظام الإقطاعي في سبيل الحصول على خدمات حربية مجانية ، لديمومة مؤسساتها العسكرية " ([6])، وتأثر الفلاح في مختلف أرجاء بلاد الشام تأثراً واضحاً بمساوئ النظام الإقطاعي، خلال العهد العثماني فقد عانى من الفقر والحرمان والاضطهاد وقد اضطرته الظروف إلى الفرار والهجرة هرباً من الاستبداد والظلم والجور الذي لحق به ([7]) .

كان الإقطاعي، يوكل شخص ينوب عنه في الأشراف على المزروعات والمزارعين فيعاملهم معاملة العبيد ، أما ما يحصل عليه الفلاح من ثمن مقابل عمله ، يخضع لاقتطاعات عديدة بأسماء وعناوين مختلفة مثلاً أجور (الشوباجي) أي مرافق الإقطاع و(الوقاف) أي ثمن القهوة والشاي والذبائح ... الخ من القطوعات ، وفي نهاية المطاف لا يبقى للفلاح ما يسد به رمقَ ([8]) .

---

(١) فرانسوا لونورمان ، الحوادث الأخيرة في سورية ١٨٦٠ ، ترجمة الياس بولاد ، (باريس – ٢٠٠٥) ، ص ص ٢٨-٢٩.

(٢) في عام ١٨٦٠ كانت معامل الحرير تحتوي على (٦٢٥) خلقينا تنتج سنوياً حوالي (٣٠) الف كلغ من الحرير الذي يضاهي الحرير الفرنسي والصيني في جودته ، وذلك يمثل حوالي (٣٦٠٠٠٠) كلغ من الشرانق تقريباً . ينظر : Dominique Chevalier L socite du Mont –Libar , Tese Paris 1971 Librairie Orientaliste, Paul Gauther p.221 .

(٣) رنده عبد الوهاب الكيالي، الأمريكيون العرب، ترجمة محمود برهوم ورغدة عزيزية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت -٢٠٠٧) ، ص ٥٦ .

(٤) بدر الدين السباعي ، أضواء على الرأسمال الأجنبي في سوريا ١٨٥٠- ١٩٥٨ ، دار الجماهير ، (دمشق - ١٩٦٧) ، ص١٩.

(5) Vital cuinet " Syrie Liban et Palestine, geographie administrative paris 1886-1901.p. 56.

(٦) فلاديمير لوتسكي ، المصدر السابق ، ص١٥ .

(٧) إبراهيم علي طرخان ، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، (القاهرة – ١٩٦٨) ، ص ١٣ .

(٨) ملحم قربان ، تاريخ لبنان السياسي الحديث ، ج١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، (بيروت - ١٩٨١) ، ص٦٦ .

يبدو أن بولياك كان واثقاً تمام الثقة من سيادة القنانة في ظل الواقع الإقطاعي العثماني آنذاك فهو يقول : **" العبودية كلمة يتردد صداها في جميع الأنظمة الإقطاعية التي مررنا بها ،كان الفلاح عبداً يأتمر بأمر أسياده الإقطاعيين ، فالسيد يحكم بأمر السلطان ويستبد بأذن الإقطاعية والعبد يأتمر ولو مظلوماً دون إن يفوه ببنت شفة دون إن يحق له يوماً إن يرفع أمره شاكياً ما به إلى السلطات الإدارية العليا "** (١) .

كان وضع الفلاح في بلاد الشام خلال العهد العثماني مزرياً ، وقد وصف أحد الكتاب ذلك الوضع بالقول : **" أن كل شيء في حياة الفلاحين كان يوحي بالبؤس المدقع الموروث من زمن طويل ، و من النادر أن تجد قرية سليمة لأن الأطلال كانت منتشرة في كل مكان "** (٢) .

سادت الفوضى واختل الأمن وانتشر الفساد وخربت القرى وهجرها السكان وتلفت النفوس وبارت الزراعة ، وداهم البلاد الفقر وعم البؤس والشقاء (٣)، وتدهور وضع الفلاحين وصاروا أحياناً شبه أقنان لسادتهم المباشرين ، فليس لهم ترك القرية إلا لفترة محدودة ، وبأذن من السيد ولهذا الأخير إعادتهم بالقوة وفرض أية عقوبة يراها وليس للفلاح إن يشتكي على سيده (٤) .

وهكذا يبدو واضحاً إن القنانة كانت حالة حقيقية تدنى إليها الفلاحون في بلاد الشام إبان العهد العثماني ، وفي أحسن الأحوال فأنهم استمروا على وضعهم السابق في عهد المماليك مما يؤكد بأن العهد العثماني لم يقدم شيئاً جديداً ويقول لوتسكي في هذا المعنى : **" كان نصيب الفلاح العربي يتمثل مجتمعاً بالمجاعة والعمل الشاق ونظام السخرة وكثرة الضرائب والفرائض ويربطه بالأرض وانعدام الحقوق وتهكم الإقطاعي وخدمه "** (٥) .

يمكن القول أن الفلاح كان يفقد حقوق التصرف بأرضه الصغيرة في حالة عدم وفائه بواجباته نحو الإقطاعي ، وهي عدم التخلف عن بذر البذور في أي جزء من الأرض المخصصة لأداء العمل فيها لمدة تزيد عن عامين متتاليين ، وما لم يكن قادراً على دفع (رسم تقصير) لقاء إخلاله بتلك الواجبات (٦) .

ويبدو أن الهجرة أمراً طبيعياً ناجماً عن الإخلال بالواجبات وتعدد الضرائب والرسوم على الفلاحين الذين ينتفعون من حيازات صغيرة والفلاحين لا يملكون حقوقاً تصرفيه مرتبطين بالأرض من المسلمين وغير المسلمين على السواء ، فهاجروا يفتشون عن ظروف عمل أرحب ، وعن بلاد أوسع ، فوجدوا في مصر ضالتهم .

---

(١) بولياك . أ . ن ، الإقطاعية في مصر وسورية وفلسطين ولبنان ، ترجمة ، عاطف كرم ، (بيروت – ١٩٤٨) ، ص ١٧٣ .
(٢) فلاديمير لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ٣٣
(٣) محمد سعيد الطريحي ، معالم الشام وإعلامها ، تاريخ التشيع في بلاد الشام ، الجزء الثالث ، دار الرافدين ، (الكوفة ـ ٢٠١٠) ، ص٣٤٥ .
(٤) عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط ٣، دار الطليعة ، (بيروت -١٩٨٠) ، ص ١٢١.
(٥) فلاديمير لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ١٨.
(٦) هملتون جب وهارولد باروون ، المجتمع الأسلامي والغرب ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف، (القاهرة – ١٩٧١) ، ص ٦٤ .

طرأت تغييرات جذرية على ملكية الأرض وفق نظام الطابو عام ١٨٧٢ وكان من شأن كل هذه التحولات والتغيرات أن تنعكس، وبشدة على الواقع الزراعي في الدولة العثمانية ، إذ أحدثت حسب وصف المؤرخ التركي كمال كإربات (ثورة مصغرة) في الزراعة بعد أن اخذ الإنتاج الطبيعي بالاختفاء ويحل محله إنتاج سلعي من اجل السوق ، فأدى إلى ارتفاع سريع في قيمة الأرض ([1])، فارتفعت قيمة الأرض بنسبة (٧٥%)، وازداد ارتفاع أسعار الأرض تسارعا مع ازدياد الطلب على المنتجات الزراعية للدولة العثمانية ،فتحولت الأرض إلى سلعة مرغوبة تهافت الأقوياء للحصول عليها، ولاسيما المتنفذين والقادة العسكريين الذين لم يترددوا عن اللجوء إلى أسوأ الأساليب للحصول على أكبر مساحة من الأرض، بما في ذلك رشوة الموظفين، بل حتى تهديدهم ([2])، ووصلت الرغبة الجامحة في امتلاك الأرض إلى سلاطين الدولة العثمانية أنفسهم فامتلك السلطان عبد الحميد الثاني في داخل سوريا وحدها، خمسة عشر مليون دونم من الأراضي الخصبة شملت ما يقارب ١١١٤ قرية ([3]) .

نتج عن العملية أن سيطر الملاكين الكبار وأصحاب النفوذ على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية ([4])، وتكدست سندات ملكية الأراضي بأيديهم بعد أن تمكنوا من نهب المزيد من أراضي الفلاحين والتحكم بمسألة تسجيلها كملكيات خاصة واستثمارها بصورة فردية ([5]) .

أسهم افتتاح قناة السويس([6])، في وجه الملاحة البحرية عام ١٨٦٩ في تراجع اقتصاد بلاد الشام بشكل عام ، بعد تحول طرق تجارة الترانزيت ([7])، التي كانت تمر من موانئ الخليج العربي إلى العراق ثم تخترق بلاد الشام إلى الموانئ المطلة على البحر الأبيض المتوسط وقد

---

(1) A.D.Novichev, The Development Agriculture in Anatolia, "The Economic History of the Middle East 1800-1914", Ed.CharlesIssawi, U.S.A., 1966, PP.68-69.

(2) H.Gerber, The Social Origins of the Modern Middle East, London, 1982, P.112; Kemal H. Karpat, The Land Regime Social Structure and Modernization in the Ottoman Empire, "Beginnings of Modernization in the Middle East the Nineteenth Century", Ed. W.R.Polk and R.L.Chamber, U.S.A, 1968, P.87.

(٣) عبد الله حنا، القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان (١٨٢٠-١٩٢٠)، القسم الأول ، (بيروت- ١٩٧٥) ، ص٩٩.

(4) Kayyali .A. W . Palestine Amodern History .London , Third World Centre . p 12 .

(٥) ألكزاندر شولش ، تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦- ١٨٨٢ ، ترجمة كامل العسلي ، ط٢ ، دار الهدى ، (عمان- ١٩٩٠) ، ص ١٣٨.

(٦) تعد قناة السويس من أهم الممرات العالمية ،التي هي من صنع الإنسان ، ذلك لأنها تختصر الوقت الذي تتطلبه السفن للدوران حول رأس الرجاء الصالح إلى النصف ، كما توفر ٩٥٠٠ ميل من رحلة الذهاب والعودة معاً بين الخليج العربي وأمريكا الشمالية ، وكذلك تصل بين بحرين هامين هما البحر المتوسط شمالاً والبحر الأحمر جنوباً ، باشر العمل في حفر القناة عام ١٨٥٨م ، وأستمر احد عشر عاما ، وذلك بعد أن حصلت الشركة العالمية لقناة السويس The Company Universelle du Canal Maritime du Suez على امتياز من قبل السلطات المصرية ، وفي عام ١٨٦٩م افتتحت القناة رسمياً بعمق يأذن بمرور سفينة بغاطس قدره ٢٦ قدماً ، ويبلغ طول القناة نحو ١٠٥ أميال ومتوسط عرضها ١٩٧قدماً ، وتستغرق السفينة في اجتيازها في المعدل إحدى عشرة ساعة ، أي بسرعة مقدارها ٧١/٢ ميل في الساعة ، وبطاقة قصوى تبلغ ٦٨سفينة في اليوم ، وينبغي أن لا يزيد طول السفينة عن ٩٠٠ قدم تمشياً مع سلامة المرور . ينظر : : ssawi . C. Egypt in Revolution An Economic Analysis 1963 . p.212

(٧) **الترانزيت :** وهي تجارة البضائع التي تنقل من مكان إلى آخر عبر مدينة أو مرفأ أو أرض في إحدى الدول من غير أن تدفع عليها رسوم الدخول .-http://www.almaany.com/ar/dict/ar .

شكل هذا التحول هزة عنيفة تعرض لها الاقتصاد ، أدت إلى تراجع التجارة التقليدية وفقدان مصدر الدخل الذي يأتي من خلال تجارة الترانزيت ([1]) .

بعد انخفاض عدد الحجاج من الروم وغرب آسيا، الذين يمرون بدمشق للذهاب إلى الحجاز وأصبح معظمهم يركب البحر تخفيفاً من عناء السفر عبر الطريق البري ، وانحسرت التجارة الداخلية في حدود ضيقة، وأثر هذا الأمر على التجارة في موسم الحج وأصبحت لا تتعدى حد المستهلكات ، وأدى هذا إلى انتقال وهجرة الكثير من التجار الشوام إلى الإسكندرية والقاهرة ومدن قناة السويس لمتابعة نشاطهم التجاري ([2]) .

رافقت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨) إحداث عديدة في بلاد الشام ، كان لها أثرها في الهجرة ، وتمثلت هذه الأحداث في انتشار الفقر بسبب الحصار الذي فرضه الحلفاء على الطرق البحرية المؤدية إلى بلاد الشام ، فضلاً عن المجاعة التي أصابت المدن الجنوبية من سوريا ، والتي أخذت تفتك بالأهالي فتكاً ذريعاً سبب ذلك أن جميع محاصيل الحبوب جمعت للجيش العثماني والألماني وكان لجشع تجار الحبوب الأثر البالغ في قلة المواد الغذائية ولاسيما المواد المخزونة والمصنعة مما أدى إلى ارتفاع هائل في أسعارها ([3]) .

أما في جبل لبنان فقد تدهورت الأوضاع الاقتصادية بفعل التدابير التي اتخذتها السلطات العسكرية العثمانية ، فقد منعت نقل الحبوب على اختلاف أنواعها إلى جبل لبنان ، وبما أن الجبل لم يكن ينتج كفايته من الحبوب ويعتمد على البقاع وحوران وجوارها لتأمين حاجته ، فقد اختفت الحبوب من الأسواق وارتفعت أسعارها ارتفاعًا فاحشًا ،حتى بلغ ثمن رطل الخبز ليرة ذهبية ، فأخذ معدل الهجرة يتزايد بوتيرة أكبر لاسيما بعد تدهور الأوضاع الاقتصادية ([4]) .

حلّت في عام ١٩١٥ كارثة طبيعية بجبل لبنان فقد ظهرت أسراب الجراد الكثيفة في سماء الشام ، بما أن الدولة العثمانية لم تعمل على مكافحته قبل أن يتكاثر بعد أن صُرف اهتمام السلطات عن هذه الناحية بفعل نشوب الحرب العالمية الأولى ، فباض الجراد وفقّس وتكاثر دون عائق ، ثم زحف شمالاً ، ولمّا ظهر في سماء جبل لبنان ، حجب الشمس عن العيون عدّة أيام ولمّا حطت الأسراب على الأرض فتكت بالنباتات والمزروعات وتركت الأشجار عارية جرداء من غير ورق أو ثمر، ولم يلبث قسم كبير من هذه الأشجار أن يبس أو تعطّل عن الإنتاج مدة طويلة ، فحُرم جبل لبنان بسبب الجراد من معظم إنتاجه الزراعي طيلة سنوات الحرب ([5]) .

---

(١) عبد الكريم غرايبة ، سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠- ١٨٧٦ ، معهد الدراسات العربية ، (القاهرة – ١٩٦٢) ، ص ١٥٩.

(٢) محمد علي كرد ، خطط الشام ، ج٤ ، ط٢ ، ص ٢٥٠ .

(٣) زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، دار النهار، ط٣، (بيروت -١٩٧٩) ، ص١٢٠.

(٤) مصطفى بزي ، الهجرة والنزوح من لبنان خلال القرن العشرين ، دار المحجة البيضاء ، (بيروت – ٢٠٠٨) ، ص ٩٣ .

(٥) شفيق جحا وبهجت عثمان ومنير البعلبكي ، المصور في التاريخ ، ج ٨ ، دار العلم للملايين ، (بيروت- ١٩٧٢) ، ص ٤٥ .

أدى هذا الأمر إلى زيادة سعر قنطار القمح حتى بلغ الغلاء حداً أن الليرة الذهبية أصبحت لا تشترى بأكثر من بضعة كيلوات من الخبز وفي جبل عامل كان تأثير الجراد كبيراً على الأرض فقد قضى على الأخضر واليابس (١) .

زاد الأمر سوءاً ، إقدام السلطة العثمانية عام ١٩١٥ على إصدار الأوراق النقدية مكان النقد الذهبي بدون تغطية ذهبية ، واضطر الناس إلى صرف أموالهم الذهبية التي كانوا يذخرونها مقابل أوراق نقدية لا قيمة لها ، واحدث ذلك ركوداً في حركة البيع والشراء، مما افقد لبنان ثرواته وأفقره ونتج عن ذلك ضيق اقتصادي خانق ، دفع بالشوام إلى هجرة كثيفة (٢) .

بلغت الأزمة الاقتصادية ذروتها عام ١٩١٧، وتغيرت الحياة الاقتصادية اللبنانية تغيرًا جذرياً إذ اضطر الكثير من الشوام إلى التدثر بالأسمال البالية لستر أبدانهم ودرء البرد عنهم ، وعادوا إلى استعمال السرُج الفخّارية التي تُضاء بزيت الزيتون لتعذّر الحصول على المحروقات وصاروا يحمّصون الشعير ويصنعون منه القهوة عوضًا عن قهوة البن (٣) .

يبدو أن تدهور الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام، جاء نتيجة الاستبداد والاضطهاد العثماني، وظلم الإقطاع وانخفاض إنتاجية الأرض وتذبذب الإنتاج الزراعي، والديون الباهظة وجباية الضرائب التي أرهقت وأثقلت كاهل الفلاحين وانهيار أوجه النشاط الاقتصادي المحلي الثلاث الحرفية والزراعية والتجارية، وسلسة الإجراءات الداخلية هي من أسهمت في تحديد مسار حركة الهجرة ، وتسريع وتيرتها أو تراجعها أو ثباتها على ما هي عليه فهناك علاقة جدلية بين المسألتين ، فكلما كان الوضع الاقتصادي في بلاد الشام مستقراً فإن تيار الهجرة يتراجع ، وإذا ما تفاقم هذا الوضع فإن وتيرة الهجرة تزداد وتتسارع بشكل ملحوظ .

(١) شفيق جحا وبهجت عثمان ومنير البعلبكي المصدر السابق ، ص ٤٦.
(٢) مصطفى بزي ، المصدر السابق ، ص ٩٤ .
(٣) شفيق جحا وبهجت عثمان ومنير البعلبكي ، ج ٨ ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

المبحث الثالث : العوامل الاجتماعية :

حافظت الإدارة العثمانية في الأوضاع الاجتماعية العامة، على النظم المعمول سابقاً في عهد المماليك، بعد أن تمكنت من مد نفوذها على بلاد الشام في معظم المناطق، فأبقوا الحكم في أيدي الأسر المحلية، التي كانت تتمتع بامتيازات قديمة، وأبرزها أسر إسلامية لأن نسبة النصارى لم تعد كبيرة قياساً بعدد المسلمين في ذلك العهد، وذلك نتيجة الاضطهاد الذي لحق بهم تحت حكم المماليك، وهذا ما دفع الكثير منهم إلى اعتناق الإسلام طوعاً أو قسراً أو الهجرة إلى الخارج (١) .

اصبح المسيحيون العرب جزءاً من رعايا الدولة العثمانية، التي عاملتهم وفقاً لنظام الملة المستنبطة قواعـــــده من أحكام الشريعة الإسلامية، والمسيحيون العرب في بلاد الشام يقسم إلى العديد من الطوائف الدينية، أبرزها: الروم الأرثوذكس، الكاثوليك، الأرمن، الموارنة ، البروتستانت ، وأطلق العثمانيون على هذه الطوائف اسم (ملة) وعلى الشخص المسؤول عن إدارتها لقب (ميليت باشي)، وبالتالي كان على كل طائفة أن تخضع لرئيسها، كالبطريرك الذي أعطى سلطات واسعة في إدارة أملاك وأموال الكنائس والأديرة ، وهو ما أدى إلى اتساع نطاق إشرافه على شؤون الكنيسة ورعاياها الدينية والمدنية والاجتماعية والثقافية والقضائية (٢) .

فرضت الدولة العثمانية بعض القيود على أهل الذمة في بلاد الشام في الملبس وركوب الخيل والشهادة في المحاكم وبناء الكنائس ، وأشار المؤرخ اللبناني يوسف إبراهيم يزبك إلى ذلك بالقول : " لم يكن للمسيحيين حق المساواة بالمسلمين ، فلم يكن لهم أن يلبسوا لبسهم ، ولا يركبوا الخيل ولا يتقلدوا السلاح مثلهم وما كانت شهادتهم مقبولة لدى المحاكم ، وأن شاءت أحد الملل المسيحية بناء كنيسة أو ترميمها كان عليها أن يحصل على فرمان " (٣) .

أشارت الدراسات التي استندت إلى سجلات المحاكم الشرعية في حلب ودمشق وبيروت وطرابلس وغزة أن " التمييز بين المسلم وأهل الذمة في بلاد الشام خلال العهد العثماني لم يقتصر على الملبس والمأكل ، بل تجاوز الأمر في المعاملات الرسمية ، إلى ذكر الهوية الدينية لأهل الذمة ، وأن أسماء النصارى كانت تسبق بعبارة **" الذمي فلان بن فلان " أو "النصراني" كما أن اسم اليهودي كان يسبق بعبارة " اليهودي فلان بن فلان "** (٤) .

من الطريف أن نشير هنا إلى أجراء اتخذته السلطات العثمانية في عقود البيع والشراء حيث كان عقد البيع مثلًا يبدأ بهذه الصيغة **:" باع الهالك ابن الهالك جورج بن جرجيس من المكرم ساكن الجنان محمد بن عبد الله حصّته في العقار... "** (٥) .

---

(١) استيريو سأرجيريو ، المصدر السابق ، ص ٦٠٦.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٠٧ .
(٣) يوسف إبراهيم يزبك ، الجذور التاريخية للحرب اللبنانية من الفتح العثماني إلى بروز القضية اللبنانية ، دار نوفل ، (بيروت – ١٩٩٣) ، ص ٢٢ .
(٤) فاروق حبلص، الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد ١٥١٦، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية ، (بيروت – ٢٠٠١) ، ص٤٠٧ .
(٥) فاروق حبلص ، المصدر السابق ، ص ٤٠٧ .

يبدو واضحاً بأن التمايز بين أبناء المجتمع في بلاد الشام في المناطق الخاضعة للسيطرة العثمانية ، شكل ذريعة في " ظهور المسألة الشرقية منذ أواخر القرن الثامن عشر والتي أضحت نقطة محورية في التفكك التدريجي للدولة العثمانية ، وتحولاً بارزاً لمصير النصارى ، إذ اتخذت كل الدول الكبرى الأوربية ذريعة حماية النصارى للتدخل في شؤون الدولة العثمانية وتؤمن لنفسها نفوذاً وحصة اكبر في تقاسم ارث الرجل المريض " (١) .

يبدو إن الضعف الذي بلغته السلطنة العثمانية في القرن الثامن عشر سمح للدول الأوربية أن تتدخل أكثر في شؤونها الداخلية ، وأن يكون لها دور اكبر في الشأن السياسي عن طريق حماية الأقليات الدينية في السلطنة تمازجت بكثافة اكبر المصالح الاقتصادية والسياسية مع المصالح الدينية في القرن التاسع عشر الذي عرف بالعصر الذهبي للإرساليات الغربية ولا يمكن فهم وضع مسيحيي الشرق بما في ذلك الشوام في تلك المرحلة خارج أطار ما اصطلح على تسميته (بالمسألة الشرقية) .

أخذت بعض الدول الكبرى تلح على نصارى الشرق ، لكي يمنحوها امتياز رعايتهم وذلك لتأمين مناطق نفوذ لها في الشرق تحسباً لانهيار الدولة العثمانية وسقوطها ، وبلغ التنافس على أشده بين الدول الأوربية ، في أواسط القرن التاسع عشر، وهذا ما عبر عنه القنصل الفرنسي دي بنان (de la banane) ، حين كتب من بيروت قائلاً : " في هذا البلد لم يعد المحميون يسعون لنيل حظوة من يحميهم بل أضحى الحماة يتنافسون لنيل رضا المحميين " (٢) .

يتضح أن عدم الحماس الذي أظهره المسيحيون أحياناً في قبول حماية أوربية يعود إلى خبرتهم الطويلة والتجارب المريرة التي عاشوها وأدركوا فيها أن هذه الحماية التي أرادوها ضمانة لحريتهم وصيانة لكرامتهم، قد خيبت آمالهم حينما تجاهلت الدول وعودها في الدفاع عن مصالحهم لتؤمن مصالحها السياسية على حساب كرامة ومصير من تعهدت بحمايتهم .

ربما يفسر عدم حماس المسيحيين في قبول الحماية الأوربية يرجع بالدرجة الأساس إلى فرنسا التي كانت حامية الموارنة والكاثوليك عامةً في الإمبراطورية " ولم تلتزم بواجب الحماية في القرن التاسع عشر ، ودعمت حليفها محمد علي باشا في احتلاله بلاد الشام (١٨٣١- ١٨٤١) متجاهلة مطالب الشوام في رفض الاحتلال المصري والضرائب الباهظة التي فرضها إبراهيم باشا (٣) .

يبدو أن الاضطهاد الديني من تطبيق نظام (أهل الذمة) ، والتضييق على النصارى واليهود في ممارسة طقوسهم ومعتقداتهم الدينية وإلزامهم بارتداء زي معين ودفع الجزية وتأمين مساعدات لجيوش المسلمين ، وسريان الضعف الذي دب في جسد السلطة العثمانية ، والتنافس الذي بلغ أشده بين الدول الأوربية في منتصف القرن التاسع عشر، على حماية الأقليات الدينية في الدولة العثمانية الأمر الذي دفع بأعداد كبيرة من أبناء بلاد الشام ، ولاسيما النصارى منهم إلى

---

(1) Joseph AbouNohra, ((Genese de la dialectique entre entente intercommunautaire et Souverainete au Liban)), in Social Compass, XXX _4, 1988, p 441.
(**2**) Archives des Affaires EtrangeresFrancaises (A. A. E. F), Corresp.pol., BeyrouthRegistrell, fol 18 .
(3) A. A. E. F .,Registrell, Depeche de Bourree a Guizot, 22 Juin 1841 .

اتخاذ قرار الهجرة بحثاً عن بيئة أكثر قدرة على توفير الحياة الحرة الكريمة ، فكانت مصر من أولى الجهات التي هاجر إليها الشوام ، بعد أن وجدوا فيها هامش من الحرية ، والدولة الحديثة التي تنظر إلى رعاياها على أساس المواطنة القائمة على العدالة في الحقوق والواجبات .

الفتنة الكبرى عام ١٨٦٠ :

تعد الفتنة الطائفية بين الموارنة والدروز عام ١٨٦٠ ، مفصلاً تاريخياً مهماً أسهمت مساهمة فعالة في هجرة الشوام إلى مصر ، حيث شهدت بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إحداثاً جساماً بلغت ذروتها في ربيع عام ١٨٦٠ حينما اندلع أوار فتنة الستين الكبرى أو (مذابح الستين) أو (حركة الستين) بين الموارنة والدروز (١) .

بدأت الفتنة بخلاف بسيط على لعبة كُلّة بين ولدين درزي وماروني في بلدة بيت مري ، ثم اشترك في هذا الخصام أهل كل منهما ، وتحوّل الخصام إلى معركة دموية ، اشترك فيها أبناء الطائفتين من بيت مري ثم من سائر قرى المتن وفي ٢٢ أيار عام ١٨٦٠ أطلق جماعة مؤلفة من (١٠-١٢) مارونياً النار على فئة من الدروز عند بوابة بيروت ، الحادث كان بمثابة الشرارة التي أشعلت موجة من العنف اجتاحت جبل لبنان وسهل البقاع وجبل عامل ودمشق (٢) .

وفي غضون ثلاثة أيام ، من ٢٩ - ٣١ أيار عام ١٨٦٠ ، دمرت ما يقارب حوالي ٦٠ قرية في أطراف بيروت ولقي ٣٣ مسيحيًا و ٤٨ درزيًا مصرعهم ، وبحلول شهر حزيران كانت الاضطرابات قد انتشرت إلى القرى والبلدات المختلطة في جنوب لبنان وجبال لبنان الشرقية حتى صيدا ، وحاصبيا ، وراشيا ، ودير القمر وزحلة ، ودمشق ، وقام الفلاحون الدروز بمحاصرة الأديرة والإرساليات الكاثوليكية سواء الفرنسية أو اللبنانية، وحرقوها وقتلوا الرهبان(٣)، وقد قتل في دير القمر(٢٦٠٠) نسمة وفي جزين وجوارها قتل (١٥٠٠) نسمة وفي حاصبيا قتل من الروم الارثوذكس الف نسمة وبصورة بربرية ، من أصل مجموع سكانها الأرثوذكس البالغ ستة آلاف وفي راشيا قتل ثمانمائة نسمة (٤) .

ازدحمت الطرقات المؤدية من القرى إلى مدن الساحل بالهاربين ، فقتل دروز صيدا ما يقارب من ثلاثمائة لاجئ ماروني ، وكان عدد الضحايا الذين سقطوا خلال ثلاثة أشهر ، وفي بقعة قطرها بضعة أميال أثنى عشر إلف قتيل ، وكانت الخسارة في الأملاك تقدر بأربعة ملايين ليرة انكليزية ذهبية ، وقد وقعت الفتنة في موسم تربية دود الحرير ، ذلك الموسم الرئيسي في حياة الناس الاقتصادية ، ولم يقتصر الخراب والحريق على البيوت بل شمل الكنائس والأديرة (٥) .

---

(١) فيليب حتي ، تاريخ لبنان ، ص ٥٣١ .
(٢) فلاديمير لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ١٦٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٣ .
(4) Further Papers Relating to the Disturbances in Syria June 1860 (London- 1860), pp . 40 – 6 .
(٥) للمزيد من المعلومات ينظر الوثائق الرسمية التالية :
Correspondence Relating to the Affairs of Syria ,1860- 61 (London- 1860), De Testa , vol . VI , pp . 67- 101, Khazin, vol . II,pp.1 seq : Edward Driault , La Question d" Orient ,8thed . (Paris- 1921), pp. 194-5 Churchill , Druzes, pp. 123 seq : Riley ,

امتدت شرارة الفتنة من لبنان إلى ثورة دامية في دمشق ، وقد شجع أهل دمشق على الثورة ضد النصارى ، عدم معاقبة المجرمين في لبنان ، وتواطأ الموظفين الأتراك معهم ، فأحرق أهل دمشق حي النصارى ، وقد قتل ثلاثة إخوة من عائلة مسابكي المارونية عند مذبح الكنيسة الفرنسكانية حيث كانوا قد لجأوا هرباً من القتل ، وكانت الصورة المشرقة في الأحداث ، حماية أكثر من إلف نصراني من القتل من قبل الأمير عبد القادر الجزائري ، الذي لجأ إلى سوريا هرباً من الاحتلال الفرنسي للجزائر([1])، ولم تكن إجراءات الدولة العثمانية ومواقفها تنم عن صواب وحذق بل اتسمت مواقفها في كثير من الأحيان بالسلبية وعدم الاكتراث ([2]) .

أدت هذه الفتنة إلى قتل ما لا يقل عن خمسة عشر إلفاً من النصارى وتشريد نحو مئة إلف كما أن الدروز بدورهم قد خسروا ما يقارب من خمسة آلاف قتيل ، وقد دفعت تلك الإحداث التي ذهب ضحيتها آلاف من الجانبين الحاجة إلى التدخل لإيقاف المذابح ([3]) .

إما حالة للاجئين والهاربين من النصارى فقد تردت كثيراً ، فأنه فضلاً عن المجاعة التي إصابتهم، فقد انتشرت بين جموعهم إمراض فتاكة تنتقل بالعدوى كالتيفوس والتيفوئيد والزحار وغيرها من الإمراض التي أودت بحياة كثيرين ونساء كثيرات أخذن عنوة إلى حريم الرجال الذين سبوهن ، وأخريات بعن أولادهن بيع العبيد ([4]) .

نشرت صحيفة (نفير سورية) افتتاحية حول الفتنة الكبرى في عددها الأول الصادر في ٢٩ أيلول ١٨٦٠ ورد فيه : **(يا أبناء الوطن! إن الفضائع، والمنكرات التي ارتكبها أشقياؤنا هذه السنة ١٨٦٠ في ظرف مدة قصيرة ، وصلت أخبارها إلى أطراف المسكونة! يا أبناء الوطن! إنكم تشربون ماءً واحداً ، ولغتكم التي تتكلمون بها وأرضكم التي تطئونها، وعاداتكم جميعاً واحدة، فإذا كنتم لا تزالون إلى الآن سكارى من شرب دم إخوتكم في الوطن، أو طائشين من عظم المصائب فلا بد من أنكم عما ستسفيقون من هذه الغفلة، وتدركون معنى هذه النصائح وصالحكم العمومي)** ([5]) .

ذهب ضحية الحوادث الطائفية عام ١٨٦٠ ، حوالي (١٢) ألف مسيحي من لبنان وحوالي (٥٥٠) مسيحي من سوريا ، وهلك جوعاً حوالي أربعة آلاف وتشرد وهجر أكثر من مائة ألف ، كما قتل عدد كبير من الدروز ، ويبدو أن الحوادث الطائفية عام ١٨٦٠، كانت انتقام ورد فعل من قبل الدروز على الحوادث الطائفية التي خسروها ، وأصبح الدروز بعد عام ١٨٦٠ قوة مسلحة لا يستهان بها ([6]) .

---

pp.250 seq. Charies- Roux , France ,pp. 183- 6 : Souvenirs de Syrie (Paris – 1903) , pp. 32- 89 .

(**1**) ActaApoatollcaeSedis vol. XVLLL.(1926) , pp. 411-15.

(**2**) Miller ,The ottoman empire,andTssuccessore 1801-1927 (London-1966) p.301

(٣) كمال الصليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، (بيروت – ١٩٧٢) ، ص١١٥ .

(**4**) The World (New York, April ,23 , 1861 .

(٥) جريدة نفير سوريا (بيروت : التاسع والعشرون من أيلول ١٨٦٠) ، عدد ١ ، ص ١ .

(٦) شكري ، نصر الله ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

أضطر عدد كبير من الشوام إلى الهجرة ، التي أخذت بالنمو ، وبلغت أوجها بعد الحوادث الطائفية عام ١٨٦٠، وذكر بطرس البستاني في هذا الصدد ما نصه : " فما كادت تزهق أرواح السوريين في بلادهم حتى تهافت رهط منهم ولاسيما من التجار على تصفية إشغالهم وبيع عقاراتهم بأبخس الأثمان ، وطلقوا سوريا بتاتاً ، وأتوا فأقاموا في القطر المصري ورحل بعضهم إلى أوربا " ([1]) .

اعتقد البعض من المؤرخين ، أن أسباب الإحداث هي عوامل دينية " الغاية منها التطهير الأثني والعرقي من أجل أفراغ بلاد الشام من مكون أساسي هم النصارى، شاركت فيه الدولة العثمانية والكنيسة على حداً سواء " وأن الدولة العثمانية هي من أشعلت شرارة الفتنة الطائفية بين الموارنة والدروز عام ١٨٦٠ لكي يتخلصوا من الضغوط الأجنبية والامتيازات التي منحوها للأوربيين سابقاً ([2]) " وأن الإدارة العثمانية ، أتبعت سياسة (فرق تسد) بين الناس وإثارة الأحقاد الطائفية ، لتضرب بعضهم ببعض ، كما حصل في الفتن والثورات في بلاد الشام ، عام ١٨٤٠ وعام ١٨٤٥ وعام ١٨٦٠ بتحريض العثمانيين الدروز على الموارنة " بينما يرى المؤرخ الفرنسي (ثومان) (Thomin) " أن مذابح لبنان سنة ١٨٦٠ ترجع في أسبابها غير المباشرة إلى التنظيمات العثمانية " ([3]) .

عزا البعض الأحداث ، إلى مؤامرة سياسية غربية ذات دوافع اقتصادية حيث كانت دمشق ، قبيل العام ١٨٦٠ تشكّل أكبر مركز صناعي لإنتاج الحرير والاتجار به عالمياً إضافة إلى الصناعات النسيجية الأخرى ، ولكن في حوالي منتصف القرن التاسع عشر أصيبت دودة القز التي نستخرج منها خيوط الحرير بمرض خطير قضى عليها في أنحاء العالم في فرنسا والصين بشكل خاص ، وكانت فرنسا حينها تستورد نصف حاجة سوقها من الحرير الصيني كذلك تستورد كامل الكمية الفائضة من إنتاج ورشات الحرير الدمشقية بعد تلبية هذه الورشات لحاجة السوق السورية المحلية ، فوقع العالم في أزمة اقتصادية وارتفعت أسعار الحرير بشكل جنوني في السوق العالمية ([4]) .

ترى الدكتورة ريم منصور الأطرش أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة دمشق : " أن دودة القز في كل من سورية ولبنان ظلت سليمة مما فتح أعين الغرب ، وفرنسا بالذات كي تسعى من أجل الاستيلاء على أنتاجنا من الشرانق بأبخس الأثمان في سبيل تصنيع الحرير في الغرب وبيعه مرة أخرى لبلادنا بأعلى الأثمان ، وأن تآمر الغرب ، ممثّلاً بقناصل فرنسا وبريطانيا والنمسا ، مع السلطة العثمانية من أجل افتعال المذابح ضد صنّاع الحرير السوري لتهجيرهم وهم الذين كانوا ممسكين بصناعة الحرير وتجارته " كيف السبيل إلى ذلك ؟ ! " كان لا بدّ من ترهيب السوريين الذين يعملون في حلّ الحرير وحياكته وتجارته ، وهم كانوا في تلك

---

(١) بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، ط٣ ، مكتبة صادر ، (بيروت – ١٩٣٧) ، ص١٥١ .

(٢) شكري نصر الله ، تاريخ لبنان و اللبنانيين نظرة إلى الوراء ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، (بيروت-٢٠٠٦) ، ص ٤٠ .

(٣) محمد أنيس ،الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٦-١٩١٤) مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة ١٩٨٥، ص٨٤ .

(4) Les Routes de la soie, par François Pernot, edition Artémis – P. 185- 186 .

الآونة من مسيحيي الشوام ، وجعلِهم يتخلّون عن هذه الصناعة ويفرّون من سورية ! إذ إن الصناعات الحريرية تمركزت آنئذٍ في الحي المسيحي في مدينة دمشق وهو الحي الذي استُهدِف في طوشة عام ١٨٦٠ (١) .

وتؤكد ريم الأطرش :" بأموال من شركات الحرير الفرنسية وغيرها، تم تدمير دمشقيي القيمرية وهي الجزء الصناعي والتجاري الهام من الحي المسيحي في دمشق ، والتي كانت تدعى(الهند الصغرى) لِما فيها من حرير متنوّع قد لا يجد له المرء مثيلاً وكله من الصناعة السورية الفاخرة. وهكذا استُبيحَت القيمرية استباحة رهيبة : تدمير كامل للبنى التحتية وإحراق لورشات صناعة الحرير وذبح للحرفيين وللتجار العاملين في صناعة الحرير وسرقة لأموالهم وسبي لنسائهم وتفكيك لورشاتهم من أجل سرقتها ومن ثم إحلال الغرباء مكانهم وتحويل ورشهم فيما بعد إلى دكاكين صغيرة لتصريف بضائعهم وسلعهم بأموال من شركات الحرير الفرنسية وغيرها الأوربية " (٢) .

اعتبر البعض أن الامتيازات الأجنبية شجعت الأجانب على التدخل في شؤون رعايا الدولة العثمانية ، بموافقة سلاطينها وولاتها ، الأمر الذي جعل هذا التدخل يؤلب فئة على حساب فئة أخرى فوقفت فرنسا مع الكاثوليك والموارنة ووقفت بريطانيا مع البروتستانت والدروز ووقفت روسيا مع الأرثوذكس فأنقلب الشوام بعضهم ضد البعض الآخر وخاضوا حروباً أهلية دموية لإرضاء فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية الطامعة بأراضي الدولة العثمانية (٣) .

يتضح مما سبق أن المحرك الأساسي في الأحداث الطائفية بين الموارنة والدروز عام ١٨٦٠ كان العامل الاقتصادي، من خلال ضرب صناعة الحرير في بلاد الشام، لاسيما السورية واللبنانية، والتي كان بإمكانها السيطرة على تجارة الحرير العالمية بعد الأزمة الاقتصادية، وارتفاع أسعار الحرير في الأسواق العالمية، أي بعبارة أخرى، تمّ تخريب الاقتصاد السوري، وتمّ قتل خير الصناعيين وتهجيرهم وجعل الاقتصاد اقتصاداً مستهلكاً بعد أن كان منتِجاً ، وفتح السوق السورية على مصراعيها أمام البضائع الأجنبية، لقد تمّ القضاء على المنافِس الحقيقي للاقتصاد الغربي والاستحواذ على المادة الأولية الهامة وهي الحرير السوري .

بادرت الدولة العثمانية تحت ضغط الدول الكبرى إلى إقرار نظام جديد للحكم في لبنان يعرف بنظام (١٨٦١) جرى التوقيع عليه في الأستانة في ٩ حزيران عام ١٨٦١ من خلال دمج القائمقاميتين وجعلها متصرفية تتمتع بنظام حكم خاص عرفت باسم (متصرفية جبل لبنان)(٤)،

---

(١) ريم منصور الأطرش ، بحث " سورية بين طوشتين في منتصف القرن التاسع عشر والألفية الثالثة " ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، (باريس- ٢٠١١) ، ص ٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨ .
(٤) **متصرفية جبل لبنان :** نظام حكم أقرته الدولة العثمانية ، جرى التوقيع عليه في الأستانة في ٩ حزيران عام ١٨٦١ من خلال دمج القائمقاميتين وجعلها متصرفية تتمتع بنظام حكم خاص عرفت باسم (متصرفية جبل لبنان)، وقد جعل هذا النظام جبل لبنان منفصلاً من الناحية الإدارية ، تحت حكم متصرف أجنبي مسيحي عثماني غير تركي ، تعينه الدولة العثمانية ، بموافقة الدول الأوربية العظمى الست : بريطانيا وفرنسا وبروسيا وروسيا والنمسا وايطاليا ، وقد أستمر ذلك النظام حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية عام ١٩١٨ . للمزيد من التفاصيل ينظر : ماجد حمدان بهير، متصرفية جبل لبنان ١٨٦٠- ١٩١٤، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ .

بعد موافقة ممثلي حكومات الدول الأوربية الخمس([1])، وقد جرى تعديل عليه بعد ثلاث سنوات أي عام ١٨٦٤ وأصبح ميثاقاً عرف باسم (القانون الأساسي) وظل قائماً إلى أن عدل عام ١٩١٢) ([2]) .

لم ينج لبنان من عنجهية المتصرفين الأتراك ولا من فساد بعض هؤلاء المتصرفين وجشعهم في جمع المال من أي سبيل وأشتهر من بين هؤلاء المتصرفين واصف باشا ([3]) الذي شهد عهده انتشار الرشوة والفساد الإداري في عموم جبل لبنان ، ولاسيما بيع المناصب الحكومية ، وقد قال أحد الشعراء في واصف باشا حينما توفي :

قالوا قضى واصفاً وواراه الثرى فأجبتهم وأنا الخبير بذاته

رنوا الفلوس على بلاط ضريحه وأنا الكفيل لكم برد حياته ([4])

ولم تعمل حكومات المتصرفية شيئاً للحد من الهجرة ، ولم تقم بإحصاء عدد المهاجرين بحيث أنه لا يوجد تحديد دقيق لعددهم " وهناك نقص واضح في المعلومات الإحصائية الرسمية التي يمكن أن يعول عليها في كل بحث جاد ، وعليه فأن جميع الأرقام الواردة هي أرقام غير رسمية وتقريبية "([5]) ، وبلغ عدد المهاجرين " بين عامي ١٨٧٧و١٩١٤ إلى مصر ما يقارب من (٠٠٠، ١٠٠) مهاجراً " ([6]) ويتضح أن الهجرة كانت إلى مصر أوسع بكثير من الهجرة إلى أماكن أخرى مثل الأمريكيتين الشمالية والجنوبية وأوربا واستراليا وإفريقيا .

وصلت الهجرة ذروتها بين عام ١٩٠٠ و١٩١٤ ، حيث حدثت الحرب العالمية الأولى ويذكر " أن الذين هاجروا بين سنتي ١٨٦٠ و١٩٠٠ من لبنان حوالي ٠٠٠، ١٢٠ شخصاً أي على معدل ٣٠٠٠ شخصاً سنوياً ، وبلغت المهاجرة أعلى ذروتها في المدة بين عام ١٩٠٠ و١٩١٤ إذ بلغ عدد المهاجرين في السنة الواحدة ١٥٠٠٠ شخصاً " ([7]) .

---

(١) سوسن سليم إسماعيل ، الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية فتنة الشام أسبابها ونتائجها السياسية ١٨٦٠-١٨٦٤ ، ج١ (القاهرة – ١٩٨٦) ، ص ٤٠٣ . **كما ينظر: ملحق رقم (٤) نص القانون الأساسي أو كما عرف قديماً (بروتوكول سنة ١٨٦٤) .** ينظر : زاهية مصطفى قدورة ، تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، (بيروت- ١٩٦٧) ، ص ٣٠٠ .

(**2**) Stephen HemsleyLongrigg, Syria and Lebanon Under French Mandate, p.21 .

(٣) واصف باشا: ولد في البانيا عام ١٨٢٤، كاثوليكي المذهب، درس في روما، وتعلم اللغة الايطالية والفرنسية والانجليزية، سافر إلى الأستانة عام ١٨٤٤، تعلم اللغة التركية، عين متصرفاً على جبل لبنان عام١٨٨٣، توفي واصف باشا عام ١٨٩٢ . لمزيد من التفاصيل ينظر : لحد خاطر، عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١- ١٩١٨ ، (بيروت -١٩٦٧) ، ص ص ١٤١- ١٤٥ .

(٤) محمد عبد الرحمن برج ، المصدر السابق ، ص ٦٧ .

(٥) جهاد العقل ، الهجرة الحديثة من لبنان ١٨٦٠- ٢٠٠٠ ، (بيروت – ٢٠٠٥) ، ص ٤٩ .

(٦) ماهر الخير ، الاغتراب اللبناني ، مجلة الواقع ، العدد ٩ ، ١٩٩٥ ، ص ٨٧ .

(٧) سعيد حمادة ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

كان استمرار الهجرة مؤشراً لسوء الأوضاع الاجتماعية في بلاد الشام ولاسيما بعد الانقلاب العثماني، ففي عام ١٩١٢ أشارت صحيفة (بشير الشرق الأدنى) : " فمن بيروت وحدها كان يغادر حدود الوطن أسبوعياً ما يقارب الأربعين مواطناً ([1]) .

يرى الأب يوسف بصمحيان نائب بطريرك الأرمن الكاثوليك في الإسكندرية ، أن هناك عامل ثانوي وكان مؤثر في هجرة الشوام وهو **: " نجاح بعض الشوام في مجالات متنوعة على أرض مصر، فكان لنجاحهم صدى واسع في صفوف الشوام ، فهاجروا بأعداد كبيرة إلى وادي النيل أملاً بجمع الثروة والوصول إلى الشهرة الأدبية والفنية، وهكذا أضحت الهجرة واسعة النطاق ، لا مثيل لها من قبل ، حيث لم يبق في القرى والبلدات إلا غير القادرين على الهجرة "** ([2]).

يبدو أن سوء الأوضاع الاجتماعية، لاسيما انتشار الفقر والمجاعة، وتفشي الأمراض السارية والفتن الطائفية ، والضرائب التي أثقلت كاهل الناس، والاضطهاد الديني وفقدان الأمن والاستقرار وانتشار الفوضى، خلال العهد العثماني، فضلاً عن النتائج المأساوية للحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) كان له الأثر البالغ في ازدياد تيار الهجرة، واتساعه، ولم تنحصر الهجرة بفئة معينة، أو طائفة معينة، أو سن محدد، فالهجرة شملت معظم سكان بلاد الشام، والهجرة في الأصل ظاهرة اجتماعية ، وهناك من أطلق على تلك الظاهرة "عدوى الهجرة" إذ يرى البعض إن هجرة الشوام تحديداً، لم تكن وليدة القمع والاستبداد السياسي من قبل السلطة العثمانية آنذاك ربما ينطبق هذا الحال على النخبة المثقفة التي تقلق الدولة بآرائها الداعية إلى الحرية والعدالة الاجتماعية، والمساواة والديمقراطية، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نغفل صدى نجاح المهاجرين الأوائل في جمع الثروات، وإرسال الأموال، والبحث عن العيش الرغيد، والرفاهية، الذي كان له تأثير فعال وولد الغيرة في نفوس البعض، فضلاً عن حب المغامرة، والاطلاع، وربما جاء تسارع وتيرة الهجرة نتيجة نجاح رواد الأوائل من المهاجرين الذين جمعوا ثروات مادية ملموسة فرغبوا ذويهم، وأصدقائهم، ومعارفهم في خوض مغامرة الهجرة .

(١) مجلة البشير الأدنى ، لسنة ١٩١٢ ، العدد الثاني ، ص ٦٣ .
(٢) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٩٦ .

الفصل الثاني :- دوافع الهجرة من بلاد الشام إلى مصر :

المبحث الأول : الإصلاحات والتحديث في مصر :

نشأة حركة الإصلاحات، والتحديث في عهد محمد علي باشا انطلاقاً من حقائق التاريخ والجغرافية، والتراث المشترك، والتواصل الثقافي، والحضاري، والمصالح الاقتصادية المشتركة والرغبة في تطوير وتعزيز الموروث المشترك بين مصر، وجوارها الإقليمي، لاسيما بلاد الشام فشكلت تلك الركائز مجتمعة قاعدة بالغة الأهمية لبناء مشروع نهضوي تحديثي، انطلاقاً من أرض مصر كموقع جغرافي، وحضاري وتاريخي مميز بين القارات الثلاث أفريقيا، وآسيا، وأوربا وأن الإحاطة بموضوعات الإصلاح، والتحديث في مصر في جوانبها يتطلب أكثر من دراسة ونشير هنا باختصار شديد، إلى أبرز تلك الإصلاحات التي قام بها الخديوي إسماعيل (١٨٦٣ – ١٨٧٩) ، وانعكاساتها على هجرة الشوام إلى مصر .

كانت مصر من أولى الجهات التي هاجر إليها الشوام ، بعد أن وجدوا فيها الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي، وهامش الحرية النسبية التي أتاحها النهج الإصلاحي للدولة الخديوية التي قطعت شوطاً متقدماً في خطط التحديث، والإصلاح التي ابتدأت منذ عهد محمد علي باشا، واستمرت بعد تولي أبنائه من بعده (١) .

تعد إصلاحات الخديوي إسماعيل باشا نقلة نوعية في حياة المجتمع المصري في نهاية القرن التاسع عشر بعد أن شهدت مصر استقراراً سياسياً، طوال مدة حكمه الممتدة من عام إذ تمكن خلالها من تحقيق إنجازات عديدة في جميع ميادين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية أسهمت في إرساء أسس قيّمة لتطور مصر في المستقبل، حتى عُدَ حكمه من أهم الفصول في تاريخ مصر، فأتم بذلك ما قد ارساه جده محمد علي باشا مؤسس مصر الحديثة (٢) .

أصدر إسماعيل باشا عدداً كبيراً من القرارات التي تشجع الهجرة إلى مصر للعمل والاستقرار الدائم فيها (٣)، فهاجر إلى مصر مئات العمال من بلاد الشام، وعمل معظمهم في صناعة القطن والصوف والحرير، التي بدأت بالظهور منذ عام ١٨٦٦ بعد أزمة صناعة الحرير في الشام بصورة حادة بسبب كساد تجارتها، وقلة أرباحها، وتذبذب أتناجها مما أفقد الاقتصاد في بلاد الشام أهم موارده (٤) .

أخذ العمال الشوام يفدون بكثرة إلى مصر، منجذبين بالأسطورة التي كانت تدور حول شخص إسماعيل باشا، وشكل هؤلاء المهاجرون، بعد مدة من الزمن جاليات تضم الآلاف مؤلفة بشكل

---

(١) ماهر محمد سعيد درويش، المصدر السابق ، ص١ .
(٢) ز. ي . هر شلاغ ، المصدر السابق ، ص١٠٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .
(٤) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٣٨٧ .

خاص من الشوام، ومن هذا الاحتياطي البشري المجدد الفعال سرعان ما ظهر معلمون، وعمال متخصصون في معامل نسج القطن، والصوف، والحرير (١) .

أصبح عدد المدارس الأجنبية يفوق عدد المدارس الحكومية التي أنشأتها الحكومة في فترات من حكمها؛ ففي عام ١٨٧٥ كان عدد المدارس الأجنبية ٩٣ مدرسة، بها ٨٩١٦ تلميذًا وتلميذة، بينما كان عدد المدارس الحكومية ٣٦ مدرسة، بها ٤٨٧٨ تلميذًا وتلميذة وفي عام ١٨٨٧ كان عدد المدارس الحكومية ٤٠ مدرسة كان عدد الطلاب فيها ٥٥٠٠ طالب، بينما كان عدد المدارس الأجنبية ١٩١ مدرسة، كان عدد الطلاب فيها ٢٢٧٦٤ طالب (٢) .

ربط البعض من المؤرخين هجرة الشوام إلى مصر بالتطور الديمقراطي الذي أدى إلى تأسيس مجلس شورى النواب في مصر عام ١٨٦٦، كامتداد وتعميق للتحولات التي عرفها المجتمع المصري ويبرر ذلك بتأكيدهم **: " إن تحطيم المماليك كطبقة ، وزوال الالتزام ، وتحول الإنتاج الزراعي من إنتاج للاستثمار المحلي ، إلى إنتاج السلع المصدرة كالقطن فتح الباب واسعاً نحو تحول مصر من الإقطاع إلى الرأسمالية ، وقد دعم هذا التحول بعد ذلك انتقال علاقة الفرد بالأرض من حق الانتفاع إلى حق التصرف ، ثم ظهور الملكية الفردية للأرض ، مما زعزع مبدأ نظام ملكية الدولة للأرض وفتح الطريق لبدء الاستقلال الرأسمالي للأرض، وقد ساهم التحول الرأسمالي في البلاد في هجرة الشوام، وتكوين طبقة برجوازية ناشئة، لم تلبث أن سعت إلى القيام بدور نشط في الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية "** (٣) .

تأثر الخديوي إسماعيل بمظاهر الحياة الأوربية، لما اكتسبه من تدريب، وتعليم وتربية أوربية حديثة، وما شاهده من حفلات الأوبرا، والمسرح في فينا عاصمة إمبراطورية النمسا أثناء بعثته الأولى، وذكر بهذا الصدد ما نصه **: " أن مصر أصبحت قطعة من أوروبا، وعلى الأدب المصري أن يعبر عن استقلاله عن التقاليد الآسيوية والإفريقية "**(٤)، كما عاصر تطبيقات الديمقراطية المحددة والمختلطة بضروب الحرية بباريس عاصمة فرنسا، لذلك حاول نقل مظاهر الحضارة الأوربية إلى مصر (٥) .

عمل الخديوي إسماعيل بدوره على استقطاب المثقفين، والمتعلمين من مختلف الجنسيات إلى مصر للمساهمة في تنفيذ برامج الإصلاح، والتحديث الذي سعى من خلاله إلى بناء دولة عصرية تحاكي النموذج الأوربي في مختلف جوانبها الإدارية والسياسية والاقتصادية والثقافية(٦)، واراد أن جعل مصر، قطعة من أوربا، ورفع شعار**: " لم تعد مصر جزءاً من إفريقيا ، بل باتت الآن قطعة من أوربا "**، وتحولت البلاد فعلا إلى قطعة من أوربا في مظهرها الحضاري ، وعهد إلى المهندس الفرنسي جورج هاو سمان رئيس بلدية باريس أن يخطط القاهرة مثلما خطط العاصمة الفرنسية من قبل، كما عهد إلى المهندس المصري علي مبارك بعمل الرسومات ومباشرة تنفيذ

---

(1) MoustaphaSabry , L, empire egyptien Sous Mohammed Ali et La question d, orient ,Paris, 1930 .p 79 .

(٢) حسن فقي ، التاريخ الثقافي للتعليم في مصر ، دار المعارف بمصر،(القاهرة- ١٩٧١) ، ص ٥٦٣ .

(٣) فاروق أبو زيد، عصر التنوير العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (القاهرة – ١٩٧٨) ، ص ٧٦ .

(٤) جب هاملتون ، "دراسات في حضارة الإسلام" ، ص ص ٣٢٠ – ٣٢١ .

(٥) حسين كفافى ، المصدر السابق ، ص ٢٧.

(٦) المصدر نفسه ، ص ١ .

المشروع، وأعاد المهندسان تخطيط القاهرة من مناطق ثلاث، أو مرتكزات ثلاثة : هي حدائق الأزبكية، قصر عابدين، ميدان زينب، وحرص التحديث على أن تحتفظ القاهرة القديمة بملامحها الإسلامية ([1]) .

تجاوز الخديوي إسماعيل في دعوته بأن تصبح مصر قطعة من أوربا، فأعتبر أنها قطعة من الغرب جميعا وأن البحر المتوسط ليس إلا أداة وصل ([2])، ولم يكن غير ذلك في أي عصر من العصور، وقد محت مخترعات هذا العصر كل حاجز وحائل، فوجب التجديد عن طريق التصميم على انجازات يضع أساسها، ومشروعات جلية يقوم بتحقيقها، فضلاً عن ضروب الإصلاح في أنظمة الدولة التي يتبناها لإرساء دعائم في مختلف المجالات الحضارية، والثقافية التي تدعم النهضة المصرية ([3]) .

تحولت مصر إلى ملاذ آمن ورأي للعشرات من المثقفين العرب الفارين من البطش والاستبداد العثماني، لاسيما الشوام منهم، كما سمح إسماعيل لبعض الصحف المصرية أن تشير إلى نواحي السقم في بنية الرجل المريض ليمهد الرأي العام المصري لفكرة استقلال البلاد عن الدولة العثمانية من ناحية، وتهيئة الرأي العام الأوربي من ناحية أخرى ([4]) .

يبدو أن ازدياد الجالية الشامية في المجتمع المصري ، يعود إلى عهد الخديوي إسماعيل ، الذي كان ينشد السمة الأوربية فعين أعداداً كبيرة منهم في المناصب الإدارية، والحكومية الهامة لإتقانهم اللغات الأجنبية من ناحية، ولتمرسهم على أساليب الإدارة الأوربية من ناحية أخرى فضلاً عن اشتغال أفراد من الشوام بالسمسرة، والرهونات على القطن بين الفلاحين ([5]) .

يرى فاروق أبو زيد أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة القاهرة الأسباب الكامنة وراء هجرة الشوام إلى مصر دون سواها من الدول العربية **: " أن بعضها جغرافي كقرب مصر من بلاد الشام، وبعضها اقتصادي كتوفر الكسب، والعمل، وبعضها سياسي لوجود حكم مستقل فعلياً عن الخلافة العثمانية، وأن كان يعترف اسمياً بنوع من التبعية الشكلية لدولة الخلافة العثمانية "** ([6]) .

١ـ افتتاح قناة السويس :

كان لافتتاح قناة السويس للملاحة البحرية في عام ١٨٦٩ ، أثر واضح في التطورات الاقتصادية في مصر، وانعكست تلك التطورات على الوضع العام للمجتمع المصري، بالرغم من

---

(١) جمال بدوي، مصر من نافذة التاريخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة- ١٩٩٥)، ص ٩٥ .

(٢) وليس صحيحاً ذلك القول الشائع :(أن مصر جزء من البحر المتوسط) أول من دعا إليها الخديوي إسماعيل ، ولكن ظهور هذه النظرية قد سبق هذه الفترة التاريخية بزمن طويل، فلقد كان مفكرو البرجوازية الفرنسية، هم أول من جعل هذه الفكرة نظرية، وحاولوا أن يضعوها عن طريق الحملة الفرنسية، في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر موضع التطبيق . لمزيد من التفاصيل ينظر: عواطف عبد الرحمن ، مصر وفلسطين، العربي للنشر والتوزيع ، (القاهرة -١٩٨٩) ، ص ٣٨ .

(٣) حسين كفافى ، المصدر السابق ، ٢٧.

(٤) احمد شفيق باشا ، مذكراتي في نصف قرن ، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة- ١٩٩٥) ، ص ٥٨ .

(٥) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٣٨٦ .

(٦) فاروق أبو زيد ، المصدر السابق ، ص ٧٦.

مشكلة القروض والديون وما نتج عنها من تشكيل لجنة الدين العام الأوربية، وأسهمت شركة قناة السويس في إدخال الآلاف من الشوام، فكان يصل إلى مدن القناة الثلاث، بورسعيد والإسماعيلية والسويس أعداد متواصلة منهم غالبيتهم لا يحملون جواز سفر أو تذاكر مرور وأنشأوا لأنفسهم جاليات هائلة (١) .

افتتاح القناة فتح الباب على مصراعيه إمام الهجرة الكبرى للشوام إلى مصر، وذلك لأسباب متعددة أبرزها ثقافتهم ولغاتهم المزدوجة بين العربية والأوربية، فضلاً عن العامل الاقتصادي المتمثل في نقل الحرير الصيني والهندي عبر قناة السويس أضعف استيراد فرنسا من حرير لبنان بسبب الفارق الكبير في الأسعار فكسدت صناعة وتجارة الحرير في جبل لبنان، الأمر الذي دفع قسم كبير من الشوام إلى الهجرة صوب مصر(٢)، فكان الشوام السباقين للاستفادة الاقتصادية، ومتابعة حركة الرساميل التي تعبر سنويا قناة السويس، ويمكن جمع ثروات كبيرة عبر الوساطة لها، وتسويق التجارة المرتبطة بها (٣) .

٢ - دور الأزهـــر(٤) :

يكفي الباحث أن يدرك ضخامة العلاقات بينهما من خلال الكم الهائل من الوثائق والمصادر التي أطلع عليها، لاسيما ما يتعلق منها بالأزهر، والتي تبين أن الأزهر شكل عامل جذب آخر في هجرة الشوام الى مصر .

بلا أدنى شك سوف نقف على سلسلة كبيرة، ومتصلة الحلقات من المثقفين الشوام الذين تلقوا تعليمهم بالأزهر حيث تصدى بعضهم للتدريس والإفتاء بالجامع الأزهر، بعد أن أجيزوا من علمائه ونعتوا بأنهم **(من أعيان أهل الإفادة والإفتاء بالجامع الأزهر)**، بل أن هناك علماء من الشوام جمعوا بين وظيفتي التدريس، والإفتاء في الوقت نفسه مثل الشيخ حسن المقدسي الحنفي فقد ذكرت الوثائق أنه كان **" من أعيان الإفادة والإفتاء والتدريس بالجامع الأزهر" (٥) .**

كان للشوام رواقهم الخاص بهم في الجامع الأزهر عرف باسم (رواق الشوام)(٦)، وهذا الرواق أحد الأروقة العلمية، التي قاربت الأربعين رواقاً، وكانت مشيخة هذا الرواق، ونظارة أوقافه توكلان إلى احد علماء الشوام باختيارهم، بشرط أن يكون ممن يشتغلون بالتدريس في الجامع الأزهر" (٧) .

---

(١) حسين مؤنس وآخرون ، قناة السويس حقائق ووثائق، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة- ١٩٦٥) ص٢٩ .

(٢) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٢٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١١٢.

(٤) أول جامع أسس في القاهرة ، أنشأه جوهر الصقلي ، بأمر من الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وقد شرع ببنائه ٩٧٠ ، وأكمل بناءه في عام ٩٧٢ م . ينظر : محمود أبو العيون، الجامع الأزهر : نبذة في تاريخه ، مطبعة الأزهر، (القاهرة - ١٩٤٩) ، ص٧ .

(٥) أرشيف المحكمة الشرعية، محكمة القسمة العسكرية، سجل ١٧٥ ص ٢٤٢، وثيقة ٣٤٦ .

(٦) أنشأ (رواق الشوام) السلطان المملوكي قايتباي (١٤٦٨-١٤٩٦) في القرن الثامن عشر . لمزيد من التفاصيل ينظر : محمد عبد المنعم خفاجى ، الأزهر في ألف عام ، الجزء الثاني ، ط٢ ، عالم الكتب ، (القاهرة-١٩٨٨)، ص ٩٩- ١٠٠.

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ .

خصص هذا الرواق للطلبة المجاورين الوافدين من بلاد الشام، وهو أكبر أروقة الأزهر وأكثرها ازدحاماً بالطلبة، ويبلغ الجراية التي تصرف لهم كل يومين ثمانمائة وستة وخمسين رغيفاً وقد بلغ الخبز الذي يورد إلى الطلاب الشوام في اليوم الواحد مائة رغيف من الخبز ([1])، وفي هذا دلالة على كثرة إعداد الطلاب الشوام في هذا الرواق **" كانت تصرف لهؤلاء الطلاب مرتبات نقدية في أول كل شهر هجري ، فضلاً عن وجود خزانة كتب يشرف عليها قيم وبلغ عدد محتوياتها (٢١٠٠) مجلد، وصنابير وخليه للتعبد ومطبخ وكاتب وبواب وسقاء "** ([2]) .

ذكرت الوثائق أن **" الشيخ الأمام العلامة الهمام شهاب الملة والدين مولانا الشيخ أحمد الفالوجي شيخ رواق السادة الشوام المجاورين بالجامع الأزهر (الشافعي) عين أعيان أهل الإفادة، والتدريس بالجامع الأزهـر([3])، والشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ عنبر الشامي شيخ رواق السادة الشوام بالجامع الأزهر"** ([4]) .

ويبدو أن الذي يتولى مشيخة رواق السادة الشوام، كان ولابد أن يكون شامياً دقيقاً وصادقاً، وقد كان رواق الشوام من أكبر أروقة الأزهر جميعها، وقد كان العلماء الشوام فريقين، أحدهما : ولد ونشأ وتعلم في مصر، ولكنه ظل يحتفظ بنسبه الى بلاد الشام، إبراهيم بن ابي بكر بن إسماعيل العوفي كان من أعيان الأفاضل له اليد الطولى في الفرائض، والحساب، مع التبحر في الفقه وغيره من العلوم الدينية، نشأ بمصر، وأخذ الفقه، والحديث عن شيوخ الأزهر ([5]) .

إما الفريق الثاني من هؤلاء العلماء، كان يأتي الى مصر للالتقاء بعلماء أزهرها، والأخذ عنهم في بعض العلوم، واجازتهم، وكانت مدة اقامتهم فيها لفترات قد تطول، وقد تقصر، حسب قدراتهم التي تمكنهم من الحصول على الإجازة المطلوبة مثل غرس الدين محمد بن أحمد الازدي ، وياسين بن محمد الخليلي، والعلامة شمس الدين حامد الشافعي، وغيرهم الكثير، واحياناً كان نفر من هذا الفريق يشتغل الى جانب طلبه العلم ببعض الأمور التي تمكنه من كسب العيش مثل إبراهيم بن علي بن أحمد علي السعدي الذي كان " يأكل من كسب يمينه "، ويتردد على القاهرة للتجارة ([6]) .

وهناك من هذا الفريق آثر الاستقرار بمصر، والاشتغال ببعض الأمور التي تدر عليهم بعض الرزق الذي يكفي لمعاشهم، مثل كتابة الحجج في المحكمة الشرعية، وغير ذلك حتى أن بعضهم استطاع التدرج في السلك القضائي حتى تولوا نيابة القضاء في مصر مثل القاضي السيد نجم الدين بن صالح بن احمد بن محمد بن صالح بن عبدالله الغزي ([7]) .

ذكر الجبرتي نجم الدين بن صالح الغزي أنه تولى : " نيابة أيبار بالمنوفية، ومرسومات بنظارات أوقاف، فأقام بأبيار قاضياً عشرون سنة، وهو يشتري نيابتها كل دور، وابتدع فيها الكشف على الاوقاف القديمة والمساجد الخربة التي بالولاية، وحساب الواضعين أيديهم على

---

(١) عبد العزيز الشناوي ، الأزهر جامع وجامعة ، مكتبة الأنجلو ، (القاهرة -٢٠١٣) ، ص٢٦٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥٠ .
(٣) أرشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ، ص ٣٣٥ ، وثيقة ٤٦٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ص٣، وثيقة ٥ .
(٥) محمد عبد المنعم خفاجى ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .
(٦) المحبي ، خلاصة الأثر في أعيان القرن التاسع عشر، (بيروت- د ت) ، ج١ ، ص ٣١ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٣١ .

أرزاقها، وأطيانها حتى جمع من ذلك اموالاً، ثم رجع الى القاهرة، واشترى داراً عظيمة بدرب قرمز بين القصرين وأشتهر أمره ، وركب الخيول المسومة، وصار من اعداد الوجهاء، ثم تولى نيابة القضاء بمصر ، فازدادت وجاهته وانتشر صيته في البلاد " (١) .

أما الفريق الذي عاد الى بلاده بعد اجازته في علوم الفقه ، والحديث ، والعربية ، فقد حمل رسالته في نشر ما تعلمه في بلاد الشام ، أو تولى مناصب الافتاء ، والتدريس ، أو نيابة القضاء في احدى محاكم بلاد الشام (٢) .

أشار محمد كُرد علي احد مثقفي الشام المهاجرين إلى صور الحياة الفكرية في القاهرة مطلع القرن العشرين ولقاءات مثقفيها فقال : **" دخلت مصر أول مرة سنة ١٩٠١ وحضرت دروس الشيخ محمد عبده في الرواق العباسي في الأزهر، وكنت اغشي مجلسه الخاص في داره بعين شمس مرة في الأسبوع ، وكان يوم الاستقبال في داره أعظم واسطة لمعرفة طبقات مختلفة من أعيان الأمة وعلمائها وقضاتها ورجال سياستها وغيرهم "** (٣) .

ويتضح لنا مما سبق ذكره وأن رواق الشوام بالأزهر، كان أحد الأروقة العلمية التي قاربت الأربعين رواقاً إبان العهد العثماني، وأن معظم العلماء الذين برزوا على المسرح الثقافي في بلاد الشام تلقوا علومهم في الأزهر، وأجيزوا على يد علماء مصريين في مختلف علوم الدين واللغة ، وظلوا على تواصل بأساتذتهم، والبعض الآخر حسنت لهم المعيشة فاستقروا في مصر، وتصدوا للتدريس في الازهر، وحازوا على مكانة عالية بين علماء عصرهم، واستطاع بعض هؤلاء العلماء أن يصلوا الى منصبي مشيخة الازهر، ورئاسة القضاء في مصر.

---

(١) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والاخبار ، ج٢ ، ص ١٢٧ .
(٢) أرشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ، ص ٢٤٢ ، وثيقة ٣٤٦ .
(٣) ز.ل. ليفين، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر، دار أبن خلدون ، (بيروت-١٩٧٨) ، ص٨١ .

المبحث الثاني : أثر الدعاية البريطانية في هجرة أهل الشام إلى مصر:

حاولت الدول الاوربية وفي مقدمتها بريطانيا، من خلال تحريض الأقليات غير المسلمة ضد الاكثرية واثارة مخاوفها من جهة واغرائها بتغذية اطماعها والانفصال من جهة اخرى، واضعاف الانتماء والولاء الوطني لديها، لتفتيت المجتمع وخلخلة تماسكه ليكون على الرغم من أن هجرة الشوام قد سبقت تاريخ الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢([1]) ، إلا أن ما يعنينا في هذا المبحث دور الدعاية البريطانية في التلويح بفكرة الحرية والديمقراطية التي لم تكن آنذاك بالأفكار التي يسعى إليها من يطلب التغيير والتحرر من الاستبداد، باعتبار أن الكثير من المصطلحات خلال القرن التاسع عشر، لم يكن قد ذاع صيتها وشاع استخدامها ولاسيما لفظتي الحرية والديمقراطية، لكننا نجد أن بريطانيا قد حققت الشيء الكثير من خلال الدعاية التي قدمتها بعد احتلالها مصر .

لوحت بريطانيا في بداية الأمر بفكرة الحرية والديمقراطية، وأن الفوضى السائدة في مصر كانت بسبب ارتباطها بالدولة العثمانية، وأن هذا الارتباط ساعد على انتشار الفساد والفوضى والرشوة والحكم الاستبدادي، وأن الانجليز يرغبون في إزالة ذلك الحجاب الكثيف من التعصب الديني لدى المصريين الذين يتمسكون برابطة الجامعة الإسلامية ([2]) .

فقد هاجم اللورد كرومر (Lord Cromer) ([3])، فكرة الجامعة الإسلامية، وصور المسلمين في صورة **" الهمج المتخلفين "**، وهاجم الإسلام، واتهمه بأنه دين رجعي لا يصلح لقيام نظام اجتماعي حديث، وزعم أن الانجليز ما جاءوا إلى مصر: **"إلا لرفع الظلم وإحياء العدل، وإنفاذ مصر من الإفلاس والخراب، وإقامة اقتصادها على أساس متين، ورفع الاستعباد عن الفلاح المصري المسلوبة إرادته والمستعبد من جانب الأتراك الشراكسة، وعدم التفرقة بين الناس على أساس الجنس أو الدين "** ([4]) .

---

(١) احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ بعد هزيمة أحمد عرابي في معركة التل الكبير وأصبح للخديوي توفيق (١٨٧٩-١٨٩٢) السلطة الشرعية بينما أصبح المعتمد البريطاني له السلطة الفعلية في مصر وأول معتمد بريطاني فيها إدوارد مالت (١٨٨٢-١٨٨٣) ثم السير أفلن بيرنج اللورد كرومر الذي أصبح الحاكم الفعلي لمصر (١٨٨٣-١٩٠٧) ثم الدون غورست (١٩٠٧-١٩١١) الذي خلفه عند وفاته اللورد كتشنر (١٩١١-١٩١٤) وأصبحت مصر تحت الحماية البريطانية المقنعة حيث أن بريطانيا لم تفرض الحماية آنذاك بشكل رسمي لأسباب دولية وداخلية . محمود زايد ، من أحمد عرابي إلى جمال عبد الناصر الحركة الوطنية المصرية الحديثة ، ط١ ، الدار المتحدة (بيروت- ١٩٧٣) ، ص١٦- ١٨ .

(2) G. Charmes," La situation de la Turquie, la Turquie, la du Califat et ses consequences" , in: Revue des deux Mondes, 47 (1881) p.745.

(٣) **اللورد كرومر:** إيفلين بارنج الذي حمل لقب لورد فعرف باللورد كرومر ولد في عام ١٨٤١، كان والده عضواً في مجلس العموم، بدأ حياته ضابطاً عام ١٨٥٨، ومن ثم أمين خاص لحاكم الهند البريطاني عام ١٨٧٢، عين بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢مندوباً سامياً لبريطانيا ومعتمداً لها، يعد كرومر من الذين وضعوا مخطط السياسة التي جرى عليها الاستعماريين في العالم ، اصدر عام ١٩٠٨ كتاب (مصر الحديثة)، وتمثل تقاريره التي يرفعها إلى بريطانيا عن أحوال مصر خطط عمل كاملة وشاملة لكل مرافق الدولة في مصر ، دعا إلى إطلاق الحرية للإرساليات والمبشرين في مصر والسودان والسماح لهم بإنشاء مدارس لهم . للمزيد من التفاصيل ينظر: ساري عبد الله شبيب الجنابي ، اللورد كرومر ودوره السياسي في مصر ١٨٤١ -١٩١٦، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٧ .

(4) Cromer Lord , Modern Egypt,(London – 1915) , VII , p 217 .

وأقتبس اللورد كرومر نبوءة قديمة تزعم " أن الرجل الانجليزي ، سيثبت قدميه في ضفاف النيل يوماً ما ، وينقلها إلى أرض الكنانة " (١) ، وأن هذه النبوءة قد " تحققت وأننا باقون لأداء رسالة السلام والمدنية في الأرض " (٢) .

كما دعم كرومر الارساليات التبشيرية البريطانية ، وشجّعها في طول البلاد وعرضها مانحًا إياها العديدَ من الامتيازات، وتكلَّل نشاطها بظهور صحف التبشير، وأغلب تلك الصحفِ اعتمدت في فريقِ تحريرها على النصارى من الشوام، وقد تسترت الارساليات التبشيرية في ذلك الوقت تحت مسميات مختلفةٍ فعلى سبيل المثال لا للحصر ستار أعمال الحفائر الأثرية (٣) .

ويمكننا أن نبين أثر الدعاية البريطانية في هجرة الشوام إلى مصر من خلال مواقف رواد النهضة العربية في أواخر القرن التاسع عشر، الذين طرحوا العلاقة مع الغرب طرحاً إشكالياً لا سيما أحمد فارس الشدياق الذي عاش في أوربا، وراقب حضارتها مراقبة دقيقة، ودونها في ملاحظاته بالقول : **" فقد لاحظت في الانجليز تسامحهم تجاه الغرباء، والمساواة والعدالة الاجتماعية بين جميع الناس في الحقوق، والواجبات، واحترام الاختلاف في الرأي والعقيدة ، ومعرفتهم قدر ذوي العلم، ووضع المرأة "** (٤) .

إما عبد الرحمن الكواكبي الذي ثار بوجه الاستبداد العثماني، ونادى بالديمقراطية الاجتماعية تأثراً منه بما كانت تموج به أوربا، من تيارات سياسية تنادي بالعدالة الاجتماعية إلى جانب الحريات الكواكبي، والذي عاش في ظل الإرهاب الحميدي، واكتوى بناره، وأن كتابه (طبائع الاستبداد) هو ثمرة من ثمار الالتقاء الفكري مع الغرب فقد ذكر**" أن الوعي مكتسب عن طريق الاتصال بالحضارة الغربية، وعن طريق أولئك الذين مهدوا للثورة الفرنسية "** (٥) .

وعدّ الكواكبي **" أن الوطن الحقيقي ليس الوطن الجغرافي، بل الوطن الذي يستنشق فيه الإنسان نسائم الحرية "** وأعطى مفهوم الحرية حيزاً بارزاً في مؤلفاته فقد ذكر في كتابه (أم القرى) قائلاً : **" لاشك أن الحرية أعز شيء على الإنسان بعد حياته، وأن بفقدانها تفقد الآمال وتبطل الأعمال، وتموت النفوس، وتتعطل الشرائع، وتختل القوانين "** (٦) .

ويمكن ان نجد أفكار الحرية والديمقراطية التي دعمها الاحتلال البريطاني قد وجدت لها آذان صاغية من خلال الحوار الذي دار بين رشيد رضا وبين عبد القادر القباني (٧) : "وكان قد

---

(١) اللورد كرومر، الثورة العرابية ، ترجمة عبد العزيز عرابي، الشركة العربية للطباعة والنشر ، (القاهرة – ١٩٥٨) ، ص ١١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١ .
(٣) خالد محمد نعيم، الجذور التاريخية لإرساليات التنصير الأجنبية في مصر (١٧٥٦ - ١٩٨٦): دراسة تاريخية ، المختار الإسلامي للنشر والتوزيع، (القاهرة – ١٩٨٨)، ص ١٣٩ .
(٤) كرم الحلو ، رؤيتنا للغرب نظرة نقدية ، مجلة العربي ، العدد ٥٨٨ ، تشرين الأول ٢٠٠٧ ، ص ١٨ .
(٥) محمود السمرة ، طبائع الاستبداد للكواكبي، مجلة العربي، العدد ١١٨ ، أيلول ١٩٦٨ ، ص ١٣٨.
(٦) عبد الرحمن الكواكبي الإعمال الكاملة ، محمد عمارة ، دار الشروق، (بيروت- ٢٠٠٧) ، ص ٨٦ .
(٧) عبد القادر القباني: ولد في بيروت عام ١٨٤٩وتنقل مع عائلته بين الحجاز والعراق ثم سورية وعاد إلى بيروت واستقر ودرس في الكتاتيب ، ثم في المدرسة الوطنية التي أسسها البستاني، وبعد انتهاء دراسته زاول العمل ، وكان أحد أعضاء" جمعية الفنون" هدفها نشر المعرفة، وأسس عام ١٨٧٨ مع بعض أصدقائه " جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية" في بيروت، واشرف على بناء المدرسة السلطانية وأصبح مديرها عام ١٨٨٠ ، ثم عضواً في المجلس البلدي لبيروت، ثم رئيساً لبلدية المدينة عام ١٨٩٨، وكان يترأس تحرير" ثمرات الفنون" توفي عام ١٩٣٥. فيليب طرازي، المصدر السابق، ج٢، ص ص ٩٩-١٠١ .

عرض على رضا بعدما عرف بهدف رحلته إلى مصر تولي رئاسة تحرير جريدته أجاب رشيد رضا على العرض : إن الحرية التي في بيروت لا تسعني ، فقال عبد القادر القباني : أو تريد أن تنتقد جلالة السلطان عبد الحميد الثاني أو تخوض في سياسته ؟ ويجيب رضا : أني أريد إصلاح الأخلاق والاجتماع والتربية والتعليم ، قال : إن لك أوسع الحرية في هذا فأجاب رشيد رضا : إذا أردت أن أكتب في فضيلة الصدق ومضار الكذب ومفاسده فأبين أن أكثر فشو الكذب في الأمم الحكم الاستبدادي ، أنتشر ذلك في جريدتكم ؟ فقال له القباني : لا عجل بالذهاب إلى مصر ولا تخبر أحداً " (١) .

أتخذ غالبية المفكرين الشوام، موقفاً مؤيداً للاحتلال البريطاني، بما يتناقض مع آرائهم المؤيدة للحرية والديمقراطية، فولي الدين يكن (٢)، الذي احتضنته بريطانيا، أصبح لا يذكرها إلا بكل خير، وأشاد بفضل اللورد كرومر ونعته أحسن النعوت، ودعاه مصلح مصر، وأبا المصريين المشفق، ووصفه بـــ (مصلح مصر) (٣) .

ذكر ولي الدين يكن في كتابه (المعلوم والمجهول) **: " لا أظن رجلاً يشفق على بنيه إشفاق اللورد كرومر على المصريين، فهو أبو حريتهم، ومصدر إنصافهم ، ومورد سعدهم إلا أنه يخدم من لا يحبونه "** ويخبرنا في الجزء الثاني من كتابه هذا عن تأثير ثنائه على اللورد كرومر في نفوس المصريين **: " نظر أناس في الجزء الأول من كتابي (المعلوم والمجهول) فرأوا صورة اللورد كرومر، وقد كتبت تحتها (مصلح مصر) فألقوا بالكتاب جانباً وأطبقوا جفونهم وولوا منه هاربين "** (٤) .

نجد أن الدعاية البريطانية في الحرية والديمقراطية قد (أتت أكلها)، من خلال ظهور فئة من الشوام حاولت أقناع المصريين بضرورة وجود الاحتلال البريطاني، ووصل الأمر بفارس نمر إلى وصف الاحتلال البريطاني لمصر **" بأنه اكبر نعمة "** (٥)، فيما امتدح شبلي شميل الاحتلال البريطاني بقوله : **" إن مصر تحت سيطرة الانجليز انتظم ريـها، واتسعت زراعتها وأثرى فلاحها، وصارت حياته ذات قيمة، وانتظمت ماليتها حتى صارت موضع ثقة العموم وبلغت الحرية فيها مبلغاً تفتحت له أبواب السجون "** (٦) .

غضت الإدارة البريطانية طرف البصر عن تطبيق قانون الصحافة العثماني الصادر عام ١٨٨١ ، والذي يلزم فتح مطبعة أو إصدار جريدة الحصول على أذن إداري مسبق، والى كفالة

---

(١) مارون عيسى الخوري ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .
(٢) ولي الدين يكن : من أصول شامية ، ولد في لآستانة عام ١٨٧٣، قدم إلى مصر وهو في الثالثة من عمره ، أولع بالشعر والصحافة منذ صباه، أنشأ جريدة (الاستقامة)، شغف بالسياسة، وكتب في التاريخ وله كتاب " المعلوم والمجهول " تناول فيه الاستبداد الحميدي ، وأعمال الوشاة والجواسيس، ومجازر الأرمن، وهجرة الشوام إلى مصر، توفي عام ١٩٢١ ودفن بالقاهرة . بطرس البستاني ، أدباء العرب، المصدر السابق ، ص ٤١٠- ٤١١
(٣) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٤١١ .
(٤) ولي الدين يكن ، المعلوم والمجهول ، الجزء الأول ، مطبعة الشعب ، (القاهرة - ١٩٠٩) ، ص ١٠٥ .
(٥) لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة - ١٩٦٢) ، ص ٢٦٧ .
(٦) رفعت السعيد ، ثلاثة لبنانيين في القاهرة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت- ١٩٧٣) ، ص ٤٦ .

مرتفعة تتراوح ما بين (٥٠ و١٠٠) ليرة باعتبار مصر جزء من السلطنة العثمانية، وكانت خاضعة للقوانين السائدة في الإمبراطورية ([1]) .

يبدو أن هذا القانون قد منح مساحة من الحرية إلى صحف الشوام أكثر بكثير من الحرية التي منحت للصحف المصرية ، فقد نشرت صحيفة المقطم مقالاً تحت عنوان(مصلحة مصر) جاء فيه : **" أن الإنجليز تجشموا هول الإقامة في مصر، لرفع الظلم والاستبداد اللاحق بالمصريين وأكدت " أن غرضها هو تأييد السياسة البريطانية ، التي لولاها ما كان في الشرق بلد يستطيع أحد أن يعيش فيه ويجاهر بآرائه وأقواله "** ([2]) .

شجعت فئة من مثقفي الشوام، فكرة القومية المصرية المنفصلة عن الدولة العثمانية والفكرة الإسلامية، وتكوين رأي عام يناصر هذا الاتجاه، ويمنع أي تدخل من جانب الدولة العثمانية في شؤون مصر، ومن أبرز هؤلاء سليم سركيس محرر صحيفة (البشير) الذي قال : **" لم أجد في حياتي، ولا قرأت في مطالعاتي عن امة تريد الانتقال من نور الاستقلال إلى ظلمات العبودية، إلا هذا القسم من الأمة المصرية، الذين يريدون التمسك بأذيال العرش "** ([3]) .

اتخذت بعض صحف الشوام موقف واضح وصريح من الاحتلال البريطاني لمصر، باستخدام تبريرات واهية لإقناع المصريين بإيجابيات الاحتلال، وضرورة بقائه، نقتطف من ذلك مقالاً نشرته صحيفة (المقطم) اكدت فيه : **" لم لا نتبع نهج أسلافنا، ونسأل الانكليز القادرين على الإصلاح شأننا أن يصلحوا ما فسد ، فإن قلتم إننا لا نسأل غير المصريين ، وأننا لا نريد أحد يأمرنا بأمر غير مصري أجبناكم : النبيان يوسف وموسى ليسا مصريين، وحكما البلاد وساساها، وأنقذاها من الويلات المجلوبة من غيرهم، فقوموا بأنفسكم وعالجوا هذا الداء واطلبوا من الانكليز المصادقة والخلاص "** ([4]) .

انتشر بين صفوف شباب مصر المثقف الأيمان بمبدأ الديمقراطية، وكان أكبر داعية لها أحمد لطفي السيد ([5])، رئيس حزب الأمة، الذي ظل ينادي بالتدرج في الإصلاح، ولا يرى بأسا في الاستفادة من سلطات الاحتلال البريطاني في ذلك حتى تنضج البلاد للاستقلال التام، أما الحزب

---

(١) كمال الصليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، ط٤ ، (بيروت – ١٩٧٨) ، ص ٥٧ .
(٢) فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة العربية ، ج٣ ، ص ٣٤ .
(٣) ز. ل . ليفين ، المصدر السابق ، ص٨٥ .
(٤) صحيفة (المقطم) ، خير مصر ، ١١ تشرين الثاني ١٩٠٨ ، ص ١ .
(٥) **احمد لطفي السيد:** رائد من رواد حركة النهضة والتنوير في مصر ، أطلق عليه لقب أستاذ الجيل وأبو الليبرالية المصرية، ولد في ١٥ حزيران عام ١٨٧٢ في قرية برقين ، مركز السنبلاوين بمحافظة الدقهلية وتخرج من مدرسة الحقوق سنة ١٨٩٤، تعرف أثناء دراسته على محمد عبده وتأثر بأفكاره، كما تأثر بملازمة الدين الأفغاني مدة في اسطنبول، وبقراءة كتب أرسطو ونقل بعضها إلى العربية عمل وزيرا للمعارف، ثم وزيراً للخارجية ثم نائبا لرئيس الوزراء في وزارة إسماعيل صدقي، ونائبا في مجلس الشيوخ المصري، وأسس حزب الأمة المصري صاحب شعار مصر للمصرين في ١٩٠٧حيث كان هدف الحزب الرئيسي هو "المطالبة بالاستقلال التام والدستور ورئيساً لمجمع اللغة العربية وأثناء عمله كرئيس للمجمع عرض عليه الضباط الأحرار في ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢أن يصبح رئيسا لمصر لكنه رفض كما عمل رئيسا لدار الكتب المصرية، ومديرا للجامعة المصرية، وأسس عدداً من المجامع اللغوية والجمعيات العلمية ، توفي أحمد لطفي السيد في عام ١٩٦٣ في القاهرة . حسين فوزي النجار، احمد لطفي السيد أستاذ الجيل، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة – ١٩٦٥) .

المناوئ له وهو الحزب الوطني بزعامة مصطفى كامل(١)، الذي كان ينادي بالجلاء الناجز لقوات الاحتلال، واستمرار الرابطة مع الدولة العثمانية، ونادى ايضاً بالدستور، والحياة البرلمانية (٢).

وبرز في صفوف النخب المثقفة في مصر من دعا إلى مهادنة المحتل بعد أن رأى إن الاحتلال أصبح أمراً واقعاً، وانه من الضروري اعتماد مبدأ المهادنة مع المحتل من اجل تحقيق المكاسب، وكان من بين هؤلاء الشيخ محمد عبده بعد عودته من منفاه سنة ١٨٨٨، وفلسفته في ذلك هي : **" إن الدولة المحتلة أقوى من مصر التي لا سند لها من الدول الأخرى، فان كان لا محيص من وجود المحتلين، فخير للمصريين الانتفاع بهم"** (٣).

كما أكد على : **" إن جلاء الإنكليز لا يأتي إلاّ عن طريق استنارة الشعب وفهمه لحقوقه وواجباته، وان مسالة مصر لا تحل بالمواجهة مع المحتل ، بل بالحالة الدولية العامة، والتفات الدول إلى إن مصلحتها في استقلال مصر "** (٤) .

موقف الشيخ محمد عبده في مهادنة الاحتلال، هو من دفع اللورد كرومر أن يأمر بعودته إلى مصر، عندما نفاه الخديوي توفيق إلى باريس بعد إخماد الثورة العرابية ، وقد قال : **"إن العفو صدر عن الشيخ محمد عبده بسبب الضغط البريطاني"** (٥) ، كما وصفه في أحد تقاريره بأنه : **" رجل ذو أفكار واسعة، يسلّم بالمفاسد التي نتجت عن طريق الحكومة الشرعية ويعترف بلزوم معاونة الأوربي لإصلاح مصر "** (٦)

أثنى اللورد كرومر على محمد عبده في كتابه ، وصف مصر بالقول : **" إن محمد عبده كان مؤسساً لمدرسة فكرية حديثة في مصر، وأن أهميته السياسية أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب والمسلمين، وأنه وتلاميذه خليقون بأن يقدم لهم كل عون، فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربي "**(٧) .

---

(١) **مصطفى كامل :** ولد في حي الصليبة التابع لقسم الخليفة بمدينة القاهرة ، في ١٤ آب ١٨٧٤ ، حصل على شهادة الحقوق من كلية تولوز بفرنسا عام ١٨٩٤، نشر مقالات في صحيفتي (الأهرام) و (المؤيد) يحث الرأي العام في مصر على الحرية والاستقلال، أنشأ صحيفة (اللواء) عام ١٩٠٠ ، وحمل على بريطانيا حملة عنيفة عقب حادثة دنشواي ١٩٠٦، أسس الحزب الوطني في مصر عام ١٩٠٧، توفي ١٠ شباط ١٩٠٨. عبد الحميد حجازي، الموسوعة الذهبية، دار الرأي العام، المجلد الرابع ، (القاهرة - ١٩٨٤) ، ص ٧ .

(٢)عبد الرحمن شاكر، القيم السياسية فوق رمال متحركة، مجلة العربي، العدد ٥٤٨ ، تموز ٢٠٠٤، ص ٢٢ .

(٣) أنور الجندي ، أعلام وأصحاب أقلام ، دار نهضة مصر، (القاهرة- د . ت) ، ص٣٩٠ .

(٤) احمد أمين ، المصدر السابق ، ص٤٥.

(٥) فتحي رضوان ، العمامة المتمردة : تتجه إلى الاعتدال ومهادنة الاحتلال ، مجلة الدوحة ، العدد ٨٤ ، كانون الثاني ١٩٨٢ ، ص ١٩ .

(٦) أنور الجندي ، المصدر السابق ، ص٣٩٣ .

(٧) سالم علي البهنساوي ، تهافت العلمانية في الصحافة المصرية ، دار الوفاء للطباعة ، (المنصورة – ١٩٩٠) ، ص ١٦ .

كما أشاد رشيد رضا بالتجربة الديمقراطية الأوربية في مجلة (المنار) قائلاً : **" نعم الشورى صيغة إسلامية، وهي أصل من أصول ديننا الحنيف، ولولا اختلاطنا بالأوربيين، لما تنبهنا لها في الحكم الديمقراطي، وأن كان هذا الأمر كان صريحاً وجلياً في القرآن الكريم "** (١) .

يبدو أن الاحتلال البريطاني، كان يرشح هذا الاتجاه الإسلامي التوفيقي ليكون ركيزة أساسية في الإصلاح، أي ركيزة تأسيس الدولة الحديثة التابعة، واللورد كرومر كان من أكثر رجالات الاحتلال البريطاني إدراكاً لأهمية هذا الاتجاه في بناء هذه الدولة في مصر، وكان يراهن على التيار الإسلامي المعتدل .

هذا الرهان الذي كشفه اللورد كرومر ، لاقي استجابة سريعة في مجلة (المنار) ، فيبادر رشيد رضا إلى عرض وجهة نظر اللورد كرومر في أحوال المسلمين ويستنتج (العبر) منها فيقول:**" وقد أدرك اللورد كرومر بصائب فكره أن هذا القسم هو الوسط الذي يرجى خيره بين المتنطعين في جمودهم والمتهتكين في تفرنجهم "** ويقارن بين اتجاه الشيخ محمد عبده في مصر واتجاه احمد خان(٢)، في الهند، وهي مقارنة يقتبسها من اللورد كرومر نفسه فيقول**: " أن مسلمي الهند لم يسبقوا مسلمي مصر إلى الاشتغال بالإصلاح، وإنما فاقوهم بمدرسة العلوم الكلية (مدرسة عليكده) التي أسسها احمد خان، وقد عزم الشيخ محمد عبده أن يؤسس في مصر مدرسة خيراً منها، لكن المنية عاجلته، ومات قبل وقته "** (٣) .

استفاد الشوام من حرية الصحافة التي اقتضت سياسة الاحتلال إطلاقها، وكان اللورد كرومر يقول **: " إذا وضعت الصمام على المرجل انفجر، أمّا إذا تركت البخار فان سلامة المرجل مضمونة "** (٤) فقد هيأت هذه الحرية الفرصة للشوام لإصدار صحف ومجلات عدة علمية، وقضائية، وزراعية، وأدبية، ودينية (٥) .

علل بعض المؤرخين نجاح تجربة الإصلاح في مصر، وإشاعة مفاهيم الحرية والديمقراطية أنها اتخذت مساراً مستقلاً ، بسبب " خصوصية مصر كولاية وخديوية ، ثم مستعمرة إنكليزية من جهة، فضلا عن استقلالية الأزهر عن المؤسسة الدينية العثمانية من جهة أخرى " (٦)، وما

---

(١) رشيد محمد رضا، " منافع الأوربيين ومضارهم " ، مجلة (المنار) ، السنة ١٠ ، العدد ٤ ، ١٩٠٧ ، ص ٨٣.

(٢) **أحمد خان :** ولد في دلهي بالهند عام ١٨١٧ ، من أكبر رجال الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، ومؤسس جامعة عليكرة بالهند نشأ في أسرة كان لها اتصال وثيق بالملوك المغول الذين حكموا الشبه القارة الهندية قبل الاحتلال البريطاني ، ألّف العديد من الكتب، ردّ فيها على بعض المغرضين من المستشرقين ودعا فيها إلى تجديد الفكر الإسلامي، وله آراء تفرد بها توفي عام ١٨٩٨. أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة- ١٩٤٧) .

(٣) مجلة المنار ، مجلد ٩ ، الجزء ٤ ، ٢٤ أيار ١٩٠٦ ، ص ٢٧٦-٢٨٨ .

(٤) أنور الجندي ، الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية ، مطبعة الرسالة ، (القاهرة- ١٩٦٢) ، ص٥٠ .

(٥) عواطف عبد الرحمن ، دراسات في الصحافة المصرية المعاصرة ، دار الفكر العربي ،(القاهرة – ١٩٨٥) ، ص٢٤ .

(٦) وجيه كوثراني ، الفقيه والسلطان جدلية الدين والسياسة ، وضاح للنشر ، (النجف الأشرف – ٢٠٠٧) ، ص ٨٧ .

يؤكد ذلك قول المؤرخ الإنجليزي أرنولد تُوينبي : **" أن مصر بدأت تتجه نحو الاصطباغ بالصبغة الأوروبية منذ أيام محمد علي باشا متفوقة بذلك على الدولة العثمانية "** (١) .

ويمكننا القول أن الدعاية البريطانية بإشاعة مفاهيم الحرية، والديمقراطية هي بمثابة وسائل اعتمدتها الإدارة البريطانية، لتعزيز فكرة هجرة الطبقة المثقفة من الشوام إلى مصر، فضلاً عن إنشاء الصحف والمجلات لهم، وتبني الشوام وجهة نظر الاحتلال البريطاني والدفاع عنها ، كان له الأثر الكبير في تعبئة الرأي العام ضد مساوئ الحكم العثماني، الأمر الذي خلق طبقة معارضة ضد الدولة العثمانية في محاولة لتفكيكها وإسقاطها من الداخل .

حركة الإرساليات التبشيرية :

منحت الدولة العثمانية الدول الأوربية امتيازات عديدة ، فاستغلت الدول هذه الامتيازات الممنوحة لها، وأصبحت تعدها حقوقاً، وراحت تعمل مع الأيام على جذب نصارى الدولة العثمانية إليها من خلال شملهم أيضاً بامتيازات، وحتى تتمكن تلك الدول من تحقيق أهدافها اعتمدت بشكل كبير على حركة الإرساليات التبشيرية ، وبلغ أوج نشاطها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (٢) .

تُعَدَّ بلاد الشام، مهد الديانة المسيحية، وموطناً للديار المقدسة المتعددة، وفي مقدمتها القدس، وكانت على اتصال دائم ومستمر مع الواقع الأوربي، ووجدت البعثات التبشيرية طريقها إلى بلاد الشام منذ منتصف القرن السابع عشر عند قدوم اليسوعيين إلى بلاد الشام من أجل ضم الكنيسة الشرقية الحلم الذي ظل يراود البابوية في روما، على الرغم من أن الشرق هو مهد الديانة المسيحية**" وإنّ المسيحيّة هي في النهاية ظاهرة شرقيّة لأنّها وُلدت في الشرق"** (٣) .

سعت جميع الإرساليات التبشيرية ، إلى جذب أبناء الطوائف الأخرى، وتحويلهم إلى مذهبها وبلغ التنافس على أشده ، فقد وفدت عام ١٨٢٠ إلى بيروت أولى بعثات التبشير الأمريكية وهي الإنجيلية البروتستانتية، وبدأت نشاطها في ظروف صعبة ولكن استقام لها الأمر بعد ذلك ولاسيما في عهد إبراهيم باشا الذي ساعد بعثات التبشير في لبنان على أداء رسالتها (٤) .

بدأت الإرساليات التبشيرية البروتستانتية الأمريكية ، بالتوافد على بلاد الشام ، ولاسيما لبنان وذلك " بسبب عدم وجود بروتستانت آنذاك في المنطقة "(٥)، واحتلت البعثات البروتستانتية الأمريكية موقع الصدارة في هذا المضمار، ففي عام ١٨٧٠ كان هناك ٢٠٥ مدرسة أمريكية في بلاد الشام تضم إجمالياً ٥٥٠ تلميذاً ، ارتفع الرقمان عام ١٨٨٥ إلى ٣٩٠٠ و١٣٨٠٠ على التوالي ، وعشية الحرب العالمية الأولى قفز عدد التلاميذ إلى ٣٤٣١٧ تلميذا موزعين على ٦٧٥ مدرسة (٦) .

---

(١) جب هاملتون وآخرون ، وجهة الإسلام ، ترجمة احسان عباس ، الهيئة المصرية العامة ، (القاهرة- ٢٠١١) ، ج١ ، ص ٤٣.

(٢) جهاد عيسى، مقاربة تاريخية اجتماعية لرعايا أبرشية طرابلس المارونية، (بيروت – ٢٠١٢)، ص ١٩٦ .

(3) Claude Lorieux, Chrétiensd'Orient en terresd'islam, Paris, Perrin, 2001,p. 10-12.

(4) Claude Lorieux,Op, Cit , p .13.

(٥) جورج أنطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(6) R.H.Davison, Westernized Education, P.291.

أخذت البعثات البروتستانتية الأمريكية ، في أنشاء المدارس ، ومن أشهرها الكلية السورية الإنجيلية ([1]) التي تأسست في بيروت عام ١٨٦٦ بكلية واحدة وستة عشر طالبا لتتسع عام ١٩٠٥ إلى أربع كليات ضمت في صفوفها ٧٥٠ طالباً ([2]) كما قاموا بإنشاء المدارس في عكار ، وكانت لهم السيطرة في تلك المنطقة ، الأمر الذي أثار حفيظة الإرساليات الفرنسية الذين قدموا إلى المنطقة ، وللحد من نشرهم لدعوتهم ([3]) .

أكدت فرنسا على قوة وجودها الثقافي في الدولة العثمانية، فاللغة الفرنسية كانت هي السائدة في العمل الدبلوماسي، وفي مجال الأعمال التجارية ، والأهم من ذلك في الحياة الثقافية ولها دور فاعل في نشر التعليم الحديث، من خلال تعاونها مع البعثات التبشيرية اليسوعية ([4]) والعازارية ([5])، فأسست كلية عينطورة عام ١٨٣٤ في لبنان ([6]) وجامعة القديس يوسف عام ١٨٨٢ في لبنان أيضا ([7]) ومدارس بمستويات مختلفة وصل عددها عشية الحرب العالمية الأولى حوالي خمسمائة مدرسة أرتادها نحو تسعين ألف تلميذ ([8]) .

وفي الوقت نفسه سعت الإرساليات التبشيرية الأرثوذكسية، ومعظمها روسية لجذب أبناء الطائفة الأرثوذكسية، وتثبيتهم في مواجهة نشاط الأخرى، ولاسيما الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية التي كانت تحاول جذب أبناء الطائفة الأرثوذكسية، وتحويلهم إلى المذهب الكاثوليكي وكان يطلق عليهم لقب (الهراطقة) ([9]) .

أما النشاط البريطاني في الإرساليات التبشيرية، فقد وصل عدد المدارس التي أنشأتها، إثر انتهاء العقد الأول من القرن العشرين، إلى ١٧٨ مدرسة ، إجمالي طلابها١٢٨٠٠، وبالإضافة

---

(١) في عام ١٩٢٠ غير أسمها إلى الجامعة الأمريكية في بيروت. ينظر: عبد الكريم غرايبة ، المصدر السابق ، ص١٧٢.

(٢) سحر عباس خضير، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه تركيا ١٩١٧- ١٩٢٣ دراسة تاريخية ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب- جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ ، ص ٥٧ .

(3) Ismail Adel , Documents diplomatiques et consulaires relatives a l'histoire du Liban Beyrouth , 1975 -1978 , T16 , pp. 310-311.

(٤) اليسوعية : جماعة كاثوليكية أسسها القديس الإسباني اجناس دي لويولا (Ignace de Loyola) عام ١٥٤٠، واتسع نشاطها ليمتد إلى مختلف بقاع العالم، ودخلوا الدولة العثمانية منذ مطلع القرن السابع عشر، لكن نشاطهم فيها لم يزدهر إلا في القرن التاسع عشر، إثر تعاونهم مع الحكومة الفرنسية . للمزيد من التفاصيل ينظر : طلال عتريسي، البعثات اليسوعية مهمة إعداد النخبة السياسية في لبنان (دراسة وثائقية) ، الوكالة العالمية للتوزيع ، (بيروت- ١٩٨٧) ، ص١٦٣.

(٥) العازارية: جماعة كاثوليكية أسسها القديس فنسنت دي بول (Vincent de Paul) عام ١٦٢٤، وأخذت اسمها من قرية العازرية شرقي القدس ، ويعود تاريخ نشاطها في الدولة العثمانية ، وفي بلاد الشام بالتحديد، إلى أواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر . طلال عتريسي ، المصدر السابق ، ص١٦١.

(٦) عبدالكريم غرايبة ، المصدر السابق ، ص١٧٣.

(٧) طلال عتريسي ، المصدر السابق ، ص١٢٩ ، عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، الجزء الأول ، (القاهرة - ١٩٨٠) ، ص١٠٠ .

(8) R.H.Davison, Op. Cit P.291.

(٩) هلا سليمان ، دور الإرساليات الأجنبية في طرابلس ١٨٠٠ – ١٩١٤ ، دار تريبوليس للنشر، (طرابلس – ٢٠٠٦) ، ص ٤٥ .

إلى ذلك كان هناك نشاط تعليمي لألمانيا وإيطاليا والنمسا، غلب عليه، لظروف كثيرة طابع المحدودية ([1]) .

ازدياد نشاط الإرساليات الأجنبية ، وجد جذوره لدى النخبة الإصلاحية الأولى في الشام فقد ذكر بطرس البستاني ([2])، في افتتاحية مجلته الجنان عام ١٨٧٦ **: " لا يخفى أن الأوروبيين جاءونا في بادئ الأمر بقوتين وهما : قوة تجارية وقوة دينية وانتشر الفريقان بيننا وأجهدوا أنفسهم في تغيير عاداتنا وقواتهم السياسية تعضدهم وتسعفهم لتصونهم من عواقب كرهنا لهم وليروجوا أشغالهم بنفع ممالكهم "**، كما أردف قائلاً **: " أما الكثرة من السكان فلم يجنوا أقل نفع بل أنفقوا أموالهم في سبيل الحصول على مقتنيات كانوا في غنى عنها ، أو كان بالإمكان الحصول عليها بواسطة صناعتهم التي أصبحت الآن في خبر كان ، فنشأ عن ذلك فقر عظيم ودخلت ربوعنا الشرقية عوائد مفسدة مضيعة للأموال ومضرة بالأبدان "** ([3]) .

بدأ الصراع والتنافس على أشده ، حتى داخل الإرساليات التبشيرية التي تنتمي إلى المذهب نفسه، فقد كانت كل إرسالية ممثلة للدولة التي تقدم الدعم لها، هذا الأمر يظهر جلياً من خلال تنافس الإرساليتين اليسوعية والكرملية، ففي عكار اتخذت الأولى مركزاً لها في قريتي (منجز) و(عندقت) أما الثانية فكان مركزها في بلدة (القبيات) ([4])، في تقرير مرسل من قنصل فرنسا في طرابلس (دي كوسو) (Ducousso) ، إلى القنصل العام الفرنسي في بيروت ، حول الاضطرابات الناشبة في عكار، يرد التعبير التالي **:" وبالرغم من تخلي مؤسسة الآباء الكرمليين في "القبيات" عن الوصاية الفرنسية ، إلا أننا لا زلنا نحتفظ بنفوذ كبير في هذه المنطقة بفضل الآباء اليسوعيين في منجز، وعندقت "** ([5]) .

بدأ التنافس على أشده بين اليسوعيين الكاثوليك من ناحية والإنجيليين البروتستانت من ناحية أخرى يظهر جلياً بصورة واضحة، ونظر الموارنة إلى البعثات البروتستانتية الأمريكية بعين الريبة والحذر وعدوا هؤلاء المبشرين البروتستانت زنادقة ضالين، وحذر بطريرك الموارنة يوسف حبيش أبناء الطائفة من الوقوع في شرك هؤلاء المبشرين، وأنذر من ينخدع فيهم وينقاد لهم بالحزم ، وقد اشتهر بطريرك الموارنة بالصرامة والحزم، وتعقب المخالفين، أو الخارجين عن طاعته ([6]) .

---

(١) طلال عتريسي ، المصدر السابق ، ص١٦١.

(٢) هناك من يطلق على بطرس البستاني، لقب المعلم الثالث على اعتبار أن ارسطو هو المعلم الأول لكونه المرجع الأكبر للعلم والفلسفة، والفارابي هو المعلم الثاني لإنجازاته المتميزة بالحكمة والفلسفة . لمزيد من التفاصيل ينظر : أنيس المقدسي ، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، (بيروت ــ ١٩٧٨) ، ص ١٩٠.

(٣) شفيق البقاعي ، أدب عصر النهضة ، دار العلم للملايين ، (بيروت- ١٩٩٠) ، ص١٠٣.

(٤) جهاد عيسى ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(5) Archives du ministere des affaires etrangeres de France , nouvelle serie , 1896 – 1914 , -Annexe a la dépêche du consulat general de France a Beyrouth , n . 125 , du December 1912 .

(٦) محمد عبد الغني حسن ، احمد فارس الشدياق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (القاهرة – ١٩٨٦) ، ص ٢٦ .

أصدر بطريرك الموارنة يوسف حبيش منشورين، حتم في الأول على أبناء طائفته بأن **:" لا أحد يقتني كتبهم أو يبيعها أو يشتريها أو يهبها أو يطالع بها أو يقرأ ، ولا بأية علة أو سبب ويمنع الاشتراك معهم بالصلاة ، والتعلم في مدارسهم أو مطالعة مؤلفاتهم ، وأن الذي يخالف ذلك سيقع تحت طائلة الجرم المشهود "** أما المنشور البطريكي الثاني حتم على جميع أبناء الطائفة المارونية ، أن يتجنبوا البروتستانت**" سواء بأمور الديانة ومتعلقاتها، وأن لا يتم مع هؤلاء الأشخاص لا بيع ولا شراء ولا قرض، ولا التعلم في مدارسهم وبأي لغة، ويمنع التردد عليهم ، ومن تجاسر على ذلك يسقط في الحرم الكبير"** (١) .

يعد التسلط الديني من العوامل التي ساهمت في هجرة الشوام، وقد إثارتنا في هذا الصدد حادثة اسعد فارس الشدياق(٢)، شقيق أحمد فارس الشدياق(٣)، وكان اسعد أحد ضحايا الإرساليات التبشيرية، بعد أن تحول من المارونية الكاثوليكية، وأعتنق الانجيلية البروتستانتية عن طريق الإرسالية الأمريكية، التي جاءت إلى لبنان بقصد التبشير، وأثار هذا التحول سخط البطريك الماروني (يوسف حبيش)، فاستدعاه ووبخه بشده وأنذره بالحرمان، والعقاب إن لم يعد لمذهبه، ولما أصر أسعد أمر البطريك بسجنه، حيث تعرض للاضطهاد، والعذاب جرياً على طرق محاكم التفتيش، وظل في السجن مدة ست سنوات لاقى خلالها ضروب الذل، والهوان والمرض ومات في السجن سنة ١٨٣٠، بعد أن قاسى أشد أنواع العذاب، وهو في ريعان الشباب عن عمرٍ لم يتجاوز الثانية والثلاثين عاماً، ولم يكن بمقدور أي كان الحيلولة دون هذه الفاجعة المؤلمة لأن الإدارة العثمانية لم تكن تعترف بشرعية الإرساليات التبشيرية ، كما لم يكن بمقدور هؤلاء المبشرين الوصول، إلى أقبية الدير الماروني (٤) .

ويبد أن الحادث ترك أثراً عميقاً في نفس شقيقه أحمد فارس الشدياق، فرأيناه يندد في كل مؤلفاته بالخلافات الطائفية، والخصومات الفكرية التي تؤرث العداوات وتولد الأحقاد، ويصور لنا في صورة ساخرة من الخلاف التافه الذي يصطرع الناس ويتخالفون عليه في مسائل صغيرة يكبرونها بوهمهم، ويعظمونها بتعصبهم لرأيهم كالخلاف على درجات السماء !! " فقال بعض :

---

(١) محمد عبد الغني حسن ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .

(٢) الشدياق : لقب كان في الأصل يطلق على (الشماسة) عند النصارى ، والشماس من رجال الدين أدنى من الكاهن بدرجة واحدة ، ثم أخذ القوم يتوسعون في استعماله حتى صار من ألقاب الشرف التي تطلق على كبار القوم من المتعلمين والكتاب الذين يرتفعون عن طبقة الأميين، وبيت الشدياق من البيوت القديمة في لبنان ، يرجع إلى القرن الخامس عشر . محمد عبد الغني حسن ، المصدر السابق ، ص ٣ .

(٣) **أحمد فارس الشدياق :** ولد في حارة الحدث بالقرب من بيروت ، عام ١٨٠١ ، تعلم في كتاب القرية ، وتدرج في اكتساب المعرفة ، وبرع في النساخة فاستدعاه الأمير حيدر الشهابي لينسخ له ما كان يجمعه من وثائق ومخطوطات لإخراج كتابه الذي طبع فيما بعد باسم (الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان)، نتيجة لظروف اقتصادية عمل بائعاً متجولاً، وتحول إلى المذهب البروتستانتي، هاجر إلى مصر عام ١٨٣٦، مكث في الإسكندرية، وغادر بعدها إلى مالطا حيث درس اللغة الانكليزية، وتعمق في دراسة البروتستانتية، ثم عاد إلى مصر عام ١٨٢٨ ، وعمل في صحيفة (الوقائع المصرية) مترجما ومصححاً، أسس في تونس صحيفة (الرائد التونسي)، واعتنق الشدياق الإسلام ، ثم غادر إلى العاصمة العثمانية الآستانة ليؤسس صحيفة (الجوائب) عام ١٨٦١ التي ساهمت في إحياء التراث العربي، توفي عام ١٨٨٧ في الآستانة، وعملاً بوصيته نقل جثمانه إلى لبنان، ودفن في الحازمية قرب بيروت . ينظر : ميخائيل صوايا ، احمد فارس الشدياق حياته وآثاره ، دار الشرق الجديد ، (بيروت -١٩٦٢) .

(٤) فيليب حتي ، تاريخ لبنان ، ص ٥٥٣.

ألا أن درجات السماء مائة وخمس، فقال غيره : ألا أنها مائة وأربع ! فقال آخر : لقد كذبتما واستوجبتما قطع اللسان، وسمل العينين، وسل الأنثيين ! أنما هي مائة وست ... " ([1]) .

كان أحمد فارس الشدياق يحب أخاه أسعد كثيراً ، فجزع عليه كل جزع، وامتلأ قلبه حقداً على قاتليه، **" وكره العيش في لبنان الذي بلغ من التعصب الطائفي هذا المبلغ "** ([2]) ، ورأى المرسلون البروتستانت، أن الفرصة سانحة، " فاستغلوا هذا الشعور، وتقربوا إلى الشدياق فعمل معهم وتمذهب بمذهبهم تشفياً ممن ظلموا أخاه، وزين له هؤلاء أن يعمل مع جماعتهم في مصر فلم يتردد في ذلك" ([3])، فأضطر للهجرة عام ١٨٢٦ الى مصر على ظهر سفينة ([4]) .

بعد أن رست السفينة في البر المصري، حتى أستل الشدياق قلمه ووجه إلى " صاحب السدة الأميرية ، وحضرة بطرك الطائفة المارونية ، كائناً من كان " ([5])، ونختطف بعض ما جاء فيها : **" بقى أن أذكرك أن أخي المرحوم أسعد، أودعتموه في السجن في داركم، في قبو نحو ست سنين، وبعد أن أذقتموه جميع ضروب الذل والهوان ، في صومعة صغيرة ، فلم يكن يخرج منها إلى موضع يبصر فيه النور، أو يستنشق الهواء اللذين يمن بهما الخالق على الأبرار والفجار من عباده، وقضى نحبه ... ولو كان دين النصارى نشأ على هذه القساوة الوحشية التي اتصفتم بها انتم الرعاة التائهين ، والهداة الضالين ، لما آمن به أحد ... "** ([6]) .

ويتضح لنا جلياً أن حركة الإرساليات التبشيرية، أخذت شكلاً تنافسياً، وصراعاً محموماً مست آثاره كل جوانب المجتمع ، وتركت بصماتها الواضحة على الواقع الاجتماعي، من خلال زرع بذور الطائفية، والحروب الأهلية التي ساهمت في هجرة الشوام إلى بقاع شتى من العالم، وبالرغم من ذلك فأن أهمية الإرساليات التبشيرية تكمن بإقامة جسر الاتصال بالثقافة الأوروبية الحديثة، وفتح المدارس ومنح فرصة التعليم وتأسيس المطابع ونشر الكتب .

---

(١) محمد عبد الغني حسن ، المصدر السابق ، ص٢٩ .
(٢) فيليب حتي ، تاريخ لبنان ، ص ٥٥٣ .
(٣) ميخائيل صوايا ، احمد فارس الشدياق ، ص ٢٢ .
(٤) أحمد فارس الشدياق ، الساق على الساق في ما هو الفارياق ، تقديم وتعليق نسيب وهيبة الخازن ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت – ١٩٦٦) . ص ٤٢٣.
(٥) ميخائيل صوايا ، احمد فارس الشدياق ، ص ٢٣ .
(٦) احمد فارس الشدياق ، الساق على الساق في ما هو الفارياق ، ص ص ١٣٢ -١٤٠ .

المبحث الثالث : التوزيع الجغرافي للشوام في مصر :

يرى الباحثون والمؤرخون أن بدايات وجود الشوام في الأراضي المصرية في العصور الحديثة يعود إلى القرن السابع عشر، إذ كانت معظم هجرات الشوام تميل للنزوح لمدينة دمياط التي كانت تعد بمثابة ميناء مصر الأول في ذلك الوقت، ونافذة مصر التجارية علي البحر الأبيض المتوسط والذي أمتد إلى أغلب ربوع مصر، وذكر عددٌ من الرحالة الذين زاروا لبنان في تلك الفترة كالأب فانسيب، والسائح الإنجليزي ريتشارد بوكوك تواجد أعداد من سكان جبل لبنان مستقرين بالمدينة يشاركون أهلها النشاط التجاري والحرفي (١) .

أدى التبادل التجاري بين الموانئ المصرية في دمياط والإسكندرية والشامية في بيروت وصيدا الدور الأبرز في تركز الشوام في مدن مثل دمياط ، وبهذا الشأن ينقل عن كتاب أصدرته الرهبانية المارونية الحلبية في وادي النيل : **" إن الجهل دفع البعض إلى المهاجرة بأن الموارنة أي المستوطنين منهم بمصر، ليسوا مصريين، إلا أن التاريخ الحديث يدلنا أن الموارنة استوطنوا مصر منذ أوائل القرن السادس عشر للميلاد، ومنذ عام ١٧٢٥، حصل رهبان رهبنتنا بمصر من كبراء سائر الطوائف الكاثوليكية، وخاصة بدمياط ،لأجل أولئك المؤمنين في ما يختص احتياجاتهم الروحية..."** ، وحي النصارى في دمياط القديمة شاهد على الدور الفعال الذي مارسته العوائل اللبنانية في المدينة التي كانت أكبر ميناء بمصر (٢) .

اتخذ غالبية الشوام الذين هاجروا إلى مصر عبر البحر ، طريق دمياط لأسباب تتعلق بغنى هذه المدينة وموقعها الجغرافي وسهولة العمل فيها ، ومحطة للاستقرار والاتجار ، وكانت الغلبة للمهاجرين الشوام القادمين من حلب يليها الهجرة الدمشقية ثم الطرابلسية (طرابلس الشام) ثم الغزاوية فاللاذقية فالبيروتية فالمقدسية (٣) .

وضحت كتب الرحالة الأجانب الكثير من سمات مدينة دمياط ونشاطها التجاري في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، فالأب فانسيب(Vanseep) يكتب عن دمياط فيقول **: " تقع مدينة دمياط ، تلك المدينة الذائعة الصيت على الجانب الشرقي للنيل ، على مسافة ثمانية أميال من مصبه ، وتعد بعد القاهرة من أعظم المدن المصرية وأجملها وأغناها وأكثرها سكاناً وأعظمها تجارة عظيمة في النيل القطن والأرز والبن والمنسوجات "** (٤) .

ذكر الرحالة الفرنسي قسطنطين فولني (Constanit Volney) عن تجارة دمياط قائلاً **: " كانت تأتي إلى دمياط من وقت لآخر قوافل صغيرة من دمشق تحمل أقمشة حريرية وقطنية وزيوتاً وفواكه مجففة، وفي الفصل المعتدل كان يوجد بميناء دمياط على الدوام بعض السفن تفرغ شحنتها من التبغ الوارد من اللاذقية، لأن الاستهلاك من هذا التبغ كبير جداً وتأخذ تلك**

---

(١) أحمد حسن سليمان، لبنانيون على ضفاف النيل، مجلة صله، العدد، ٤ كانون الأول ٢٠١٤، ص ٢ .
(٢) محمد العربي ، الهجرة اللبنانية إلى مصر، مجلة صله، العدد (٣) ، ٢ أيلول ٢٠١٤ ، ص٨ .
(٣) السيد سمير عبد المقصود ، الشوام في مصر ، الهيئة المصرية للكتاب ، (القاهرة- ٢٠٠٣) ، ص ٥٧ .
(٤) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١١٧ .

المراكب أرزاً بدلاً منه، وكانت الوكالات والخانات بدمياط تجمع في أروقتها أقمشة الهند وحرير لبنان والملح وأكوام الأرز ، كما كانت صغار المراكب والقوارب تزدحم في مرفأ دمياط " (١) .

يمكن أن ندرك أن غالبية المهاجرين الشوام الأوائل إلى دمياط كانوا من نصارى ويهود مدن الشام وذلك استناداً ما ذكره الرحالة الألماني (كارستن نيبور) (Carsten Neibuhr) في مذكراته : **" أن لدمياط موقع ممتاز مثل موقع الرشيد ، والبضائع الآتية من سوريا يجب أن تمر بمينائها ، وهناك تجارة كبيرة من الأرز الذي يوزع بوفرة عظيمة في الجهات المجاورة ، ولا يقيم بهذه المدينة تاجر إفرنجي ولا راهب أوربي، ولو أنه يسكن هناك عدد كبير من الموارنة والأرمن التابعين لكنيسة الروم الكاثوليك ، وقد كان بدمياط في الزمن السالف قنصل فرنسي وتجار فرنسيون غير أن السكان لم يرضوا عنهم، وإذا كنا نرتدي الملابس التركية ونتكلم قليلاً لغة البلاد، فلم يكن ثمة ما نخشاه "** (٢) .

في ضوء ذلك ، كتب الرحالة الإيطالي بينوسPinus في مذكراته قائلاً : **" يقطن دمياط هذه المدينة البديعة التابعة لحكومة القاهرة نحو ٣٠ الفاً من السكان ، والدين السائد فيها هو الإسلام وليس للموارنة والروم التابعين لكرسي روما غير معبد بسيط مغلق، كأنه خزانة ذات درفتين ، ولهؤلاء قس يقوم لهم بالطقوس الدينية "** (٣) .

وكتب الرحالة الإنكليزي ريتشارد بوكوك Richard Coke الذي زار دمياط في مذكراته قائلاً **: " معظم التجار في دمياط يعملون في تجارة الأرز والبن إلى جميع جهات السلطنة العثمانية ، وكثيراً ما يهرب الأرز إلى أوربا، كما يستوردون التبغ من اللاذقية والصابون من حلب وشواطئ سوريا والانكشارية تشتري الجمارك بثمن محدد ثم يؤجرونها لليهود، أما جمرك دمياط فهو عادة في أيدي المسيحيين الشوام "** (٤) .

تشير وثائق محكمة دمياط والباب العالي عن عدد من التجار الشوام الأغنياء الذين اتخذوا دمياط مقراً لنشاطهم التجاري ومسكناً لمعيشتهم فتطلق عليهم الوثائق بـ (القاطن بالثغر) أو (الساكن بالثغر) مثل الحاج عمر بن عبد الوهاب الطرابلسي الشامي الأصل سكن دمياط مدة طويلة وكان من أشهر تجارها وأكرمهم (٥)، وذكر الجبرتي عن كرمه فيقول : **" وكان يأتي إليه الشوام المجاورون بالأزهر كل عام خلال شهر رمضان، وعندما ينقضي الشهر يصلهم بنفقة وكساوى ويعودون مجبورين "** (٦) .

كان النشاط الحرفي والصناعي هو السمة الأكثر للشوام في دمياط ، وهي حرف متوسطة متواضعة ولهذا وجدنا الشوام القصاب والسقا بالكوز والسقا بالقرب والجلفاط والحصري

---

(1) M. Constantine de Volney, Travels through Syria and Egypt in the Years 1783, 1784, and 1785 (London: 1787), p. 80-83.

(٢) كارستن نيبور، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها ، ترجمة، عبير المنذر ، ج٢ ، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت - ٢٠٠٧) ، ص ٢٤٧ .

(٣) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١١٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

(٥) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، دار الأنوار المحمدية ، مصر ، ١٩١٦ ، ج٢ ، ص ١٣٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٣٣ .

والزيات والحلاق والدلال والقهوجي ، والى جوار هؤلاء كان هناك بعض المهن الأرفع شأناً مثل المفتي وشيخ الإفتاء والتدريس ([1]) .

كانت دمياط إحدى أهم المحطات التجارية المصرية على ساحل البحر المتوسط فقصدها الشوام ، بأعداد كبيرة طمعاً بالتجارة وجمع الثروة ، ولم تكن هنالك صعوبة كبيرة في انتقال الشوام إلى مصر ، لأن المقاطعات تتبع جميعها مركزية واحدة هي السلطنة العثمانية ، وكانت مصادر الاستيراد إلى دمياط متنوعة عبر بيروت ودمشق واللاذقية وصور ([2]).

أختار النصارى الشوام احد الأحياء في دمياط للعمل والاستقرار، فنجدهم يمتلكون أملاكاً عقارية بداخل الحي ، وكان يقطن بداخل الحي عدد من الأسر المارونية الحلبية، وقد أطلق على هذا الحي حارة النصارى، إذ كانت أغلبية سكانه منهم، ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض الأسر الإسلامية واليونانية تسكن به ([3]) .

واستقر بدمياط أعداد من اليهود من بين جموع المهاجرين من الديار الشامية ، وعمل هؤلاء في جمارك وإدارة شؤون الثغر ومهنة الصيرفة ، واستقر عدد كبير منهم بجانب ديوان الجمرك وبجوار حارة النصارى وهي من الأحياء التجارية المهمة بالمدينة ، كما استقر عدد منهم بميدان القيسارية الكبيرة ([4]) .

وهناك إشارات واسعة، في المصادر التاريخية إلى استمرار تجارة الحرير بين دمياط والسواحل الشامية : **" يرد الحرير إلى دمياط من بيروت بلونه الأصفر الطبيعي أو الأبيض والأصفر هو المفضل، وتصبغ البراقع التي تصنع منه بلون أسود أو قرمزي ، ويرد إلى دمياط من دمشق عن طريق بيروت ، نوع من النسيج الحريري الأحمر، والأسود شفاف جداً، وتصنع منه النساء قمصاناً وبراقع ، ويسمى (كريشة)، وكذلك تأتي من موانئ سوريا، ولبنان كمية من الحرير"** ([5]).

شكل الشوام إلى جانب اليونانيين وبعض الأقباط فئة غنية جداً ذات نفوذ واسع في إدارة مدينة دمياط والتحكم بتجارتها ولعبوا دوراً أساسي في تجارتها ، فمن مجموع السكان فيها وقدره نحو ثلاثين إلفاً، كان بها من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ مسيحي من أصل سوري، وكانوا جميعاً يشتغلون بالتجارة والصناعة والحرف الصغيرة ([6]) .

ويبدو إن الانقسامات المذهبية الطائفية لم تبرز في مصر بين المهاجرين الشوام كما هو الحال في مناطقهم الأصلية، بل كان المسيحيون على اختلاف طوائفهم يعيشون حياة سلام ووئام

---

(١) زينب الغنام ، الجاليات الأجنبية ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر إبان العصر العثماني (١٥١٧- ١٧٩٨) ، أطروحة دكتوراه ، (غير منشورة) ، جامعة الأزهر ، كلية الدراسات الإنسانية ، ١٩٨٨، ص ١٠٧ .

(٢) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١٢٠ .

(٣) المصدر نفسه ، ص١٠٨ .

(٤) نقولا يوسف ، تاريخ دمياط منذ أقدم العصور، (القاهرة- ١٩٥٩) ، ص٢٩٩ .

(٥) جيرار، ب ، س ، موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر ، الجزء الأول ، ترجمة زهير الشايب ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة- ١٩٧٨) ، ص ٢٨٨-٢٨٩ .

(٦) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١٢١ .

فيما بينهم في مصر، وقد ساعد ذلك المهاجرين الأوائل على الاستقرار وجني ثروات طائلة فيها إذ اعتبروا من رعايا السلطنة، على العكس من أوضاع الأوربيين .

ومع تولي الخديوي إسماعيل، وبعد فتح قناة السويس وإنشاء مدينة بور سعيد، فقدت دمياط أهميتها لصالح مدن أخرى ، غير أن أعداد الشوام الذين هاجروا إلى مصر ازدادت، بيد أنهم انساحوا في مدن مصر الكبيرة وساهموا في نهضتها، وعلى رأس هذه المدن كانت المنصورة امتلكت مدينه المنصورة وجوداً ملحوظاً للمهاجرين الشوام علي أرضها، حيث اجتذبتهم تلك المدينة الهادئة ذات الطبيعة الخلابة الواقعة على ضفاف نهر النيل بدلتا مصر (١) .

امتلكت المنصورة مجموعة من مراكز الإشعاع الثقافي كمسرح البلدية والذي كان بمثابه دار أوبرا صغيرة تشغل خشبته طوال العام الفرق الفنية محلية كانت أم عالمية. فضلاً عن عدد من المدارس الأجنبية التابعة للإرساليات التبشيرية كمدارس توسطت مدينة المنصورة شبكه ممتازة من خطوط المواصلات كخط سكة الحديد الفرنسية الذي كان يربط المدينة بالمدن والقرى الواقعة علي بحيره المنزلة ، وخط السكك الحديدية الإنجليزي الذي ربط المدينة بباقي المدن الرئيسية بمصر ، جعل كل ذلك المدينة مركز جذب هامًا للمهاجرين الشوام خاصة من امتهن منهم المهن الحرة أو من احترف النشاط التجاري (٢) .

إن معظم الشوام يقيمون أما في حي الفجالة أو في حي الظاهر القريب منه، وسبب ذلك على ما أعتقد انه عندما بدأت هجرة الشوام إلى مصر، كانوا يصلون بالبواخر إلى الإسكندرية أو بورسعيد، ثم يستقلون القطار إلى نهاية الخط في باب الحديد. ولأن حي الفجالة كان هو الأقرب إلى محطة مصر، فقد كانوا يفضلونه للسكن، وما زال الحي إلى هذا اليوم يحتفظ بمعالم شامية منها دار المعارف بمبناها القديم ، ومنها مكتبة العرب لصاحبها يوسف توما البستاني، وهناك أيضا حي السكاكيني القريب، وفيه قصر شامخ كان يسكنه حبيب سكاكيني باشا، وهو أيضاً من الشوام (٣) .

ومما تجدر اليه الإشارة أن العائلات المسلمة اندمجت بالمجتمع المصري، حيث تشابه العادات، والتقاليد شجع على الاندماج بسهولة ويسر، بينما بقيت العائلات المسيحية متمايزة عن هذا المجتمع وشكلت مجتمعاً صغيراً داخل المجتمع المصري، يختلف عنه في غالبية الملامح والصفات، ولعبت مع الاحتلال البريطاني دور الوسيط ، وكان إتقان اللغات له دور أساسي في بروز الشوام إذ امتلكوا اللغة العربية إلى جانب الفرنسية، والإنجليزية، وسواهما من اللغات الأوروبية الأخرى، وهذا ما افتقرت له الجاليات الأوروبية من فرنسية ويونانية وفرنسية وإيطالية وإنجليزية، وكذلك ما افتقده مثقفي الأقباط والمصريين عمومًا .

شكلت مدينة الإسكندرية عنصر استقطاب أساسي للكثير من الجاليات الأوربية التي وفدت إليها واستقرت فيها بأعداد كبيرة منذ القرن التاسع عشر، وكانت المحطة الأكثر ثباتاً، لغالبية

---

(١) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ، ص ٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢١ .
(٣) وديع فلسطين ، محاضرة ضمن ندوة فكرية في " دار الندوة " حول " هجرة الأدباء الشوام إلى مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين " أقامتها " دار نلسن للنشر" ، (بيروت – ٢٠١١)

المهاجرين ، ومن يطلع على تاريخ هجرتهم بدقة يجد أن معظمهم كان يغادر إلى ميناء الإسكندرية إذ يبقى عدة أيام فأما يجد عملاً ويستقر أو يغادرها مكملاً طريقه إلى خارج مصر اتجه إليها كثير من الشوام لمتابعة النشاط الاقتصادي وحركة الرساميل الأوربية الساعية للسيطرة على مصر ، وكان من الطبيعي أن تتوثق الروابط بين الإسكندرية وعاصمة الدولة القاهرة وتتعزز بالاصطياف على شواطئ الإسكندرية ، وأقامه المحلات والمؤسسات والشركات المزدوجة الفروع في كل منهما بحيث باتت الإسكندرية العاصمة الثانية لمصر، واجتذبت حركة ثقافية وصحافية وسياسية واقتصادية لا تقل أهمية عن القاهرة لابل تفوقها أحياناً (١) .

ويمكننا القول أن هجرة الشوام ظلت في تزايد حتى نهاية الحرب العالمية الأولي، إلا أنها بدأت في التراجع في مطلع القرن العشرين بعد أن قامت العديد من أسر الشوام بتصفية ممتلكاتها والعودة إلي بلاد الشام أو الهجرة إلي أوربا أو أمريكا، إلا أن آثار تواجد الشوام في مصر لا زالت قائمة حتى اليوم لا تخطئها العين، ومن الجدير بالذكر أن خطوط هجرة الشوام إلى مصر قد تنوعت وشكل اللبنانيون الجزء الأكبر فيها، وكانت دمياط أولى المدن المصرية التي استقبلت الهجرات اللبنانية منذ منتصف القرن الثامن عشر، أما مدينة دمياط كان ذلك الثغر البحري من أهم المرافئ على ساحل البحر الأبيض المتوسط واستمر كذلك سنوات طويلة حتى أواخر القرن التاسع عشر حين حلت الإسكندرية مكانه، ولما كانت القاهرة عاصمة الدولة المصرية، ومركز النشاطات الأساسية فيها، لاسيما الاقتصادية منها، كان من الطبيعي أن يتابع الشوام انتقالهم من دمياط باتجاه القاهرة ويقطن بعضهم القصبات السكانية الموصلة إليها، وهكذا استقرت أعداد هامة من المهاجرين الشوام في المنصورة والزقازيق ووصلت أعداد أخرى إلى القاهرة لتشكل التمركز الأكثر أهمية لمهاجري الشوام في مصر .

(١) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١٢١ .

الفصل الثالث : دور أهل الشام في مصر .

المبحث الأول : الحياة السياسية :

أدى الشوام دوراً بارزاً في تاريخ مصر الحديث، من خلال الانخراط في الحياة السياسية وتأسيس الصحف، والمجلات، والتفاعل مع القضايا الجوهرية، وتشكيل الأحزاب، والجمعيات السياسية، وشغلوا المناصب الحكومية، وشكلوا الأغلبية الساحقة من العرب الذين هاجروا إلى مصر، وكانوا ينقسمون إلى فريقين **فالفريق الأول :** المفكرين والأدباء الذين هربوا إلى مصر لمواصلة نضالهم ضد الحكم العثماني، أمثال يعقوب صروف، وفارس نمر، وشاهين مكاريوس، وعبد الرحمن الكواكبي، ورشيد رضا، وأديب اسحق، وسليم النقاش، ونجيب حداد، وشبلي شميل، وفرح انطون ، وجرجي زيدان، وخليل القباني ، ومي زيادة، واخرون ، وهؤلاء يمثلون أقلية، وقد تركز نشاطهم في مصر متابعة نضالهم الوطني، ولم يحدث لقاء، أو تعاون بينهم، وبين الحركة الوطنية المصرية ، نظراً للتناقض الذي كان قائماً في ذلك الحين بين الحركتين ،أما **الفريق الثاني :** ضم الأغلبية من الشوام في مصر فقد كان يتكون من الذين هاجروا إلى مصر للارتزاق، ولم يهتموا بالعمل في سبيل عقيدة سياسية بقدر ما اهتموا بالسعي وراء الرزق ([1]) .

ظهرت على الساحة المصرية خلال الفترة ما بين عام ١٩٠٧- ١٩١٤ تنظيمات سياسية عدّة شكلت الأحزاب واجهة هذه التنظيمات، وجاءت استثماراً لحالة الغليان الفكري والاجتماعي التي أصبحت عليها مصر منذ حادثة طابا ([2])، عام ١٩٠٦ وقد أسهم المثقفون في تأسيس هذه الأحزاب، وكان لهم دور كبير في بلورة أفكارها، وصُنفت هذه الأحزاب إلى أحزاب رئيسة، وأخرى ثانوية، أو ما اصطلح على تسمية بعضها بأحزاب (الأقلية) ([3]) .

ويرى الباحث بغض النظر عن أهداف، واتجاهات هذه الأحزاب، فان ظهورها شكل علامة بارزة في فكر المثقفين، ورغبتهم الجادة في بلورة أفكارهم إلى واقع عملي ملموس يخدم مسيرة بلادهم في الجانب السياسي، كما إنها أسهمت في إبراز القضية المصرية، ودلت على مدى الوعي الديمقراطي الذي وصل إليه المثقفين، لذلك وجدت هذه الأحزاب تجاوباً، وترحيباً كبيرين من قبل المثقفين، وان اختلفت مواقفهم، ورؤاهم تجاه كل حزب من هذه الأحزاب .

---

(١) عواطف عبد الرحمن ، مصر وفلسطين ، ص ٥٨ .

(٢) نشبت هذه الحادثة في كانون الثاني من سنه ١٩٠٦ بين الدولة العثمانية، والحكومة البريطانية متمثلة في سلطة معتمدها في مصر اللورد كرومر، عندما اقترب خط سكة حديد (بغداد – الحجاز)، الذي كانت الدولة العثمانية تقوم بتنفيذه من نقطة تحاذي خليج العقبة، فسعت الدولة العثمانية إلى احتلال موقع طابا لكي تؤمن غائلة خطر (بريطاني– مصري) قد يحصل في المستقبل على الخط ، مما أدى إلى اعتراض الحكومة البريطانية التي أرسلت المدرعة " ديانا " إلى مياه طابا، لمنع القوات التركية من التوغل في سيناء واحتلالها . وقد انتهت هذه الحادثة بتراجع الدولة العثمانية وانسحاب قواتها من طـابا . ينظر : احمد شفيق ، المصدر السابق ، ق ٢ ، ج٢، ص٨٧– ٨٨ .

(٣) عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية ، (بيروت - ١٩٧٥) ، ص ٣٧٤ .

فيما يرى فاروق أبو زيد : **" أن الأحزاب السياسية في مصر، والتي كانت من ثمار الصحافة ، قد أسهمت في أتساع دائرة النقاش، وظهر ذلك واضحاً في تبني الصحافة المصرية والشامية للأفكار القومية "** (١) .

ومن هذه الأحزاب (الحزب الوطني) الذي شارك مجموعة من المثقفين الشوام أبرزهم يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس في ١ أيار عام ١٩٠٧، لكنه لم يبدأ نشاطه الحقيقي والعملي إلا في عام ١٩٠٨، وانحصر نشاطه في المطالبة بمسالمة المحتل والسعي لنيل ثقته ، والاتفاق معه ، ومع ذلك فقد طالب الحزب بنشر التعليم ، واستيعاب المصريين للحضارة الأوربية لم تكن للحزب صحيفة خاصة به، وإنما كان يستخدم (المقطم) وصحيفة (البروجرية) الفرنسية ، وكان عدد أفراده اقل من عدد أفراد باقي الأحزاب فكان يردد **: "سلام المصريين في مسالمة المحتلين "** (٢) .

أنخرط من الشوام سليم عباس الشلفون في صفوف (الحزب الوطني) وصدرت الأوامر بالقبض عليه ففر إلى نابولي، ونزل ضيفاً على الخديوي إسماعيل، وعندما هدأت الأحوال عاد إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة حيث حرر (البرهان) و(البيان) و(مرآة الشرق) (٣) .

بلغ انغماس الشوام في الحياة السياسية المصرية، بأنضمام فرح انطون إلى حزب الوفد وجعل صحيفته (الأهالي) منبراً وفدياً، فلم يبدلها إلا حين أعلن سعد زغلول في تصريح لصحيفة (الأخبار) عن استعداده للتفاوض مع بريطانيا الأمر الذي جعل (الأهالي) تنتقد موقف سعد زغلول (٤) .

كان اثر حادثة دنشواي (٥)، في مصر مؤثراً، امتد على مدى التاريخ المصري الحديث واستنهض الشعور القومي، وظهر هذا الأثر في وقوف الشعب المصري بجميع طوائفه ضد الاحتلال البريطاني في ثورة ، فاستغلت جريدة " الأهرام " حادثة دنشواي للتنديد بكثرة الأجانب في مصر واستفزازهم للمصريين" **وما حادث دنشواي إلاّ احد نتائج هذا الاستفزاز للمصريين"**، ثم هاجمت الجريدة الأجانب ووصفتهم بالدخلاء، واتهمهم بالسيطرة على جوانب الحياة الاقتصادية في مصر، ومنافسة المواطنين في أرزاقهم (٦) .

---

(١) فاروق أبو زيد، أزمة الديمقراطية في الصحافة المصرية ، مكتبة مدبولي، (القاهرة- ١٩٧٧) ، ص ١٢٩ .
(٢) يونان لبيب رزق ، الأحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ ، مطابع الأهرام ، (القاهرة-١٩٧٧) ، ص٣٥.
(٣) عبد الرحيم غالب ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
(٤) رفعت السعيد ، ثلاثة لبنانيين في القاهرة : شبلي شميل ، فرح انطون ، رفيق جبور ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت-١٩٧٣) ، ص ١٢٥.
(٥) **حادثة دنشواي:** قيام مجموعة من ضباط الاحتلال البريطاني في ١٣ حزيران سنة ١٩٠٦ برحلة لصيد الحمام الداجن في قرية " دنشواي " المشهورة بكثرة حمامها، وأراد احد أفراد المجموعة صيد حمامة فأخطأ التصويب ، فجرح امرأة، وكان زوجها حاضراً فهجم على الضباط ، فرد بقية الضباط بإطلاق النار بصورة عشوائية فأصيب عدد من الأهالي ، وعندئذ هاج سكان القرية ورجموا الضباط بالحجارة وضربوهم بالعصي ، فأصابوا احدهم وأثناء عودتهم توفي في الطريق، ولما وصل الخبر إلى معسكر الضباط أرسلوا ثلة من العساكر قبضوا على عدد من الأهالي . ينظر : احمد شفيق ، المصدر السابق ، ق٢ ، ج ٢، ص ص٩٩ – ١٠٠.

(٦) فاروق أبو زيد ، أزمة الفكر القومي في الصحافة المصرية ، ص ٧٧ .

رأى محمد رشيد رضا في وصول الاتحاديين إلى السلطة فرصته في إنجاح مشروعه التربوي المتمثل في تأسيس مدرسة تابعة لجمعية إصلاحية كان قد أسسها في مصر وهي جمعية " الدعوة والإرشاد " سنة ١٩٠٧، فقد كان بحاجة ملحّة إلى مساعدات مالية لتنفيذ هذا المشروع في مصر، فسافر إلى الأستانة لهذا الغرض ، وبعد سنة من إقامته في الأستانة ، لم يجد آذاناً صاغية بين الاتحاديين لمشروعة، فقفل راجعاً إلى مصر (١) .

وجد محمد رشيد رضا في إعلان الحرب العالمية الأولى ، فرصة لاستقلال مصر التام عن الدولة العثمانية ، فنشر في مجلة (المنار) ذكر فيه : **" إن العرب كانوا دوماً مخلصين للسلطنة عن ولاء للإسلام ، لكن سياسة التتريك قد غيّرت كل شيء ، فأصبحت اللغة العربية بخطر وأصبح من واجب العرب الديني أن ينقذوها "** (٢) .

أن المتتبع للأحداث التاريخية في كل من بلاد الشام ومصر منذ البداية يدرك انعكاس أثر الأحداث السياسية التي يمر بها كل من الاقليمين على احداث الاقليم الآخر، فقد عرف الشوام بنشاطهم السياسي المعارض للحكم العثماني، وكانت القاهرة مركز النشاط السياسي للشوام في منتصف القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وقد ذكر ذلك جورج أنطونيوس بالقول :**" كانت مصر بعيدة عن متناول عبد الحميد، فأصبحت القاهرة أحد مراكز المعارضة التي تجمع فيها اللاجئين السياسيين، وشرعوا يتصلون سراً بالموالين لهم ليقضوا على الاستبداد الحميدي"** (٣) .

عمل الشوام على نشر فكرة القومية العربية في مصر، إذ دعا من القاهرة عبد الرحمن الكواكبي في كتابه (أم القرى) لإعادة تعريب الخلافة الإسلامية، ونجيب عازوري في مؤلفه (يقظة الأمة العربية في تركيا الآسيوية) لخلافة عربية في الحجاز، ودولة عربية غير دينية في المشرق تضم بلاد الشام وبلاد الرافدين (٤) .

ويبدو أن فكرة نشوء القومية العربية ظهرت في بيروت، ودمشق، وكانت الجامعة الأمريكية مسرحاً للقاءات الكثير من النخب المثقفة، في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، فتأسست الجمعيات العلنية والسرية في بداية القرن التاسع عشر، فالعلنية منها اتخذت طابعاً أدبياً في الظاهر، إما في الخفاء فكانت تجمعاً للناقمين على الاستبداد الحميدي، ويتضح أن غالبية المسيحيين الشوام شددوا على فكرة العروبة والقومية، لكي يتجنبوا الاندماج في مجتمع إسلامي فمنهم من دعا إلى فصل الدين عن الدولة وبناء القومية على قاعدة غير دينية ، رداً على تيار الجامعة الإسلامية .

ونرى ذلك واضحاً في بيانات نجيب عازوري المتعددة، أن الغاية من هذه الحركة العربية التي**" تمتد من الفرات إلى السويس، ومن شواطئ البحر المتوسط إلى ساحل عمان، هو تأسيس دولة عربية ذات نظام ملكي دستوري مقيد، على أن تؤلف الحجاز خلافة مستقلة**

---

(١) محمد صالح المراكشي ، المصدر السابق ، ص ٤٢ ، إبراهيم احمد ألعدوي ، المصدر السابق ص١٨٣ .
(٢) ألبرت حوراني، المصدر السابق، ص٣٦٢.

(٣) جورج أنطونيوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ .
(4) Nagib Azoury , Le reveil de le nation Arabe , Paris – 1905 .

بالمسلمين، فيتم بذلك فصل الدين عن الدولة " (١)، ويعتقد البعض من المؤرخين أن نجيب عازوري أول من دعا الى**" القومية العربية، فسبق بذلك جميع المثقفين العرب الأوائل، أمثال : فرنسيس مراش، وجبرائيل الدلال، وعبد الرحمن الكواكبي، وأديب اسحق، ورفيق العظم، وعبد الحميد الزهراوي، في نظرتهم إلى المسألة القومية "** (٢) .

نادى الكواكبي على العالم الإسلامي بأن يقف في جبهة واحدة ، **" فلا بد أن تكون القيادة عربية أن يكون مركزها في مكة (أم القرى) لا اسطنبول"** (٣)، وقد تصدى الكواكبي إلى الاستبداد الذي شهدته البلاد العربية، لاسيما في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، ثم أن كتابه (طبائع الاستبداد) كان موجهاً ضد الاستبداد الحميدي بالذات، وأن لم يشر الكواكبي إلى ذلك بصراحة كذلك كتابه (أم القرى) الذي شن فيه حملة شعواء على الأتراك، وتاريخهم (٤) .

ويرى المؤرخ الروسي لوتسكي :**" أن الكواكبي بحق مؤسس النزعة القومية العربية "**، كما أكد ذلك المؤرخ الروسي الآخر ليفين بالقول: **" كان الكواكبي، سلفاً لأيديولوجية القومية العربية، وأنه جدير بأن يعقد له لواء الريادة في هذا الميدان "** (٥) .

شكلت هذه التحديات تهديداً خطيراً لمركز السلطان وتماسك السلطنة، ولكبح الاتجاهات القومية العربية ، عمل عبد الحميد الثاني على " تقطيع أوصال بلاد الشام من الناحية الإدارية بتحجيم ولاية سورية من خلال إنشاء " متصرفية القدس " و" ولاية بيروت " لكي يسهل عليه مراقبة الإحداث في البلاد العربية (٦) .

رحب محمد رشيد رضا بالثورة وبإعلان الدستور، وعقد الآمال الكبار على هذه الثورة ، وفي مقال له تحت عنوان **(النهضة المصرية والدستور)** بين فيه اثر إعلان الدستور العثماني على مصر ، فقال : **" أنا اشهد إن مصر صارت أقوى استعداداً للحكم النيابي ... وقويت حجة المصريين بعد إعلان الحكومة الدستورية في بلاد الدولة العلية التي هي أمهم ، وهم اقدر أولاد هذه الأم على رفع بلادهم "** ، وأشار في مقاله إلى أحقية المصريين بالحكم النيابي الذي يتمتع به العثمانيون ، مؤكداً **" إن كل من يزعم إن استعداد المصريين دون استعداد إخوتهم فهو إمّا جاهل مليم، وإمّا ظالم مبين"** (٧) .

أنشأ رفيق العظم مع رشيد رضا (جمعية الشورى العثمانية) عام ١٩٠٨ في القاهرة لتقوم بالدعوة إلى الخلافة المستنيرة المصلحة ، والتأليف بين أمراء الجزيرة العربية ، والسعي في لمَّ شمل العرب وقد ساقه إلى تأليف هذه الجمعية ما ظهر من ضعف الدولة العثمانية بعد انكسارها

---

(١) عيسى فتوح ، فجر اليقظة العربية في الشام والعراق ، مجلة " آفاق عربية "، بغداد ، السنة (٥) ، كانون الأول ١٩٧٩ ، ص ١٠٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .
(٣) محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤- ١٩١٤ ، مكتبة الأنجلو ، (القاهرة – ١٩٩٠) ، ص ٢٧٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ .
(٥) نقلاً عن سعد زغلول الكواكبي ، عبد الرحمن الكواكبي السيرة الذاتية ، بيسان للنشر والطباعة ، (بيروت- ١٩٩٨) ، ص ١٥٤ .
(6) B. Abu- Manneh , " Sultan Abdulhamid II and Shakh Abulhuda AL-Sayyadi , in : Middle Eastern Studies 15 ,2 . (1979) , PP . 140 -142 .
(٧) مجلة المنار ، م ١٣ ، ج ٥ ، ٧ حزيران ١٩١٣ ، ص ٣٥٤ .

في حرب البلقان، وقد ارتبط موقف الجمعية بالموقف المشترك العام الذي جمع كل العناصر الإصلاحية في السلطنة العثمانية ، لمحاربة الاستبداد الفردي، وإعادة الدستور، ولكن السلطان عبد الحميد الثاني أساء به الظنون وعدّ حركته مناهضة لحكمه مما أدى إلى زوالها ، وظل رفيق العظم يعمل في الأحزاب وفي السياسة حتى ساءت صحته واعتكف في داره (١) .

برزت على الساحة العربية في مطلع القرن العشرين ، العديد من العوامل الذاتية والموضوعية التي أسهمت في تطور الوعي بالفكر القومي ، وكان في مقدمة ذلك سياسة التتريك والطورانية العنصرية التي اعتمد عليها قادة الانقلاب العثماني ١٩٠٨ ، والتي أضحت عاملاً أساسياً في دفع العرب للمطالبة بحقوق وواجبات متساوية مع الأتراك ، وبحق المشاركة ، في حل المسائل السياسية (٢) .

تعبيراً عن ذلك نشطت الجماعات العربية المعارضة لسياسة قادة الانقلاب العثماني ولاسيما الشوام في الدعوة إلى خلافة عربية ، وتأسيس الجمعيات ومنها جمعية (العربية الفتاة) التي تأسست في باريس عام ١٩١١ من قبل طلبة من الشوام كانوا يدرسون هناك ، وطالبوا بالاستقلال التام ، بعد أن نقلوا مقر الجمعية إلى بيروت (٣) .

ومن الجدير بالملاحظة أن النخبة المثقفة في بلاد الشام قد نشطت في تأليف المنظمات والجمعيات والأحزاب العلنية والسرية، التي كان لنشاطها الدور الكبير في التعريف بالفكر القومي من خلال استخدامها الصحافة والنشرات والكتب .

انشأ نخبه من مثقفي الشوام أمثال : رفيق العظم، ومحمد رشيد رضا، وشبلي شميل واسكندر عمون، وسمير جريديني، وحقي العظم، ومحب الدين الخطيب، في القاهرة عام ١٩١٢ (حزب اللامركزية الإدارية العثماني)(٤)، الذي يعد أهم تنظيم سياسي قبل الحرب العالمية الأولى وأصبح الحزب **" أفضل من يمثل أهداف العرب وأمانيهم من حيث دقة التنظيم وقوة التأثير"** ترأس الحزب رفيق العظم الذي أوجد له فروعاً في مختلف مدن بلاد الشام (٥) .

تركزت أهداف الحزب حول إظهار ايجابيات الحكم اللامركزي في الدولة العثمانية ، مع المحافظة عليها من الأخطار الخارجية والمنازعات الداخلية، وخلق شعور بالولاء لوحدة الإمبراطورية العثمانية ، وبنفس الوقت العمل على تحقيق الاستقلال الإداري في الولايات العربية وأن تكون اللغة التركية والعربية اللغة الرسمية على حد سواء، كما طالب الحزب بتوسيع صلاحيات مجالس الولايات (٦) .

---

(١) بسام عبد السلام البطوش ، رفيق العظم (١٨٦٥- ١٩٢٥) دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية ، الجامعة الأردنية ، (عمان – ١٩٨٨) ، ص ٢٥ .

(٢) ز . أ . ليفين ، تطور الفكر الاجتماعي العربي الحديث ، ترجمة بشير السباعي ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة - ١٩٧٨) ، ص ٢٠ .

(٣) إبراهيم خليل أحمد ، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، (جامعة الموصل – ١٩٨٦) ، ص ١٦ .

(٤) وجيه كوثراني ، مختارات سياسية ، ص ٤٠ ؛ **ملحق رقم (٦) محضر اجتماع اللجنة العليا لحزب اللامركزية الإدارية العثمانية في ٩ أيار ١٩١٣ حول هجرة الشوام .** ينظر : عبد الواحد إكمير، العرب في الأرجنتين: النشوء والتطور، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت -٢٠٠٠)، ص ٢٣٠.

(٥) جورج أنطونيوس ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٦) مجلة المنار ، مج ١٦ ، ج ١١ ، ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٣ ، ص ٨٧٩ .

لاقى بروز الحزب في بلاد العرب بترحيب كبير، وأخذ الشوام ينشرون مقالاتهم في الصحف المصرية ، وأبرق كثير من رجالات الشام إلى الحكومة العثمانية الجديدة بتأييد الحزب ودعوته وخطته والمطالبة بالسير عليها، وانتسب كثير من الناقمين على العثمانيين لمناوأتهم للمطالب العربية ، ولنزعتهم الاستعلائية، وانشأوا له الفروع ، وأخذوا يتواصلون مع لجنته المركزية بسبيل تقويته وتعميمه (١) .

كان رشيد رضا قد قدم دراسة مقارنة من خلال مجلة " المنار" تعرض فيها لفوائد اللامركزية وضرر المركزية، مبيناً **"إن الحكومة قد أعجزها تنائي أطراف المملكة واختلاف لغات وأجناس ومشارب أهلها عن أن تنفذ قوانينها في كل ولاياتها، فجاءت اللامركزية توزع التبعة على أفراد الأمة بمقدار ما تعطيهم من السيطرة على مصالح الوطن "** وخلص إلى القول :**" إن الحكومة المركزية غير قادرة على الدفاع عن أكثر البلاد العثمانية إذا هاجمها عدو أجنبي وان اللامركزية تضمن سلامة هذه المملكة، وتكفل تضامن شعوبها واتحادهم** (٢) .

أسهمت الهجرة اليهودية التي كانت قد بدأت تتجه بشكل منظم إلى أرض فلسطين قبل وبعد وعد بلفور ١٩١٧ في **" أثارة المشاعر القومية لدى العرب الشوام ، الذين وجدوا في عمليات الهجرة والاستيطان تهديداً خطيراً لمصالحهم ومطامحهم القومية وتمثل جزءاً من مؤامرة استبدال الاحتلال العثماني باحتلال آخر "** (٣) .

وهكذا نرى أن علاقة الشوام من الناحية السياسية، لم تنقطع مع القضايا العربية ، ولاسيما مع بلاد الشام بالرغم من هجرتهم إلى مصر، فأن الأحداث المحلية التي كانت تحدث في أي من الإقليمين كانت تؤثر في الاقليم الآخر سلباً أو ايجاباً، مما يدلل على التلاحم والمصير المشترك بين الاقليمين على مرَّ العصور التاريخية .

مثلت النزعة الاشتراكية اتجاهاً فكرياً جديداً عند مثقفي مصر منذ أوائل القرن العشرين وبدأت هذه النزعة تنتشر كالنار في الهشيم، وسيطرت على عقول بعض المفكرين، بما تنشره صحف الشوام من مقالات متفرقة، وظهور موضوعات جديدة دخلت كمادة دسمة في أحاديث الناس يناقشونها ويجدون فيها بصيصاً من الأمل للمستقبل، وظهر متغير جديد طرأ على الساحة السياسية في مصر، بعد أن أصبح الفكر الاشتراكي معروفاً في مصر، بفضل كتابات الشوام شبل شميل ونقولا حداد (٤)، وفرح انطون في صحيفة (الأخبار) حول الاشتراكية وكذلك " تعاطف صحيفة (الجريدة) مع بعض وجوه الفكر الاشتراكي " (١) .

---

(١) محمد عمر دروزة ، نشأة الحركة العربية الحديثة، منشورات المكتبة العصرية ، (بيروت -١٩٤٩)، ص٣٦٧ .

(٢) سهيلة الريماوي ، جمعية العربية الفتاة السرية ، دراسة وثائقية (١٩٠٨ – ١٩١٨) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، (عمان- ١٩٨٨) ، ص ٦٨ .

(٣) خيرية قاسمية ، النشاط الصهيوني في المشرق العربي ١٩٠٨-١٩١٨ ، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، (بيروت – ١٩٧٣) ، ص ٦٢ .

(٤) **نقولا حداد :** من طلائع النهضة العربية صحفي وعالم وشاعر، ولد في بلدة جون بلبنان عام ١٨٧٨ تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة صيدا الأمريكية، حيث درس مبادئ العلوم والتاريخ والهندسة واللغة العربية نحوًا وصرفًا، ثم عَلَّم نفسه اللغة الإنجليزية ، ثم درس الصيدلة ونال شهادتها ١٩٠٢ ، عَمِل مدرسًا في المدارس الأمريكية القروية بريف لبنان، ثم في مدارس صيدا، وعمل بعدها مُحررًا في جريدة الرائد المصري بالقاهرة مدة ثلاث سنوات، ثم مُحررًا في عدد من الصحف المصرية، كالأهرام والمحروسة أنشأ جريدة المحبة المدرسية في=

يُعَدَّ شبلي شميل أول من بشر بالاشتراكية من الشوام ، وكان داعياً لها ، وتعد كتاباته عنها أول كتابات شهدتها مصر في هذا الموضوع "والاشتراكية عنده طريق حتمي ونتيجة لازمة لمقدمات ثابتة لابد من الوصول إليها ولو بعد تذبذب طويل " ولا يخفي شميل اشتراكيته ولا كونه اشتراكياً فقد دافع عن اشتراكيته ، ولاقى الاضطهاد الفكري في سبيلها، وقد شكل الجناح اليساري داخل الحركة القومية آنذاك ، وكان مؤمناً إيماناً منقطع النظير بالاشتراكية ، فهو يكتب في سنة ١٩٠٨ على صفحات جريدة (الأخبار) مقالاً بعنوان" الاشتراكيون " يدافع فيه عن الاشتراكية وعن مبادئه ، وفيها يقول: **"وما الاشتراكية كما يرميها خصومها بأضغاث أحلام، بل هي تريد أن تمهد للإنسان سبل السعادة على هذه الأرض، فترد له الفردوس الضائع "** (٢) .

شارك شبلي شميل في وضع منهاج الحزب الاشتراكي الذي تأسس في مصر سنة ١٩٠٨ والذي حدد سياسته في هدفين **: الأول ، هو " السعي إلى إزالة جميع الكتب غير النافعة ومدرسة الحقوق ، والمحاكم المختلطة، لا بل جميع المحاكم الموجودة، والشركات المحتكرة لتوزيع المياه والصحف التي تبذر الشقاق ، والثاني : أن يقيم بعد إزالة جميع هذه المؤسسات جامعة حقيقية تدرّس فيها العلوم، ومدرسة تقنية بدلاً من مدرسة الحقوق ، ومحاكم محلية بسيطة، ومؤسسات عامة لتوزيع المياه، وصحف لائقة لتنوير الرأي العام "** (٣) .

كان شبلي شميل شديد الأيمان بنظرية التطور المادي التي استقاها من دارون،" النشوء والارتقاء" لتشارلز دارون، وأخرج طائفة من المؤلفات لفتت إليه الأنظار، وأثارت الاهتمام من جانب المثقفين في العالم العربي، ولعب دوراً هاماً في اطلاع القارئ العربي على الاتجاهات الفكرية الحديثة في الغرب، وقد أُتّهِمَ بالإلحاد والدعوة إلى الثورة الاجتماعية (٤) .

عارض شبلي شميل (نظرية الحق الإلهي)، ودعا أن تكون الجماهير مصدر السلطات ويقر بمشروعية الثورة على الظلم والاستبداد ، ويفضل النظام الجمهوري على النظام الملكي، وكان من الدعاة إلى الاشتراكية وتحمس لتطبيقها في المشرق العربي، تأثر بالأفكار والآراء الغربية وبالاتجاه المادي والتمسك بالنزعة الأممية، كتب في المقتطف ومجلات أخرى، ولخص في كراس بعنوان " شكوى وأمل " وجهه إلى السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٩٦ نظرته إلى ما كانت تفتقر إليه الدولة العثمانية من عدل وحرية ومساواة (٥) .

=صيدا، وجريدة الحكمة المدرسية في بيروت سافر إلى نيويورك عام ١٩٠٧ وأشترك مع فرح أنطوان في إصدار الجامعة عاد إلى القاهرة واشترك مع زوجته روز أنطوان حداد مجلة السيدات والرجال التي ظلت تصدر أثنى عشر عاماً، رأس تحرير المقتطف، له طائفة كبيرة من المؤلفات أبرزها علم الاجتماع وهندسة الكون بحسبناموس النسبية"، له مجموعة كبيرة من الروايات والمسرحيات بين المؤلفة ومترجمة ، عمل على ترويج أفكاره من خلال صحيفتي المقتطف والهلال ، توفي عام ١٩٥٤ . عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ،(بيروت -١٩٩٣) .

(١) إبراهيم شلبي ، المصدر السابق ، ص٣٠ .

(٢) رفعت السعيد ، ثلاثة لبنانيين في القاهرة ، ص ٦٠ .

(٣) ألبرت حوراني، المصدر السابق ،ص٣٠٢ .

(٤) موسوعة الجيب الاشتراكية ، الجزء الرابع ، شبلي شميل ، (القاهرة – ١٩٦٦) ، ص ١٠٩ .

(٥) عبد الزهرة مكطوف الجوراني ، الفكر السياسي في المشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٤، (بغداد- ٢٠٠١) ، ص ١١٨ -١٢٧ .

وكان أقرب الفلاسفة الماديين إلى شبلي شميل، هو الفيلسوف الألماني ليدويغ بوخنر ([1]). الذي ترجم له العديد من كتاباته إلى العربية، وتلقفها بلهفة بما جاء فيها، وربما كان للخلفية العلمية المتشابهة بعض الأثر في ذلك ، فبوخنر كان في الأصل طبيباً، مثل شبلي شميل تحول إلى الميدان الفلسفي يحدوه الأمل بتغيير واقع مجتمعه ، وأنشد شميل إلى جهود بوخنر في تطوير توجه مادي لدراسة الطبيعة " وتركيزه المنصب على العلم بالدرجة الأساس، وتأكيده على إبعاد أي اثر للدين عنه " ([2]) .

إلى جانب المادية آمن شبلي شميل كثيراً بالداروينية، فقد عدها أداة لفهم الواقع محولاً مفاهيمها على نشاط وواقع الحياة الاجتماعية في مصر والبلاد العربية بقوله **: " إن قانون النشوء المطبق على الظواهر الطبيعية يرتبط بالظواهر الاجتماعية ، ويؤمن التقدم بالاعتماد على الذين كانوا الأصلح ولأنجح في محيطهم "** ([3]) .

كانت خطورة نقل نظرية النشوء والارتقاء إلى المجتمع المصري ، صدمة مؤكدة لذوي الثقافة الدينية، وهو ما عبر عنه إسماعيل مظهر في قوله **: " في عام ١٩١١ ، كنت إذ ذاك مكباً على الفلسفة القديمة، أنهل من موارد الغرب بأقصى ما تصل إليه استطاعتي، وحينذاك وقعت في يدي نسخة من كتاب شبلي شميل ، (فلسفة النشوء والارتقاء) ، فأحدثت قراءتها في ذهني من الانقلاب، والأثر ما تعجز الكلمات، واللغة عن التعبير عنه أو وصفه "** ([4]) .

ظهرت من خلال مجلة (المنار) الاهتمامات الأولى لرشيد رضا ، فكتب مقالات عدة عنها منذ سنة ١٨٩١ ، فقد نشر مقالاً بعنوان " الاشتراكية والدين " وشكلت هذه المقالة بداية الاهتمام الأول بالاشتراكية في الأدب العربي ، والتي تضمنت ، تأكيداً على أن المبادئ الأساسية للاشتراكية تجد أساسها في الإسلام ، ولهذا فهي حرية بالاستحسان ، **" إن الاشتراكية التي تدعو إليها بعض الجمعيات الأوربية هي على وجه الأجمال مسألة حسنة وضرورية، حيث إن جذورها تكمن في الشريعة، ثم إن مطالب الاشتراكيين عادلة على وجه العموم، ويمكن إن نعذر الاشتراكيين في إنشاء حزب لمحاربة الأغنياء "** ([5]) .

حاول رشيد رضا التوفيق بين آراء دارون وتعاليم الإسلام ، حين أستنكر الشيخ عبد القادر القباني، ما كتبه شبلي شميل في مجلة الهلال عام ١٩٠٩ عن فكرة النشوء والارتقاء بحيث أنكر فكرة الخلق ، فكتب رشيد رضا يوضح اللبس الذي وقع فيه الشيخ القباني، وأكد **" أن نظرية**

---

(١) ليدويغ بوخنر (Ludwig Büchner) (١٨٢٤- ١٨٩٩) : فيلسوف ، وفسيولوجي ، وطبيب ألماني بدأت اهتماماته العلمية طبية ، ثم وسعها لتشمل دراسة الفيزياء ، والكيمياء ، وعلم النبات وعلم المعادن وعلم الأمراض والفلسفة ، في عام ١٨٥٥ نشر أول وأشهر كتاب له حمل عنوان (القوة والمادة) (Force and Matter)، عارض فيه المذهب المثالي في الميتافيزيقيا بفلسفة مادية متطرفة، وصور العالم على انه حصيلة القوة والمادة ، كما إن الفكر نفسه عبارة عن وظيفة لأصل مادي هو المخ ، قدم بوخنر مؤلفات أخرى صبت في نفس الخط، أشهرها (الطبيعة والروح)، ١٨٧٥ ، و(في خدمة الحقيقة) ١٨٦٢. الموسوعة السوفيتية الكبرى، الطبعة الثالثة، المجلد الرابع، (موسكو- ١٩٧١) ، ص١٧١. يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط٥ ، (القاهرة - ١٩٨٦) ، ص٤٠٠ .

(2) Şerif Mardin, Jön Tuklerin Siyasi Fikirleri, S. 228- 229; Hilmi Yücebaş, Yedi Şairden Hatıralar, S. 7.

(٣) شبلي شميل ، فلسفة النشوء والارتقاء ، ج١ ، (القاهرة – ١٩١٢) ، ص ٥٨ .

(٤) رفعت السعيد ، ثلاثة لبنانيين في القاهرة ، ص ١٢ .

(٥) ز. ل . ليفين ، المصدر السابق ، ص٢٨٣ .

النشوء إذا فهمت فهماً جيداً، فأنها تتفق مع الإسلام تماماً ، وما كتبه شميل يهدف إلى التوفيق بين الدين والعلم " (١) .

نشر رشيد رضا مقالاً عن " البولشفيه " (٢) التي لم يرَّ فيها سوى اسماً آخر للاشتراكية " وان الاشتراكية تحرر العمال من الرأسمالية، والحكومات الجائرة ، فعلى المسلمين أن يتمنوا فوزها لأنهم هم أيضاً عمال، ويعانون الجور نفسه ، ولان في فوز الاشتراكية نهاية استعباد واضطهاد الشعوب، وقد ذكر بهذا الصدد **: " أن الاشتراكية في الإسلام ملتحمة مع الدين الإسلامي ملتصقة في خلق أهله ، منذ كانوا أهل بداوة وجاهلية، وأول من عمل بالاشتراكية بعد ظهور الإسلام وأعظم المحرضين على العمل به هم أكابر الخلفاء من الصحابة "** (٣) .

أما نقولا حداد فقد اعتمد على خلفيته العلمية لكي ينشر المعرفة بين المتعلمين المصريين فكتب مقالات عدّة في " الهلال " و" المقتطف " ، ومنها مقال بعنوان **" الاشتراكية ما تطلبه وما لا تطلبه" نشره في مجلة " الهلال " شرح فيه مفهوم الاشتراكية ، وأشار فيه إلى " إن الاشتراكيين يرون أن الحل الوحيد لمشكلة العمال إنما هو انتزاع الوسائل التي تحدث الثروة من أيدي أصحاب المال ، وجعلها ملكاً للعمال، في تقاسم ونربحها فيما بينهم بدلاً من أن يتقاضوا أجوراً معلومة"**، وفي هذا المقال يُعطي تعريفاً علمياً للاشتراكية فيقول **: " أما مذهب الاشتراكية فمنطقي معقول، وهو مبني على سنة اجتماعية اقتصادية منصفة، وهو يقضي بقلب النظام الاقتصادي الحاضر ووضع نظام جديد"** (٤) .

من الجدير بالذكر، فأن نقولا حداد قد سافر إلى الولايات المتحدة، واستقر في نيويورك واتصل بقادة الفكر الاشتراكي هناك ، وفي سنة ١٩١٠ أسس بالاشتراك مع الكاتب والمؤرخ اللبناني أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٠) ، وفرح انطون جمعية عربية اشتراكية في نيويورك وأصدرت هذه الجمعية مجلة (الجامعة) للتبشير بآرائها، وعند عودته إلى القاهرة ، بدأ حداد ممارسة نضاله من اجل الاشتراكية ، مستعيناً بسعة اطلاعه، وبتمرسه في النضال العملي في مجتمع رأسمالي متقدم يعادي الاشتراكية عداءاً شديداً (٥) .

ذكر المؤرخ المصري رفعت السعيد **: " إن الأهمية القصوى لكتابات حداد ، إنها تنقلنا من مرحلة الحماس الفكري إلى مرحلة الفهم العلمي الأصيل، والقدرة على الشرح المنطقي والكفاءة العالية في الجدل ، وفي إفحام المعترضين أو المنتقدين "** (٦) ، كما شكلت كتاباته قمة

---

(١) علي المحافظة ، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩١٤ ، (بيروت- ١٩٨٣) ، ص ص ٢٤٢- ٢٤٣ .

(٢) **البلشفية** : مصطلح سياسي استخدم في ألمانيا بين الحربين، لوصف الاتجاه القومي المعادي لمعاهدة فرساي سنة ١٩١٩ ، وللغرب، وذلك عن طريق الدعوة للتحالف مع روسيا البلشفية ضد الأعداء المشتركين، وكان أول من أطلق الدعوة كارل راديك ، وقد انهار أنصار هذه الفكرة على اثر مجيء هتلر والنازية إلى الحكم . ينظر : الموسوعة السياسية ، ص١٦٠ .

(٣) مجلة المنار ، مج ١٦ ، ج ١١ ، ٣٠ كانون الأول ١٩١٨ .

(٤) رفعت السعيد ، تاريخ الحركة الاشتراكية ، الفارابي ، (بيروت – ١٩٧٥) ، ص١٢٢.

(٥) سعيد إسماعيل علي ، الفكر التربوي العربي الحديث ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،(القاهرة- ١٩٨٧) ، ص٣١١.

(٦) رفعت السعيد، تاريخ الحركة الاشتراكية ، ص ١٢٥.

التطور والنضج للفكر الاشتراكي العربي ، وكان صدروها في مصر **" إيذاناً وأعلاناً بان الاشتراكيين قد بلغوا من النضج ما يمكنهم من مجابهة أعدائهم وجهاً لوجه "** (١) .

كما أخذ خطاب فرح انطون السياسي صداه بين الأوساط الاجتماعية في مصر ، بالدعوة إلى الاشتراكية فقد نشر عام ١٩٠٣ روايته (العلم والدين والمال)، التي تؤمن بإقامة مجتمع غير طبقي من خلال **" إلغاء الملكية الخاصة، وتحويل وسائل الإنتاج جميعاً للدولة، أي الشعب عوض عن احتكارها بأيد تبتز العمر من العامل، والعرق من جسده، والخفق من قلبه ، تسلبه قوته وعزمه وشبابه ، فإذا ما أنهكه التعب وشاخ قبل أوانه، نبذه أصحاب تلك الأيدي كالبعير الهرم ، دون اعتبار إلى كفاحه وكده وتأمين اللقمة الدموية إلى فمه وأفواه عياله "** (٢) .

اعتمد أديب اسحق على الصحف لبث أفكاره في المجتمع المصري وسخر صحيفته (مصر) في نشر المبادئ الاشتراكية ، ويبدو انه تأثر بما كان يشاهده في باريس واطلاعه الواسع على الحالة السياسية فيها، والتطور الذي أصاب حياتها النيابية، وبلغت هذه المقالات غايتها من الحماسة والقوة في مقال له بعنوان (نفثه مصدور) أشار فيه إلى دور النواب الفرنسيين وكيفية مناقشتهم القوانين التي تصدرها الدولة مشيراً إلى **" إن النائب الفرنسي إذا ما وجد في أي قانون مخالفة لمصلحة الزراع فانه يعارضه وينكره ، وبعد أن يؤيده اغلب الأعضاء يُعدّل هذا القانون امتثالاً لإرادة الأمة " وربط في مقالته هذه بين حال الفلاح المصري وكيف " كان يؤمر وينهى وبين حال الفلاح الفرنسي، وكيف كان ينام ويأكل، وهو بمنأى عن العقوبة "** (٣) .

وجد الكواكبي أن أحد أسباب تخلف الأمة هي أنها لا تتبع ما نسميه اليوم بالنظام الاشتراكي، وإذا كان الكواكبي لم يدع إلى هذا المذهب صراحة فإن ما نادى به هو لب الاشتراكية، وجوهرها، لقد نادى بأن توزيع الأراضي فيه إجحاف بالفقراء، والفلاحين، والعمال واشترط لحيازة المال بعض الشروط **" الشرط الأول : أن يكون إحراز المال بوجه مشروع حلال أي بإحرازه من بذل الطبيعة أو في مقابل عمل، والشرط الثاني : أن لا يكون في التحول تضييق على حاجيات الغير كاحتكار الضروريات، أو مزاحمة الصناع، والعمال الضعفاء، أو التغلب على المباحات مثل امتلاك الأراضي التي جعلها خالقها مراحاً لكافة مخلوقاته "** (٤) .

وصف البعض الأفكار الاشتراكية بأنها **" أراء ضبابية مبهمة في جوهرها ، ومجرد رغبة بالغرق في زبد الحضارة "** (٥) ، وأن هذه **" الفئة من الشوام ، قد رضعوا الأفكار الاشتراكية الأوربية ، ولم يخرجوا عن أطار الطوباوية "** (٦) وهكذا أصبحوا مادة دسمة

---

(١) علي الدين هلال ، التجديد في الفكر السياسي المصري الحديث ، أصول الفكرة الاشتراكية (١٨٨٢-١٩٢٢) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، (القاهرة - ١٩٧٥) ، ص٨٥ .
(٢) مارون عيسى الخوري ، ملامح من الحركات الثقافية في طرابلس خلال القرن التاسع عشر ، ط٢ ، جروس برس ، (طرابلس – ١٩٨٣) ، ص ٧٣ .
(٣) أديب اسحق ، الكتابات السياسية والاجتماعية ، المصدر السابق ، ص١١١ .

(٤) محمد عبد الرحمن برج ، المصدر السابق ، ص ٦ .
(٥) ميخائيل نعيمة، سبعون حكاية عمر ١٨٨٩- ١٩٥٩ ، ط٧ ، نوفل للنشر والتوزيع ، (بيروت-١٩٩١) ، ص ١٩٠ .
(٦) ميخائيل نعيمة المصدر السابق ، ص ٢٢٩- ٢٣٢ .

لهجمات عنيفة من جانب القيادات المحافظة، فقد كان شبلي شميل موضع الاتهام بالإلحاد ووصف بـ (الزنديق المارق) ، أما أمين الريحاني كانوا يطلقون عليه تسمية (طريد الغرب المتعفن) ([1]) .

يبدو أن المفكرين العرب الشوام، كانوا تحت تأثير الجو الفكري العام لأوربا أواخر القرن التاسع عشر، وإنهم تأثروا بتيارات فكرية عديدة تعارضت مع بعضها في جوانب وتشابهت في أخرى، وبالرغم من ذلك فقد وجدت الأفكار الاشتراكية، صدى واسعاً وتقبلاً كبيراً، وكانت الاشتراكية أكثر المدارس الفكرية تأثيراً في كتابات الشوام، التي أخذت تنتشر في الأوساط الثقافية والفكرية المصرية .

صعدت الصحف المصرية المعارضة للاحتلال البريطاني لمصر، من لهجتها بأسلوب شديد المرارة على الأوربيين، وسيطرتهم، وفي إثارة النعرات الدينية عند المسلمين حتى أن صحيفة (المؤيد) نشرت مقالاً ذكرت فيه : **" نحن فرائس أسدين هما بريطانيا وفرنسا تتحينان الفرص المواتية ، لتحقيق مآربهما المستترة خلف سياستهما الخداعة ، أننا نتطلع إلى اليوم الذي تتخلص فيه جميع إداراتنا الحكومية من الأوربيين "** ([2]) .

يبدو أن مخاوف الاحتلال البريطاني من نشاط المثقفين المصريين وتسخيرهم الصحف لنقد سياستهم ، لذلك عمدوا إلى محاربة الصحافة بالصحافة ، من خلال الإيعاز للشوام بإنشاء صحف يومية سياسية تنافس صحف معارضي الاحتلال ، وتعارضهم في النهج بغية حماية المصالح البريطانية في مصر .

من البديهي أن الاحتلال البريطاني ، يعبر بالدرجة الأولى عن الحضارة الغربية التي تختلف في أدق مكوناتها عن حضارة الأتراك ، وبما أن الشوام اخذوا جانب من الحضارة الأوربية عبر الإرساليات التبشيرية ، وساروا على منوالها ، وتبنوا آراء الاحتلال ، ودافعوا عنه ([3]) ، فقد منح الانكليز الشوام في مصر فرصاً واسعة للعمل في الشؤون الإدارية والمالية والترجمة وقد أبدوا تأييدهم للحكم البريطاني بشكل مطلق كما إنهم مالوا نحو معاداة العثمانيين ووصفهم اللورد كرومر في مذكراته **: (بأنهم منحة من السماء)** ([4]) .

تزايدت هجرة الشوام بشكل حاد في أواخر القرن التاسع عشر لاسيما بعد الاحتلال البريطاني لمصر ، والقضاء على ثورة احمد عرابي ، فقد استقطبت مصر عدداً كبيراً من الشوام ولعبوا أدواراً كبيرة في كل المجالات، وأصبحت لهم ثروات طائلة وقصور فخمة ومراكز نفوذ ذات تأثير على القرار السياسي المصري ، وكان لكريم ثابت علاقات وثيقة بالبلاط الملكي وأعتبر (الملك الغير متوج) ، ويعود أصل عائلة آل ثابت إلى دير القمر من أسرة مارونية هاجرت في

---

(١) محمد يونس ، الحركة الوطنية في المشرق العربي ١٩٠٨- ١٩١٤ ، الجزء الأول ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد - ٢٠٠٨) ، ص ١٢٠ .
(٢) اللورد كرومر ، الثورة العرابية ، ص ٩١.
(٣) عواطف عبد الرحمن ، مصر وفلسطين ، ص ٥٨.
(٤) محمد أنيس ورجب حراز، التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث ، النهضة العربية ، (القاهرة – ١٩٧٢) ، ص ٣٠٤ .

القرن التاسع عشر ، فجده لأمه شاهين مكاريوس ، وخاله فارس نمر ساهم في تأسيس صحيفة (المصري) وأنتخب عضواً في مجلس الشيوخ المصري ([1]) .

ناهز عدد الشوام **" مائة إلف مهاجر، وتمتعت فئة كبيرة منهم بغنى فاحش "** ([2]) ، حتى قدرت ثروتهم ، بحوالي (٥٠) مليون جنيه مصري أي ما يزيد على مليار ونصف مليار من الفرنكات الفرنسية آنذاك وهي نسبة تعادل ١٠/١ (عُشر) الثروة القومية المصرية ([3]) .

حرص الاحتلال البريطاني، على تغذية العداء بين العناصر الشامية التي دانت لها مناصب البيروقراطية في البلاد ، وبين النخبة المثقفة المصرية ، وجرت بين الطرفين مساجلات ومهاترات شهدت أطرافاً منها صحيفة (المؤيد) التي كانت تتولى الهجوم على الجالية الشامية في مصر وصحيفة (وادي النيل) التي أفردت صفحاتها للرد على هذا الهجوم ([4])، أثارت هذه الصلة الواضحة بين الشوام والاحتلال البريطاني، عداء المصريين تجاههم وقد احتج المصريون أقباطاً ومسلمين، ورفعوا مذكرة احتجاج للورد كرومر ذكروا فيها : **" أن الشوام من الشباب المتعلم يأتون إلى القاهرة ويحصلون على أفضل وظائف الدولة وفاق عدد الذين يعملون في الوظائف الإدارية عدد المصريين "**([5]) .

أن " ردة الفعل الأولى للمهاجرين الشوام ، لم تكن معادية في البداية ، وإن كانت حذرة ، إلا أنها وبمرور الوقت أصبحت غير ودية " ويأتي ذلك " بعد أن وجد البعض من المصريين ، أن الكثير من الوظائف الإدارية ، لاسيما الحكومية مشغولة بالمهاجرين الشوام الذين كانت خبرتهم تؤهلهم لذلك ، ومن هنا بدأ الصراع الخفي والشعور المعادي للشوام ، يظهر للعلن " ([6]) .

تعرض الشوام لهجوم عنيف من جانب علي مبارك ([7]) ، الذي وصفهم بأنهم **: " دخلاء على مصر، لم يقتصر دورهم على خدمة الاحتلال البريطاني، وتقلد الوظائف الإدارية، بل مارسوا الربا الفاحش بأبشع صوره في المعاملات التجارية، ووقفوا بالضد من تطلعات الحركة الوطنية المصرية "** ([8]) .

أتهم لويس عوض فئة من الشوام كانت تدافع عن الاحتلال البريطاني لمصر بشكل سافر بالقول : **" إن بريطانيا استأجرت أقلام الشوام ، ولاسيما المسيحيين منهم من أمثال : يعقوب**

---

(١) مصطفى نبيل ،الشوام في مصر، مجلة الهلال ، السنة السادس بعد المائة ، حزيران ١٩٩٨ ، ص ١٠٠ .
(٢) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، المصدر السابق ، ص ١٤.
(٣) عبد المنعم البيه ، بحث في استثمار رؤوس الأموال الأجنبية بمصر، جامعة القاهرة ، ص ٦٨ ،
(٤) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .
(5) Zachary Lokman, "The Egyptian Nationalist Momvement and the Syripans in Egypt " Lmmigrants and Minorities 3 (1984): pp.233- 51.
(٦) حسين خلاف ، المصريون والهجرة ، جريدة الأهرام ، ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٠ ، ص ٣ .
(٧) **علي مبارك :** ولد بمصر سنة ١٨٢٤ ، أرسل ضمن بعثة مصرية إلى باريس عام ١٨٦٧ لتلقي العلوم العسكرية ، فعاد بعد أربع سنوات ضابطا إلى مصر، شغل عددا من الوظائف العسكرية، وعين ناظرا للأوقاف وأسندت إليه حقيبة المعارف، كما تولى حقيبة الإشغال العامة، توفي سنة ١٨٩٣، أبرز مؤلفاته :الخطط التوفيقية في ٢٠ جزء ، علم الدين ، حقائق الإخبار في أوصاف البحار . ينظر : إبراهيم مصطفى الوليلي، المصدر السابق ، ص٤٢-٤٣ .
(٨) مصطفى نبيل ، المصدر السابق ، ص ١٣١.

صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس وروفائيل مشاقة وسليم نقاش وميخائيل عبد السيد وسليم عنحوري وخليل اليازجي وغيرهم " (١) .

عبر سليم سركيس عن غضبه ، من اتهامات المصريين لهم بالعمالة للأجانب ، بالقول : **" كلما استاء مصري من سوري قام يقول : إننا دخلاء ، وإننا جئنا مصر عراة حفاة، لا قوت في بطوننا ولا مال في أيدينا "** وأردف قائلاً : **" أما كوننا دخلاء فيكذبهم صياحهم الذي ملأوا به الأرض في الطول والعرض وكلما قلنا إن مصر ليست عثمانية قامت علينا القيامة وقالوا : بل نحن أصدق من العثمانيين ولاء وطاعة لأمير المؤمنين "**(٢) .

ألقى الرئيس الأمريكي روزفلت محاضرة في الجامعة الأهلية في القاهرة عام١٩١٠ خطاباً تطرق إلى حادثة اغتياله بطرس غالي(٣)، قائلاً : **" إن هذه الجريمة وبال على ألاماني الوطنية "**، كما تحدث عن موضوع الأمم التي تمنح الدساتير وهي لم تزل في دور التكوين ، فقال : **" إن مثل هذه الأمم تكون خطراً على نفسها لأنها لم تتم فيها الصفات التي تمكنها من الانتفاع بالدستور "** ، ثم أشار إلى الإدارة البريطانية في السودان وأثنى على اللورد كرومر وسياسته في مصر(٤) .

تناولت الصحافة المصرية ، هذا الخطاب بعاصفة من النقد ، لاسيما صحيفتي (المؤيد) و(الجريدة)، ونشرت (الشعب) صحيفة الحزب الوطني مقالاً اتهمت الشوام المقيمين في مصر، **" أنهم هم الذين أفهموه ما أوغر صدره على المصريين "** ، ثم وجهت اتهامات شديدة اللهجة وقاسية إلى الشوام واصفتاً إياهم : **" بأنهم حفنة من الدخلاء، سعوا لتشويه سمعة مصر" وقد أخذت تلك المعارك شكلاً خطيراً "** (٥) .

بلغت المشكلة ذروتها ، حين تعرض رياض باشا (٦)، رئيس الوزراء عام ١٨٩٥ ، إلى ضغط شديد من المثقفين المصريين، دفعه لمحاولة استصدار قانون يحرم على الشوام تولي

---

(١) لويس عوض، المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .
(٢) مجلة سركيس ،العدد ٢٦٥ في ١٥ أيلول ١٩٠٨.
(٣) **بطرس غالي:** سياسي مصري قبطي ولد في بلدة الميمون في مديرية بني سويف سنة ١٨٤٦، تلقى تعليمة في الكلية الاكليريكة، تسنم عدة مناصب منها وزير المالية، ووزير الخارجية لمدة ثلاثة عشر عام حيث وقع مع بريطانيا على اتفاقية الحكم الثنائي للسودان سنة ١٨٩٩، وترأس محكمة دنشواي، ورئاسة الوزراء من ١٢ تشرين الثاني ١٩٠٨ إلى ١٢ شباط ١٩١٠، اغتيل على يد إبراهيم ناصف الورداني الذي اعترف بأن الدافع وراء فعلته هي أسباب سياسية وليست طائفية منها توقيعه على اتفاقية الحكم الثنائي على السودان وأحكام محكمة دنشواي وإعطاءه امتياز للشركة التي تولى إدارة قناة السويس أربعين سنة قادمة، لمزيد من التفاصيل ينظر: ماهر حسن، اغتيال رئيس الوزراء بطرس باشا، صحيفة المصري اليوم ، العدد ، ٢٤٤٣، ٢٠ شباط ٢٠١١ .

(٤) احمد شفيق باشا، مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، ق ١، ص ٢١٢.
(٥) محمد محمد حسين ، المصدر السابق ،ج ٢، ص١٣٠.
(٦) مصطفى رياض باشا : ولد في القاهرة عام ١٨٣٤، وتخرج من مدرسة المفرزة العسكرية، وعين كاتباً بديوان المالية عام ١٨٤٨، وتدرج في الوظائف حتى التحق كاتباً بالمعية ، وفي عام ١٨٥٢ عين ياوراً بمعية عباس الأول (١٨٤٨- ١٨٥٤) ، وظل يترقى بعد ذلك حتى نال رتبة الأمير الاي ثم عين مديراً للجيزة ، في عهد الخديوي إسماعيل عين عضو في المجلس المخصوص الذي كان بمثابة مجلس نظار، عين بعد ذلك رئيساً للديوان الخديوي ثم ناظراً في أول نظارة (نظارة نوبار) ١٨٧٨، ثم شكل نظارته الأولى (١٨٧٩- ١٨٨١) . ينظر : يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية (١٨٧٨- ١٩٥٢) ، الأهرام ١٩٧٥ .

المناصب الحكومية في مصر، ولكن اللورد كرومر حال دون صدور هذا القانون، وأعلن : **" أن مثل هذا القانون لن يرى النور، طالما أن هناك جندياً بريطانياً واحداً في شوارع القاهرة "** (١) .

رأى اللورد كرومر **" أن من الأجدى محاربة الصحافة بالصحافة "** مما دفعه بمساعدة صحيفة (المقطم) على الصدور عام ١٨٨٩ ، والتي سارت في سياستها على مناصرة الاحتلال البريطاني ، وبث الدعاية له ، وشد أزره وقد أعلن ذلك أصحابها صراحة على صفحاتها بالقول : **" أن غرضهم السياسي من تأسيسها هو تأييد السياسة البريطانية في مصر "** (٢) .

أخذت صحيفة (المقطم) بالدفاع عن بقاء الاحتلال البريطاني في مصر بالقول **: " إن الانكليز لا يخرجهم منها احد، وإنما يخرجون برضاهم واختيارهم، فلا يعقل أن دولة عزيزة الشأن واسعة السلطان ، شديدة الصولة كدولة الانكليز تهرق دماء رجالها، وتبذل قوتها حتى توطد قدمها في بلاد لمقاصد أهمها دفع الغير عنها، ثم تخرج من تلك البلاد بمجرد طلب ذلك الغير خروجها منها "** (٣) .

كان الاحتلال البريطاني وصحيفة (المقطم) ضد ارتباط مصر بالدولة العثمانية ، فضلاً عن علاقتهم السيئة بالخديوي عباس الثاني (٤) والصحيفة المؤيدة له ولاتجاهاته والمناهضة للاحتلال في نفس الوقت وهي صحيفة (المؤيد) (٥)، ومن الطريف في الأمر أن أصحاب (المقطم) بدعم من اللورد كرومر لهم ، وسلطة الاحتلال ، هاجموا الحركة الوطنية وصحفها ، والخديوي عباس الثاني ، وعندما حاول الخديوي عباس الإنعام على فارس نمر برتبة الباشوية ، رفض فارس ذلك الإنعام (٦) .

أكدت (المقطم) أن غرضها هو **" تأييد السياسة الإنجليزية التي لولاها ما كان في الشرق بلد يستطيع أحد أن يعيش فيه ويجاهر بآرائه وأقواله "** (٧) ، وكانت (المقطم) حريصة على نشر خطب ملكة بريطانيا باللغة العربية في الصفحة الأولى ، أما عيد الملكة ، فكانت تخصص له معظم مساحة الصفحة الأولى ، بل أن وفاة أبن ولي عهد إنجلترا ، كانت لدى (المقطم) أشبه بوفاة

---

(1) Cromer Lord , Modern Egypte PPV . 11 . p 217 .

(٢) عبد الرازق عيسى ، عبير عيسى ، مصر وميلاد القرن العشرين : دراسة تحليلية ، العربي للنشر والتوزيع ، (القاهرة – ٢٠٠١) ، ص ٢٣٨ .

(٣) المقطم ، شرق وغرب ، ١٢ أيلول ١٨٨٩ ، ص ١ .

(٤) **عباس حلمي الثاني** (١٨٧٤ – ١٩٤٤) هو الابن الأكبر للخديوي توفيق تولى خديوية مصر وهو في الثامنة عشرة من عمره حاول مقاومة الاحتلال البريطاني دون جدوى وبقيت السلطة الفعلية بيد المعتمد البريطاني بدءاً من كرومر إلى غورست ، وكتشنر فسلبوا منه السلطة وعند نشوب الحرب العالمية الأولى انتهز البريطانيون فرصة وجوده بالأستانة فخلعوه في ١٩ كانون الأول عام ١٩١٤ بعد فرض الحماية ، قضى عباس حياته في المنفى وتوفي هناك ودفن في مصر عام ١٩٤٤. محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، المصدر السابق ، ص١١٧٥- ١١٧٦ .

(٥) عبد الرازق عيسى ، عبير عيسى ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨.

(٦) أنور الجندي ، تطور الصحافة العربية ، مطبعة الرسالة ، (القاهرة – ١٩٦٦) ، ص ٤٨ .

(٧) فيليب دي طرازي ، تاريخ الصحافة ، ج ٣ ، ص ٣٤ .

الخديوي توفيق **" كان المصابان في أسبوع واحد ، وقد تشابهنا كلانا في المصاب الفادح ، كما تشابهنا في المصالح "** (١) .

من هنا جاء وصف الروائي المصري يحيى حقي لصحيفة (المقطم) **" بأنها صحيفة الاحتلال "** (٢) ، كما وصفها المحامي فتحي رضوان وهو أحد أعضاء الحزب الوطني: **" أن (المقطم) جريدة احتلالية اسماً ورسماً ، سراً وعلناً ، وتدافع عن سياسة الاحتلال بلا تحرج ، ولا احتشام ، وتجد في ذلك سعادة أن تكون جريدة الاحتلال "** (٣) .

كما وصفت جريدة (البسفور اجبسان) صحيفة (المقطم) ، بأنها **" تلك الصحيفة العربية التي تعمل جاهزة لخدمة الإنجليز "** ، وقد زعم اللورد كرومر : **" باستطاعتي حكم مصر بعشرة آلاف جنيه وصحيفة (المقطم) "** كما قال كرومر في مناسبة أخرى : **" إنه يستطيع أن يحكم مصر بخمسين جندياً فقط ، شريطة أن تواصل (المقطم) صدورها "** (٤) .

ذكر سلامة موسى أن بعض الشباب ، عقب مأساة دنشواي ، كانوا يشترون صحيفة (المقطم) ويمزقونه حتى لا يقرأها أحد باعتبارها ربيبة لسلطات الاحتلال، وتعد (المقطم) هي الحلقة الثالثة التي تبدأ بـــ (المقتطف العلمية) ثم (اللطائف الأدبية) ثم (المقطم) تعني بالنواحي السياسية وكانت الصحف الثلاث حريصة على إظهار تبعيتها لسلطات الاحتلال (٥)

كان فارس نمر أحد أصحاب صحيفة (المقطم) وثيق الصلة بسلطة الاحتلال البريطاني ، وقد زوج ابنته إيمي (Emy) من والتر سمارت (Walter Smart) السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية في القاهرة (٦) ، ولم يكن يسمح للدبلوماسي البريطاني بالزواج من أجنبية فاشترطت عليه حكومته الاستقرار في مصر نهائياً، وهكذا قضى فيها كل أيام حياته ودفن في القاهرة بعد موته ، وتحمل زوجته الجنسية البريطانية (٧) .

ومن الجدير بالملاحظة أن بريطانيا أرادت تكريس احتلالها لمصر من خلال تأسيس مطابع خاصة لصحف الشوام ، والتي دعمت وأيدت الاحتلال ووصفته بالتحرير، ولاسيما صحيفة (المقطم) التي موَّلت بأموال اللورد كرومر، ويؤكد ذلك المؤرخ الروسي ليفين بالقول : " أن بريطانيا كانت تسعى إلى توطيد وضعها في مصر، بتأييد العناصر ذات الميول المعادية للأتراك ، الأمر الذي أتاح للقوميين العرب (الشوام) فرصة نقد الاستبداد التركي وتخلف الإمبراطورية العثمانية ، مؤثرين انشغال (الانتلجنسيا) والشبيبه المصرية بمشاكل الإصلاحات الدينية ، على انشغالها بالنضال ضد الاحتلال البريطاني " (٨) .

---

(١) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٤٠٩ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٠٩
(٣) فتحي رضوان، صحافة بلا أحزاب، وأحزاب بلا صحافة، مجلة الدوحة ، تشرين الثاني ١٩٨٤،ص ٣٦.
(٤) وسيم خالد، الكفاح السري ضد الاحتلال الانجليزي لمصر مكتبة الأسرة ،(القاهرة -١٩٨٥) ، ص ١٣٨.
(٥) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٤١٠ .
(٦) عبد المنعم شميس ، القاهرة قصص وحكايات ، ص ٦٥ .
(٨) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٢٢٨ .
(٩) ز . ا . ليفين ، المصدر السابق ، ص ص ٨١- ٨٢ .

بصرف النظر عن تأييد ومساندة بعضٍ من صحف الشوام للاحتلال البريطاني ومحاولة بعض المؤرخين وصفهم بالعملاء للأجانب ، إلا أننا نرى أن هناك مواقف للشوام ، كانت بالضد من الاحتلال ، فقد تبنى أديب اسحق توجهات الحركة الوطنية المصرية، ومناصرتها ، والوقوف بوجه حكومة رياض باشا المعروف عنه من استبداد في الرأي تجاه المصريين ،والموالي للاحتلال البريطاني ، بعد إغلاق صحيفته (مصر) هاجر أديب اسحق إلى فرنسا ، وأقام بباريس واصدر فيها عام ١٨٧٩ صحيفته (مصر القاهرة) التي كرسها لمهاجمة حكومة رياض باشا الاحتلال البريطاني لمصر ، بتوجيه من الاتجاه الذي تبلور لاحقاً في (الحزب الوطني)، وهو أول حزب مصري معارض ([١]) .

أفتتح أديب اسحق صحيفته (مصر القاهرة) التي أصدرها من باريس بمقال أشار فيه إلى رياض باشا بقوله : **" هذه صحيفة مصر ، طواها الاستبداد ، فماتت شهيدة (أي في مصر) ثم أحيتها الحرية فعاشت سعيدة (أي في باريس) حاول أحدهم (أي رياض باشا) إطفاء نوري ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الظالمون "** ([٢]) .

فتح الشوام صفحات صحفهم للمناقشات العلمية المثمرة ، ونشروا فصولاً عدة في السياسة الدولية والفكر الاجتماعي والسياسي وعنيت صحافتهم بتتبع الحركات القومية والاستقلالية وتتبع النضال من اجل الحريات الدستورية ، فأخذ أديب اسحق بعد أن أصدر صحيفته (مصر) يعلن فيها الخطة التي يتبعها نحو الحكومة المصرية فيقول **: " سأكشف حقائق الأمور ملتزماً جانب التصريح ، متجافياً عن التعريف والتلميح ... وأوضح مساوئ اللصوص الذين نسميهم اصطلاحاً " أولي الأمر " ومثالب الحكام الذين ندعوهم أمناء الأمة "** ([٣]) . وكتب في هذه الصحيفة مقالات عدة كان من أهمها تأثيراً مقال بعنوان **" الحياة السياسية والحقوق والواجبات"** شرح فيه معنى الحقوق و الواجبات ومفهوم الوطنية والحرية ([٤]) .

هاجم أديب اسحق الاستبداد عاداً إياه سبب تأخر الشرق ، وهو في هذا يقول : **" إن تدهور الشرق مرجعه ما استقر فيه من الجهل وما أستتب من الظلم والاستبداد "** وحمّل حكام الشرق وزر ما تعانيه شعوبهم من تدهور وانحلال ([٥]) ، وبالمقابل نبه إلى أهمية الحرية عاداً إياها غاية الحياة السياسية مبيناً معناها **" انه حق للإنسان إن يكون حراً في ما يقول وفيما يفعل مما لا يخالف قانون العدل والحق "** ([٦]) .

---

(١) أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وإعلامها في النهضة العربية الحديثة، ط ٦ ، دار العلم للملايين، (بيروت - ٢٠٠٠) ، ص ٤١٤ .

(٢) أنيس المقدسي، المصدر السابق ، ص ٤١٤ .

(٣) عبد اللطيف حمزة ، قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها حتى منتصف القرن العشرين ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، (القاهرة-١٩٨٥) ، ص٧٤.

(٤) إبراهيم شحاتة حسن، مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة احمد العوام (دراسة مقارنة في الأصول التاريخية للثورتين العرابية والمهدية واتجاهات الفكر الثوري في عهدهما)، (الإسكندرية – ١٩٧٠)، ص ص٨٦ – ٨٧ .

(٥) فاروق أبو زيد، عصر التنوير العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت- ١٩٧٨) ، ص ص٨٤ – ٨٥.

(٦) أديب اسحق ، المصدر السابق ، ص ٣٨.

واصل أديب اسحق مقالاته التي كان يسخر فيها من الحالة السيئة التي وصل إليها المصريون والعثمانيون ، وبلغت هذه المقالات غايتها من الحماسة ، والقوة في مقال له بعنوان "نفثة مصدور" أشار فيه إلى دور النواب الفرنسيين وكيفية مناقشتهم القوانين التي تصدرها الدولة مشيراً إلى إن النائب الفرنسي إذا ما وجد في أي قانون مخالفة لمصلحة الزراع فانه يعارضه وينكره ، وبعد أن يؤيده اغلب الأعضاء يُعدّل هذا القانون امتثالاً لإرادة الأمة ، وربط في مقالته هذه بين حال الفلاح المصري وكيف كان يؤمر وينهى ، وبين حال الفلاح الفرنسي وكيف كان ينام ويأكل وهو بمنأى عن العقوبة ([1]) .

لم يقتصر دور بعض من الشوام على دعم ومساندة الاحتلال البريطاني من خلال الصحافة بل نجد منهم من شغل مناصب عديدة في صفوف الإدارة والجيش البريطاني ، بوصفهم موظفين في مناصب عليا وضباط كبار شكلوا ثقلاً فعلياً في الدوائر البريطانية بمصر ، هذا إلى جانب التحاقهم كذلك في وظائف أداريه ، وعسكرية في الإدارة البريطانية في السودان مثل : شاهين بك جرجس سكرتير سردار الجيش البريطاني في مصر ، ومن ثم سكرتير حاكم السودان العام وأسعد بك معلوف ، وكان برتبة أركان حرب في الجيش البريطاني ، والطبيب منصور قطيط البكباشي بالقسم الطبي ، وخليل الحاج الذي وصل لمنصب مساعد رئيس المخابرات بحكومة السودان عام ١٩٠٢ ، وصموئيل بك عطية رئيس إدارة المخابرات لحكومة السودان ([2]) .

تبنت أكثر صحف الشوام آراء الاحتلال ، ودافعت عنها وهاجمت الحركة الوطنية المصرية ففي مجلدها الثالث عشر كتبت مجلة (الجنان) مقالاً هاجمت به الحركة العرابية ([3]) بالقول : **" قادرون على أنفاذ نوايا الحضرة الخديوية الخيرية التي أجمع الناس على أنها نقلت البلاد في ثلاث سنوات من حال إلى حال ، ولولا عدوان العرابيين ومطامعهم وخياراتهم وإضرارهم وجهلهم لرأينا في تلك الديار الميمونة في السنة الرابعة من التقدم والراحة والنمو إضعاف ما شاهدنا في السنين الأولى من إدارته "** ([4]) .

ونشرت صحيفة الأهرام في ٢٩ أيلول ١٨٨٢ مقالاً لها بعنوان (العاصي عرابي ورفاقه البغاة) واصفتاً أحمد عرابي ([5])، ورفاقه بالقول : **" ولما أشتد كرب الفئة الباغية، عرابي**

---

(١) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية في مصر ، ج ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة-١٩٩٤) ، ص ص ٤١- ٤٢ .

(٢) الياس زخورا ، السوريون في مصر ، ج ٢ ، ط ١، المطبعة العربية ، (القاهرة – ١٩٧٢) ، ص ٣٨ .

(٣) لم تكن الثورة العرابية حركة وطنية عامة في بدء نشأتها ، ولم يكن لها برنامج معين ، ولكنها نشأت في بدايتها نتيجة لسخط أفراد قلائل من كبار ضباط الجيش المصري ، المتخرجين من تحت السلاح الفوا أنفسهم محرومين من حق الترقي إلى رئاسة الألايات خلافا للجراكسة والأتراك ، فكتب احمد عرابي عريضة بالشكوى من عثمان رفقي باشا ناظر الحربية تحوي بين طياتها روح التمرد وطلب عزله ، وتحقيق ما يشكو منه الضباط على يد مجلس عسكري ووقع عليها الضباط الثلاثة ، احمد عرابي ، وعبد العال حلمي ، وعلي فهمي ، وبعد هذا العمل بدء الثورة العرابية . لمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الرحمن الرافعي ، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي ، ط٢ ، دار المعارف ، (القاهرة -١٩٨٤) ، ص ٦٩- ٨٢ .

(٤) مجلة الجنان ، المجلد١٣، ج١٨، ١٥ أيلول ١٨٨٢ ، ص ٥٤٥ .

(٥) احمد عرابي : ولد في ٣١ آذار ١٨٤١ في إحدى قرى مديرية الشرقية وكان والده يحتل منصب شيخ البلد، تعلم القراءة والكتابة ، ثم درس في جامع الأزهر عام ١٨٤٩ مدة أربع سنين حصل فيها على بعض علوم اللغة والفقه والتفسير وفي ٦ كانون الأول ١٨٥٤ التحق بالخدمة العسكرية جندياً، وبعد أربع سنوات أصبح ، ضابطاً في الجيش المصري ، وبرز بشكل واضح في عهد الخديوي إسماعيل ، وتزعم زملاءه الضباط وكسب حبهم وولاءهم وفي سبعينيات القرن التاسع عشر ظهر نشاطه العسكري والسياسية وأصبح أمير الآي عام ١٨٧٩=

ورفاقه كنا نتمنى لو أتت دولة البرابرة لتنقذنا من مخالبها، فما بالك بدولة بريطانيا المتمدنة المشهورة بحسن السياسة، ومزيد الكياسة، ودهاء الرجال، وسداد الأعمال "، ([1]) كما نشرت في صفحتها الأولى صورة للجنرال غارنت جوزيف ولسلي(Garnet Joseph Wolseley) قائد الحملة البريطانية ([2])، وهناك مثقفون من الشوام، اتسمت مواقفهم بالتراجع بعد أن كانوا قد أعلنوا تأييدهم للثورة في بادئ الأمر، كأديب اسحق الذي لم تستمر جهوده ومواقفه في صف الثورة حتى نهايتها ، وقد أشار إليه أحمد عرابي هو ومثقف آخر من أهل الشام هو قدري بك الشامي وقد سماهما " مرتزقة الأدباء " ([3]) .

ذكر احمد عرابي في مذكراته كيف خدعه بشارة تقلا مؤسس صحيفة (الأهرام) فقد كان مؤمناً بمبادئه، أو هكذا كان يتظاهر بالقول : **" وبعد ساعة جاء ليزورني بشارة تقلا، محرر صحيفة الأهرام ، وظننت أنه قدم ليعزيني ، ويبدي عواطفه نحوي ، لأنه قد أقسم بدينه وشرفه أنه واحد منَّا، وأنه يعمل لحرية وطننا ، ولكنه لما دخل عليَّ تَوَقَّح أشدَّ التوقُّح ، ثم قال : أيْ عرابي ماذا فعلت ؟ وماذا حل بك ؟ ورأيت أن الرجل خائن لا محالة "** ([4]) .

من الشوام من بلغ انحيازه وهجومه على الثورة إلى درجة لا توصف سليم النقاش مؤلف كتاب (مصر للمصريين)، الذي أوقع اللوم على الأهالي في تعليله لأسباب مذبحة الإسكندرية ، متهماً إياهم بأنهم هم الذين بدأوا الهجوم على الأجانب، كما انه كان يصف المهاجمين بأنهم **"سفلة القوم ورعاعهم "** وكان يستخدم عبارة **" العصاة "** كوصف للعرابيين ، ويسمي أهل القاهرة الذين تصدوا للمحتل البريطاني **" بالرعاع "** ([5]) .

الأمر الذي جعل أحمد عرابي بأن يصف كتاب سليم النقاش (مصر للمصريين) بالقول : **" انه حوى على أكاذيب وأباطيل ، ووضعه لإرضاء ذوي النفوذ من خصوم الثورة ، وانه كتاب مشوه فيه الغث والسمين ، والصدق والكذب "** ([6]) .

هناك من الشوام ممن انحازوا ضد الثورة وأشار إليهم عرابي في مذكراته ، أمثال حمزة فتح الله الذي كتب مقالات عدّة في جريدتي " الاعتدال " و " البرهان " اللتين أصدرهما سنة ١٨٨١ وهاجم فيهما عرابي واصفاً ً إياه بالجاهل وانه خاطر بدماء المسلمين ، متهماً إياه بالخرف ،عاداً الحرب التي خاضها بأنها تهلكة ، ووصفها بأنها **" حرب شيطانية ناشئة عن حب الذات والمصلحة الشخصية "** ([7]) .

=وتولى زعامة الجيش والأمة المصرية في أهم حقبة من حقب التاريخ المصري الحديث ، وقاد الثورة العرابية في أيلول ١٨٨١ ، وبعد فشلها عسكرياً نفي إلى جزيرة سيلان، ثم عاد إلى مصر بعد العفو عنه من الخديوي توفيق وتوفي في ٢١ أيلول ١٩١١. عبد الرحمن الرافعي ، الزعيم احمد عرابي ، دار الهلال ، (القاهرة – ١٩٥٧) .

(١) أحمد حمروش ، المصدر السابق ، ص ٧٥.

(٢) محمد جبريل ، المصدر السابق، ص١٦١ .

(٣) أحمد عرابي ، مذكرات أحمد عرابي ، ج ١ ، دار الهلال ، (القاهرة – ١٩٥٤) ، ص٢٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .

(٥) سليم خليل النقاش ، مصر للمصريين ، ج ٥ ، (الإسكندرية -١٨٨٤) ، ص ٣٥٢.

(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٢٠ .

(٧) احمد عرابي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

أما صحيفة (المقتطف) فقد نشرت افتتاحية غداة القضاء على الثورة العربية ، تقدم تهنئه للقراء على " **خمود نيران الثورة المصرية ، ورجوع مصر إلى مجاريها ، وانكساف شمس باغيها ، ولا عجب أن حدا إليها حادي العمل ، وأوى إليها طائر السلام** " (١) .

لا يمكن إنكار ما قدمه الشوام ، من خدمات في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهذا لا يمنع من القول أن فئة من الشوام وقفت بالضد من تطلعات الحركة الوطنية المصرية ، لاسيما ثورة أحمد عرابي ، الأمر الذي جعل الشعب المصري يعبر عن استنكاره ونقمته على الدور العدائي الذي كان يقوم به الشوام ضد الحركة الوطنية المصرية وقد تمثل ذلك الاستهجان والاستنكار في موقف الشيخ محمد عبده متهماً الشوام بالتعاون مع الاحتلال البريطاني لمصر ، فضلاً عن مهاجمة الصحف المصرية الوطنية مثل صحيفة (الأستاذ) لعبد الله النديم و(المؤيد) للشيخ علي يوسف وغيرها ، والتظاهرات التي كان قام بها الوطنيون ضد صحف الشوام الموالية للاحتلال البريطاني .

ومن الجدير بالملاحظة محاولة رجال الحركة الوطنية استبعاد الشوام عن طريق وضع ضوابط للجنسية المصرية وتشويه صورتهم من خلال المقالات الصحفية ، وقد جرت بين الطرفين مساجلات، وصلت حد السب العلني وشهدت أطرافاً منها جريدة (المؤيد) التي كانت تتولى الهجوم على الجالية الشامية في مصر، وانزلق عبد الله النديم بتوجيه السب والقذف إلى الصحافيين الشوام ، واحدث بهذا النقد فتنة كبرى كان من نتائجها ، أن ترك الصحفيون الشوام مصر واضطر الكثير منهم مغادرة المدن المصرية لاسيما بعد انتصار ثورة احمد عرابي في تلك الفترة وعادوا إلى بلاد الشام حتى تخمد نار الثورة العرابية .

(١) مجلة الطليعة المصرية ، العدد (١١) ، تشرين الثاني ١٩٦٩ .

المبحث الثاني: الحياة الاقتصادية :

شهدت مصر في مطلع القرن التاسع عشر انقلابا اقتصادياً تأثر بالثورة الصناعية التي بدأت في بريطانيا أواخر القرن الثامن عشر، ثم انتقلت إلى أوربا في أوائل القرن التاسع عشر فنشأت في مصر الصناعات الآلية الكبيرة وتضخم الإنتاج الزراعي، واتصال مصر بأوربا، فضلاً عن الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ – ١٨٦٥)([1]) ، التي أسهمت في زيادة الطلب على القطن المصري، مما أدى إلى زيادة المساحات المخصصة له، فبلغ إجمالي المساحة المزروعة قطناً في سنة ١٨٦٤ ما يقرب من مليون فدان، وقد أدى ذلك إلى زيادة أسعار القطن، فبعد أن كان سعر القنطار الواحد منه سنة ١٨٥٤ ما قيمته ٨,٥ ريال مصري "الريال الواحد يساوي ٢٠ قرش" ، ارتفع في سنة ١٨٦٣ ليصل إلى٢٣ ريال ، الأمر الذي جعل أعداد كبيرة من الشوام أن تقوم بأعمال السمسرة والرهونات على القطن بين الفلاحين ([2]) .

علل المؤرخ اللبناني مسعود ضاهر اسباب كره المصريين للشوام بالقول : **" أن كره وسخط المصريين قد أزداد على أهل الشام في أواخر القرن التاسع عشر، ويرجع ذلك بسبب نجاح التجار الشوام ، الذين استفادوا من ارتفاع أسعار القطن "** ([3]) .

بدأت العناصر الشامية في عهد الخديوي إسماعيل ، تفد إلى مصر، نتيجة لأزمة صناعة الحرير في لبنان، وكان إسماعيل أسير حلمه بجعل مصر قطعة من أوربا، فألحق عدداً كبيراً من أبناء الشام بالوظائف الحكومية ، لإتقانهم اللغات الأجنبية ، ولدرايتهم الوظيفية ([4]).

نجد أن الشوام الذين قدر لهم العمل بالتجارة سواء في داخل مصر، أو بممارسة هذا العمل ما بين مصر وبلاد الشام استطاعوا أن يكونوا شركات خاصة ببعض السلع ، وخير مثال على ذلك نقولا الحمصي الشامي الذي كان يقوم باستيراد المرجان وتوزيعه على التجار المشتغلين بالتجارة في هذه السلعة بوكالة المرجان في القاهرة ([5])

كما تمكن بعض الشوام عن طريق ممارسة النشاط التجاري، من تكوين رأس مال ضخم أستثمر في تكوين شركات تجارية كبيرة أو في تملك العقارات في المدن المصرية المختلفة أو في التزام الأراضي الزراعية ، أو في بعض الصناعات المحلية ، فضلاً عن نسبة من التجار الشوام ممن يمتلكون محلات تجارية في سوق الصياغة بالقاهرة وسوق الحمزاوي وهي سوق متخصصة في تجارة الأقمشة المحلية والمستوردة لاسيما الحريرية والقطنية ([6]) .

---

(١) النزاع الذي نشب بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية التي انفصلت عن الاتحاد ، وكان اختلاف المصالح بين فريقي الولايات من أهم الأسباب التي أدت إلى الحرب ، ونشأ العداء بين الطرفين بشكل محسوس بعد سنة ١٨٢٠، السنة التي عقدت فيها اتفاقية ميسوري ، التي كانت ترمي إلى إيجاد تسوية دائمة لأسباب العداء وبلغ عدد الضحايا من الأمريكيين نحو ٦٠٠ إلف رجل ، وكان من نتائج هذه الحرب إقامة حكومة مركزية قوية . ينظر: الموسوعة العربية الميسرة ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٦٩٦-٦٩٧.

(٢) جمال الدين محمد سعيد، التطور الاقتصادي في مصر منذ الكساد العالمي ، ط١ ، (القاهرة - ١٩٥٤)، ص ص ١٠٣- ١٠٤ .

(٣) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص٢٢ .

(٤) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٣٣٧.

(٥)ارشيف المحكمة الشرعية ، سجلات محكمة الصالحية النجمية ، سجل (٥١٩) ، ص ٢٧٠ ، وثيقة ٥٣٦ .

(٦) السيد سمير عبد المقصود ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

أستقر الشوام في سوق الحمزواي، ولاسيما المسلمين منهم، واتخذوا منها مركزاً تجارياً هاماً، ومسكناً بجوار إعمالهم ، ففي هذا السوق كانت تباع بضائعهم الشامية (الحريرية والقطنية) (١) وترصد لنا محكمة الباب العالي كثيراً من التجار الذين استقروا في سوق الحمزاوي ، حيث يشتهر هذا السوق بتجارة الأقمشة المحلية والمستوردة ، وفيه كانت للشوام وكالاتهم التجارية الخاصة بهم مثل (وكالة أبو طاقية الحمصي) (٢)، كما شمل نشاط الشوام مختلف السلع التي كانت رائجة آنذاك، ومن بين تلك السلع الأقمشة القطنية، والحريرية، والبن، والتبغ، والصابون والحلوى، وغير ذلك من السلع الأخرى (٣) .

كان المجتمع في ذلك الوقت يقوم على أساس التنظيم التجاري، فأبناء كل مهنة يكونون طائفة لها شيخها ووكيلها، وكذلك المشتغلين بالتجارة ، فتجار كل سلعة يكونون فيما بينهم اتحاداً أو طائفة لها شيخها، ووكيلها كذلك بهدف حماية السلعة، والتحكم في أسعارها ، وقد تمكن كثيرٌ من إبناء المناطق الفلسطينية في الوصول إلى منصب مشيخة الطائفة، التي ينتسبون إليها ، فقد استطاع الخواجا محمد الشامي الفلسطيني الأصل أن يصبح (شيخ الشرب) في (سوق الشرب)، كما استطاع الحاج احمد الفلسطيني الشامي أن يصبح (شيخ طائفة القطانين) أي المشتغلين بصنع الملابس القطنية في وكالة القطن ببولاق (٤) .

من واقع وثائق محكمة القسمة العسكرية بأرشيف المحكمة الشرعية بالقاهرة نستطيع أن نقف على ضخامة التركات والثروات التي خلفها أبناء الشوام لورثتهم سواء الموجود منهم بمصر أو بلاد الشام إذ إن حجج أعلام الوراثة وتحديد الورثة كانت في كثير من الأحيان تصدر من محاكم بلاد الشام ويقرها القضاء في مصر بعد ثبوت صحتها (٥) .

كان هؤلاء التجار والحرفيون كما يتضح من الوثائق ينتمون إلى جميع مناطق بلاد الشام فنجد من بينهم الدمشقي والحلبي والطرابلسي والصوري والخليلي والجليلي والغزي والصفدي وغير ذلك من مدن الشوام التي ينتمون إليها (٦) .

أما عن استثمار الشوام لرؤوس الأموال التي تكونت لديهم ، فقد استثمروها بحرية كما يتضح من الوثائق في كل أوجه الاستثمار الممكنة ، مثل شراء العقارات والدور في القاهرة وغيرها من المدن المصرية ، وفي التزام الأراضي الزراعية في مختلف إنحاء مصر (٧) .

تعد السنوات التي سبقت مباشرة احتلال البريطانيين لمصر عام ١٨٨٢ ، إثر ثورة أحمد عرابي وحتى الحرب العالمية الأولى أكثر المراحل أهمية في تاريخ هجرة الشوام إلى مصر ، إن

---

(١) علماء الحملة الفرنسية ، وصف مصر ، ترجمة زهير الشايب ، ج ١ ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – ١٩٧٩) ، ص ٢٣٩.
(٢) السيد سمير عبد المقصود ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .
(٣) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .
(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مصر والشام في العصر العثماني من خلال وثائق المحكمة الشرعية ، مجلة الدوحة ، العدد ٨٤ ، أيلول ١٩٨٢، ص ١٧ .
(٥) أرشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ٧ ، ص ١٧٩ ، وثيقة ١٨١ .
(٦) أرشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥ ، ص ١٧٩ ، وثائق رقم ٣٤٦، ٤٢٧، ٤٣٤ .
(٧) أرشيف المحكمة الشرعية ، سجل إسقاط القرى ، رقم ٧ ، ص ٢٩ .

لم نقل العصر الذهبي لهذه الهجرة من حيث العدد والنفوذ والتمدد الجغرافي والبروز في كافة المستويات، ويبرز تمدد الشوام بين مختلف المدن المصرية أن مصر فتحت ذراعيها للمهاجرين الشوام دون أية قيود أو تضييق فلم تكن هنالك حواجز عرقية، أو طائفية بل شكل الشوام عنصر تنشيط فاعل للاقتصاد المصري نظراً للخبرة الواسعة التي تمتعوا بها واللغات التي أتقنوها فضلاً عن صلاتهم الوثيقة بالبنوك والرساميل الأجنبية .

حرصت الإدارة البريطانية على دعم نفوذ الشوام في مصر ، لم تكن تجد طبيباً أو مهندساً أو مترجماً، إلا شامياً، كما أن أدق تخصصات التعليم كانت في يد الشوام ، فضلاً عن تجار القطن والحرير، والصوف إلا شواماً وفي المأكولات، لاسيما الحلويات إلا شامياً ، حتى ابنة المأمور في القرية الجنوبية البعيدة كان أستاذها سوري الجنسية ([1]) .

اسهم الأرمن الشوام ([2])، في حياة مصر الاقتصادية ، ويُرجع المطران بابان تاريخ الطائفة إلى مطلع منتصف القرن التاسع عشر، إذ استقرت عائلات أزمنية في القاهرة والإسكندرية ومن تلك العوائل التي لعبت دوراً بارزاً في تاريخ مصر الاقتصادي، هي عائلة ماتوسيان الكاثوليكية ، إذ كان جوزيف من كبار أصحاب مصانع التبغ ويلقب بـ (ملك التبغ) المصري وأقام لمصانعه فروعاً متعددة في القاهرة والإسكندرية وبور سعيد ، ولم تقتصر صناعة الدخان على ماتوسيان ، بل اشتهرت مصانع للسجائر في مصر لآل ماروشيان وآل فيليبوسيان ([3])، كما اشتغلت إعداد لا بأس بها من الأرمن الشوام في الزراعة ، وأصبحوا من كبار ملاك الأراضي الزراعية في مصر، وعمل قسم منهم في مجال الصيرفة وتبديل النقود والحلي والمجوهرات وصناعة الذهب والمعادن الثمينة ، وهي أعمال حرفية تتطلب مهارة عالية ، وتدر على أصحابها مداخيل كبيرة ([4]) .

اختلط الأرمن الشوام بالمجتمع المصري بشكل طبيعي ولم تكن لهم أحياء خاصة بهم ولم يشكلوا جالية متمايزة داخل المجتمع المصري ، مرد ذلك إلى أنهم عملوا في المهن الحرة التي تتطلب الحد الأقصى من الانفتاح الاجتماعي لتأمين أكبر عدد ممكن من الزبائن عملوا في التجارة والصناعة والهندسة والطب والحرف المتخصصة ونادراً ما انخرطوا في الوظائف الإدارية والحكومية ([5]) .

علاقة المصريين بالحلويات علاقة تاريخية ، وهذا ما يظهر في الموروث الثقافي المصري ، إذ يؤكد المثل الشعبي الشهير : (أن الذي بنا مصر، كان في الأصل حلواني) ولهذا المثل أصل

---

(1) Gromer: Modem Egypte PPV .11 p217.

(٢) **الأرمن** : بدأت هذه المذابح اثر اندلاع الانتفاضة الأرمينية عام ١٨٩٤، راح ضحيتها الآلاف من الأرمن، واستؤنفت المذابح من جديد إثر محاولة فاشلة قامت بها جماعة من الأرمن للسيطرة على البنك العثماني.
للتفاصيل ينظر: نجلاء عدنان حسين العكيلي، الدولة العثمانية والمشكلة الأرمينية ١٨٩٤- ١٩١٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية- الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٣، ص٣٤-٤٥؛

(٣) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٩٤ .

(٤) عاصم الدسوقي ، كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصري ، ١٩١٤-١٩٥٢ ، (القاهرة- ١٩٧٥) ، ص ١٠٦ .

(٥) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٩٦.

تاريخي، نسبةً إلى جوهر الصقلي ([1])، وبالرغم من براعة الصقلي في العسكرية وتقلده أرفع المناصب ،إلا أن ولعه بصناعة الحلوى لم ينتهِ ، فقد أدخل صناعة (الكنافة والقطايف) إلى مصر، والتي أصبحت جزءاً من الموروث الثقافي المصري المرتبط بشهر رمضان ، وذلك يعود إلى أن جنود الدولة الفاطمية ، كانوا يوزعون الحلوى على المصريين في ذلك الشهر عند أحد أشهر أبواب القاهرة المُسمى على اسم جوهر الصقلي ، ومن هنا أطلق عليه اسم (بوابة الحلواني) نسبة إلى مهنة بانيها الأصلية ، وكذلك إلى توزيع الحلوى على المصريين ([2]) .

أستمر ارتباط المصريين بالحلويات حتى شهدت تلك الصناعة طفرة نوعية ، بعد أن قام الشوام بتحديث وتطوير تلك الصناعة الرائجة ، ففي أواخر القرن الثامن عشر كانت مصر قبلة للتجارة والصناعة في المنطقة العربية ، إن لم تكن في العالم أجمع ، فقد استقر بها رجال الأعمال والصناع والحرفيين من الفرنسيين والإيطاليين واليونانيين والشوام ، وكلٌ برع في مهنته وتخصصه ، وكان من أشهر صناع الحلويات في تلك الفترة هم الفرنسيون والشوام ، إلا أن الفرنسيين كانت صناعتهم مقتصرة على الطبقة الأرستقراطية من الباشوات والأمراء ، وكبار رجال الأعمال ،في حين أن الحلويات اللبنانية والسورية ، كانت تحظى بالرواج في طبقة عريضة من الشعب المصري من الموظفين والعمال المتوسطين الدخل والفقراء ، لذا فقد شهدت الحلويات الشامية سوقاً واسعاً ورواجاً كبيراً عن منافستها من الحلوى الفرنسية وانتشرت المحال المملوكة للشوام في الأسواق المصرية القديمة ([3]) .

يبدو أن الواقع الاقتصادي الذي عاشه الأجانب في مصر، ولاسيما الشوام ، يؤكد أن هذه المرحلة كانت نقلة نوعية لتغيير المجتمع المصري باتجاه ضمان الملكية الخاصة ، والحماية الشخصية لجميع ساكني مصر ، فضلاً عن إقامة الدولة المركزية فيها ، وتحول الدولة المصرية إلى نوع من الرأسمالية الاحتكارية ، قد استفاد الشوام من تلك النقلة النوعية .

---

(١) ويرتبط جوهر الصقلي في الفلكلور الشعبي بمقولة " الذي بنى مصر كان في الأصل حلواني" فجوهر الصقلي ولد في جزيرة صقلية وذاع صيته فيها واشتهر بإجادته لصناعة الكنافة والحلوى، لذلك سمى بالحلواني لكنه بيع مملوكا للخليفة الفاطمي المنصور بالله الذي ألحقه بالجيش، وظل يترقى حتى أصبح أكبر قادة جيشه .علي إبراهيم حسن ، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، (القاهرة – ١٩٣٣) .

(٢) هشام السروجي ، صناعة الحلويات بين مصر وبلاد الشام ، مجلة صله ، ٢٥ أيلول ٢٠١٤ . ص ٤.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥ .

المبحث الثالث : الحياة الاجتماعية :

ازدهرت أحوال الشوام في مصر لاسيما في بداية القرن العشرين، إذ كانوا يُعتبرون الطبقة البرجوازية في مصر، وكانت معظم نسائهم يتكلمن الفرنسية ومعظمهم تعلّموا في مدارس الإرساليات التبشيرية الأوربية، وكان معظمهم يعمل في تجارة القطن، والشاي، والصابون ، وكانوا صناعيين، وحرفيين، وقضاة، ومحامين، ومهندسين معماريين، وأطباء، وتميز الشوام عن غيرهم من الجاليات الأخرى في مصر بعدة نواحي، فهم لم يدخلوا ضمن نطاق الأجانب الذين قدموا من سواحل البحر المتوسط، مثل اليونانيين ،والإيطاليين، والفرنسيين فقد كانوا في النهاية رعايا الدولة العثمانية ، شأنهم في ذلك شأن المصريين ، **" ولم يشكلوا مجتمعاً متمايزاً عن المصريين ، ولم يتقوقعوا داخل (جيتو) (١)، بل اقتربوا كثيراً من المصريين ساعدهم في ذلك اللسان العربي ، وقد أسهم هذا التميز في وضع بعضاً من العادات، والتقاليد في صفوف المجتمع المصري "** (٢) .

كانت الطائفة الأرثوذكسية، ولسنوات طويلة منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن العشرين الأكثر عدداً بين مهاجري الشوام إلى مصر، بلغت قرابة الأربعين ألفاً تقريباً، والتي هاجرت من المدن السورية والفلسطينية وبعض مناطق لبنان، وتليهم طائفة الكاثوليك التي بلغت ما يقارب ثمانية وثلاثون ألفاً قبيل نهاية الحرب العالمية الأولى، وحل الموارنة في المرتبة الثالثة من حيث العدد وبلغ مجموعهم ، في أقصى مداه ، قرابة ثمانية عشر ألف، تليهم طوائف السريان والكلدان والأرمن وسواهم ، فضلاً عن أعداد من الطوائف الإسلامية وكانت غالبيتهم الساحقة من السنة مع بعض من الشيعة والدروز (٣) .

تبلور هاجس التمايز بين طوائف الشوام المسيحية في مصر، بعد تزايد هجرة الشوام إليها فهم عاشوا في بداية الأمر كأسرة واحدة في جميع المدن المصرية ، أينما حلوا وارتحلوا ، فلا فرق بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس في ممارسة طقوسهم ومعتقداتهم ، لطالما قام كاهن أحدى الطوائف ، بإقامة القداس في كنيسة الطائفة الأخرى ، مثل أجراء عقود الزواج والطلاق وتسجيل الولادة والوفاة في سجل الكنائس (٤) .

تمتعت فئة كبيرة من الشوام بغنى فاحش ، ويمكن القول أن نسبة الفقراء كانت بينهم معدومة، ولا يمكن مقارنتها بفقراء المجتمع المصري، لأن معظم فقراء الشوام كانوا يعملون عند الأغنياء منهم، ولهم نواديهم ومؤسساتهم الخيرية التي توفر لهم الرعاية الطبية والعلمية فلم يشعروا بالفقر والعوز والحرمان، فتعبير " فقراء الشوام " يشير في الحقيقة إلى الفئة الاجتماعية التي لم تكن تمتلك ثروة هامة، إنما الفئة الاجتماعية التي تتمتع بالعيش الكريم، ولم يعرف الشوام

---

(١) **جيتو** : هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية. ولكن التسمية أصبحت مرتبطة أساساً بأحياء اليهود في أوربا . عبد الوهاب المسيري ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية : رؤيةٌ نقدية ، مركز الدراسات السياسية ، والاستراتيجية بالأهرام ، (القاهرة - ١٩٧٥) .
(٢) يونان لبيب رزق ، الأهرام ديوان الحياة المعاصرة ، الجزء الأول ، (القاهرة – ١٩٩٣) ، ص ٣٦ .
(٣) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١٥.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٥.

التسول أو التشرد ، وكان لأغنياء الشوام دور أساسي في احتضان أبناء طوائفهم وبلدانهم، إذ قدموا لهم كل المساعدة ، فضلاً عن مساعدات المؤسسات الخيرية ([1]) .

ويبدو أن عامل التوتر لم يكن له أثر، في العلاقات الاجتماعية بين طوائف الشوام في مصر، كما كان في سوريا ولبنان قبل الهجرة، وربما ذلك يرجع إلى المجتمع المصري الذي صهر أبنائه والجاليات القاطنة في بوتقة واحدة هي المواطنة، فضلاً عن أن الحكومة المصرية لم تسمح أن تكون مدارس الجمعيات الخيرية، حكراً على طائفة دون سواها، بل ظلت مفتوحة أمام كل أبناء الطوائف الأخرى، وكل مدرسة ترفض تسجيل الطلاب على أساس طائفي تغلق .

كما إن وصول الخديوي إسماعيل باشا إلى الحكم عام ١٨٦٣، ونزعته لفتح مصر على مصراعيها إمام المؤثرات الغربية ، ورغبته في إن تكون القاهرة باريس الثانية ، قد أدى ذلك إلى انتعاش الثقافة في عهده، وبروز دور الطبقة المثقفة وتقدم العلم ، وازدياد عدد طلاب البعثات وسرت بين الناس الرغبة في إرسال أبنائهم للتعلم في أوربا ([2]) .

اولاً - العلاقة بين الشوام والأقباط :

كانت معظم الوظائف الكتابية والحسابية، قبل مجيء الاحتلال البريطاني لمصر ، بأيدي الأقباط ، ولكن بريطانيا عملت على إحلال الشوام محل الأقباط ([3])، بحجة معلنة **" أن نظام الأقباط الحسابي بالدانق([4])، أو القيراط ([5])، نظام لا يدرك إلا عندهم، وكان من الضروري تغييره إلى نظام عصري ، وهو أجراء لا مناص منه في سبيل الإصلاح " ([6]).**

اشار المؤرخ المصري محمد شفيق غربال إلى سبب آخر في قوله **: " أنني أعتقد أنه كان الانكليز قد عملوا في بداية الأمر على أحلال الشوام محل الأقباط ، لهذا السبب أو ذاك فإنما كان ذلك لخلق نوع من المنافسة بينهم وبين الأقلية الأخرى ، وهي الأقباط ، في السعي للتقرب من الاحتلال ، ولطبعهم بالثقافة الانجليزية "** ([7])، أما بطرس غالي بطرس فله رأي آخر في

---

(١) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١٦.
(٢) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .
(٣) **الأقباط :** يرجع أصل كلمة قبط إلى كلمة (ماكتباج) باللغة الهيروغليفية ، والتي تعني معبد الإله ، أو أرض الروح ، وفي اللغة اللاتينية تلفظ قبط (يجبتوس) وعند حذف المقطع الأخير (وس) تصبح الكلمة (يجبت) (Egypte) ومنها جاءت تسمية مصر في باقي اللغات ، وهي مركبة من كلمتين (أي) بمعنى (أرض) أو (دار) وجبت بمعنى قبط ، فيكون معنى الكلمة أرض القبط أو أرض الأقباط . لمزيد من التفاصيل ينظر : عدنان عبد الهادي سرحان الخالدي ، الكنيسة القبطية والحياة والاجتماعية والسياسية في مصر ١٧٩٨ – ١٩١٤، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، ٢٠١٤ ، ص ١ .
(٤) **الدانق** : هو في الموازين القديمة كحبة القمح أو وزن شعيرتين وسدس عشر المثقال وبالنقد سدس الدرهم وسدس عشر الدينار والدانق الإسلامي كان يعادل وزن حبتين وثلثي حبة من الخرنوب . سائر بصمه جي ، معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي ، ط ٢، دار صفحات للنشر والتوزيع ،(القاهرة -٢٠٠٩)، ص ٧٧.
(٥) **القيراط :** جمع قراريط وحدة من وحدات الوزن تساوي ٢٠٠ ملليجرام ، وتساوي ربع سدس الدينار ،أو نصف الدانق، اتخذت معياراً لوزن الأحجار الكريمة والفلزات النفيسة. قتيبة الشهابي ، نقود الشام : دراسة تاريخية للعملات التي كانت متداولة في الشام ،(دمشق – ٢٠٠٠) ، ص ٦٣ .
(٦) مصطفى النحاس جبر، سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦- ١٩١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٩٩٧) ، ص ٩٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .

الموضوع فقد ذكر : **" أن الإنكليز رحبوا بهجرة الشوام إلى مصر بسبب غريب أنهم فقدوا الثقة في الأقباط "** (١) .

في حين يرى البعض من المؤرخين أن **" تمنّع أقباط مصر المسيحيون عن التعاون مع دول أوروبية استخدمت المسألة الطائفية لتفكيك السلطنة العثمانية ومواقفهم الصلبة في رفض التعاون مع الاحتلال البريطاني، الأمر الذي أضطره إلى استقدام أعداد متزايدة من المسيحيين الشوام للعمل في مختلف القطاعات المالية، والوساطة التجارية، وفي مجالات الطباعة والصحافة والثقافة والفنون في مصر، فضلاً عن إتقانهم اللغات أوروبية حديثة، وكثيراً ما توترت علاقات الأقباط مع المسيحيين الشوام في مصر بسبب تعاونهم مع الإنكليز على استغلال خيرات مصر وإفقار شعبها "** (٢) .

بينما يرى بعضهم الآخر **" أن الأقباط اتهموا البريطانيين بخيانة رسالة السيد المسيح وتفتيت وحدة الشعب القبطي ، من خلال السماح للإرساليات التبشيرية بنشر البروتستانتية بين الأوساط القبطية في مصر ، والاعتماد على الشوام بدلاً عنهم "** (٣) .

ويرى الباحث أن السبب الرئيسي الذي دفع الاحتلال البريطاني، في التخلي عن الأقباط المصريين والاستعانة بدلاً عنهم بالشوام هو العامل الديني ، لكون الأغلبية من الشوام ، كانوا يرتبطون روحياً بالكنيسة الإنجيلية البروتستانتية، بينما الأقباط يرتبطون بالكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، فضلاً عن موقف الكنيسة القبطية الرسمي الذي كان موقفاً معادياً للاحتلال البريطاني منذ الوهلة الأولى، خشية تكرار ما حدث لهم من نهب وحرق وقتل تعرضوا له بعد جلاء القوات الفرنسية عن مصر .

ظلت علاقات الأقباط في مصر مع مسيحيي الشوام دائمة التوتر إذ اتهمهم الأقباط بسرقة الدور التاريخي الذي كان عليهم القيام به وهو دور الوساطة التجارية والثقافية مع الغرب ، فضلاً عن بعض السمات التي رافقت هجرة الشوام كالربح السريع ، والتهرب من الضرائب والاحتيال على القانون ، والأعمال غير الأخلاقية في السلطة وسواها فكانت تنفر المصريين منهم وتشكل إساءة لجميع المسيحيين في مصر (٤) .

ظل حقد الأقباط في مصر على الشوام المسيحيين كبيراً، لأنهم جنوا ثروات ضخمة وعاشوا حياة مترفة ورحل قسم كبير منهم إلى الخارج بعد أن هربوا أموالهم ، في حين كان ارتباط الأقباط بمصر دائماً وثابتاً، وارتدى شعور عداء الأقباط للشوام المسيحيين أشكالاً مختلفة واتهامات مذهبية ومسلكية متنوعة ، في الواقع ينبع من شعور الخيبة والحرمان من الفرصة التاريخية التي كان يمكن لها أن تبدل من أوضاع الأقباط في مصر، فأقنص الشوام تلك الفرصة

---

(١) مصطفى النحاس جبر، المصدر السابق ، ص ٩٩ .
(٢) مسعود ضاهر، صراع الأقباط لبناء دولة المواطنة والعدالة في مصر ، الحياة ، ٩ تشرين الأول ٢٠١١ .
(٣) زاهر رياض، المسيحيون والقومية المصرية في العصر الحديث، دار الثقافة،(القاهرة- ١٩٧٨)، ص ١١٨ .
(٤) بولس قرألي ، السوريون الأرثوذكس في مصر ، المجلة السورية ، السنة الأولى ،الجزء الأول ، ١٥ كانون الثاني ١٩٢٦ ، ص ٥ .

ثم رحلوا عن مصر، وبقى الأقباط في فقرهم وبؤسهم وحرمانهم على غرار القاعدة العريضة للشعب المصري الكادح (١) .

شاب التوتر علاقة البعض من الشوام والمصريين ، لعدم توافر ظروف الاندماج بالمجتمع المصري وظلت علاقتهما مضطربة ، وشكل الشوام في مصر عالماً خاصاً غلفه حس عميق بالاغتراب ، والعزوف عن الاندماج ، والشعور بدرجة من التعالي ، بسبب الهجنة التي جعلتهم في منتصف الطريق بين الأجانب الغربيين والأهالي ، فذاكرة تلك الأقلية تستمد وجودها من الأصول الشامية ، ولكن جودها متداخل بالمصالح الغربية ، وهذا الوضع غير المستقر جعلها أسيرة نوع من الانكفاء الحذر على الذات (٢) .

مما لاشك فيه أن الجالية الشامية ، شأنها في ذلك شأن الجاليات الأجنبية الأخرى ، كانت تشكل مجتمعاً صغيراً داخل المجتمع المصري ، يختلف عنه في غالبية الملامح والصفات ، ومن اللافت للنظر " أن أكثر نساء الشوام كن يتكلمن في المدارس بالفرنسية ، وأهملن اللغة العربية إلى حد نسيان مفرداتها " (٣) ، وكان شباب الشوام يقلدون الأوربيون في كل شيء " وأقصى أمانيهم أن يظهروا ، أنهم أوربيون " (٤) .

ثانياً ـ الأسر الشامية :

برزت ظاهرة الهجرة كظاهرة اجتماعية تراكمية بشكل دائري تنطلق من الفرد إلى إفراد الأسرة لذلك نرى الهجرة أخذت طابعاً أسرياً في بعض الأحيان ، ولعبت الأسرة دوراً في جذب الشوام إلى مصر ، وقد تكون العوامل الاجتماعية سبباً في هجرة العديد من الأسر الشامية صوب مصر إذ تتشابه العادات والتقاليد مما شجع على الاندماج بسهولة ويسر داخل المجتمع المصري دون عقبات ومن أهم هذه الأسر : أسرة الرافعي وآل كنعان وصوصة وزيدان والسكاكيني وفرح وبطرس النجار والصباغ وصابات وصروف وثابت ونمر وآل تقلا وسلهب وغيرها ، أسهمت هذه الأسر في الأنشطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وازدهار الصحافة والطباعة والمسرح وقد أفردنا مبحثاً كاملاً لنسلط الضوء على تاريخ هجرة ومواقف وأعمال الأسر الشامية من خلال ذاكرة الأبناء والأحفاد الذين (تمصروا) ، فضلاً عن الوثائق أو المصادر التي حصلنا عليها ومن أهم أسر الشوام هي

١ـ أسرة الرافعي :

لا يذكر المؤرخ عبد الرحمن الرافعي الذي هاجرت أسرته من مدينة طرابلس في لبنان إلى مصر أوائل القرن التاسع عشر، أنه من الشوام في سيرته الذاتية، بل يكتفي بالقول : " ولدت في ٨ شباط عام ١٨٨٩، بمنزل جدي لأمي بالقاهرة ، الشيخ محمود رضوان ، بعطفة أبو داود رقم ٢ بشارع درب الحصر، قسم الخليفة ونشأة في بيئة دينية ، ووالدي هو الشيخ عبد اللطيف الرافعي ، الذي ينتهي نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، ويرجع في أصله إلى الحجاز، وهو من علماء الأزهر، عمل بوظائف كثيرة في القضاء، حتى أصبح مفتي الإسكندرية عام ١٨٩٨

---

(١) بولس قرألي ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(2) Edward W. Said , OT OF PLACE ,(London- 1975) , p . 116 .

(٣) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٣٨٩.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٩٠ .

وأمي مصرية صميمية هي حميدة محمود رضوان المعايرجي قاهرية المولد ، توفيت في ٢١ تموز ١٨٩٣ وأخذت عنها الإيمان بالله والثقة بالناس ومساعدتهم " (١) .

عثر المؤرخ اللبناني مسعود ضاهر على وثيقة في سجلات الأزهر، في (رواق الشوام) تؤكد " أن أسرة الرافعي من الأسر الشامية التي هاجرت في أوائل القرن التاسع عشر ، ودرسوا في الأزهر، واستقروا في مصر" (٢) .

دخل عبد الرحمن الرافعي كتاب الشيخ هلال ، وتنقل مع والده ، فدخل مدرسة الزقازيق الابتدائية الأميرية وحصل على الشهادة الابتدائية عام ١٩٠١ ، وأنتقل إلى القسم الثانوي بالمدرسة ذاتها ، وحصل على شهادة البكالوريا أدبي في عام ١٩٠٤ ، والتحق بمدرسة الحقوق العليا (جامعة القاهرة) وتخرج عام ١٩٠٨ (٣) .

تأثر الرافعي إبان دراسته الثانوية والجامعية بوطنية مصطفى كامل ، طالع جريدته (اللواء) وحضر كل مؤتمراته ، والتقى به لأول مرة في شباط عام ١٩٠٦ ، حين قدم له مقالة عن إضراب طلبة الحقوق وقتها لينشرها ، ورفض آنذاك مصطفى كامل نشرها خشية أن يتعرض الرافعي للاعتقال (٤) .

شارك الرافعي في تأسيس نادي المدارس العليا عام ١٩٠٥ الذي تولى رئاسته عمر بك لطفي وكيل مدرسة الحقوق العليا ، وانضم إلى الحزب الوطني فور إنشائه ، وحين توفي مصطفى كامل في عام ١٩٠٨ حزن عليه الرافعي كثيراً ، وأخذ على نفسه عهداً أن يكتب سيرته ، ويسير على خطاه (٥) .

عقب تخرج عبد الرحمن من الحقوق عام ١٩٠٨ ، لم يفكر بالعمل بالنيابة العامة ، فأتجه صوب المحاماة ، وسجل اسمه بجدول المحامين في ١٩ تموز ١٩٠٨ في أسيوط ، وعمل محرراً في جريدة (اللواء) وبرع في كتاباته وترجماته عن اللغة الفرنسية التي كان يجيدها ، ولكن المشكلة أن العمل الصحفي وقتها لا يدر دخلاً ثابتاً ، فضلاً عن أن شقيقه أمين الرافعي ، قد تفرغ لمهنة الصحافة قبله بسنوات طويلة ، وأصبح من أشهر الصحفيين يعاني الأمرين ، فاتجه الشقيقان لاستشارة والدهما في موقفهما ، فأشار أن يبقى أمين في الصحافة ، ويعود عبد الرحمن للعمل بالمحاماة ، واستجاب عبد الرحمن لرأي والده ، وافتتح مع زميل دفعته أحمد وجدي مكتباً للمحاماة بالزقازيق ، وكان عبد الرحمن الرافعي نموذجاً فريداً ومثالياً وصاحب مبدأ لا يحيد عنه طوال حياته ، فلم يقبل قضايا تمس الشرف ، وشارك في غالبية القضايا الوطنية من دون مقابل وترافع مجاناً عن قضايا الفقراء في محاكم مصر ، وكان للرافعي دوراً بارزاً في نقابة المحامين بالقاهرة (٦) .

---

(١) مصطفى نبيل، المصدر السابق ، ص ٩٦.
(٢) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٣٢ .
(٣) بهاء الدين علوان ، عبد الرحمن الرافعي : مؤرخ مصر الحديثة ، مجلة العربي ، العدد ٥٩٤ ، أيار ٢٠٠٨ ، ص ١٠٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٩ .
(٦) بهاء الدين علوان ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .

انتخب عبد الرحمن الرافعي عضواً في اللجنة الإدارية للحزب في ٢٠ كانون الأول عام ١٩١١ بعد أن تولى محمد فريد ([١])، رئاسة الحزب واعتقل الرافعي إبان الحرب العالمية الأولى في ١٧ آب ١٩١٥ مع لفيف من الوطنيين ، وافرج عنه في ١٧ حزيران ١٩١٦ ، ولا ننسى دوره في جماعة (اليد السوداء الفدائية) وكيف كان يدير العمل السري بكفاءة منقطعة النظير بين القاهرة والمنصورة ، حيث كان يوزع الأسلحة على الحركة الوطنية المناهضة للاحتلال البريطاني لمصر ([٢]) .

يتجلى بوضوح حبه العميق لأمه التي توفيت وهو صغير ، ولم يبلغ الخامسة من العمر وكان دائم الإشادة بها في مذكراته : " ظللت على حبي لها ، وتمجيدي لذكراها طوال السنين وتملكني مع الزمن شعور بأني مدين لها بما حباني الله من مواهب ، وقد توفيت وأنا صغير السن وعشت بعدها حياة اليتم " ([٣]) .

يبدو أن حبه لأمه يرجع إلى أن أباه قد تزوج مرتين ، بالإضافة إلى أنه عاش سنوات دراسته العليا في بيت أخواله بالقاهرة ، وربما هذا ما جعله أن يختار شريكة حياته من أسرة أمه بعد " أن مر بتجربة حب عفيف " كما ورد في مذكراته ، فاستقر رأيه على " بنت خاله عائشة محمد المعايرجي ، ذات الإحساس الوطني " كما يصفها وتزوجا في ١٢ آذار ١٩٢٠ وأنجب أربع بنات وولد ([٤]) .

تعد كتابات الرافعي موسوعة تاريخية ، لما بذل فيها من جهد رائع وممتاز ، ويستحق وصف (مؤرخ مصر الحديثة) وأهم مؤلفاته :

١. تاريخ الحركة القومية ونظام الحكم في مصر في جزأين ١٩٢٩ .
٢. عصر محمد علي ١٩٣٠ .
٣. عصر إسماعيل في جزأين ١٩٣٢ .
٤. الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي ١٩٣٧ .
٥. مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ١٩٣٩ .
٦. محمد فريد رمز الخلاص والتضحية ١٩٤١ .
٧. مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال ١٩٤٢ .
٨. ثورة ١٩١٩ في جزأين ١٩٤٦ .
٩. في أعقاب الثورة المصرية في ثلاثة أجزاء ١٩٤٧ – ١٩٤٨-١٩٥٢ .

أصيب عبد الرحمن الرافعي في ١٤ كانون الثاني بالشلل النصفي في الجانب الأيسر من جسمه ، ورفض العلاج على حساب الدولة والسفر إلى الخارج لإيمانه بالإرادة الإلهية ، وتوفي

---

(١) محمد فريد باشا : محامٍ ومؤرخ معروف ، يعد أحد كبار الزعماء الوطنيين المصريين أوائل القرن العشرين تولى رئاسة الحزب الوطني عقب وفاة الزعيم مصطفى كامل . لمزيد من التفاصيل ينظر: محمد فريد ، ذكريات ومذكرات ، دار الهلال للطباعة ، (القاهرة- ١٩٦٩) .
(٢) بهاء الدين علوان ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .
(٣) عبد الرحمن الرافعي ، مذكرات ١٨٨٩ – ١٩٥١ ، دار الهلال ، (القاهرة - ١٩٥٢) ، ص١٧ .
(٤) بهاء الدين علوان ، المصدر السابق ، ص ١٠٩

في ٣ أيلول ١٩٦٦ ، وبناء على وصيته دفن بجوار زعماء الحزب الوطني مصطفى كامل ومحمد فريد وأعدت له حجرة بالمتحف ضمت جميع مقتنياته ([1]) .

يبدو أن إخفاء عبد الرحمن الرافعي ، لأصوله الشامية وهجرة أسرته من بلاد الشام إلى مصر، ربما يأتي بسبب انضمامه إلى الحزب الوطني ، ووصف البعض من المصريين للشوام بأنهم عملاء للاحتلال البريطاني ، الأمر الذي جعله يذكر في مذكراته " أن والده هو الشيخ عبد اللطيف الرافعي ويرجع في أصله إلى الحجاز " ولكن هذا لا يمنع أن الرافعي من أصول شامية ، فمن خلال الاطلاع على دراسة توثيقية إلى الدكتور مصطفى رمضان ، عرضت في المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ، الذي عقد في دمشق في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٨ ، قدم للمؤتمر بحثاً أصيلاً بعنوان " رواق الشام بالأزهر إبان العصر العثماني " وهو بحث مطول نشر في الجزء الثاني من وثائق المؤتمر التي صدرت عن جامعة دمشق عام ١٩٧٩ ، وغطى البحث صفحات واسعة منها قاربت الثمانين صفحة ، فعدد أروقة الأزهر وتحدث بإسهاب عن زعامة رواق الشوام ، وعن عدد هام من أفراده الذين تخرجوا على أساس المذهب الحنفي ، " ومنهم مشايخ من أسرة آل الرافعي ولاسيما عبد القادر الرافعي ، وابنه مصطفى ، والشيخ محمد مصطفى الرافعي ، وأخوه الشيخ عبد القادر الرافعي "([2]) ، وأرفق الدكتور رمضان بحثه بعشر وثائق أصيلة تناولت الشوام بالأزهر حتى عام ١٩١٨ ، وقد استند في جميع معلوماته وتحليلها إلى وثائق الأزهر الأصيلة .

٢- أسرة آل كنعان :

أسرة مارونية من بلدة عبية في جبل لبنان ، معروفة بعلاقاتها التجارية والإدارية مع مصر منذ أيام محمد علي باشا ، كان يوسف كنعان من تجار القاهرة في مطلع القرن التاسع عشر ، وقد ساند بأمواله محمد علي باشا في صراعه ضد المماليك ، فكافأه بأن أقطعه التزام الجمارك ، ومن أسرة آل كنعان أيضاً الدكتور سعيد غالب كنعان ، الذي تلقى علومه في الجامعة اليسوعية ونال شهادة الطب ، هاجر إلى مصر عام ١٩٠٦ وعمل في مصلحة الصحة التابعة للجيش المصري ووصل إلى رتبة بكباشي في الجيش المصري وهي تعادل رتبة مقدم ، ثم إلى رتبة حكيم باشي أي رئيس مصلحة الطب في الجيش المصري ، تزوج سعيد غالب كنعان من ماري رزق الله مصرية قبطية من الروم الكاثوليك ، ورزق ثلاث بنات ، وقد لعبت الأم القبطية المصرية دوراً أساسياً في تزويج بناتها الثلاث إلى شبان أقباط مصريين ، فانقطعت علاقة الأسرة بمهاجري الشوام في مصر أو بالوطن الأم ([3]) .

من خلال قراءة في سيرة أسرة آل كنعان ، يتضح انفتاح الأسرة المارونية على التزاوج من جميع الطوائف المسيحية من الشوام والأقباط على حداً سواء ، فضلاً عن إقامة علاقات مصاهرة أكثر اتساعاً بين أقباط مصر ومسيحي الشوام ، الذين تمصروا .

---

(١) بهاء الدين علوان ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .
(٢) مصطفى رمضان ، رواق الشام بالأزهر إبان العصر العثماني ، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ، الجزء الثاني ، مجلة جامعة دمشق ، ١٩٧٩ ، ص ١٧- ٩٧ .
(٣) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١٨٦ .

٣- أسرة آل صوصة :

أسرة لبنانية مارونية هاجرت من دير القمر في جنوب لبنان إلى مصر وأصابت نجاحاً تجارياً كبيراً فيها ، وتؤكد ماريز صوصة (Maryse Soussa) **:" أن سبب هجرة آل صوصة هي أحداث ١٨٦٠ في جبل لبنان بين الدروز والموارنة ، فالجد جرجيس صوصة ، من مواليد دير القمر وتوفي فيها يوم كان أولاده صغاراً ، وقد تعهدت الحكومة الألمانية أبنه إبراهيم جرجيس صوصة ، بعد أحداث ١٨٦٠ ، ونقلته إلى مدارس ألمانيا وجامعاتها على نفقة الحكومة الألمانية ، وحصل على شهادة الدكتوراه في طب الأسنان من جامعة برلين"** وهاجر إلى مصر وعمل فيها طبيب أسنان ونال شهرة واسعة حتى أصبح طبيب الخديوي إسماعيل الخاص وتعتقد ماريز أن الدكتور إبراهيم صوصة كان أول طبيب متخصص في طب الأسنان في القاهرة أما الآخر من الأسرة هو توفيق صوصة ، درس في مدارس القاهرة الخاصة ، ثم في كلية الطب في بيروت للآباء اليسوعيين، وأكمل تخصص طب الأسنان في جامعة مونبيليه (Montpellier) الفرنسية وانصرف إلى تجارة الأدوية، فكان وكيل عدة شركات للأدوية في مصر، والشرق الأوسط ، كما تعاطى بعض أفراد أسرة صوصة تجارة التبغ، فكانوا من كبار ملاكي مصانع الدخان في مصر(١) .

ذكرت إيفون صوصة بهذا الصدد مانصه : "أن أسرتها هاجرت من صيدا إلى مصر في أواسط القرن التاسع عشر ، لأن جدها إسطفان الشاعوري كان من أشهر بائعي التحف الأثرية في جبل لبنان ، جمع ثروة كبيرة أثارت عليه غضب أحمد باشا الجزار وعرضته للابتزاز المستمر حتى اضطر للهجرة إلى القاهرة والاستقرار فيها، والاستمرار في بيع التحف الأثرية" كما تذكر إيفون : **"أن والدها عبد الله من مواليد دير القمر ثم انتقل إلى بيروت في سن مبكرة ليمارس مع أخيه خليل صوصة تجارة الاستيراد والتصدير وصناعة الحرير، هاجرا معاً إلى القاهرة خلال الفتنة الكبرى عام ١٨٦٠ ، إذ استمرا بعملهما التجاري ، وقد روي إليها أن عمها خليل صوصة ، مات غرقاً في نهر النيل لأنه كان يحمل زناراً مليئاً بالذهب على غرار التجار الشوام ، وقيل لهم إن حصانه شرد فقذف به في نهر النيل ، وأغلب الظن أنه مات مقتولاً بهدف السرقة ، ثم ألقيت جثته في النهر"** (٢) .

٤- أسرة آل زيدان :

ولد حبيب زيدان من أسرة ارثوذكسية في عين عنوب ثم أنتقل إلى بيروت ، إذ فتح مطعماً على ساحة البرج ، كان ملتقى الأدباء والشعراء ، وتزوج حبيب من كاثوليكية هي حنة الحايك وأنجب منها ستة أبناء جرجي ومتري وآجيا ويوسف وإبراهيم وإلياس وفي بيروت سقطت تسمية حبيب على لقب أبيه حبيب فأصبح زيدان ، واتخذت الأسرة هذه الكنية (٣)

والذي يعنينا في دراسة هذه الأسرة أشهر أبنائها والذي اكتسب شهرة واسعة في الأوساط الأدبية والثقافية في مصر والبلاد العربية هو جرجي زيدان، درس ثلاث سنوات الطب في

---

(١) مقابلة تلفزيونية مع ماريز صوصة ، الشوام في مصر، قناة المستقبل ، في ١١ تشرين الأول ٢٠٠٨ .
(٢) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١٩٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ص١٩٢ .

الجامعة الأمريكية في بيروت ، وهاجر إلى مصر عام ١٨٨٠، وله من العمر تسعة عشر عاماً ، وسكن في بيت متواضع ، وبدأ العمل في الصحافة لاسيما في صحيفة (الزمان) وفي عام ١٨٩٠ أسس (إدارة التأليف) بالاشتراك مع نجيب متري، ثم انفصلا بعد عامين ليؤسس جرجي زيدان (دار الهلال) ونجيب (دار المعارف) ([١]) .

استقدم جرجي شقيقه متري الذي كان يعمل بقالاً في بيروت ، فهاجر إلى مصر ليساعده في العمل الطباعي بدار الهلال ، وتزوج متري من أرثوذكسية هي مريم الرحال من بيروت ، ثم استدعى شقيقه الآخر يوسف الذي كان يعمل خياطاً في بيروت للغاية نفسها ، لكن العمل الطباعي لم يجذب يوسف زيدان ، فأنصرف إلى تجارة الأجواخ ، أذ أصبح وكيلاً لعدة معامل للأجواخ ، وشيد بناية ضخمة مازالت تحمل اسمه حتى الآن في شارع (الفجالة) وجمع ثروة كبيرة ، وتزوج يوسف من كاثوليكية هي كاترين نصرة أما شقيقه الأصغر إلياس تخصص في الطب من الجامعة الأمريكية في بيروت ، وتوفي إثر تسمم ناتج عن سوء التعقيم ، وبقى من الأسرة في بيروت إبراهيم زيدان وأخته آجيا ، فأرسل بطلبهما إلى مصر ، إذ شارك إبراهيم شقيقه جرجي في إدارة مكتبة الهلال وتزوج إبراهيم أولاً من آدال بركة أرثوذكسية من اللاذقية وعند وفاتها تزوج من أختها روز بركة أما آجيا تزوجت من خليل ذياب ينتمي إلى الطائفة الأرثوذكسية لبناني من بيروت هاجر الى مصر ، أما جرجي فقد تزوج من بروتستانتية هي أبنة خالته مريم مطر أما الجد حبيب زيدان فبقى وحيداً في بيروت رافضاً الهجرة إلى مصر وعند وفاته هاجرت زوجته حنة الحايك إلى مصر ، وسكنت عند أولادها حتى وفاتها ([٢]) .

من الجدير بالملاحظة أن أسرة آل زيدان من الطائفة الأرثوذكسية ، وفي نفس الأمر انفتحت في الزواج على جميع الطوائف المسيحية المقيمة في مصر الكاثوليك والبروتستانت شأنها في ذلك شأن جميع الأسر الشامية المهاجرة إلى مصر في مسألة الزواج ، ويبدو من ذلك بسبب الانفتاح ، وعدم الانغلاق الطائفي الذي ميزهم عن سواهم ، كما لم نجد خلال دراستنا زواج للشوام من الطوائف الإسلامية ، وربما يأتي هذا الانغلاق وعدم الانفتاح للاضطهاد الذي تعرضوا له الشوام إبان الحكم العثماني ، فضلاً عن الأسباب الدينية والعادات والتقاليد بين المجتمع الإسلامي والمسيحي .

هاجر جميع أفراد أسرة آل زيدان بلاد الشام إلى مصر ، بسبب الشهرة الواسعة التي نالها جرجي زيدان بعد نيله لقب البكوية من الخديوي عباس حلمي وتأسيسه دار الهلال عام ١٨٩٢ وإصداره مجلة (الهلال)، وانتشار مصنفاته، ومؤلفاته التاريخية وأهمها تاريخ التمدن الإسلامي ويقع في خمسة أجزاء وكتاب تراجم مشاهير الشرق في جزئين وتاريخ مصر الحديث ، أما مؤلفاته اللغوية فمنها تاريخ أدأب اللغة العربية ويقع في أربعة أجزاء وتاريخ الماسونية ، وسلسلة من الروايات التاريخية الإسلامية أهمها (فتاة غسان) و(عذراء قريش) و (غادة كربلاء) و (أبي مسلم الخراساني) و(فتح الأندلس) و(الأمين والمأمون) و(صلاح الدين الايوبي) و(فتاة القيروان) و (الانقلاب العثماني) ([٣]) .

---

(١) جرجي زيدان ، مذكرات جرجي زيدان ، دار الهلال ، (القاهرة – ١٩٢٣) ، ص١٤ .
(٢) محمد عبد الغني حسن، جرجي زيدان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،(القاهرة-١٩٧٠) ، ص ١٨ .
(٣) شوقي أبو خليل ، جرجي زيدان في الميزان ، دار الفكر ، ط٢ ، (دمشق – ١٩٨٠) ، ص ١٦.

٥- أسرة آل سكاكيني :

من أهم الأسر الشامية التي عرفتها مصر في تاريخها الحديث أسرة آل سكاكيني ، من طائفة الروم الكاثوليك ، هاجر جبرائيل سكاكيني من دمشق إلى مصر في مطلع القرن التاسع عشر واستقر في القاهرة ، إذ مارس الأعمال التجارية وجمع ثروة بسيطة ، وقد رافقته في هجرته زوجته نزهة البيطار من أسرة دمشقية معروفة ، توفي جبرائيل في القاهرة عام ١٨٨٢ ، وكانت له سرايا كبيرة عرفت الساحة باسمها ، أما زوجته فقد توفيت عام ١٩٠٢ في السرايا ودفنت في مقبرة آل سكاكيني ، وأطلق اسمها على شارع في السكاكيني (١) .

كان جبرائيل السكاكيني على جانب بسيط من الثقافة ، وكان متوسط الحال من الناحية المالية ، أما أبنه حبيب المولود في القاهرة عام ١٨٤٠ فقد جمع ثروة طائلة بالرغم من ثقافته المحدودة ، وفي ذلك تروي هنرييت هنري حبيب حادثة طريفة ، تبرز ذكاء جدها حبيب وانفتاح آفاق الثروة والنفوذ أمامه وملخصها : **" استفحلت مشكلة الفئران في قناة السويس ، إذ كانت الجرذان الكبيرة تأكل زاد العمال ، وتقضم الآلات المستوردة ، فتعطل الكثير منها ، وتفتك بالحبوب ، وتنقل الأوبئة والأمراض الى ساكني منطقة القناة ، ولم تكن هناك مبيدات فعالة للقضاء على الجرذان وفشلت كل تدابير المهندس فرديناند ديلسبس في مكافحتها فنشر في الصحف والمجلات إعلاناً بطلب المساعدة في القضاء على الفئران ، وقدم جدي حبيب اقتراحاً عبقرياً بأن تُشترى أعداد كبيرة من القطط التي لم يكن يتجاوز سعر الواحدة منها ٢٠ مليماً وجمعت القطط ونُقلت على ظهور الإبل ، وبعد فترة تجويع متعمدة تُطلق القطط في أماكن تجمع الجرذان والفئران فتفتك بها ، وكُررت التجربة عدة مرات خلال أيام معدودة ، وظهرت نتائجها الباهرة ، إذ تقلص وجود الفئران في منطقة القناة إلى حد كبير ، فأعجب ديلسبس بجدي حبيب السكاكيني، وأوكل إليه وظيفة رئيس ورشة لتجفيف المستنقعات في مصر، فعمل في منطقة الأوزبكية ومناطق أخرى في القاهرة ، وما لبث أن تحول إلى مقاول كبير لتجفيف المستنقعات ورصف الشوارع "** (٢) .

افتتحت قناة السويس في عام ١٨٦٩ وأراد الخديوي إسماعيل أن يعطي لهذا الحدث كل الأهمية الدولية التي يستحقها ، وأن يشعر الدول الأخرى بأن مصر أصبحت تمتلك الممر العالمي بين القارات الثلاث الكبرى أوربا وآسيا وأفريقيا ، فأقام الاحتفالات التي فاق في بذخها وروعتها كل ما أقيم من قبل ، استدعى اليها شخصيات عالمية وفرق مسرحية مشهورة من جميع أنحاء العالم فأوكل إلى المقاول السوري حبيب السكاكيني بناء الأوبرا المصرية ، فأنجزها بسرعة فائقة ، وكان أول من استخدم نظام تشغيل العمال على شكل دفعات ليلاً ونهاراً ، فكافأه الخديوي لقاء خدماته الكثيرة للأسرة الحاكمة قصراً عام ١٨٩٠ وأطلق اسمه على الحي الذي يسكنه باسم حي (السكاكيني) في القاهرة (٣) .

---

(١) زاهي حواس ، قصر السكاكيني ، مجلة البصارة ، العدد ١١، ٣٠ تشرين الأول ٢٠١٣ .
(٢) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١٩٧ .
(٣) خالد عزب ، افتتاح قناة السويس ، مجلة العربي ، العدد ٥٩٣ ، نيسان ٢٠٠٨ ، ص ١١٣ .

٦ – أسرة آل فـــــــرح :

خليل فرح من أسرة مارونية من جبل لبنان ، درس في مدارس الإرساليات الأجنبية في جبل لبنان ، وأتقن اللغة الفرنسية ، تزوج من هند اليازجي من أسرة مارونية لبنانية معروفة ، ورزق منها يوسف وروز ، هاجر إلى الإسكندرية في منتصف القرن التاسع عشر ، وعمل في مصلحة البريد العمومي ، انتقل إلى القاهرة بوظيفة مدير مستخدمي البريد ، عين ابنه يوسف مكانه بعد إحالته على التقاعد ، وتزوج من نظلة بطرس النجار من طائفة الروم الارثوذكس من المهاجرين الشوام ، أما شقيقته روز حصلت على الشهادة الابتدائية في نهاية القرن التاسع عشر ، لم تكن نسبة البنات المتعلمات كبيرة ، بحيث سرعان ما زوجها أهلها في سن مبكرة من نجيب الحداد من أسرة كاثوليكية من الشوام ، وكان من الأدباء المشهورين في عصره ، ومفكراً اشتراكياً ومحرراً في صحيفة (الأهرام) ولم تنجب روز فرح من زواجها ([1]) .

٧- اسرة تقلا :

يعود أصل الأسرة الى بلدة كفر شيما في جبل لبنان ، وهي قرية قريبة من مدينة بيروت اشتهرت بما أنجبت من شخصيات علمية فذة من آل اليازجي والشميّل وتقلا ، كان الأب خليل تقلا على جانب بسيط من الثقافة ولا يتعاطى التجارة ، ليست لدينا معلومات كثيرة عنه سوى زواجه من ندى تقلا أي الزواج الرحمي أو القائم على صلة القرابة الدموية لدى الكثير من العائلات اللبنانية ، على اختلاف طوائفها ومناطقها، حتى أواسط القرن التاسع عشر، أنجب الأخوين سليمّا وبشارة تقلا ، ولد سليم في كفر شيما في منتصف عام ١٨٤٩، وتلقى دروسه الابتدائية في مدرستها ثم في المدرسة الوطنية في عبيه التي أسسها المعلم بطرس البستاني والدكتور فان ديك الاميركي تعرضت عبيه للأحداث الطائفية الدموية عام ١٨٦٠، فنزل سليم إلى بيروت ودخل المدرسة الوطنية فيها، وهي مدرسة المعلم بطرس البستاني المشهورة خلال هذه الفترة ، وبعد إتمام دراسته تعين معلّما في المدرسة البطريركية في بيروت ثم مديرا لها ثم وكيلاً لأعمالها، هاجر الى مصر في عهد الخديوي إسماعيل واستقر في الإسكندرية عام ١٨٧٤([2]).

ذكرت مجلة (الهلال) عن ظروف هجرة سليم تقلا إلى مصر فتقول : " الذي كان يحبّب إلى السوريين وغيرهم من جالية الإفرنج الإقامة في مصر ما يبذله الخديوي إسماعيل في صلاتهم وتنشيط مشروعاتهم وخصوصا المشروعات الأدبية فنظم سليم تقلا قصيدة رنانة مدح بها الخديوي إسماعيل وغادر ربوع الشام قاصداً القطر المصري حتى وصل القاهرة فرفع قصيدته إلى الخديوي وبات من المقربين لديه وقضى سنة يتردد بين مصر والإسكندرية ويجاهد في الحصول على امتياز الجريدة فمنحته الحكومة امتياز جريدة (الأهرام) عام ١٨٧٥ " ، وأصدرها أولاً بالإسكندرية وقال في تاريخها : " أنشأت الأهرام وإنا عالم بما يحول دون نشرها من المصاعب فكنت اقضي إليها النهار والليل عاملاً بدناً وعقلاً فكنت أحررها، وأديرها، وألاحظ عملها، واكتب أسماء مشتركيها، وأتولى معظم إعمالها مما يقوم به الآن عشرة من العمال " ([3]) هكذا صدر العدد الأول من الأهرام في ٥ كانون الأول ١٨٧٦، في الإسكندرية ،

---

(١) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٢٠٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٠ .
(٣) أميل زيدان ، الأهرام ، مجلة الهلال ، المجلد ٦٢ ، ١ أيار ١٩٥٤ ، ص ٢١ .

وصدرت(صدى الأهرام) في ٩ تشرين الأول ١٨٧٦ أيضاً ، واشرف سليم تقلا على إصدار صحيفة (حديقة الإخبار) وصحيفة (المنارة) عام ١٨٧٦ ([1]) .

يبدو أن هجرة سليم تقلا لم تكن بدافع الاضطهاد أو ضغط السلطة العثمانية بعد حوالي ثلاثة عشر عاماً على تطبيق نظام المتصرفية ، بل بدافع جذب المجتمع المصري في عهد الخديوي إسماعيل لكثير من الصحافيين ورجال التجارة والبنوك والإعمال الأجانب والشوام على السواء .

في عام ١٨٨٢ وأبان ثورة احمد عرابي الشهيرة ، وقفت صحيفة (الأهرام) ضد الثورة والى جانب الخديوي توفيق ، فأحرقت مطابع صحيفة (الأهرام) و(صدى الأهرام) الأسبوعية التي كانت تطبع أكثر من عشرة آلاف عدد توزع على نخبة واسعة من المثقفين ورجال الإعمال في مصر ، كما أوقفت صحيفة (الوقت) اليومية التي أصدرها سليم تقلا لفترة قصيرة قبل ثورة عرابي وكان لأنصار الثورة موقف حازم ضد سليم تقلا ومؤسساته الصحفية فاضطر للعودة إلى جبل لبنان كما فعل كثير من الشوام في الإسكندرية والذين غادروها إلى مناطق أخرى ، في مصر وفي الولايات السورية ، بسبب مواقفهم السياسية المعادية للثورة ([2]) .

عند استسلام عرابي ورفاقه ، وبعد سقوط مصر تحت الاحتلال البريطاني عاد سليم تقلا إلى الإسكندرية فوجد مطابع الأهرام محروقة لكنه إصر على إصدار (الأهرام) لفترة غير قصيرة في الإسكندرية ، إلى حين نقلها إلى القاهرة، ، وفي عام ١٨٩٥، كتبت (الهلال) عن عودة الأهرام بعد ثورة عرابي: (خطتها وطنية عثمانية ، منتصرة لفرنسا ومجاهدة بالمقاومة للاحتلال الانكليزي) تلك إشارة إلى دخول الصحافيين الشوام في الاستقطاب السياسي داخل المجتمع المصري بين معارض للاحتلال الانكليزي لمصر وداعم له ، وشمل الاستقطاب فئات متنوعة من الصحافيين منها فئة تعارض الاحتلال من موقع الارتباط الوثيق بالمصالح الفرنسية في المشرق العربي ، ومنها مصر، وكان على رأسها (جماعة الأهرام) من أواخر القرن التاسع عشر حتى نهاية السلطنة العثمانية ، في حين كان على رأس الفئة الأخرى من الصحافيين الشوام في مصر جماعة (المقطم) الموالية للإنكليز ([3]) .

أرسى سليم خليل تقلا قاعدة مادية ضخمة ، لأهم صحيفة شرقية ما زالت تصدر في مصر منذ أكثر من مائة عام ، وكان زواجه من فتاة دمشقية عام ١٨٨٦ ، جريا على عادة الشوام في مصر في هذا المجال ، وعندما وافته المنية في مصيف بيت مري ، ودفن في مسقط رأسه في كفر شيما ([4]) .

ولد بشارة في كفر شيما في ٢٢ أغسطس ١٨٥٢، وتعلم في مدرستها، ثم في المدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني ، وأكمل دراسته في المدرسة البطريركية في بيروت ، أتقن العربية والفرنسية وعمل مدرساً في المدرسة البطريركية فور تخرجه فيها ثم مدرسا في مدرسة عينطورة قام بتجارة فاشلة وبسفرات متعددة إلى الأستانة وأوروبا حتى استقر مع أخيه سليم في

---

(١) مسعود ضاهر، هجرة الشوام ، ص ٢٨٢ .
(٢) حمزة عليان، آل تقلا و (الأهرام) ، القبس ، العدد ١٥١٢٨ ، في ١٢ تموز ٢٠١٥ ، ص ٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣ .
(٤) مختار محمود ، الإخوان تقلا والأهرام ، جريدة (الرأي) ، العدد ١٣١٧١ في ٢٤ تموز٢٠١٥ ، ص ٣

الإسكندرية وأصدروا معاً صحيفة (الأهرام) وقد خطت بسرعة نحو الشهرة على يد بشارة تقلا شقيق سليم والصحف المرتبطة بها ([1]) .

تمتع سليم وبشارة تقلا رسمياً بالحماية الفرنسية وأقام بشارة علاقة وثيقة بكبار الساسة الأوروبيين ،لاسيما الفرنسيين منهم والانكليز، وبحكومة روسيا القيصرية ، وبالسلطنة العثمانية وشاه إيران ، لكن علاقة آل تقلا و(الأهرام) بالفرنسيين كانت متميزة، حتى إن (الأهرام) لم تتورع عن كتابة مقالة عنيفة عام ١٨٨٤، تتهم فيها الحكومة المصرية بالولاء المطلق للإنكليز فأقفلت الصحيفة فترة من الزمن عادت بعدها للصدور بضغط من الفرنسيين على حكومة الخديوي ([2]) .

أشارت بعض المصادر إلى إن عمدة بورصة الإسكندرية كانت تدعم صحيفة (الأهرام) وتقدم لها المساعدات المالية ، وتضيف مجلة (الهلال) ما يلي: (العوالم الأساسية التي أيدت صحيفة الأهرام ونشرتها ثلاثة : حسن سياسة صاحبها ، وميلها إلى المسالمة ، نشاط سعادة بشارة تقلا مدير الأهرام ، ومساعدة بعض أرباب المناصب العالية فإنهم كانوا ينشطونها إلى درجة لا تكاد تقل عن حمل الناس على الاشتراك فيها ، فضلاً عن اشتراكات الحكومة نفسها فإنها كانت تعد بالمئات) ([3]) .

يستنتج من ذلك أنَّ الأخوين تقلا حَصَّنا (الأهرام) بشبكة واسعة من العلاقات الداخلية والخارجية الرسمية والخاصة ، بحيث باتت واسعة الانتشار ويتسابق على دعمها أصحاب المؤسسات الخاصة والرساميل الأجنبية ، ونال الإخوان تقلا أوسمة كثيرة من مصادر مختلفة أبرزها النيشان الخديوي من الرتبة الثانية عام ١٨٨٢، والنيشان ألمجيدي الثامن العثماني من الرتبة الأولى عام ١٨٩٢، وأوسمة كثيرة من فرنسا وروسيا واليونان واسبانيا وتونس وإيران وغيرها توفي بشارة تقلا في الإسكندرية عام ١٨٨٩.

هناك آراء كثيرة حول انتشار (الأهرام) ومؤسساتها الصحفية بسرعة داخل مصر وفي ظروف الاحتلال البريطاني لها، بالرغم من ولائها للفرنسيين ، وقد أشار الدكتور إبراهيم عبده إلى بعض السمات التي أوصلت (الأهرام) إلى المرتبة الهامة في الصحافة العربية ، فقال: (كانت الأهرام تحظى بتأييد القنصلية الفرنسية في القاهرة كلما اشتدت بها الأمور ، وكانت أول صحيفة عربية اهتمت بالبرقيات التي تصدرها وكالات الأنباء العالمية لاسيما رويترز Reuter وهافاسHavas ، ولم تجار الأسلوب الصحافي السائد آنذاك في السجع بل اعتمدت العبارات الواضحة وكانت من الصحف الأولى التي نشرت المسلسلات القصصية ، وقد امتازت (الأهرام) بالاعتدال في المسائل السياسية الداخلية ، ولم تعنف مقالاتها إلا في فترة الثورة العرابية وفي أعقابها ، ولم تتول المعارضة العنيفة في مصر غير مدة قصيرة بين ١٨٨٤ و١٨٩٤، ثم عادت إلى سياستها المعتدلة ، وكانت أولى الصحف المصرية التي تفرد باباً خاصاً لأخبار الشرق الأدنى ، وكان لسليم تقلا قصائد في مدح الخديوي إسماعيل نال بها عوناً مادياً وتأييداً أدبياً في توزيع ونشر الأهرام بين بيئات الموظفين ، وكان بشارة ينصرف إلى إجراء

---

(١) مختار محمود ، المصدر السابق ، ص ٣.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣ .
(٣) حمزة عليان ، المصدر السابق ، ص ٣ .

المقابلات الصحفية مع رؤساء الحكومات والوزراء وغيرهم ، ولم يكن هذا النوع معروفاً في مصر حتى ذلك الحين) ([1]) .

نشرت مجلة (الهلال) مقالاً عن ظروف هجرة سليم تقلا إلى مصر وتأسيسه صحيفة الأهرام فذكرت : " الذي كان يحبب إلى الشوام الإقامة في مصر بذله الخديوي إسماعيل في صلاتهم وتنشيط مشروعاتهم لاسيما المشروعات الأدبية ، نظم سليم تقلا قصيدة رنانة مدح بها الخديوي إسماعيل وغادر ربوع الشام قاصداً مصر حتى وصل القاهرة فرفع قصيدته إلى إسماعيل وبات من المقربين لديه وقضى سنة يتردد بين مصر والإسكندرية يجاهد في سبيل الحصول على امتياز الجريدة فمنحته الحكومة المصرية امتياز جريدة (الأهرام) عام ١٨٧٥ فصدر العدد الأول من الأهرام في آخر كانون الثاني ١٨٧٥ في الإسكندرية ([2]) .

تلك السمات وغيرها ، جعلت من آل تقلا عائلة صحفية تهمين على عدد وافر من الصحف ومصادر الإعلانات ، وخلال فترة قصيرة أمن آل تقلا انتشار(الأهرام) و(صدى الأهرام) و(الوقت) و(الحال) و(الوطن) ومجلة (المنارة) بالرغم من الصدور غير المنتظم لتلك الصحف والمجلات ، فهي تعبر بوضوح عن الإسهام الكبير للأخوين تقلا في حقل الصحافة والإعلام في مصر.

لم تؤثر وفاة بشارة تقلا في نشاط تلك المؤسسات الصحفية ذات النفوذ والشهرة والاستقرار وكان من السهل على بتسي Petsi ، زوجة بشارة تقلا، حمل الرسالة حتى تسلمها ابنها جبرائيل تقلا عندما بلغ سن الرشد، وذلك نظراً لدقة التنظيم الذي تمتع به الإخوان تقلا ، ولدت بتسي نعوم كبابة تقلا في بيروت عام ١٨٦٩، لأب يعد من كبار تجار حلب. كان عمها، بولس كبابة، من كبار تجار مانشستر ولندن. تعلمت في مدارس بيروت ولندن، وأتقنت العربية والفرنسية والانكليزية والايطالية والألمانية والتركية، وليس في أسرة تقلا من كان يتقن مثل هذه اللغات مجتمعة ([3]) .

كان لها الفضل الأكبر في ادارة (الأهرام) ونقلها من الاسكندرية بعد وفاة زوجها. فانتقلت (الأهرام) الى القاهرة عام ١٨٩٩، بعد أن بنت لها بتسي تقلا (دار الأهرام) المعروفة وأصدرتها بالفرنسية باسم Pyramides الى جانب العربية. أدارت الأهرام بكفاءة عالية منذ عام ١٨٩٩ منفردة حتى عام ١٩١٢، ومع ابنها جبرائيل تقلا حتى وفاتها عام ١٩٢٤. نالت أوسمة عديدة منها أوسمة مصرية وأخرى أوروبية، وشاركت في النهضة النسائية المصرية في القاهرة والإسكندرية ، ودعت، على صفحات «الأهرام»، إلى تحرير الفتاة العربية وإطلاق حرية المرأة وحقها في العلم والعمل، ودعت إلى التآخي المذهبي ونبذ الأحقاد والصراعات الطائفية ([4]) .

٨ـ أسرة آل نمر :

ولد فارس نمر في حاصبيا بلبنان عام ١٨٥٦ ، من عائلة أرثوذكسية ، حيث قتل والده أسطفان نقولا نمر الملقب بـ (النعسان) في أحداث ١٨٦٠ الطائفية ، وكان والده يعمل وكيلاً

---

(١) إبراهيم عبده ، المصدر السابق ، ص ٧١ .
(٢) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٢٨٠ .
(٣) فارس يواكيم ، ظلال الأرز في وادي النيل ، دار الفارابي ، (بيروت – ٢٠٠٩) ، ص ١٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

لأملاك أحد الأمراء الشهابيين ، رحلت الأم بوليديها فارس ونقولا نمر ، برفقة شقيقة زوجها مريم نمر ، إلى مجدل شمس ، حيث مكثوا عدة أيام عند آل فرحات ([1]) .

من مجدل شمس انتقل الأربعة إلى صيدا مشياً على الأقدام ، حيث مكثوا قرابة الشهرين في قبو متهدم ، انشأ من قبل مكتب عثماني لمساعدة المهجرين والمنكوبين ، واستطاع عم فارس نمر نقلهم بسفينة إلى بيروت ، حيث احتضنتهم مؤسسة لمساعدة المنكوبين ، وأسكنتهم في غرفة واحدة ذات رائحة عفنة من شدة الرطوبة ، ثم نقلوا إلى منطقة المصيطبة مع أولاد آخرين من أبناء المنكوبين بلغ عددهم (١٤) توفي بعضهم بسبب الأمراض ([2]) .

اضطرت الوالدة إلى الرحيل ، بوليديها إلى القدس للعمل كخادمة ، وهناك أدخلتهما المدرسة الأسقفية ، ثم عادوا مجدداً إلى بيروت ، وكان فارس قد قارب سن الخامسة من عمره ، وكان يحب الرياضيات كثيراً ، ولم تكن الجامعة الأمريكية تقبل الطلاب دون سن الثامنة عشرة ، فكان يقف قرب سور الجامعة ينتظر رئيس الجامعة بايار دودج (Bayyard Dodge) كانت لغته الانكليزية سليمة سأله دودج عما يريد ؟ فأجاب : " أريد الدخول إلى الجامعة " ، لم يرد عليه دودج مرات عدة ، لكنه كان يكرر المحاولات باستمرار ، عندها طلب منه أن يجري امتحاناً للدخول فاجتازه بنجاح باهر وهو في سن السابعة عشرة من عمره ، وهكذا دخل الجامعة وتخرج منها ودرس فيها ([3]) .

أسس صحيفة (المقتطف) مع يعقوب صروف في الجامعة الأمريكية نفسها ، في الجامعة أعتنق البروتستانتية ، وتخلى عن طائفته الأرثوذكسية ، هاجر فارس نمر ويعقوب صروف إلى الإسكندرية لخلاف نشأ مع أدارة الجامعة ، وكانا يرغبان في استمرار رحلتهما إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وصادف وجود رياض باشا رئيس وزراء مصر في الإسكندرية ، وكان من قراء صحيفة (المقطم) والمشتركين فيها ، وعندما سمع بوجود فارس نمر ويعقوب صروف في الإسكندرية ، وعزمهما بالرحيل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، فأبرق إليهما طالباً منهما المجيء إلى مصر والاستقرار فيها ونشر (المقتطف) على أرضها ، وتم ذلك فأصدر الثنائي نمر وصروف (المقتطف) و(المقطم) ([4]) .

سكن فارس نمر في المعادي أحد ضواحي القاهرة ، وعين عضواً في مجلس الشيوخ المصري وكان أحد مؤسسي الأكاديمية العربية أو(المجمع العلمي العربي) وأول مدير له ، وتزوجت شقيقته مريم من شاهين مكاريوس وهي جدة سمير ثابت نائب رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت ، أما زوجة فارس نمر فهي هيلين أيانود فرنسية الأصل من مونبيليه ، تعرف إليها في مصر وتزوجا ورزقا بولد هو ألبير فارس نمر وثلاث بنات كاتي ونيللي وإيمي ([5]) .

عمل ألبير مهندساً زراعياً ، ومسؤولاً لأراضي والده الواسعة في محافظتي الشرقية والغربية وكان من كبار تجار القطن ، ولم يتعاط العمل السياسي ومهنة الصحافة ، على العكس

---

(١) يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية ، (بيروت- ١٩٧٢) ، ص ٦ .
(٢) داغر، المصدر نفسه ، ص ٤ .
(٣) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٢٢٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .
(٥) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٤٣٣ .

من والده تماماً ، وكان مريضاً ، توفي عام ١٩٥٦ بعد صدور قرار التأميم ، أما كاتي فقد تزوجت من جورج أنطونيوس في حين تزوجت نيللي من طبيب جراح انكليزي ، وسافرت معه إلى انكلترا واستقرت هناك حيث حصلت على الجنسية البريطانية ، أما البنت الثالثة لفارس نمر هي إيمي التي تزوجت السفير فوق العادة في المعتمدية البريطانية في القاهرة ، وأما البنت الرابعة لفارس نمر روبي فاستمرت عزباء وسكنت مع أبيها وأمها وتوفيت في مصر (١) .

أثرت الطفولة الفقيرة والقاسية جداً في نفسية فارس نمر ، وطغت على سلوكه الاجتماعي وحياته الخاصة ، فكان شديد التمسك بعقليته القروية ويتمسك بتقاليد موروثة لم تفارقه حتى الوفاة ، ففي كل ليلة كان يتناول الخبز المرقوق واللبنة والزيتون والزعتر والبندورة على طبق من القش أو النحاس ، وهي عادة لم يتخلَ عنها أبداً ، ربى أولاده تربية قاسية ، ولم يسمح للبنات بإقامة الحفلات وزيارة الملاهي والمراقص ، كان يمنعهن من مخالطة الرجال الغرباء بحضوره ويطلب اليهن الأنزواء في غرفهن (٢) .

تؤكد ثريا جورج أنطونيوس : " أن جدها فارس نمر أحب مصر كثيراً ، ولم يرغب أبداً بالعودة إلى لبنان للاستقرار النهائي فيه، باتت مصر كل شيء بالنسبة لفارس نمر فهي مجال الشهرة والأصدقاء، والعمل، والاستقرار، إنها الوطن الحقيقي مقابل الوطن الذي ولد فيه وحمل معه ذكريات الفقر والعذاب والتشرد " (٣) .

٩ ـ أسرة آل شكور :

أسرة شكور التي توطنت في بيروت وجبل لبنان منذ بداية العهد العثماني ، من أوائل الأسر المسيحية اللبنانية ، التي هاجرت إلى مصر في القرن الثامن عشر ، وقد أشارت بعض المصادر التاريخية بأن كنعان بك شكور كانت له علاقات طيبة مع القائد الألباني محمد علي باشا ، فأقرضه خمسة آلاف قرش كانت من أحد أسباب وصول محمد علي باشا للسلطة في مصر عام ١٨٠٥ ، برز من أسرة شكور في العهد العثماني حنا شكور وكيل النصارى في منطقة العرقوب الأعلى ، وهو أحد رجالات الأمير بشير الشهابي الثاني الكبير، وفارس شكور أحد المستشارين في متصرفية جبل لبنان ، وعضو ديوان مجلس شورى الجبل ، ويوسف باشا شكور رئيس بلدية الإسكندرية في العهد العثماني (٤) .

بلغ عدد الأسر الشامية بالمنصورة في نهاية القرن التاسع عشر ، ما يقرب من (١٥٠) أسرة وكان من أبرز هذه الأسر في مدينة المنصورة :

١٠ـ أسرة صعب :

من أعرق الأسر اللبنانية التي هاجرت إلى مصر خلال منتصف القرن التاسع عشر ، واستقرت بالمنصورة ، و مارست نشاطًا واسعًا في تجارة العقارات وأنشطة الصيرفة

---

(١) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٢٢٨.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩.
(٤) حسان حلاق ، أصول العائلات البيروتية ، دار الشروق ، (القاهرة- ٢٠٠٩) ، ص ٧٦ .

والرهونات العقارية ، وكان عميدها الكونت خليل دو صعب ، قنصلاً لبلجيكا بمدينه المنصورة كما شغل منصب عميد الطائفة المارونية في المنصورة لعده دورات، وقد امتلكت هذه العائلة عقارات بشارع السكة الجديدة بمدينه المنصورة .

١١- أسرة سرسق :

وهي أسرة من جذور بيزنطية ، هرب أفرادها إلى لبنان عند سقوط بيزنطة علي أيدي العثمانيين عام ١٤٥٣، وعملت تلك الأسرة علي امتلاك مساحات شاسعه من الأراضي في بلاد الشام ، وقد هاجرت تلك الأسرة من لبنان إلي مصر هربًا من اضطهاد الأتراك لهم بسبب دعوتهم لاستقلال لبنان عن السيادة العثمانية ، وكان أول من هاجر للمنصورة من تلك الأسرة هو كنج الجميل جد السيد بيار الجميل مؤسس حزب الكتائب اللبناني ، وعاشت تلك الأسرة زمناً بالمنصورة ، باشرت فيه نشاطًا تجاريًا ومصرفيًا ، وامتلكت عده عقارات بالمدينة ، وكان من أبرز أفرادها الذين ولدوا وتربوا بالمنصورة موريس الجميل المحامي والسياسي اللبناني الشهير الذي تولي رئاسة منظمه الفاو لدورتين بمنتصف الستينات والمولود في المنصورة عام ١٩١٠، كذلك ألفريد إلياس الجميل الذي ولد في المنصورة عام ١٩٠٦ ثم سافر لبنان لاستكمال دراسته قبل العودة للمنصورة مره آخري للاستقرار وممارسه نشاط تجاري. بالإضافة لأفراد آخرين، من تلك العائلة تقلدوا العديد من المراكز الحكومية الهامة آنذاك مثل ميشال الجميل رئيس الدائرة الأولي بالمحاكمة المختلطة بالإسكندرية، وامتلكت العائلة عده عقارات وعمائر بمختلف أحياء المنصورة أبرزها عماره الهيئة العامة للكتاب الكائنة بميدان المحطة بمدينة المنصورة ([1]) .

فامتلكوا عده عزب وضياع في المناطق الريفية بمدينه المنصورة ، كما قامت أسرة سرسق بالتبرع لبناء كنيسة الروم الأرثوذكس بمدينة المنصورة وتولى عميد تلك العائلة نجيب سرسق رئاسة طائفة الروم الأرثوذكس بالمنصورة وجمعيتها الخيرية وظلت المنصورة مستقرًا ومقامًا لأسرة الجميل ، التي كانت ولازالت تلعب دورًا كبيرًا في الحياة السياسية اللبنانية ([2]) .

من الأسر الشامية بالمنصورة أسرة عبودي التي تعود جذورها لبلدة الشويفات في لبنان حيث امتلكت هذه الأسرة مصرفًا باسم بنك عبودي وتولي إداراته كل من الشقيقين أمين وإرنست عبودي ، كما نجد في المنصورة العديد من الأطباء ذوي الجذور الشامية مثل الدكتور أسعد سلهب طبيب الأشعة بالمنصورة والذي مارس نشاطًا سياسيًا بمصر إلى جانب عمله الطبي حيث ساهم في تأسيس نادي الاتحاد العربي والذي كان يعد بمثابة نواه لتأسيس جامعه الدول العربية . كذلك برز اسم الدكتور نجيب القيم مدير المستشفى الأميري بالمنصورة وإسكندر جريدني أحد أثرياء المنصورة وطبيب الأسنان البارز ([3]) .

كما نجد سيطرة كاملة للأسر الشامية في صناعه الفندقة والضيافة ولاسيما عائلة الريس ، إذ امتلك ضاهر الريس فندق باريس وشقيقه بشارة الريس فندق كلاريدج ، أما شقيقهم الثالث إبراهيم فقد أسس فندق أمبريال وهذه الفنادق جميعها كانت من أفخم وارقي فنادق المنصورة

---

(١) احمد حسن سليمان ، المصدر السابق ، ص ٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣ .

ومقصدًا لأعيان البلاد للإقامة والاستجمام بها ، كذلك تولى بعض أفراد تلك العائلة مهامًا دبلوماسية مثل أنطون الريس وكيل القنصل الفرنسي بمدينه المنصورة (١) .

١٢- آل شلفون:

آل شلفون: من الأسر المسيحية اللبنانية ، من جذور عربية ، انتشرت في البلاد السورية ، ومن بينها مناطق جبل لبنان ، وتشير سجلات المحكمة الشرعية في بيروت في القرن التاسع عشر إلى استقرار الأسرة في بيروت ، لذا برز منها في العهد العثماني إبراهيم بن الياس الشلفون ، وسلوم الخوري الشلفون ، وفارس بن يوسف الخوري الشلفون وسواهم . كما برز من الأسرة في العهد العثماني يوسف بن فارس الشلفون (١٨٤٠-١٨٩٠) أحد مؤسسي المطبعة السورية عام ١٨٥٧ في بيروت ، وأحد محرري صحيفة (حديقة الأخبار) في بيروت ، وهو الذي أسس المطبعة العمومية العثمانية ، وأسس صحيفة (التقدم) ، كما عرف من الأسرة سليم عباس الشلفون (١٨٥٣-١٩١٢) هو المحرر في جرائد (ثمرات الفنون) و(التقدم) و(بيروت) و(المحبة) و(المصباح) و(لسان الحال) ببيروت ، وجرائد (العصر الجديد) و(المحروسة) في الإسكندرية و(البيان) و(مرآة الشرق) في القاهرة ، والده عباس الشلفون ، وأمه وردة حاتم ، ولد في شهر نيسان في بيروت ، ولما بلغ الثامنة من عمره دخل المدرسة اليسوعية ، حيث تعلم العربية والفرنسية وشيئاً من الايطالية ، وفي الرابعة عشرة ترك المدرسة ولازم إبراهيم اليازجي مدة خمسة أعوام متتالية حتى برع في اللغة العربية نثراً ونظماً ، وكان في أثناء ذلك يتردد على مجلة (النجاح) لصهره يونس الشلفون فتعلم صف الحروف ، ولما أنشئت جريدة (ثمرات الفنون) سنة ١٨٧٥ انتظم في سلك محرريها فكتب فيها مدة أربع سنوات ، وكان في الوقت نفسه ينشأ بعض الفصول في جريدة (التقدم) ، هاجر مع سليم نقاش وأديب اسحق إلى الإسكندرية ليساعدهما في تحرير جريدة (العصر الجديد) و (المحروسة) فباشر معهما بتحرير الأولى سنة ١٨٨٠ ولكن لم يطل أجلها، ثم أنتقل منها إلى (المحروسة) فحرر فيها مدة سنتين حتى احتجبت سنة ١٨٨٢ أيام الثورة العرابية ، أنخرط سليم عباس الشلفون في الجمعيات المصرية ، وكان بين أركان الحزب الوطني ، وصدرت الأوامر بالقبض عليه ففر إلى نابولي ، ونزل ضيفاً على الحيوي إسماعيل ، وعندما هدأت الأحوال عاد إلى الإسكندرية ، ومنها إلى القاهرة حيث حرر (البرهان) و(البيان) و(مرآة الشرق) وتوفي سليم عباس الشلفون في ٩ كانون الثاني سنة ١٩١٢ ، ودفن في مدينة المنصورة ، واستقرت أسرة الشلفون في مصر (٢) .

كما تواجدت بالمدينة أسر أخرى مثل أسرة عساف، الشيخاني ، وصوصه ، وسليمان ، وشلهوب نعمه ، وخوري، وقد ساهمت الجالية اللبنانية بمدينه المنصورة في تأسيس النادي الشرقي بالتعاون مع باقي الجاليات الأجنبية بالمدينة ، وذلك بمقر مبنى البلدية ليكون بمثابة مكان لممارسة الأنشطة الاجتماعية والترفيهية وكملتقى لتجار وأثرياء تلك الجاليات (٣) .

ويبدو أن انهيار الدولة العثمانية، وسقوطها، وظهور الدول العربية، ادى الى عدّ سكان هذه الدول، ومنهم الشوام في مصر بمثابة رعايا سابقين للسلطنة العثمانية، ونالوا على ذلك الأساس حق اختيار الجنسية التي يرغبون فيها، فسارع معظمهم الاحتفاظ بالجنسية المصرية إلى جانب

(١) احمد حسن سليمان ، المصدر السابق ، ص ٤ .
(٢) عبد الرحيم غالب ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٦ .

الجنسية السورية، واللبنانية، وعلى أثر ذلك شهدت الساحة المصرية انتقادات حادة من قبل الصحافة المصرية، وأطلقت عليهم تسمية (المتمصرين) الأمر الذي جعل عدد كبير من اللبنانيين، والسوريين الذين يحملون الجنسية المصرية إلى اختيار جنسية واحدة، وجاء اختيارهم حراً في الغالب لصالح الجنسية المصرية، بدلاً من الجنسية السورية، أو اللبنانية، أو الفلسطينية ، ومنهم من عاد إلى بلاد الشام، أو هاجر إلى إحدى الأمريكيتين الشمالية، أوالجنوبية أو أوربا، أو إفريقيا، أو استراليا .

الفصل الرابع : اسهامات أهل الشام الثقافية والفكرية في مصر

المبحث الأول : الصحافة :-

مثلت الصحافة، أهم قنوات التأثير الثقافي، في منتصف القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، لما لها من ارتباط وثيق بالفكر، وهو ارتباط بعيد المدى، عميق الأثر في تطور الثقافة، وعلى الرغم من أن العهد الحميدي سعى لفرض طوق العزلة على المثقفين، الا ان ذلك لم يحل دون انتشار الصحف والمطبوعات في البلاد العربية الخاضعة لسيطرة للدولة العثمانية، وقد وجدت كثير من الصحف والمجلات المهاجرة طريقها إلى مصر.

بادر الخديوي إسماعيل إلى اتخاذ إجراءات حاسمة في ميدان الصحافة ، بإصلاح (الوقائع المصرية) صحيفة الدولة الرسمية، فانتظمت في مواعيد صدورها، وأصدر صحفاً حكومية أخرى في مجالات شتى مثل : (يعسوب الطب) و(أركان حرب الجيش)، و (نزهة الأفكار) ، و(روضة المدارس)، كما ظهرت في تاريخ مصر الحديث الصحافة الشعبية لأول مرة وبتشجيع من الخديوي إسماعيل ورعايته الأدبية والمادية مثل : (وادي النيل) ، و (روضة الأخبار) (١) .

فتح عهده صفحة جديدة في حياة الصحافة وبداية مرحلة تكوين رأي عام في مصر، فقد تضافرت عوامل مختلفة على النهوض بالصحافة منها رغبته في الاعتماد على الصحافة للدفاع عنه ضد الباب العالي، ودعم موقفه أمام اتهام السلطان العثماني له من جهة، كما أراد محاربة التدخل الأجنبي في مصر من جهة أخرى (٢) .

كان لبلاد الشام قصب السبق في ميدان النهضة الثقافية بالنسبة لمعظم أقطار الشرقين الأدنى والأوسط، وقد ولدت هذه النهضة بحكم مجموعة من العوامل المتفاعلة فيما بينها التركيبة الاجتماعية ذات السمة التعددية، فضلاً عن عوامل أخرى هيأت المناخ الملائم لتقبل التغيير وخلق الجديد من الأفكار أكثر من أي جزء من أجزاء الشرق العربي (٣) .

بعد أن ازداد تعنت الرقابة العثمانية في الولايات العربية ، هاجر الكثير من الكتاب الشوام إلى مصر التي أصبحت سوقاً كبيرة للقراء : **" إذ وجدوا هامش من الحرية والتعبير عن الرأي وفرصة للالتقاء بالشوام الذين سبقوهم إلى الهجرة لأسباب مختلفة "**(٤)، فضلاً عن ذلك **" أن المطبوعات المصرية ، لم تخضع إلى رقابة السلطات العثمانية مما أعطاها مساحة أكبر من الحرية في ميدان النشر والنقد " (٥)** .

---

(١) عبد اللطيف حمزة ، قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين ، دار الفكر العربي ، ط٢ ، (القاهرة – ١٩٨٥) ، ص ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

(٣) عبد الرزاق أحمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٣٨ .

(4) Thomas Philipp , " Demographic Patterns of Syrian Immigration to Egypt , p. 98.

(٥) عبد الرزاق احمد النصيري ، أثر الصحافة العربية في التطور الفكري للنخبة المثقفة في العراق (١٨٦٩-١٩٠٨) ، مجلة أفاق عربية "بغداد" ، السنة ١٧ ، نيسان ، ١٩٩٢، ص٦٥ .

من الجدير بالذكر أن معظم الشوام اختاروا الإقامة بالإسكندرية إذ كانت تتركز بها جالية كبيرة منهم تعمل بالتجارة ففضَّل هؤلاء المثقفون الإقامة بجوارهم، فضلاً عن أن الإسكندرية كانت تضج في تلك الفترة بالمطابع والصحف الأجنبية وتفتقر إلى مثلها بالعربية ففكر البعض في إنشاء مطابع تجارية كمصدر للرزق وفي الوقت نفسه إصدار صحف عربية كوسيلة اتصال بينهم وبين أعضاء الجالية الشامية المتفرقة في أنحاء مصر وخارجها .

ظهرت الصحافة العربية لأول مرة في الإسكندرية بعد أن شهدت، ولادة أول صحف الشوام على يد سليم حموي، الذي أنشأ مطبعة تجارية، وأصدر العدد الأول من صحيفة (الكوكب الشرقي) في ٦ آب ١٨٧٣، كما أصدر في العام نفسه مجلة أدبية باسم(شعاع الكواكب) ، ولكنها ما لبثت أن توقفت بعد صدور عدة إعداد منها، لكن الحموي لم يتوقف إذ عاوده حنينه إلى الصحافة فأصدر صحيفته (الإسكندرية)، التي عاونه فيها قريبه (عبده الحموي) في تموز ١٨٧٨ في هذه المرة أتخذ لها منهجاً سياسياً جر عليه بعض المتاعب فقد انتقد فيها بعض تصرفات الخديوي إسماعيل، فأنذرتها الحكومة ثم عطلتها شهراً، ومن ثم أوقفتها نهائياً، كما أنشا سليم الحموي بعد أن غادر الإسكندرية عام ١٨٨٦ صحيفة يومية سياسية أدبية أسماها (الفلاح) في القاهرة ([1]) .

ثم أصدر الأخوان الشاميان سليم وبشارة تقلا في الإسكندرية في ٥ آب ١٨٧٥صحيفة (الأهرام) أسبوعية كل يوم سبت ، في أربع صفحات ، اختص سليم بتحرير المقالات المختلفة وأداره الصحيفة من الناحية الأدبية ، في حين اختص بشارة بالترجمة عن الصحف الأجنبية وإدارة الصحيفة من الناحية التجارية ، وقدمت (الأهرام) نفسها في الصفحة الأولى من العدد الأول إلى الجمهور بكلمة جاء فيها : " هذا هو العدد الأول من السنة الأولى لصحيفة الأهرام المرعية بعناية الحكومة السنية ... الخ " ([2]) .

استقبل الجمهور صحيفة (الأهرام)، باعتبارها وافداً جديداً في عالم الصحافة فنظم بعض الشعراء قصائد في مدحها، وأتحفها بعض الأدباء بعدد من التقاريظ ([3])، فعلى سبيل المثال كتب محمد عبده تقريظاً في العدد الخامس، من صحيفة (الأهرام) نقتطف منه هذه الفقرات التي جاءت بعد تمهيد طويل: **" فيالها من جريدة أسست قواعدها في القلوب ، وامتدت مبانيها لكشف الغيوب ، تناديها بمقالها ، وحالها حي على الفلاح، وهلموا إلى موارد النجاح ، لا تقفوا عند صورة المبنى، ولكن تجاوزوا عنه إلى المعنى تلك أهرام أشباح وهذه غذاء أرواح تلك مساكن أموات ، وهذه سر السموات ، وأين الذي تعفيه الرياح والأمطار، من الذي لا توهنه توالي المدد والإعصار "** ([4]) .

---

(١) عبد العليم القباني ، نشأة الصحافة العربية بالإسكندرية ١٨٧٣- ١٨٨٢، الهيئة العربية العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٩٧٣) ، ص ١٠ .

(٢) إبراهيم عبده ، المصدر السابق ، ص ١٩٤. **ينظر ملحق رقم (٧) العدد الأول من صحيفة الأهرام الذي صدر يوم السبت ، الموافق ٥ آب ١٨٧٦** . ينظر : عبد العليم القباني ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٣) **التقاريظ :** ضرب من الرسائل يكتبها بعض الاصدقاء إلى البعض يمدحه ويثني عليه الثناء المستطاب بمناسبة ما أصدره من نتاج قلمه وفكره ، سواء أكان ديواناً شعرياً ، أم كتاباً علمياً أو نحوهما، ونشط هذا اللون من الكتابة في عصر المماليك. لمزيد من التفاصيل ينظر : محمود رزق سليم ، الأدب العربي وتاريخه ، مؤسسة مصر للطباعة ، (القاهرة -١٩٥٧) ، ص ٣٨.

(٤) رشيد رضا ، مقالات محمد عبده في الأهرام ، الجزء الثاني ، ص ١٥ .

أسهمت الحرب بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨)، في تطوير الصحافة المصرية وشكلت في تاريخ حرية الفكر في مصر، فقد اهتم بها المصريون لأنهم رأوا فيها تهديداً لسلامة الدولة العثمانية، ومن ثم تهديداً لمصر، وكان المصريون متلهفين لسماع أخبار المعارك التي تدور رحاها بين الطرفين، ولاسيما بعد اشتراك قوات من الجيش المصري إلى جانب الدولة العثمانية في المعركة بعد أن مارست الصحف لاسيما الأجنبية منها التضليل الإعلامي في نقل الأخبار(١) .

أنشأ سليم تقلا صحيفة يومية أسماها (صدى الأهرام) من أجل متابعة الأحداث يومياً ونقل أخبار المعارك أولاً بأول ، فأن أعصاب الناس لا تستطيع الصبر أسبوعاً كاملاً ، حتى تنشرها (الأهرام) لهم كل يوم سبت ، فيكون الخبر قد فقد قيمته ، وقد صدر العدد الأول من (صدى الأهرام) في ١٠ كانون الأول ١٨٧٦ مكوناً من أربع صفحات ، الصفحة الأولى بها مقال افتتاحي يتحدث عن أخبارك المعارك والثانية عن الحوادث الداخلية والثالثة عن الأخبار التجارية والرابعة موقوفة على الإعلانات (٢) .

يبدو أن عوامل عديدة ساهمت في ازدهار الصحافة العربية ، لاسيما صحافة الشوام في مصر منذ أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر وحتى مطلع القرن العشرين ، منها تخلي الدولة عن احتكارها للنشر والطباعة ، ووجود هامش من الحرية ، ومع الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ قللت الحكومة من رقابتها على الصحافة ، فضلاً عن الطبقات العليا والوسطى التي تمتلك من الأموال ما يمكن استثماره في الصحافة، فارتفع عدد المطابع وتضاعف عدد المطبوعات، وما لبثت أن تحولت الصحف والمجلات إلى وسيلة إعلامية هامة .

وأسهمت الطائفة الأرمينية من الشوام بدور مهم في مجال الصحافة والطباعة ، فأسسوا صحف ومجلات باللغة الأرمينية، كانت حكراً عليهم ، وأسهموا بالكتابة في الصحف الصادرة بالفرنسية أو الإنجليزية، ونادراً ما كتبوا باللغة العربية أما التقنية الصحفية في الطباعة والزنكوغراف، والإخراج الفني وسواها، فكانت تقع أساساً على كاهل العمال والمهنيين والمتخصصين من الشوام الأرمن، والتصوير الفوتوغرافي للصحف والمجلات كان من اختصاص أفراد الجالية الأرمينية أكثر من أية جالية أخرى (٣) .

صدرت صحيفة (المقطم) في ١٨ نيسان عام ١٨٨٨، وعن تسميتها بالمقطم ذكر فارس نمر: **" حضرت من سوريا إلى مصر مع زميليْ الصبا ورفيقيْ العمر يعقوب صروف وشاهين مكاريوس، تلبية لدعوة كبراء مصر وأقطابها وفي مقدمتهم المغفور لهما محمد شريف باشا ومصطفى رياض باشا، وقد رحبوا بالمقتطف وأثنوا عليه واقترحوا إصداره في مصر "** وطلبت اسم (المقطم) ولما سُئلت عن السبب في اختيار هذا الاسم قلت **: " لأنه الجبل الذي بُنيت من حجارته الأهرامات الثلاثة"** (٤) .

---

(١) عبد العليم القباني، المصدر السابق، ص ٢١.
(٢) إبراهيم عبده ، المصدر السابق ، ص ٧١ .
(٣) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٩٤ .
(٤) مجلة صله ، المقطم ، ٢٢ أيلول ٢٠١٤.

وجدَ الثنائي يعقوب صروف وفارس نمر، في مصر رعاية لم يعثرا عليها في الكلية الإنجيلية في بيروت ، وحملا مجلتهما (المقتطف) إلى القاهرة بعدما تلقيا من رئيس الحكومة المصرية مصطفى رياض خطاباً يقول فيه **: " أخبرت أنكم عزمتم على نقل جريدتكم الغراء إلى الديار المصرية ، فسرّني ذلك لما تحويه من الفوائد الجليلة ، ولقد اغتنمت الفرصة لأبدي نصيحتي لأبناء هذا القطر بمطالعتها واجتناء فوائدها "** استُقبل الناشران اللبنانيان استقبالاً حاراً في مصر ، كما ذكر أحمد شفيق الذي كان يعمل في البلاط الخديوي ، وصدر العدد الأول من (المقتطف) في ١٠ آذار ١٨٨٥، بعد شهر من وصول نمر وصروف إلى القاهرة ، وكانت المجلة يومها في عامها التاسع (١) .

انضم شاهين مكاريوس إلى الثنائي يعقوب صروف وفارس نمر وكان قد وصل إلى مصر قبلهما في نهاية ١٨٨٤ وتولى فارس نمر الإشراف على(المقطم) وأدار يعقوب صروف (المقتطف) وأسهم شاهين مكاريوس في الشؤون الإدارية ، ولاسيما المطبعة، وهو معروف بانتمائه إلى المحافل الماسونية (٢)، وتدرج إلى أن بلغ رتبة رئيس محفل، وعمل مكاريوس مع شريكيه حتى وفاته في حزيران ١٩١٠ (٣) .

هاجر سليم عنحوري في عام ١٨٧٨ إلى الإسكندرية ثم القاهرة ، فاتصل بآل تقلا وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورياض باشا وعلي باشا مبارك وقدم كتابه (كنز الناظم) إلى الخديوي إسماعيل، فمنحه ثلاثة امتيازات لمطبعة (الاتحاد) ومجلة (الشمس) الأدبية ، وخصه براتب (٥٠ جنيهاً) فجلب عنحوري مطبعة من بيروت وعمالاً وأصدر صحيفة (مرآة الشرق) التي كانت تصدر مرتين في الأسبوع بتشجيع من إسماعيل ، إذ كانت سياستها تلتزم بالدفاع عن تصرفات الخديوي ومواقفه وقد استمر عنحوري في إصدار صحيفته حتى العدد السابع عشر إذ اضطر العودة إلى بلاد الشام (٤) .

أوعز جمال الدين الأفغاني إلى أديب اسحق بإصدار صحيفة (مصر الفتاة) عام ١٨٧٧ ونادى فيها بأن (مصر للمصريين) ونقل مقر الصحيفة إلى الإسكندرية وشاركه في تحريرها سليم النقاش ، ثم اشترك الاثنان بإيعاز من الأفغاني في إصدار صحيفة (التجارة) وقد استمرت (مصر) و (التجارة) في الصدور، حتى أغلقتا بعد نجاح التدخل الأجنبي في مصر وما نتج عنه من عزل الخديوي إسماعيل ، وتولي أبنه توفيق ، وإقالة حكومة شريف باشا الدستورية (٥) .

---

(١) فارس يواكيم ، المصدر السابق ، ص ٧١.

(٢) **الماسونية :** وهي حركة دينية يهودية ، تهدف إلى خلق اتحاد عالمي، اشتقت من اسم مؤسسها فرانك ماسون، ظهرت في بريطانيا عام ١٧١٧باسم (المحفل العظيم)، وظهرت في أوربا، وانطلقت منها إلى أنحاء العالم ، وكان الغرض من نشوئها في الأصل إضعاف سلطة الكنيسة والبابا . محمد جبريل ، المصدر السابق، ص ٢٩٨ .

(٣) فارس يواكيم ، المصدر السابق ، ص ٧٥.

(٤) فاروق أبو زيد ، الصحافة العربية المهاجرة ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة -١٩٨٥) ، ص ٧٥.

(٥) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، (القاهرة - ٢٠٠٥)، ص ٣٠٧ .

أشار عبد الله النديم في مذكراته إلى أسباب إغلاق صحيفتي (مصر) و (التجارة) بالقول : **" بعد طرد جمال الدين الأفغاني من الأراضي المصرية أنعطف أديب اسحق إلى شريف باشا وجعل وجهته تسفيه رياض باشا بالنقد، والاعتراض فنفر من هذين وعطل الصحيفتين "** (١) .

وهناك من الشوام ممن اندمجوا في الحياة المصرية ، وأسهموا بأقلامهم في المعارك الصحفية ثم تتابع صدور الصحف والمجلات الشامية التي تنوعت في اهتماماتها لتشمل مختلف الجوانب فمنها السياسية مثل (المحروسة) لصاحبها سليم النقاش عام ١٨٨٠وصحيفة (مرآة الشرق) لصاحبها سليم عنحوري في القاهرة عام ١٨٧٦ فضلاً عن مجلات وصحف أخرى (٢) .

مثل شكيب أرسلان التداخل والتواصل بين مصر والشام فقال: **" كانت مصر ميداناً لجياد القرائح السورية، وان انبغ الذين تخرجوا في بيروت إنما ظهروا واشتهروا في مصر ، كما إن معاهدها خرّجت كثيراً من أبناء سوريا ، فكان كلا القطرين الشامي والمصري يشد الواحد منهم الآخر في ضرب من ضروب الرقي العقلي، فكانت القاهرة ودمشق تلتقيان في الاتجاهات الفكرية والثقافية وحرية الرأي "** (٣) .

كان تأثير المهاجرين الشوام تأثيراً بالغاً في نشأة الصحافة العربية وكانوا يملكون ما يقرب من(٢٠%) من الصحف والمجلات ، وركزوا في نشاطهم على تأسيس الصحف مستفيدين من خبرتهم السابقة في مجال العمل الصحفي كما استفادوا من مناخ الحرية وحالة الاستقرار في عهد الخديوي إسماعيل(٤)، وظلت الحركة الأدبية والفنية تعتمد في الأساس على العناصر الشامية ، فضلاً عن الصحافة بقضها وقضيضها بيد الشوام (٥) .

بدأت موجة جديدة من صحف الشوام بالهجرة إلى مصر مع بداية عهد الخديوي عباس حلمي الثاني في أواخر عام ١٨٩٢ أصدر جرجي زيدان العدد الأول من مجلة (الهلال) في (٦)، وهي مجلة علمية تاريخية أدبية، وعن سر اختيار هذا الاسم يقول زيدان في افتتاحية العدد الأول : " وقد دعونا مجلتنا هذه بالهلال لثلاثة أسباب : أولاً: تبركًا بالهلال العثماني الرفيع الشأن، وثانيًا : إشارة لظهور هذه المجلة مرة في كل شهر، وثالثًا : تفاؤلاً بنموها مع الزمن حتى تتدرج في مدارج الكمال ، فإذا لاقت قبولاً وإقبالاً أصبحت بدرًا كاملاً بإذن الله " (٧) " وصدرت (لسان الحال) صحيفة يومية في الإسكندرية عام ١٨٩٤ لأصحابها الشوام نجيب وأمين حداد، وكانت من الصحف الوطنية الحرة ، التي هاجمت السلطان عبد الحميد الثاني فطاردها ومنعها من الدخول إلى البلاد العربية (٨) .

---

(١) مذكرات عبد الله النديم ، ص ٥٤ .
(٢) احمد حمروش ، المصدر السابق ، ص ٤٢.
(٣) أنور الجندي ، الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والحرية والتجمع ، مطبعة الرسالة ، (القاهرة - ١٩٦٠) ، ص٣٣ .
(٤) بث بارون ، المصدر السابق ، ص٢١.
(٥) السيد فهمي الشناوي، قصة تكوين الطبقة المثقفة المصرية ،مجلة الهلال، العدد ، نيسان ١٩٧٢، ص ١٥ .
(٦) **ينظر ملحق رقم (٨) العدد الأول من مجلة (الهلال) الذي صدر في ١تشرين الأول ١٨٩٢.**
(٧) مجلة صله ، المقطم ، ٢٢ أيلول ٢٠١٤ .
(٨) جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق ، ج٢ ، ط٣ ، دار الحياة ، (بيروت – د ت) .

تعاقبت بعد ذلك الصحف والمجلات التي أصدرها الصحفيون الشوام المهاجرون إلى مصر مثل : صحيفة (القاهرة) التي أصدرها سليم فارس بن أحمد فارس الشدياق عام ١٨٨٥ وصحيفة (الببغاء) التي أصدرها نجيب غرغور عام ١٨٨٧ بالإسكندرية ، ومجلة (الراوي) التي أصدرها خليل زينية عام ١٨٨٨، ومجلة (الأحكام) التي أصدرها نقولا توما عام ١٨٨٨وصحيفة (المحاكم) التي أصدرها يوسف رصاف عام ١٨٩٠ وصحيفة (صدى الشرق) التي أصدرها حبيب فارس اللبناني عام ١٨٩١ ([1]) .

من الشوام شميل شبلي الذي أصدر عام ١٨٨٦ (الحقوق) التي تُعد أول صحيفة قانونية قضائية في مصر، ومجلة (الشفاء) التي تعنى بشؤون الطب ، وفي عام ١٨٨٧ نشر كتاباً بعنوان (الحقيقة) عرف العالم العربي بنظرية النشوء والارتقاء لتشارلز دارون (أصل الأنواع) وتكمن أهمية الكتاب الاستثنائية في الزلزال النفسي الذي أحدثه في العالم العربي أكثر مما تكمن في قيمته الفكرية، وقد رأى فيه بعض علماء الدين مساس بالعقيدة الإسلامية ودعوة للإلحاد ، ولاسيما جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ([2]) .

ومن الصحفيين الشوام الذين عادوا إلى مصر عقب الاحتلال البريطاني أمين ناصيف الذي أصدر صحيفة (مرآة الشرق) مرة أخرى في ١٤ نيسان ١٨٨٣، والتي كانت قد توقفت عن الصدور إبان الثورة العرابية ، وشاركه في تحريرها نقولا توما ، واستمرت الصحيفة في الصدور حتى نيسان ١٨٨٦ بعد ذلك أصدر ناصيف صحيفة أخرى هي (الصادق) في ٢ أيلول ١٨٨٦ واتسمت سياستها بمعارضتها الشديدة لسلطات الاحتلال البريطاني، واستمرت في الصدور لمدة أربعة أعوام ثم احتُجبت نتيجة لمرض صاحبها ([3]) .

يبدو إن صحف الشوام ، قد أدت دوراً مؤثراً في الصراعات السياسية والفكرية والاجتماعية التي جرت على الساحة العربية ، عندما تصدت بجرأة إلى إطلاق مجموعة من الطروحات الفكرية ، اتسم بعضها بالإصلاح إنقاذاً لكيان آخذ بالانهيار ، فيما حفل بعضها الآخر إلى اليقظة العربية والتحرر من نير السيطرة العثمانية ، مما جعلها تنال الكثير من المضايقة والملاحقة والاضطهاد والنفي ، خلال السيطرة العثمانية على البلاد العربية .

ظهرت مجلة (المشير) عام ١٨٩٤ لصاحبها سليم سركيس اللبناني الذي كان محرراً في (لسان الحال) ثم هاجر إلى مصر، فقد وصفت (المشير) بأنها **"جريئة جرأة متناهية في مناهضة الدولة العثمانية "** ، وتوجت عنوانها بأربعة أبيات من الشعر، نظمها الأمير شكيب أرسلان قال فيها :

وألفيت فيها أمة عربية يرى التحرك فيها أمة الزنج اكرما

وما نقموا منا بني العرب خلة سوى أن خير الخلق لم يك أعجما

ما أن وصلت الأعداد الأولى من مجلة (المشير) إلى بيروت ، حتى أصدرت الحكومة العثمانية أمراً بإحراقها، وأصدرت المحاكم حكماً بإعدام صاحبها، وطالبت ولاية بيروت بتسليمه

(١) فاروق أبو زيد ، المصدر السابق ، ص ٤٢.
(٢) صلاح زكي أحمد ، قادة الفكر العربي ، دار سعاد الصباح ، (الكويت -١٩٩٣) ، ص ٢٥٠ .
(٣) فاروق أبو زيد ، المصدر السابق ، ص ٤٢.

ولكن المعتمد البريطاني اللورد كرومر رفض الأمر، انتقلت مجلة (المشير) بعد ذلك إلى القاهرة وأرسل السلطان بعض المجرمين لاغتيال صاحبها سليم سركيس، ولكنه نجا وظل يواصل إصدار صحيفته حتى عام ١٨٩٩ ([١]) .

كما أخذ اللبناني فرح أنطون يكتب في الصحف والمجلات ، لاسيما في صحيفة (صدى الأهرام) لبشارة تقلا، فتسلم رئاسة تحريرها ([٢]) وكتب فيها بالاسم الصريح والاسم المستعار وعلى صفحاتها دبج مقالته الشهيرة (دائرة الحق) التي غمز فيها ولفت وضمن ووقع بإمضاء (سلامة) فراح الناس يتسألون : من هو سلامة هذا ؟ ([٣]) .

كانت إقامته في الإسكندرية على مدى سنتين (١٨٩٧ – ١٨٩٩) مسرحاً لقلمه ، وتوطيداً لسمعته الفكرية ، وعرف المجتمع ودرس أوضاعه ، فلما أطمأنت منه النفس إلى ما انتهت إليه معرفته ، آلت قناعاته إلى ضرورة العمل مستقبلاً في مجلة فكرية ، يعرض فيها أفكاره الإصلاحية في السياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب ([٤]) .

ما كاد منتصف آذار من عام ١٨٩٩ يطل حتى صدر العدد الأول من مجلته (الجامعة العثمانية)([٥])، وقد بين في مقدمة العدد الأول أهداف مجلته وهي : (خدمة الوطن العثماني والمصري والجامعة العثمانية بنوع مخصوص) والجامعة العثمانية ، مجلة سياسية أدبية تهذيبية أسبوعية([٦])، وصدر من الجامعة في الإسكندرية ، خمسة مجلدات ، منها اثنان في سنتها الأولى (١٨٩٩-١٩٠٤) ، وانتقلت إلى القاهرة واستمرت بالصدور حتى عام ١٩٠٩ ([٧]) .

أصدر إبراهيم اليازجي في القاهرة عام ١٨٩٧ بالاشتراك مع بشارة زلزل مجلة (البيان) ، وأعد لها الآلات اللازمة من أوربا ، فجاءت المجلة والمطبعة مثالاً للإتقان ، وما لبثت المجلة واحتجبت وأفترق الشريكان ، وفي عام ١٨٩٨ استقل إبراهيم اليازجي بإنشاء مجلة (الضياء) التي اشتهرت بفصاحة العبارة ومتانة الأسلوب ، وظلت تصدر ثمانية أعوام حتى عام ١٩٠٥ عندما حال مرضه دون متابعة الكتابة وإصدارها ([٨]) .

أنشأ خليل مطران في عام ١٨٩٩ بالقاهرة ، مجلة (المجلة المصرية) وهي مجلة جامعة ، في مختلف الألوان في الفنون والآداب والعلوم ، واشترك في تحريرها الشاعر أحمد شوقي([٩])

---

(١) احمد حمروش ، المصدر السابق ، ص ٩١.
(٢) صدرت الأهرام في الإسكندرية عام ١٨٧٦، قبل أن تنتقل إلى القاهرة لاحقاً بإدارة الأخوين سليم وبشارة تقلا وفي عام ١٨٧٧ أصدرا (صدى الأهرام) ، ثم صحيفة (الأحوال) ١٨٨٢ لذلك كانا عاجزين عن الاهتمام التام بثلاث صحف، فكانا يستعينان بأقلام كثيرة، ويسندان رئاسة التحرير إلى عدة أدباء، وكان فرح أنطون أحد هؤلاء الذين أسندت إليهم رئاسة تحرير (صدى الأهرام). فيليب دي طرازي، ج ٤، المصدر السابق، ص ٢١٤ .
(٣) مارون عيسى الخوري ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
(٥) بعد العدد الثاني عشر ، أسقط فرح أنطون لفظة (عثمانية) واكتفى بلفظة (الجامعة) ، فأصبحت مجلة (الجامعة) بدلاً من (الجامعة العثمانية) . مجلة الجامعة ، العدد (١٣) ، الجزء الأول ، المقدمة ، الإسكندرية ١٥ آذار ١٩٠٠ ، ص ١.
(٦) الجامعة العثمانية ، العدد (٣) ، السنة الأولى ، ١٥ حزيران ، ١٨٩٩ .
(٧) مارون عيسى الخوري ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .
(٨) عيسى ميخائيل سابا ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .
(٩) أحمد شوقي: شاعر مصري ولد في القاهرة عام ١٨٦٨ ، يلقب بـ (أمير الشعراء) توفي عام ١٩٣٢ . بطرس البستاني، أدباء العرب، المصدر السابق، ص ٢٧٣ .

بأشعاره ومقالاته المختلفة في الأدب والأخلاق والاجتماع ، وأسهم فيها الشاعر إسماعيل صبري ([1])، بقصائده ، والشاعر حافظ إبراهيم([2])، بأشعاره ، وشكيب أرسلان بمقالاته ، ونظراً لظروفه المالية لم يقدر لمجلته البقاء طويلاً ، فاحتجبت بعد صدور دام عامين ([3])

عاد خليل مطران إلى الصحافة من جديد عبر بوابة صحيفة (الجوائب المصرية) وفي عام ١٩٠٩ وعلى أثر نشره مقاله ضد قانون المطبوعات ، أرسل إليه رئيس الوزراء مصطفى فهمي باشا من يتهدده بالنفي من مصر إذا أستمر في كتاباته وأشعاره ضد الوزارة وقانون المطبوعات ، فقرر خليل مطران اعتزال مهنة الصحافة والعمل بالتجارة ([4]) .

امتازت كتابات الشوام بغلبة الميول الثقافية وابتعادها عن السجع ([5])، والبساطة والمرونة والسهولة، وبمعرفتهم الوثيقة بالأفكار الغربية، ومهارتهم الصحفية جعلت منهم أحدى الأدوات الرئيسة لانتشار الأفكار الحديثة في مصر، فكانوا بمثابة الشرارة التي وضعت الأساس لحركة أحياء أدبية وثقافية في المجتمع المصري ([6]) .

نالت صحافة الشوام تقويم كتاب مصر نتيجة للدور الكبير الذي لعبته هذه الصحف ، فقد قوم عبد اللطيف حمزة هذه الصحف مؤكداً **: " أن صحفهم لا تترك مجالاً للشك في عظم الدَين الذي في أعناقنا لأولئك السوريين النازحين عن وطنهم " ، وقال كاتب آخر يصف أثرهم : " لقد حمل هؤلاء المثقفين في مفكراتهم الصغيرة ، وفي قلوبهم الفكرة الكبرى ، فكرة إحياء النهضة العربية ، فقد قمعت هذه الحركة في سوريا ، لكنها ظهرت في القاهرة على صفحات الكتب والصحف "** ([7]) .

أما الروائي عيسى عبيد فيقول : **" هذا صاحب " طبائع الاستبداد " و " أم القرى " الكواكبي بلبل أفلت من يد الصياد فغنى ، وشم نسيم الحرية فتمنى ، وهذا صاحب " المنار" رشيد رضا فاءت له الحرية بمذقه من الظل ، وجاءته سما الاستقلال بقليل من الظل ، فصاح صيحة في خدمة الدين ، اخترقت أحشاء الهند والصين ، وذلك صاحب " أشهر مشاهير الإسلام " جرجي زيدان غادر أرض الشام فألف ، ونزل في دار الأمان فصنف"** ([8]) .

زخرت الصحافة المصرية بالعديد من الصحفيين الشوام الذين كان لهم بالغ الأثر في تطويرها فقد أخذ عنهم المصريون الكثير من فنون الصحافة وجودة الطباعة التي اشتهروا بها على مر السنين، بعضهم عمل في الصحف المصرية والبعض الآخر أصدر صحفًا خاصة بهم وإذا استعرضنا عدد الصحف العربية التي صدرت في تلك الفترة نجد أن أغلبها أصدرها لبنانيون أو كان لهم فضل في إصدارها ، ولعل إقبالهم على إصدار الصحف بكثرة ، وامتهان الصحافة عائد

---

(١) إسماعيل صبري: شاعر مصري ولد عام ١٨٥٤، وتوفي عام ١٩٢٢ . بطرس البستاني، أدباء العرب ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ .

(٢) حافظ إبراهيم: شاعر مصري ولد عام ١٨٧١، وتوفي عام ١٩٣٢ . المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .

(٣) خميس سلمونة ، المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .

(٥) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية في مصر، المصدر السابق ، ص٢٥.

(٦) علي الدين هلال، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٧) محمود كامل، الإسلام والعروبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة – ١٩٧٦) ، ص١٣٧.

(٨) محمد جبريل، المصدر السابق، ص ٣٨٦ .

إلى أنهم كانوا أسبق من غيرهم من أبناء الشعوب العربية إلى النهل من العلوم والمعارف والثقافات الأجنبية المختلفة التي كانت بلادهم منتجع روادها الأوائل لاسيما بعد أن ضمنت سبع دول أوربية استقلال لبنان الذاتي ضمن إطار السلطنة العثمانية .

أثرت هذه النخبة المثقفة من الشوام ، أيما تأثير في المناخ الفكري والثقافي المصري حتى نجد أديباً لامعاً مثل مصطفى لطفي المنفلوطي([1])، يكتب مقالاً في عام ١٩٠٨ تحت عنوان : (أهناء أم عزاء) حينما قرر بعض الشوام العودة إلى مسقط رأسهم اثر عودة العمل بالدستور العثماني ذكر فيه : **" فارق مصر على إثر إعلان الدستور العثماني كثير من فضلاء السوريين بعدما عمرا هذا البلد بفضائلهم ومآثرهم وصيروها جنة زاخرة بالعلوم والآداب ولقنوا المصريين تلك الدروس العالية في الصحافة والتأليف والترجمة ، وبعدما كانوا فينا سفراء خير بين المدنية الغربية، والمدنية الشرقية يأخذون من كمال الأولى ليتموا ما نقص من الأخرى وبعدما علموا المصري كيف ينشط للعمل وكيف يجد ويجتهد في سبيل العيش وكيف يثبت ويتجلد في معركة الحياة "([2]) ، وكان الشاعر أحمد شوقي قد سبقه إلى تعظيم لبنان بقوله : " لبنان والخلد اختراع الله " ([3]) .**

كما جسد شاعر النيل حافظ إبراهيم الأواصر والروابط التاريخية العريقة بين مصر وبلاد الشام قائلاً :

لمصرَ أم لربوع الشام تنتسبُ ؟ هنا العلا وهناك المجد والحسبُ ([4]) .

على الرغم من الاستبداد العثماني ضد النخبة المثقفة من الشوام ، إلا إن ذلك لم يحل دون انتشار الصحف والمطبوعات في البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية ، وكانت كل الصحافة بقضها وقضيضها في يد الشوام ([5])، وإلا كيف نفسر عدد الصحف والدوريات التي بلغت (١٧١) صحيفة أو مجلة بحسب إحصاء المؤرخ الصحافي جوزيف الياس في محاضرته التي ألقاها عن : (دور الشوام في صحافة وادي النيل) ([6]) .

---

(١) **مصطفى لطفي المنفلوطي :** أديب وكاتب مصري، ولد في منفلوط في صعيد مصر عام ١٨٧٢، درس في الأزهر، ترجم في سبيل التاج، وما جدولين، وكتب النظرات، والعبرات، توفي عام ١٩٢. بطرس البستاني ، أدباء العرب ، المصدر السابق، ص ٣٧٦ .

(٢) شفيق البقاعي، أدب عصر النهضة، دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٩٠)، ص١٠٣.

(٣) وديع فلسطين، المصدر السابق، ص ٤ .

(٤) فاروق شوشة، علاقة الشام بمصر، مجلة العربي، العدد ٥٩١، شباط ٢٠٠٨، ص ١٦٤ .

(٥) السيد فهمي الشناوي، قصة تكوين الطبقة المثقفة المصرية، مجلة الهلال، نيسان ١٩٧٣، ص ٦٤ .

(٦) فارس يواكيم، المصدر السابق، ص ٧٧ .

جدول رقم (١)

أهم الصحف والمجلات الشامية في مصر خلال منتصف القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين

ت	اسم الجريد أو المجلة	سنة الصدور	مكان الصدور	الناشر
١	وادي النيل	١٨٦٦	القاهرة	حبيب عزوري
٢	الجوائب	١٨٦٧	القاهرة	أحمد فارس الشدياق
٣	الكوكب الشرقي	١٨٧٣	الإسكندرية	سليم الحموي
٤	الأهرام	١٨٧٦	الإسكندرية ثم القاهرة	بشارة وسليم تقلا
٥	المقتطف	١٨٨٤	بيروت ثم القاهرة	يعقوب صروف وفارس نمر
٦	حقيقة الأخبار	١٨٧٧	القاهرة	أنيس خلاط
٧	مصر	١٨٧٧	الإسكندرية	أديب إسحاق وسليم النقاش
٨	الوقت	١٨٧٧	الإسكندرية	سليم وبشارة تقلا
٩	التجارة	١٨٧٨	الإسكندرية	أديب إسحاق
١٠	العصر الجديد	١٨٨٠	الإسكندرية	سليم النقاش
١١	المحروسة	١٨٨٦	الإسكندرية	سليم النقاش وأديب إسحاق
١٢	الاتحاد المصري	١٨٨١	الإسكندرية	روفائيل مشاقة
١٣	الصادق	١٨٨١	القاهرة	أمين ناصيف
١٤	مصر	١٨٨١	الإسكندرية	أديب إسحاق وأخوه عوني
١٥	الأحوال	١٨٨٢	الإسكندرية	سليم وبشارة تقلا
١٦	الحضارة	١٨٨٢	القاهرة	ميخائيل جرجس عورا
١٧	مرآة الشرق	١٨٨٢	القاهرة	خليل اليازجي وأمين ناصيف
١٨	البيان	١٨٨٤	القاهرة	ميخائيل عورا ويوسف سيف
١٩	الجريدة المصرية	١٨٨٥	القاهرة	جرجس ميخائيل النحاس
٢٠	القاهرة	١٨٨٥	القاهرة	سليم فارس الشدياق
٢١	الحقوق	١٨٨٦	القاهرة	إميل الشميل وإبراهيم الجمال
٢٢	الشفاء	١٨٩٧	الإسكندرية	شبلي الشميل
٢٣	اللطائف	١٨٨٦	القاهرة	شاهين مكاريوس
٢٤	المحروسة	١٨٨٦	القاهرة	يوسف همام آصاف
٢٥	الببغاء	١٨٨٧	الإسكندرية	نجيب جرجور
٢٦	جريدة المحاكم	١٨٨٨	القاهرة	يوسف همام آصاف
٢٧	حديقة الأدب	١٨٨٨	الإسكندرية	نجيب جرجور
٢٨	الراوي	١٨٨٨	الإسكندرية	خليل زينيه
٢٩	الرياضة السورية	١٨٨٨	القاهرة	محمد باشا المخزومي
٣٠	المنارة	١٨٨٨	الإسكندرية	نجيب جرجور
٣١	الحقيقة	١٨٨٩	الإسكندرية	جورج ميرزا وفرج مزراحي
٣٢	La Jurisprudence	١٨٨٩	القاهرة	يوسف همام آصاف

٣٣	المقطم	١٨٨٩	القاهرة	يعقوب صروف وفارس نمر
٣٤	المحاكم	١٨٩٠	القاهرة	يوسف همام آصاف
٣٥	أبو نواس	١٨٩١	الإسكندرية	يوسف والياس كنعان
٣٦	الزراعة	١٨٩١	القاهرة	أيوب عون
٣٧	الفوائد الصحية	١٨٩١	القاهرة	الدكتور شلهوب
٣٨	كنز الزراعة	١٨٩١	القاهرة	حبيب فارس
٣٩	الفتى	١٨٩٢	القاهرة	إسكندر شلهوب
٤٠	الفتاة	١٨٩٢	الإسكندرية	هند نوفل
٤١	الهلال	١٨٩٢	القاهرة	جرجي زيدان
٤٢	أبو الهول	١٨٩٣	القاهرة	نجيب الحاج ونجيب كنعان
٤٣	الثمرة	١٨٩٣	الإسكندرية	انطونيوس منصور
٤٤	الرأي العام	١٨٩٣	القاهرة	إسكندر شلهوب ونجيب الحاج
٤٥	الابتسام	١٨٩٤	الإسكندرية	روفائيل مشاقة ونجيب جرجور
٤٦	الأمة	١٨٩٤	القاهرة	سليم حبالين
٤٧	لسان العرب	١٨٩٤	الإسكندرية	نجيب وامين الحداد وعبده بدران
٤٨	المتحف	١٨٩٤	الإسكندرية	قسطنطين ويعقوب نوفل
٤٩	المشير	١٨٩٤	الإسكندرية	سليم سركيس
٥٠	ابو نواس	١٨٩٥	الإسكندرية	نجيب جرجور
٥١	الاخلاص	١٨٩٥	القاهرة	إبراهيم عبد المسيح
٥٢	السيار	١٨٩٥	القاهرة	يوسف كنعان
٥٣	صدى الشرق	١٨٩٥	القاهرة	إميل بربر
٥٤	طبيب العائلة ومرشد اللبيب	١٨٩٥	القاهرة	الدكتور الفريد عيد
٥٥	العالم الجديد	١٨٩٥	الإسكندرية	نجيب جرجور
٥٦	العدل	١٨٩٥	القاهرة	سليم حبالين
٥٧	الكنانة	١٨٩٥	القاهرة	شاكر شقير ونجيب متري
٥٨	النبراس	١٨٩٥	القاهرة	نجيب جاويش وحسيب كرامة
٥٩	الأخبار	١٨٩٦	القاهرة	الشيخ يوسف الخازن
٦٠	الثريا	١٨٩٦	القاهرة	أدور جدي
٦١	الرائد المصري	١٨٩٦	القاهرة	نقولا شحاذة
٦٢	الشرق	١٨٩٦	القاهرة	امين شدياق وتوفيق عزوز
٦٣	الغزالة	١٨٩٦	القاهرة	نقولا بولاد
٦٤	الفردوس	١٨٩٦	القاهرة	لويز حبالين
٦٥	فعل الخطاب	١٨٩٦	الإسكندرية	طانيوس عبده

٦٦	الكرباج والعفريت	١٨٩٦	الإسكندرية	عبد الله المقدسي
٦٧	الكوثر	١٨٩٦	القاهرة	إسكندر دبانة
٦٨	مرآة الحسناء	١٨٩٦	القاهرة	مريم مزهر(اسم مستعار لسليم سركيس)
٦٩	الوظيفة	١٨٩٦	القاهرة	سليم حبالين
٧٠	الأثر	١٨٩٧	القاهرة	علي سلام
٧١	البصير	١٨٩٧	الإسكندرية	رشيد الشميّل
٧٢	البيان	١٨٩٧	القاهرة	إبراهيم اليازجي
٧٣	تركيا	١٨٩٧	القاهرة	قيصر كرم
٧٤	الكهرباء	١٨٩٧	القاهرة	سليم سركيس
٧٥	ابو نواس	١٨٩٨	الإسكندرية	يوسف والياس كنعان
٧٦	أنيس الجليس	١٨٩٨	الإسكندرية	الأميرة ألكسندرا خوري أفرينو
٧٧	تسلية الخواطر	١٨٩٨	الإسكندرية	سبع الشميّل
٧٨	الرقيب	١٨٩٨	الإسكندرية	نجيب إبراهيم طراد
٧٩	السعادة	١٨٩٨	الإسكندرية	عبد الفتاح بيهم
٨٠	السلام	١٨٩٨	الإسكندرية	نجيب الحداد وغالب طليمات
٨١	الضياء	١٨٩٨	القاهرة	إبراهيم اليازجي
٨٢	العثماني	١٨٩٨	الإسكندرية	أمين الخوري ونقولا رزق الله
٨٣	الفكاهة	١٨٩٨	القاهرة	ديمتري نقولا
٨٤	القمر	١٨٩٨	القاهرة	جرجي طنوس
٨٥	مصر	١٨٩٨	القاهرة	محمد رشيد رضا
٨٦	المنار	١٨٩٨	القاهرة	محمد رشيد رضا
٨٧	الآمال	١٨٩٩	الإسكندرية	نجيب جرجور
٨٨	إدريس	١٨٩٩	القاهرة	خليل بتراكي عوار
٨٩	أستير مويال	١٨٩٩	القاهرة	أستير مويال
٩٠	العيان	١٨٩٩	القاهرة	نجيب الحداد
٩١	الجامعة	١٨٩٩	الإسكندرية	فرح انطون
٩٢	صدى الأهرام	١٨٩٩	الإسكندرية	سليم وبشارة تقلا
٩٣	العائلة	١٨٩٩	القاهرة	أستير مويال
٩٤	الكوثر	١٨٩٩	القاهرة	جورج طنوس
٩٥	الخزانة	١٩٠٠	القاهرة	الشيخ يوسف الخازن
٩٦	الغزالة	١٩٠٠	القاهرة	أدور قرآلي
٩٧	المجلة المصرية	١٩٠٠	القاهرة	خليل مطران
٩٨	المصباح الجديد	١٩٠٠	القاهرة	إبراهيم نجار وسمعان سعادة
٩٩	النصر الجديد	١٩٠٠	القاهرة	إسكندر شلهوب
١٠٠	الابتسام	١٩٠١	القاهرة	جورج أسحق يارد
١٠١	تحرير سوريا	١٩٠١	القاهرة	جورج عساف
١٠٢	الخزان	١٩٠١	القاهرة	نجيب هاشم
١٠٣	الصباح	١٩٠١	الإسكندرية	عبده بدران
١٠٤	صدى لبنان	١٩٠١	القاهرة	سجعان عارج سعادة
١٠٥	المجلة الماسونية	١٩٠١	الإسكندرية	يوسف لفلوفة
١٠٦	المرأة	١٩٠١	القاهرة	أنيسة عطا الله
١٠٧	الإعلان	١٩٠٢	الإسكندرية	أمين الخوري

١٠٨	الأقلام	١٩٠٢	القاهرة	جورج طنوس ومحمود المنفلوطي
١٠٩	بريد الأمة	١٩٠٢	القاهرة	الشيخ يوسف الخازن
١١٠	الرجاء	١٩٠٢	الإسكندرية	البرت أسود
١١١	الروايات الشهيرة	١٩٠٢	القاهرة	يعقوب الجمال
١١٢	الزهرة	١٩٠٢	الإسكندرية	مريم سعد
١١٣	السعادة	١٩٠٢	القاهرة	روجينا عواد
١١٤	الطب الحديث	١٩٠٢	القاهرة	الفريد عيد
١١٥	الغزالة	١٩٠٢	القاهرة	يعقوب الجمال
١١٦	الكلمة الحرة	١٩٠٢	القاهرة	إبراهيم سليم النجار
١١٧	مرآة الأيام	١٩٠٢	القاهرة	إبراهيم لفلوفة
١١٨	المصور	١٩٠٢	الإسكندرية	خليل زينيه
١١٩	الأقلام	١٩٠٢	القاهرة	جورج طنوس ومحمود المنفلوطي
١٢٠	الجوائب المصرية	١٩٠٣	القاهرة	خليل مطران
١٢١	الزمار	١٩٠٣	الإسكندرية	شاهين الخازن وطانيوس عبده
١٢٢	الرجاء	١٩٠٣	الإسكندرية	توفيق رزق وجرجس حبيب
١٢٣	الزمار	١٩٠٣	الإسكندرية	شاهين الخازن ونسيم العازار
١٢٤	السودان	١٩٠٣	الخرطوم	فارس نمر وشركاه
١٢٥	السيدات والبنات	١٩٠٣	الإسكندرية	روز انطون
١٢٦	الشرق	١٩٠٣	الإسكندرية	حنا جاويش وطانيوس عبده
١٢٧	الطرائف	١٩٠٣	القاهرة	رشيد المصوبع
١٢٨	الطغراء	١٩٠٣	الإسكندرية	جورج أسحق يارد
١٢٩	الحوادث	١٩٠٤	القاهرة	نجيب عواد
١٣٠	السياسة	١٩٠٤	القاهرة	يوسف كساب
١٣١	المباحث	١٩٠٤	الإسكندرية	الخوري جرجس فرح صفير
١٣٢	النور	١٩٠٤	الإسكندرية	فارس مشرق وداود مجاعص
١٣٣	الروايات الشهيرة	١٩٠٥	القاهرة	يعقوب الجمال
١٣٤	مجلة سركيس	١٩٠٥	القاهرة	سليم سركيس
١٣٥	الحقيقة	١٩٠٦	الإسكندرية	نعيم صوايا
١٣٦	رجع الصدى	١٩٠٦	الإسكندرية	الشيخ نجيب العازار
١٣٧	فتاة الشرق	١٩٠٦	القاهرة	لبيبة ماضي هاشم
١٣٨	الكلمة الحقة	١٩٠٦	القاهرة	إبراهيم سليم النجار
١٣٩	المباحث السياسية المصورة	١٩٠٨	القاهرة	حسين شفيق
١٤٠	الأقدام	١٩٠٩	القاهرة	جنا سيدهم ونجيب كرم
١٤١	مجلة جمعية الاتحاد اللبناني	١٩٠٩	القاهرة	جمعية الاتحاد اللبناني
١٤٢	الراوي	١٩٠٩	الإسكندرية	طانيوس عبده
١٤٣	الساروخ	١٩٠٩	القاهرة	جرجي خليل معوض
١٤٤	فرعون	١٩٠٩	القاهرة	حبيب جاماتي
١٤٥	مرشد الأطفال	١٩٠٩	القاهرة	انجيلنا ابو شعر
١٤٦	المقطم الأسبوعي	١٩٠٩	القاهرة	يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس
١٤٧	الروايات الجديدة	١٩١٠	القاهرة	نقولا رزق الله

١٤٨	الزهور	١٩١٠	القاهرة	انطون الجميل وأمين تقي الدين
١٤٩	الكائنات	١٩١٠	القاهرة	الأرشمندريت باسيليوس الحاج
١٥٠	الوطني	١٩١٠	بيروت ثم القاهرة	محمد العلقيلي وأيوب صبر
١٥١	الرابطة	١٩١١	القاهرة	متخرجو الكلية العلمانية
١٥٢	الرقيب	١٩١١	القاهرة	جورج طنوس
١٥٣	المعتدل	١٩١١	القاهرة	عزيز سليم صعب
١٥٤	الأقدام	١٩١٢	الإسكندرية	الكسندرا خوري أفرينوه
١٥٥	الدلتا	١٩١٢	المنصورة	وديع شيخاني وارنست داود اسكندر
١٥٦	الرائد	١٩١٢	السودان	فؤاد الخطيب وجميل الرافعي
١٥٧	المجنون	١٩١٢	القاهرة	أمين عطا الله
١٥٨	مسامرات الملوك	١٩١٢	القاهرة	الفريد خوري
١٥٩	الخليل	١٩١٣	الإسكندرية	رزق الله سركيس وخليل الخوري كسيب
١٦٠	رائد السودان	١٩١٣	الخرطوم	عبد الرحيم قليلات
١٦١	السهام	١٩١٣	القاهرة	جورج اسحق يارد
١٦٢	الشرائع	١٩١٣	طنطا	قسطنطين سعادة
١٦٣	اقرأني	١٩١٤	القاهرة	الأمير فريد شهاب
١٦٤	المرآة	١٩١٤	القاهرة	خليل زينيه واحمد إبراهيم فوده
١٦٥	ملحق المقطم المصور	١٩١٤	القاهرة	يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس
١٦٦	الأمة	١٩١٥	الإسكندرية	توفيق طنوس
١٦٧	تقويم الشرق	١٩١٥	القاهرة	هنري مدور
١٦٨	اللطائف المصورة	١٩١٥	القاهرة	إسكندر مكاريوس
١٦٩	المنبر	١٩١٥	القاهرة	جورج طنوس
١٧٠	الزهرة	١٩١٦	القاهرة	نعوم مغبغب
١٧١	لبنان الفتى	١٩١٨	القاهرة	حبيب جاماتي

ينظر : أحمد طاهر حسنين، دور الشاميين المهاجرين الى مصر في النهضة الأدبية الحديثة، دار الوثبة ، (دمشق- ١٩٨٢) .

الصحافة النسائية للشوام في مصر:

نشأت الصحافة النسائية منذ أوائل التسعينات من القرن التاسع عشر، أي مع ظهور المطابع الخاصة تقريباً، وكانت نشأتها استجابة للاهتمام المتزايد بشؤون المرأة ونمو عدد القارئات من النساء، ومنبراً لطرح ومناقشة قضايا مثل الزواج والطلاق والسفور والحجاب والتعليم والعمل وشؤون الأسرة فضلاً عن مواد ترفيهية، وتمثلت الخطوة الجريئة بأقدام نساء الشوام في إصدار عدد من الصحف النسائية الخاصة، إذ شهدت مصر صدور صحف ومجلات نسائية وهي صحيفة (الفتاة) أصدرتها هند نوفل عام ١٨٩٢ ومجلة (الفردوس) أصدرتها لويزا حابلين عام ١٨٩٣ وصحيفة (مرآة الحسناء) أصدرها سليم سركيس عام ١٨٩٦ تحت اسم مستعار هو (مريم

مظهر) ومجلة (الأنيس الجليس) أصدرتها الكسندره دي أفرينوه عام ١٨٩٨ ، وصحيفة (العائلة) أصدرتها استير أزهر يمويال عام ١٨٩٩ ([١]) .

هاجرت عائلة هند نوفل من بلاد الشام إلى مصر في سبعينات القرن التاسع عشر إبان حكم الخديوي إسماعيل، وبعد الاستقرار في مصر، أصدرت مجلة(الفتاة) الشهرية في الإسكندرية عام ١٨٩٢، اعتبرتها صاحبتها هند نوفل الأولى من نوعها تحت سماء الشرق، ووعدت بأن تزين صفحاتها بدور أقلام النساء، وأوضحت أنها أصدرت مجلة (الفتاة) للدفاع عن حقوق النساء والتعبير عن وجهة نظرهن وطلبت من قارئاتها أن لا يتوهمن بأن مكاتبة الصحف يحط من مقام العفاف أو يمس الطهر والآداب، وكانت مجلة (الفتاة) أول مجلة نسائية مصرية على الإطلاق، والأولى في سلسلة من المجلات العربية قامت بإنشائها نساء الشوام، من أجل نيل حقوق المرأة ، وأصبحت تعرف بالمجلات النسائية ([٢]) .

هند نوفل هي ابنة نسيم أفندي شقيق سليم نوفل ، وكلا الرجلين عملا بالصحافة والترجمة في الحكومة المصرية ، وأمها هي مريم النحاس (١٨٥٦-١٨٨٨) صاحبة المؤلف المميز كتاب (معرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء) ، وقد أشارت زينب فواز العاملي في مؤلفها(الدر المنثور) إلى مريم النحاس بالقول: (درست في المدارس الإنجليزية مدة ثمان سنوات بين خارجية وداخلية ، وتعلمت اللغتين العربية ، والإنجليزية مع التاريخ والجغرافيا والحساب والبيانو وأشغال الإبرة واقترنت بنسيم نوفل في عام ١٨٧٢ ، وخلال عام ١٨٧٣ شرعت بتأليف كتاب عام لإحياء ذكر بنات جنسها اللطيف وسمته كتاب (معرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء) وهو يتضمن ترجم شهيرات النساء من الأموات والأحياء مرتباً على نسق القواميس الإفرنجية) ([٣]) .

كما أصدرت لويزا حابلين وهي من العائلات الأدبية اللامعة التي هاجرت من قرية زوق ميخائيل بالشام إلى مصر مع عائلتها ، في حزيران عام ١٨٩٣ أول مجلة نسائية من نوعها في مصر وهي مجلة (الفردوس) التي اهتمت بموضوعات مثل إدارة المنزل وتربية الأطفال واستمرت المجلة في الصدور حتى عام ١٨٩٩ ([٤]) .

عانى سليم سركيس من ضغوط الرقابة العثمانية في بيروت عندما كان يرأس تحرير مجلة (لسان الحال) في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، وقد شن هجوماً عنيفاً على الرقابة العثمانية تحت الحكم المطلق للسلطان عبد الحميد الثاني، وهاجر من بيروت إلى القاهرة على أمل إن يجد مناخاً أكثر حرية للصحافة، حيث كان يتم رفض بعض المقالات التي يكتبها وقرر إثر ذلك ترك السياسة كليةً وفي عام ١٨٩٦ صدر في القاهرة العدد الأول من مجلة (مرآة الحسناء) وقد هي مجلة نصف شهرية تتناول أخبار الزيجات، وتقوم بتغطية صحفية للأفراح وتنشر الروايات

---

(١) شفيق العمروسي، صفحات مجهولة من تاريخ الحركة النسائية، (القاهرة ــ ١٩٨٨)، ص ١٦٢ .
(٢) اجلال خليفة، الصحافة النسائية في مصر ١٩١٩- ١٩٣٦، رسالة ماجستير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، ١٩٦٦ .
(٣) زينب العاملي، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية، (القاهرة- ١٨٩٤)، ص ص٥١٥-٥١٦.
(٤) المصدر نفسه، ٦٨ .

المسلسلة، واستمرت على الأقل ستة عشر عدداً، وقد استقبلتها المجلات الأخرى بتعليقات مرحبة رغم أن هوية محررتها كانت مثاراً للخلط (١) .

أنشأت الكسندرا أفيرينوه مجلة (أنيس الجليس) في الإسكندرية عام ١٨٩٨ وبعكس معظم زميلاتها النساء فقد سعت الكسندرا أفيرينوه إلى أن تصبح شخصية عامة ، ويكون لها دور في الأحداث الجارية ، ولدت الكسندرا لأسرة يونانية أرثوذكسية في بيروت عام ١٨٧٢ هاجرت إلى مصر مع عائلتها في مطلع القرن التاسع عشر ، في عهد محمد علي باشا ، وبدأت الكسندرا في اصدار مجلتها شهرياً باللغة العربية ، وأهدت العدد الأول منها إلى زوجة ووالدة الخديوي عباس حلمي الثاني ، وقدمت لهما نسخاً من المجلة في احتفال خاص (٢) .

كانت اهتمامات الكسندرا أفرينو متنوعة، فقد سافرت إلى باريس عام ١٩٠٠ لتمثل النساء المصريات في مؤتمر اتحاد المرأة العالمي للسلام الذي انعقد أثناء معرض باريس، وكانت مؤسسته الأميرة غابرييلا ويز نوسكا داعية نشطة في مجال نزع السلاح في العالم ، وبسبب دعم عدد من النساء البارزات اجتماعياً للاتحاد ، فقد تحول إلى أحد أهم المنابر الداعية للسلام واطولها عمراً في أوربا ، وقد ملكت الكسندرا قلب الأميرة التي قررت تبنيها وإعطائها لقبها وعقب وفاة الأميرة زارت الكسندرا روما لترتب الأمر ، وأصبحت تلقب نفسها (الأميرة الكسندرا دي أفيرينوه ويز نوسكا) (٣) .

ازدهرت مجلة (أنيس الجليس) بعد إن تولت الكسندرا دي أفيرينوه إدارتها بمساعدة بعض المحررين وزوجها في مكتب المجلة، ومقالات الكتاب والكاتبات من المسلمين والمسيحيين في مختلف الموضوعات ، ونالت الكسندرا دي أفيرينوه تكريم السلطان العثماني وشاه إيران وبابا روما وآخرين تقديراً لنشرها أفكاراً جديدة تسعى لتحسين وضع المرأة في الشرق ، فضلاً عن علاقاتها بالأسرة الحاكمة في مصر، استمرت مجلة (أنيس الجليس) لأكثر من عشر سنوات إلى أن تم إغلاقها بسبب الخسارة التي تسببت فيها الأزمة الاقتصادية عام ١٩٠٧ (٤) .

وفي عام ١٩٠١ بدأت الكسندرا في إصدار مجلة أدبية فرنسية مماثلة لمجلتها العربية وتوجهت (Le Lotus) للفرانكونيين المصريين وللأوربيين المهتمين بالشرق وقد سعت المجلة لملأ فراغ في الحياة الثقافية المصرية ، واستقبلها القراء استقبالاً حسناً وكرمت الحكومة الفرنسية الكسندرا تقديراً منها لمجهوداتها في انجاز هذا المشروع ، خرجت المجلة بشكل فني جميل ما لبثت أن تحولت إلى عبء مادي حال دون استمرارها فيما بعد العام الأول من صدورها وتم إغلاقها عام ١٩٠٢(٥) .

أما استير أزهر يمويال (١٨٧٣-١٩٤٨) أنشأت مجلة نصف شهرية وهي (العائلة) في عام ١٨٩٩وبخلاف محررات المجلات النسائية السابقات اللائي كن من الشوام المسيحيات كانت

---

(١) جرجي زيدان ، مرآة الحسناء ، مجلة الهلال ، السنة الخامسة ، العدد ٦ ، ١٨٩٦ ، ص ٢٤٠.
(٢) يوسف أسعد داغر، المصدر السابق ، ص١٢٨.
(٣) احمد محرم وولي الدين يكن، الأميرة الكسندرا : فتاة الشرق، السنة العاشرة ، العدد ١، ١٩١٥، ص١١.
(4) Le Lotus 1 , no 12 (1902) Max de Zoghob , Causerie Retrospective , Le Lotus 1 no 1 (1901) : 3-6 .
(5) Beth Baron , The Womens Awakening in Egypt, Culture, Society and The Press (New Haven , London : Yale University Press , 1990) P. 18.

استر تنتمي لأسرة يهودية من بيروت، وقد هاجرت إلى مصر بعد فترة قصيرة من زواجها بطبيب يدعى شيمون مويال، وأنجبا طفلا ذكراً أسموه عبد الله تيمناً باسم عبد الله النديم والطريف أن استير اليهودية التي تلقت تعليمها في المدارس الانجليزية والأمريكية ، قد درَّست بعد التخرج في بيروت في كنيسة الإرسالية الاسكتلندية واتحاد المدارس الإسرائيلية وأدارت مدرسة المجتمع الإسلامي الخيرية للبنات ([1]) .

استمرت استر برئاسة تحرير مجلة (العائلة) حتى عام ١٩٠٧، وكانت المجلة تضم مقالات حول الشؤون الأسرية والمنزلية وبعض الموضوعات الأدبية كما نشطت في أوائل المنظمات النسائية العربية مثل باكورة سوريا ونهضة السيدات، واشتركت في معرض العالم الكولومبي في شيكاغو عام ١٨٩٣ واستمرت استر برئاسة تحرير مجلة العائلة حتى عام ١٩٠٧ وكانت المجلة تضم مقالات حول الشؤون الأسرية والمنزلية وعض الموضوعات الأدبية ([2]) .

أما هناء كسباني (١٨٧٠-١٨٩٨) ولدت بكفر شيما في لبنان ومثلت سوريا في معرض كولومبيا بأمريكا عام ١٨٩٣، وكان معرضا نسائي دولي ، وتعلمت في عدة مدارس منها مدرسة الإرسالية الأمريكية ، وهاجرت إلى الولايات المتحدة وتنقلت بين بعض المدن الأمريكية ثم هاجرت إلى مصر، واتسمت مقالاتهافي قضية المرأة بالمحدودية في الصحافة النسائية مثل قضايا الحجاب والسفور، وتعدد الزوجات ([3]) .

يبدو أن هجرة النخب المثقفة من بلاد الشام إلى مصر ، دون غيرها من البلاد العربية الأخرى هرباً من الاضطهاد والاستبداد العثماني وجحيم الفتنة الطائفية التي تجد جذورها في سياسة الدولة العثمانية (فرق تسد) وفي مطامع الدول الأوروبية التي نفخت في نار الفتنة كجسر للتدخل في الجسد العثماني المريض ونهشه بحجة حماية الأقليات الدينية ، لتمتع مصر بهامش من الحرية ، والاستقلال الداخلي والاستقرار والرخاء ، روح التسامح ووجدوا فيها أرضاً خصبة في إنشاء الصحف والمجلات وحرية الرأي .

وجدت المرأة في النشاط الثقافي أفضل السبل لإيصال صوتها ونشر أفكارها تلك التي ارتبطت بشكل مباشر مع الحداثة والتنوير ، وأن كفاح المرأة العربية في ارتقاء ناصية الثقافة لا يختلف عما مرت به نظيرتها في الغرب والتي عانت شتى أنواع القهر والتغيب ، لكنها استطاعت أن تتحدى تلك الإشكاليات وتفرض وجودها ضمن الثورات وأفكار التنوير وتتجاوز المفاهيم الإقطاعية التي كبتلها لسنين طوال ([4]) .

ذهب أحد الباحثين إلى أن أول من حملت لواء الأفكار النسوية في نهاية القرن التاسع عشر من خلال العديد من المقالات عن المرأة في مجلة (اللطائف) هي زوجة شاهين مكاريوس مريم نمر شقيقة فارس نمر مؤسس صحيفة (المقتطف) إلا أنها اعتبرت أداة للتنظيم الماسوني ، ولم

---

(1) Baron, op. Cit., p20.

(٢) شمول موريه ، المطبوعات العربية التي إلفها أو نشرها الأدباء والعلماء اليهود ١٨٦٣- ١٩٧٣ ، (القدس – ١٩٧٣) ، ص ١١٠ .

(٣) حلمي النمنم ، الرائدة المجهولة : زينب فواز، دار النهر، (القاهرة- ١٩٩٨) ، ص ٧٩ .

(٤) حسين الأنصاري، المرأة العربية من واقع التهميش إلى أفق الإبداع، مجلة العربي الكويتية، العدد ٦٣٩ ، شباط ٢٠١١ ، ص ٨٧ .

يعتبرها أحد مفكرة بغض النظر عن التنظيم ، كان مثل هذا التركيز على الشخصيات المعروفة والعلاقة بينهم عادة ما ينحو إلى تهميش الكاتبات من النساء وإنتاجهن الفكري ([1]) .

كما كانت لبيبة شمعون([2])، ابنة وردة اليازجي في طليعة الحركة الشامية التي شاركت كفاح المرأة العربية في ارتقاء ناصية النهضة النسوية في تلك الفترة ومن أقوالها من مقال نشر بمجلة أنيس الجليس عام ١٨٩٨:**(إذا تحدثت المرأة بشؤون الدنيا الخطيرة مثل السياسة ، والحكم قالوا : إن هذا ليس من شأنها وأنها تتطلع إلى ما فوق مداركها ، وإذا شغلت ذهنها بالمعرفة وأرادت التوسع في المدنية ، وآدابها قالوا إنها تزاحم الرجال وتتعدى حد المنزل، وشؤون المعاش ، وإذا لبثت لا تعرف إلا منزلها قالوا: أنها والحيوان سواء وإنها ينبغي لها التهذيب والمعرفة ، فتقف المرأة حيرى لا تعلم على أي جانب تميل والرجل الذي ينكر على المرأة مشاركتها له ومحاولتها الاقتداء به في التفكير إنما ينكر الفائدة العامة ، ويمنع الخير عن نفسه وبيته ، والذي يعتقد أن في عمله الكفاية فهو بخيل ، والذي يتوهم في علم المرأة ضرراً هو جاهل)** ([3]) .

يبدو أن الصحافة أفضل وسيلة لمخاطبة الرأي العام ، ومن الطبيعي أن تهتم نساء الشوام بعرض قضيتهن بالكلمة المطبوعة، فضلاً عما يدور من أحاديث داخل الصالونات الأدبية فانحصر الخطاب عن المرأة في الأطروحات التقليدية ، في بداية الجدل النهضوي حول المرأة في قضية السفور، والحجاب، وتعدد الزوجات ، والتعليم والعمل، وكان خطاب المرأة أكثر مرونة ونشاطاً وأكثر اقتراباً من الواقع وإحساساً بالمتطلبات الفعلية لمجتمع في مرحلة التحول بل وأكثر قدرة على التكيف مع الظروف المحيطة ، وفي حين كان الخطاب عن المرأة أكثر حدة وأعلى نبرة ، الأمر الذي يجد تجسيده في قضية مثل قضية السفور والحجاب التي شكلت قضية مركزية لخطاب جميع الرجال ، فأخذت أكثر الصحف ، تفتح صفحاتها للأقلام النسائية من الشوام في الكتابة عن قضايا المرأة .

شهد العقد الثاني للصحافة النسائية استمراراً لدور الشوام البارز ، فصدرت في هذه الفترة ثلاث مجلات نسائية لمحررات من الشوام أكدت كلها على الوحدة العربية، وتجنبت بشكل عام الدخول في قضايا مصر السياسية ، فقد صدرت مجلة (السعادة) في عام ١٩٠٢ برئاسة تحرير رجينا عواد في القاهرة داعية للاعتدال والعفاف، وقد حوت المجلة مواد تعليمية تربوية ونقداً اجتماعياً ([4]) .

بعد عام من صدور مجلة (السعادة) لرجينا عواد في القاهرة ، أنشأ فرح أنطون في الإسكندرية مجلة (السيدات والبنات) عام ١٩٠٣ ، وأوكل أمر إدارتها إلى أخته روزا أنطون

---

(1) Byron D. Cannon , Nineteenth – Century Arabic Writings on Women and Society : The Interim Role of Masonic Press in Cairo (aI- Lata"if, 1885-1895), International Journal Of Middle East Studies 17 1985) : P 84 .

(٢) تزوجت لبيبة شمعون بجورج نيقولا باز(١٨٨٢-١٩٥٩)، والذي لقب بنصير المرأة، وقام بتحرير صحيفة الحسناء من ١٩٠٩ حتى عام ١٩٢١ وله كثير من المقالات تدافع عن حقوق المرأة . للمزيد من التفاصيل ينظر : إجلال خليفة، المصدر السابق ، ص ٢٥.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥.

(4) Beth Baron , op.cit.,p.29 .

التي ولدت عام ١٨٨٢ ، في مدينة طرابلس الساحلية لأسرة يونانية أرثوذكسية أمها تنتمي لأسرة اليازجي والتي أخرجت العديد من الكتاب والشعراء المعروفين ، أما والدها فقد كان تاجر أخشاب ومع تدهور تجارة والدها قررت الأسرة الهجرة إلى الإسكندرية ، عملت روزا أنطون مدرسة في مدرسة الإرساليات الأمريكية في القاهرة ، كما ساهمت مع أخيها فرح انطون في إصدار مجلة (الجامعة) عام ١٨٩٩(١)، وفي عامها الرابع تم تغيير اسم مجلة (السيدات والبنات) إلى (السيدات والرجال)، وقد اهتمت المجلة بتعليم المرأة ، وتحريرها ، بما ينسجم مع دورها الاجتماعي والإنساني (٢) .

تعددت إسهامات الرائدات من الشوام وعرف الفكر النسوي النهضوي تعددية ملموسة في الاتجاهات والرؤي لسبل ومسالك النهضة ، وهي الأمور التي طرحتها بكثافة الصحافة النسائية التي ازدهرت بشكل غير مسبوق على يد عدد كبير من الرموز التي أشرنا إليها سابقاً أمثال : هند نوفل ولويزا حابلين والكسندره دي أفرينوه واستير أزهر يمويال وغيرهن .

أصدرت لبيبة ناصيف ماضي هاشم (١٨٨٢- ١٩٥٢) في عام ١٩٠٦مجلة (فتاة الشرق) التي تعتبر من أهم المجلات وأطولها عمراً وكانت لبيبة من أنجح الكاتبات الشوام اللائي تولين مسؤولية تحرير مجلة ، إذ استمرت مجلتها (فتاة الشرق) في الصدور بدون توقف على مدى ثلاثة عقود ، وكانت لبيبة مترجمة المجلة ومحررتها ومديرتها وموزعتها ومخرجتها ومندوبة الإعلان فيها أي هيئة التحرير والإدارة والتوزيع (٣) .

لبيبة ولدت بكفر شيما في بيروت وتنتمي لأسرة مارونية تدعى ماضي ، درست في مدارس الإرساليات الإنكليزية والأمريكية ، وقد هاجرت مع زوجها إلى مصر في بداية القرن العشرين وتتلمذت على يد إبراهيم اليازجي في مصر(٤)، دعيت ضمن الرائدات التي دعين خلال بداية العقد الثاني من القرن لإلقاء محاضرات في الجامعة المصرية وكان ذلك بين عامي(١٩١١- ١٩١٢) من المصلحات اللواتي وضعن قضية التربية نصب أعينهن فجعلت شعار مجلتها (العمل على إيجاد المرأة الفاضلة قبل إيجاد المرأة المتعلمة) ومن الطريف أن هذه المجلة قامت بحملة تدعو فيها لعدم خروج المرأة إلا لضرورة ملحة، وذلك إثر انتشار عادة تقليد الأزياء وقصات الشعر الغربية في مصر في بداية القرن العشرين(٥) .

كانت لبيبة هاشم تكتب في مجلة (أنيس الجليس) و(الهلال) و(المقتطف)، و صحف أخرى قبل إصدار مجلتها (فتاة الشرق) قدمت لقرائها تراجم لمشاهير النساء وأعمالاً أدبية ونقداً اجتماعياً ونصائح منزلية ، فضلاً عن موضوعات أخرى ، كما كانت لبيبة كاتبة روايات وقصص قصيرة وشعر ، وكانت مجلة (فتاة الشرق) من أواخر المجلات التي أصدرها الشوام ولكنها كانت الأكثر صموداً وبهذا انحسر دور الشوام في مصر (٦) .

---

(١) خير الدين الزركلي ، الجزء الثالث ، المصدر السابق ، ص ٥ .
(٢) مارون عيسى الخوري ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .
(٣) إجلال خليفة ، الحركة النسائية الحديثة ، (القاهرة – ١٩٧٣) ، ص٤٨ .
(٤)عمر رضا كحالة ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، الجزء الثاني ، ط ١٠، مؤسسة الرسالة ، (بيروت- ١٩٩١) ، ص٢٩٠ .
(٥) فيليب دي طرازي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

من نساء الشوام الأخريات ، ممن قررت أن تحقق ذاتها بذاتها ، في بيئة أكثر انفتاحاً وتحرراً فهاجرت إلى مصر عاصمة النهضة العربية الثانية، بعد بلاد الشام التي كانت خاضعة للنفوذ الاستبدادي والاضطهاد العثماني المباشر حينذاك ، زينب فواز العاملي (١٨٤٥-١٩١٤) هذه اللبنانية الجنوبية الأصل ابنة تبنين من جبل عامل، كان لها قصب السبق على قاسم أمين، ومي زيادة، وهدى شعراوي في الدعوة إلى تحرير المرأة من الوجهة الزمانية، واستحقت بسبب المعيتها لقب (درة الشرق) لاسيما وقد جمعت ما بين الموقف الفكري، والموقف العلمي، والأدبي في معية واحدة ([1]) .

كان صوت زينب فواز الأول في الدعوة إلى النهضة وتحرير المرأة، في عصر تميز بالجهل وتفشي الأمية، فأخذت تكتب مقالاتها الإصلاحية، والتوجيهية في صحف (المؤيد) (الأهالي) و(الهلال)، و (المقتطف)، و(أنيس الجليس)، و(لسان الحال)، وغيرها من الصحف، و المجلات ، ولم تدعوا إلى السفور خلال الصراع ما بين (الحجاب والسفور) ،والتزمت ارتدائها الحجاب كزي مراعاتاً للتقاليد الدينية، ووصفت التحرر أن يكون ذهني وعقلي وروحي قبل أن يكون في المظاهر، وكانت على عداء دائم مع اللورد كرومر حاكم مصر ، بعكس عدد من الكتاب الشوام الذين أيدوا الاحتلال ([2]) .

ويبدو أن زينب فواز العاملي قدمت طرحاً متكاملاً، انصب على قضايا حياتية معينة ، مثل أهمية التعليم، والتربية، وقضايا الزواج، والأزياء، وبعض العادات، والتقاليد الاجتماعية، وغيره، ولعل ما يفسر لنا التعتيم، والتجاهل اللذين شملا كتاباتها النقدية والأدبية، ربما البعد الطائفي لكونها شيعية من جنوب لبنان جبل عامل، فضلاً عن تجنبها ارتياد الصالونات النسائية المؤيدة للقصر والاحتلال البريطاني لمصر .

عشية الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨)، كان هناك ما يقرب من ثلاثين صحيفة ومجلة كانت توزع داخل وخارج مصر، ومما لاشك فيه فأن الصحافة النسائية الشامية كان تأثيرها ملموساً في الوسط الثقافي في مصر، ويلاحظ مارتن هارمان المستشرق الألماني والذي قام بجمع نسخ من المجلات العربية في عام ١٨٩٩ : **(أن مجلات السيدات والتي تحررها النساء، لاسيما الشاميات منهن من الملامح البارزة في نشأة الصحافة العربية، ويبدو أنها ستبقى وتستقر)** ([3]) .

من خلال قراءة في الصحافة النسائية للشوام من النماذج المقدمة، بما اشتملت عليه من رموز معروفة تم إعادة اكتشافها، ومن رموز مجهلة تم التقديم لها، لاحظنا بروز جيوب تحمل طابع الاعتدال، ومقاومة اتجاهات التماهي، والاستقطاب، كما حملت أصول الخطاب النسوي الإصلاحي أصداء تفاعل حي مع الواقع الاجتماعي المتردي، والمشاكل المستجدة على أرضية التحولات في المجتمع إثر قرن من الانفتاح على الحضارة الأوروبية، وما نجم عنها من تحولات في البنية الاقتصادية والاجتماعية ، فضلاً عن المؤثرات الثقافية الحضارية .

---

(١) جميل قاسم ، زينب فواز درة الشرق ، مجلة العربي ، العدد٦٠١ ، أيلول ٢٠٠٨ ، ص ١١٠ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١١١.
(3) Martin Harmann , The Arabic press of Egypt (London : Luac, 1899) ,p.48 .

المبحث الثاني : حركة الترجمة :

ترتبط عصور النهضة عبر التاريخ في حركة الترجمة، أحد أسرار اللغة التي تسمح بتبادل الأفكار، وتداول العلوم والمعرفة، وتناقل الآداب ، وتواصل الفنون ، ولاشك أن حركة الترجمة قد أسهمت في نقل المجتمع العربي من عالم التخلف، والجهل، وضيق الأفق، إلى عوالم أرحب تتسع على أفاق المعارف الإنسانية .

واكب المهاجرون الشوام نشوء وتطور حركة الترجمة في مصر، وازدهارها، منذ البداية إذ أنهم مثلوا الطليعة والرواد الأوائل لهذه الحركة، فكانت لهم إسهامات بارزة ظهر أثرها في وقت مبكر(١) في حركة الترجمة، والتأليف، والصحافة، والإدارة، ورافقوا معظم البعثات التي أرسلتها الإدارة المصرية إلى الخارج وكانوا في الصفوف الأولى من خريجها العائدين لتسلم مناصب هامة في الإدارة المصرية (٢) .

شهد عهد الخديوي إسماعيل نهضة علمية وأدبية ، كان من مظاهرها ظهور الجمعيات العلمية وتقدم الطباعة، وظهور الصحافة، ونشاط حركة التأليف والترجمة والنشر، وظهرت طائفة من العلماء المؤلفين، والمعربين الذين أسهموا في إخراج الكتب القيّمة في مختلف مجالات العلم وازدهرت حركة الترجمة في مصر ازدهاراً كبيراً في عهد إسماعيل الذي درس في فينا وأتقن الفرنسية أكثر من العربية، فأهتم بتدريس اللغات الأجنبية، وقد دمج مدرسة الألسن بمدرسة الإدارة فصارت تعرف بمدرسة الحقوق، وبسب قلة عدد المدرسين الأجانب وكثرة عدد الطلاب وضخامة المشروع القاضي بتشجيع المصريين على تعلم اللغات الأجنبية، كان لابد من الاستعانة بالمدرسين الشوام الذين تخرجوا من البعثات في الترجمة (٣) .

عرف عصر الخديوي إسماعيل هجرة عريضة من الشام إلى مصر، كان باعثها في جانب منها الفتنة الطائفية الكبرى بين الموارنة والدروز في ربيع عام ١٨٦٠ في جبل لبنان وسعي أبناء الجبل لتلمس أسباب الأمان التي وجدوها في أرض الكنانة ثم أنها قد تشجعت في جانب آخر بالحاجة لعناصر تجيد اللغة العربية جنباً إلى جنب مع اللغات الأجنبية، لاسيما الإنكليزية والفرنسية، بعد أن تزايدت العناصر الأجنبية في الإدارات الحكومية، فضلاً عن كل ذلك فأن دخول مصر السوق الرأسمالية العالمية أتاح فرصاً عديدة للشوام في العمل ممن يمتلكون الخبرة المالية التي لم تكن متوفرة للمصريين آنذاك، وقد تفرد الشوام بميزة لم تتوفر للآخرين من غير المصريين، وهي قدرتهم على الانطلاق في كل أنحاء مصر حتى أصغر المدن والقرى (٤) .

ويبدو أن هاجس إتقان لغة أجنبية أو أكثر بات يشغل بال قطاعات واسعة من المجتمع المصري، تنفيذاً لرغبة الخديوي إسماعيل بجعل مصر قطعة من أوربا، فانتشرت اللغات الأجنبية في أوساطهم بشكل واسع فباتوا يتكلمون بها في أحاديثهم المنزلية أكثر من اللغة العربية ، وساهم في تعميق هذا المنحى انتشار الجاليات الأوربية بشكل واسع وتعدد جنسياتها وسعة نفوذها .

---

(١) ماهر محمد سعيد درويش ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .
(٢) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ١٤٥.
(٣) عبد الرحمن الرافعي ، عصر إسماعيل ، ج ١ ، دار المعارف، (القاهرة- ١٩٨٩) ، ص٢٥٥ .
(٤) يونان لبيب رزق، الأهرام ديوان الحياة المعاصرة، ج١، مطبعة الأهرام، (القاهرة – ١٩٩٥)، ص١٥ .

مما لاشك فيه أن الجالية الشامية، شأن الجاليات الأخرى، كانت تشكل مجتمعاً صغيراً داخل المجتمع المصري، يختلف عنه في غالبية الملامح والصفات، وأن اللافت للنظر **"أن أكثر فتيات الشوام كن يتكلمن في المدارس بالفرنسية، وأهملن اللغة العربية إلى حد نسيان مفرداتها"** ، كما أن شاب الشوام كانوا يقلدون الأوربيين في كل شيء **"وأقصى أمانيهم أن يظهروا أنهم أوربيون"** (١) .

على مدى القرن التاسع عشر عرفت مصر أنواعاً أدبية جديدة عن طريق الترجمة، وقد نشطت المرأة في حركة الترجمة، حيث كانت نساء الشوام أقدر على الترجمة بحكم تعليمهن الذي كان يركز على اللغات، ونشير هنا إلى قيام إسترمويال بترجمة ما يزيد على اثنتي عشرة رواية من الفرنسية إلى العربية، كما قامت أخريات بالترجمة منهن مي زيادة، التي ترجمت عن الفرنسية إلى العربية رواية (رجوع الموجة) بأسلوب بليغ ثم ترجمت رواية (هجرة الفرنسيين إلى أمريكا) وطبعتها بعنوان (الحب في العذاب) وعن الألمانية ترجمت رواية (غرام ألماني) وطبعتها بعنوان (ابتسامات ودموع) (٢) .

يرى الباحث أن الصحافة النسائية الشامية، أولت عناية خاصة بترجمة النصوص الأجنبية إلى اللغة العربية، وتنتمي هذه النصوص إلى مختلف الميادين الاجتماعية، والأدبية، والفكرية والتاريخية، وكان لعناية الصحف بترجمة النصوص الأدبية، والفكرية دور بارز في تعريف المصريين بمضامين جديدة، وأنماط أدبية جديدة لم يعهدوها من قبل، ولم تكتف هذه الصحف بعملية التعريف، بل كانت تدعوا الكتاب إلى الاستفادة من هذه الأنماط، والمضامين، والعمل على منوالها .

مما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال بروز مريم النحاس (١٨٥٦- ١٨٨٨) التي نشأت في بيروت في فترة اضطرابات أهلية وركود اقتصادي، تزوجت وهي في السادسة عشرة من نسيم نوفل والذي كان يكبرها بعشر سنوات، وينتمي لعائلة يونانية أرثوذكسية بطرابلس والتحق الاثنان بأسراب الشوام المهاجرين إلى مصر (٣)، وبعد الاستقرار في الإسكندرية أنجزت مريم النحاس كتاب ترجمة سير نساء من الشرق والغرب بعنوان (معرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء) وقد أهدت الكتاب للأميرة جشم أفت هانم الزوجة الثالثة للخديوي إسماعيل والتي قامت بتمويل إصدار الجزء الأول من الكتاب في عام ١٨٧٩ أما الجزء الثاني فلم ير النور إذ فقدت مخطوطته نتيجة الفوضى التي أعقبت الثورة العرابية (٤) .

أثبتت نساء الشوام في مصر مهارتهن في وصل الجسور بين الثقافة الأوربية والعربية وذلك بأن قمن بترجمة الأفكار العلمية الأدبية للقراء في مصر، كانت مجلاتهن تضم سيراً لنساء أجنبيات، وإخباراً عن كفاح النساء في مختلف البلاد من روسيا إلى أمريكا، فضلاً عن مقالات حول تاريخ النساء في الغرب، ومن نساء الشوام ممن أسهمن في الترجمة إسترمويال التي

---

(١) عيسى عبيد ، ثريا ، مكتبة الوفد ، (القاهرة -١٩٩٦) ، ص ٢٧ .
(٢) محمد عبد المنعم خفاجي ، مي أديبة العصر ، مجلة الهلال ، العدد ١ ، ١٩٨٦ ، ص ٧٨ .
(3) Albert Hourani , The Emergence of the Modern Middle East (London : Macmillan 1981) , chap . 7 .
(٤) خير الدين الزركلي، الأعلام ، ص ٢١٠ .

ترجمت روايات إميل زولا، فضلاً عن ترجمة ما يزيد على عشر روايات من الفرنسية إلى العربية ([1]) .

تعرف المصريون من خلال ترجمة الشوام إلى داروين وأصل الأنواع ، ونيتشه ، وكونت ومبدعي روسيا القيصرية تولستوي وتيشخوف وديستويفسكي، ومفكري الثورة الفرنسية فولتير وروسو، ومونتسكيو، وكذلك سيجموند فرويد وجوستاف لوبون، ومسرحيات شكسبير عطيل وهاملت وروميو وجوليت والملك لير وتاجر البندقية، وغيرهم من أدباء ومفكري الغرب ([2]) .

من ابرز المترجمين الشوام الذين أشار إليهم جاك تاجر هم بشارة شديد الذي ترجم رواية (الكونت دو مونت كريستو (Conte de Monte Christo)، وحنين نعمة الخوري الذي ترجم كتاب (التحفة الأدبية في تاريخ تمدن الممالك الأوربية) للمؤرخ الفرنسي جيزيه(Guizet) وعيسى ندور وسعيد البستاني، مترجمان بقلم الإحصاء، وسليمان سليمان مترجم في القضاء وفيليب جلاد الذي كان مترجم أول محافظة القناة، وأصدر قاموس الإدارة والقضاء في ست مجلدات باللغتين العربية والفرنسية، والذي اشتمل على قوانين الحكومة المصرية وترجم محمد لاز الذي كان يجيد اللغتين الفارسية والتركية كتاب (مرشد البياطرة في هيئة الخيول الظاهرة) ([3]) .

من الشوام طانيوس عبده الذي ولد في بيروت عام ١٨٦٤ ، تعلم الموسيقى فعمل ملحناً في فرقة تمثيلية، وانتقل إلى الإسكندرية اصدر جريدة (فصل الخطاب) واشترك في تحرير(الأهرام) واصدر مجلة (الراوي) وكان من كبار المترجمين للقصص الروائية عن الفرنسية ([4]) .

ويتضح مما سبق ذكره أن حركة الترجمة في أواخر القرن التاسع عشر، ازدهرت ازدهاراً واضحاً، تمثل بترجمة التقارير السياسية والمالية والاقتصادية فضلاً عن ترجمة العديد من الكتب في الطب والهندسة والحقوق والفلسفة والعلوم الأخرى، ووضع الترجمة كمادة أساسية في المناهج المدرسية الخاصة والرسمية فاشتدت المنافسة على تعلم اللغات الايطالية الفرنسية والإنكليزية بشكل خاص، واللغات الأخرى بشكل عام .

من الأسر التي وهبت حياتها جيلاً إثر جيل لخدمة اللغة العربية وآدابها، وأسهمت في حركة الترجمة في مصر والبلاد العربية أسرة البستاني اللبنانية التي قدمت كوكبة من المفكرين والأدباء والشعراء الأفذاذ، وكان في طليعة رواد حركة الترجمة من الشوام بطرس البستاني، الذي قام بإصدار الموسوعة العلمية العربية (دائرة المعارف) التي تعد أهم عمل ثقافي، وتمثل الموسوعة تجديدا في الأسلوب العلمي، وأول محاولة من نوعها في الثقافة العربية، ولم تكن موسوعة البستاني مصنفة على غرار المراجع العربية التقليدية بل كانت أشبه بالموسوعات الأوربية،

---

(١) بث بارون ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
(٢) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٣٨٦.
(٣) جاك تاجر ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .
(٤) خير الدين الزركلي، الاعلام، ج٣، ص ٢١٧ .

وبات من الصعوبة بإمكانه أن يمارس النشر بحرية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ، مما حدا به نقل المشروع من بيروت إلى القاهرة ([1]) .

اعتمد بطرس البستاني في انجاز مشروعه وتسديد نفقاته، على الخديوي إسماعيل ، الذي تجاوب دون تردد ، معترفاً بقيمة عمل يدعم جهوده الشخصية في إدخال مصر إلى العالم الجديد الذي أوجدته أوربا ، وعرض عليه شراء إلف نسخة من الموسوعة ، كما وضع تحت تصرفه مبلغ من المال لغرض ترجمة، موسوعات علمية جديدة إذ أن الموسوعات والمعاجم العربية القديمة تفتقر إلى المعارف الحديثة ([2]) .

من البساتنة الذين خدموا اللغة العربية سليمان البستاني، إذ شهدت القاهرة في عام ١٩٠٤ حدثاً ثقافياً غير مسبوق بمعايير ذلك الزمان في حركة الترجمة ، بإنجاز الترجمة الكاملة للإلياذة هوميروس أحد الملاحم الإغريقية الأدبية في التراث الإنساني إلى العربية ، ولم تكن تلك مجرد ترجمة وإنما قدمها البستاني على شكل أبيات شعرية ، مع مداخلة عميقة ، تدخل من أوسع الأبواب في متن الدراسات الجادة في الأدب المقارن ([3]) .

كانت ترجمة البستاني المبكرة للإلياذة لمحة ثقافية عربية في حركة الترجمة تؤكد على الوعي بأهمية الحوار بين المثقف العربي وتراثه الإبداعي، فضلا عن تراث غيره من بقية الأمم الأخرى وكان انجاز البستاني كما وصفه الناقد المصري جابر عصفور: **(إسهاماً أصيلاً في تأسيس نهضة ثقافية للشوام في مصر، كانت ولا تزال سبيلاً إلى التقدم، في مستهل عهد في الثقافة بين الشعوب والتفاعل الحضاري بين الأمم)** ([4]) .

على غرار سليمان البستاني في الترجمة ، سار بستاني آخر هو وديع البستاني من كبار المترجمين الشوام عن اللغة الإنكليزية ، هاجر إلى القاهرة عام ١٩٠٩ ، وعين في وزارة الأشغال كانت له في الترجمة عن اللغة الإنكليزية مجموعة كبيرة من الكتب في القضايا السياسية والبحوث الاجتماعية والشعر والأدب وقد أورد كشفا بها في مقدمة ديوانه ومنها (معنى الحياة) و(السعادة والسلام) و(مسرات الحياة) و(محاسن الطبيعة) وكلها من تأليف اللورد أفبري كما ترجم عن الإنكليزية (رباعيات الخيام) و (مختارات من شعر طاغور) و (المهابارتا) الهندية ([5]) .

أبرز من ظهر من الشوام في حركة الترجمة خلال أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، نجيب الحداد ([6])، أسس في الإسكندرية صحيفة (لسان العرب)، وعمل محرراً في

---

(1) John W.Jandora, (Butrus AI- Bustani, Arab Consciousness and Arabic Revival) , The Muslim World, (April -1984) , Vol LXXIV , No . 2 , p . 71 .

(٢) أمين عبدا محمود ، بطرس البستاني دراسة في فكره الثقافي والاجتماعي والسياسي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٤٤ ، السنة السادسة عشرة ، ١٩٩١ ، ص ١٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٨.

(٤) بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، دار الجيل، (بيروت – ١٩٩٧)، ص ٤٥٠ .

(٥) بيت الحكمة ، موسوعة إعلام العرب ، ج١ ، ص ٦٠٠ .

(٦) نجيب الحداد: ولد في بيروت عام ١٨٦٧م في رحاب أسرة شعرية عريقة؛ فأبوه صاحب ديوان(قلادة العصر) وجَده لأمه ناصيف اليازجي، وأخواله حبيب وخليل وإبراهيم اليازجي، وخالته الشاعرة الشهيرة وردة، وقد نهل من علوم العربية، وحَذقها على يد خَالَيْهِ إبراهيم وخليل. وقد استهل نجيب حداد مُعْتَرَك الحياة العلمية في مدرسة الفرير التي تعلَّم فيها الفرنسية ومكث بها لمدة عامين، ثم انتقل إلى المدرسة الأمريكية في الإسكندرية=

جريدة (الأهرام) عام ١٨٨٩ قام بترجمة روايات عالمية مشهورة منها : رواية روميو وجوليت لشكسبير، ورواية الفرسان الثلاثة للإسكندر دوماس ورواية السيد للفرنسي كورنيل ورواية هرناني لفكتور هيجو ([١]) .

كان أديب اسحق واحداً من أبرز مثقفي الشام الذين كان لهم دوراً هاماً ومؤثراً في يقظة مصر الفكرية، فهذا الكاتب الاجتماعي والخطيب الذي إرتشق نار الأدب الاجتماعي الفرنسي وحرارته أصبح ممثلاً بارزاً للفكر التنويري خلال السبعينات والثمانينات من القرن التاسع عشر بدأ نشاطه في الإسكندرية التي هاجر إليها عام ١٨٧٥ ترجم عدة روايات فرنسية، رواية (اندروماك) لراسين ورواية شارلمان، ولقيت الروايتان رواجاً عظيماً([٢])، وساعد زميله سليم النقاش في تأليف المسرحيات وتمثيلها وعرّب رواية (شارلمان) ثم ألف رواية (غرائب الإتقان) ونال في عمله إعجاب المصريين، وبعدها أنتقل إلى القاهرة ليزاول نشاطه الصحفي، واختير ناظراً لديوان الترجمة والإنشاء بديوان المعارف في القاهرة، جُمعت مختارات من آثاره بعد وفاته في مجلّد بعنوان (الدرر) ([٣]) .

من الشوام ممن عملوا بالترجمة نجيب كنعان، من مواليد عبية في جبل لبنان ، وهاجرت أسرته إلى مصر عام ١٨٩٨ تلقى علومه الأولى في المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك بالقاهرة ، ودخل مدرسة مار يوسف المارونية ثم تركها بعد فترة (بسبب قساوة رجال الدين فيها) على حد قوله ، دخل كلية الطب في قصر العيني ثم تركها، وعين في الجيش المصري ، وعمل بالترجمة في صحيفة (الأهرام) وكان يتقن اللغة العربية والفرنسية والإنكليزية بطلاقة ([٤]) .

كما انتظم جرجي زيدان في سلك المخابرات البريطانية، ورافق الحملة البريطانية إلى السودان مترجماً في قلم الاستخبارات البريطانية، ونال ثلاثة أوسمة من الحكومة البريطانية ، نظراً للجهود التي بذلها في خدمة التاج البريطاني ([٥]) .

من المترجمين البارزين الشاعر خليل مطران ، الذي أهتم بترجمة معظم مسرحيات وليم شكسبير، (عطيل) و(ماكبث) و(هاملت) و(روميو وجوليت) و(تاجر البندقية) وترجم (هرناني) و(البوساء) لفكتور هيجو و(السيد) لكورني ([١]) .

=والتي أسهمت في ترسيخ معرفته للغة الفرنسية ومُخْتَلَفِ العلوم الأخرى. وعندما اندلعت الثورة العرابية عاد مع أسرته إلى بيروت، واستأنف دراسته في مدرسة الروم البطريركية الكاثوليكية ، وقد تدرج في السُّلَّم الوظيفي؛ فعُيِّنَ في مُسْتَهَلِّ رحلته المهنية أستاذًا للعربية والفرنسية في مدرسة بعلبك لمدة عام واحد، ثم انتقل بعد ذلك إلى الإسكندرية؛ لكي يُلَبي دعوة سليم تقلا مؤسس جريدة الأهرام ليكون ضِمْن كُتَّابها، ويتولى التحرير فيها، وظَلَّ يعمل بها رَدَحًا من الزمن حتى أسس جريدته اليومية التي أطلق عليها اسم(لسان العرب) ثم تفرغَ لإدارة المجلة بالاشتراك مع شقيقيه أمين وعبده بدران ، وقد ذخر الميدان الأدبي والمسرحي بروائع نجيب حداد المسرحية والشعرية ؛ حيث أنتج عددًا من المسرحيات التي ناهزت العشرين مسرحية، وقد قدَّم إسكندر فرح وفرقته سبعًا منها ومن أبرزهم مسرحيات :(الرجاء بعد اليأس)، و(صلاح الدين الأيوبي)، و(حُلْم الملوك)، ومن أبرز دواوينه الشعرية ديوان (تذكار الصبا) وقد وافته المنية إثْرَ إصابته بداء الرئة عام ١٨٩٩ . احمد حسن يوسف العثمان ، الشيخ نجيب الحداد : حياته وأدبه ، جامعة الأزهر، (القاهرة -١٩٩٧) .

(١) بيت الحكمة ، موسوعة إعلام العرب ، ج١ ، ص ٥٨٢ .

(٢) عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية في مصر ، ج٢ ، ص ١١ .

(٣) عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث ، دار الفكر العربي ، (القاهرة -٢٠٠٠) ، ص١١٨.

(٤) مسعود ضاهر ، هجرة الشوام ، ص ٢٣٦ .

(٥) شوقي أبو خليل ، جرجي زيدان في الميزان ، دار الفكر ، ط٢ ، (دمشق – ١٩٨٠) ، ص ١٧ .

من رواد التيار الليبرالي في النهضة العربية من الشوام، الذي خاض في غمار حركة الترجمة في الفلسفة الرواية والقصة والمسرح فرح أنطون، الذي ترجم كتاب (ابن رشد وفلسفته) و(تاريخ المسيح لآرنست رينان) في خمسة اجزاء يتحدث عن أصل الديانة المسيحية، كما ترجم عن الفرنسية رواية برناردين دي سان بيار (بولس وفرجيني) و(الكوخ الهندي) وترجم عن الروسية رواية (ملفا) التي وضعها الكاتب الروسي مكسيم غوركي، وفي المسرح ترجم (أوديب الملك) لسوفوكليس، مسرحية إغريقية الأصل، و(ابن الشعب) لاسكندر ديماس و(الساحرة) لفكتوريا ساردو ([٢]) .

يبدو أن لحركة الترجمة دور مؤثر في نقل الكثير من العلوم، والمعارف الأوربية إلى الطلبة في المدارس، والى المثقفين إذ أثرت في تطور الحركة الثقافية في مجتمع ولايات المشرق العربي، وظهرت الحركة الأدبية، وتغذّت في البدء من ترجمة المؤلفات المختلفة إلى اللغة العربية وكان لوجود الشوام في مصر، واقترابهم من الثقافة الفرنسية قد ساعد كثيرا علي نقل آثار الفرنسيين في الصحف، والمجلات التي كانت تصدر في ذلك الوقت، كما شكل نشاط الشوام في حركة الترجمة ينبوعاً من ينابيع العلم المعرفة، ورفد الثقافة العربية بالإنجازات العلمية، والفكرية والتي كان لها الأثر البالغ في ارتقاء وتطور النهضة العربية، عبر ترجمة العديد من الكتب العلمية، والفلسفية إلى العربية، وأخذت القصص، والروايات، والمسرحيات تطرح نفسها على الجمهور العربي، كما أولت صحف ومجلات الشوام مثل (الأهرام) و (الهلال) و(المقطم) و (المقتطف) في مصر عناية فائقة بترجمة النصوص الأجنبية إلى اللغة العربية، وتنتمي هذه النصوص إلى مختلف الميادين الاجتماعية والأدبية والفكرية والتاريخية ، وكان لعناية الصحف بترجمة النصوص الأدبية والفكرية دور بارز في تعرف المصريون ، من ترجمات الشوام إلى تشارلز داروين وأصل الأنواع ، ونيتشه ، ومبدعي روسيا القيصرية ليو تولستوي ودويفسكي وتيشخوف وأيفان تورجنيف ومفكري الثورة الفرنسية فولتير وروسو ومونتسكيو وفكتور هيجو وجوستاف لوبون وسيجموند فرويد، وغيرهم من أدباء، ومفكري الغرب، فلا غرو أن يذكر جاك تاجر في كتابه (حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر)**"أن الغالبية العظمى من المترجمين في عهد الخديوي إسماعيل، وفي العهود اللاحقة حتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) كانوا من الشوام "** .

---

(١) فاروق شوشة ، خليل مطران شاعر القطرين ، مجلة العربي ، العدد ٥٤٦ ، أيار ٢٠٠٤ ، ص ١٦٨ .
(٢) مارون عيسى الخوري ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .

المبحث الثالث : النوادي والجمعيات الثقافية والحركة المسرحية :

اولاً : المنتديات الأدبية والنوادي الثقافية :

لعبت المنتديات الأدبية أو ما يعرف بـ(الصالونات الأدبية والثقافية) دوراً كبيراً في نشر الثقافة وإلقاء الضوء على نتاج الأدباء والمفكرين والتعريف بالآداب المختلفة، لاسيما في منتصف القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، إذ كانت انعكاساً للتغيرات الثقافية والأدبية في تلك الفترة، وتعبيراً عما شهدته من تطور واضح في الحياة الفكرية والثقافية بعد ظهور كوكبة من الأديبات البارزات في الشام، بإنشاء صالونات الأدب النسوية في بيوتهن .

شهدت البلاد العربية منتديات النساء الأدبية في العصر الحديث، إذ تُعتبر مريانا مرّاش ([1])، أول أديبة سورية ظهرت في ساحة الشعر والأدب والصحافة في حلب ، وكان بيتها منتدى أدبي حافل جمع أهل العلم والأدب ، يعد من أشهر المنتديات الأدبية التي عرفتها سوريا في النصف الأول من القرن العشرين فكان صالونها الوحيد من نوعه في المشرق العربي ، والذي شجعها على افتتاح صالونها الأدبي انفتاحها واطلاعها على الحضارة الغربية ولقاءاتها مع سيدات غربيات خلال سفرها إلى أوربا ([2])

كان روّاد صالون مريانا مرّاش من أدباء حلب حينها أمثال: رزق الله حسون القسطاكي الحمصي وجبرائيل دلال ، الذين كانوا يجتمعون عندها مسحورين بالأنغام الجميلة التي كانت تعزفها على البيانو ليتناقشوا في الأدب والشعر، وقد وصف القسطاكي الحمصي هذا الصالون قائلاً **:(كان منزلها في حلب مثابة الفضلاء، وملتقى الظرفاء، والنبهاء، وعشاق الأدب)**، ولكن تضييق الأتراك على الفكر والأدب دفعها بالهجرة إلى مصر ([3]) .

أنشأت ماري عجمي (١٨٨٨-١٩٦٥) منتدى أدبي في حي (باب توما) بدمشق ، وقد ضمّ صالونها وجوهاً أدبية بارزة لكبار الأدباء والشعراء أمثال(خليل مردم بك ، عبد الكريم الكرمي أبي سلمى ، شفيق جبري ، فخري البارودي وغيرهم) غير أنه لم يرتقِ لمستوى صالون مي زيادة بالرغم أن ماري عجمي أديبة وناقدة أدبية من الطراز الرفيع ، فضلاً عن جرأتها ومتانة أسلوبها وتمكنها من العربية والإنكليزية ، هاجرت إلى مصر عام ١٩٠٨ ، وغذت عدد من صحفها بمقالاتها ، وأعادت فتح صالونها الأدبي بالقاهرة ([4]) .

---

(١) مريانا مرّاش : ولدت في حلب عام ١٨٤٨، وهي من بيت عريق عرف باهتمامه بالأدب كان أبوها فتح الله مراش رجلاً فاضلاً عني بالمطالعة واقتناء الكتاب ، ولديه مكتبة نفيسة ، وقد كتب في موضوعات مختلفة لم تطبع ، كما كان أخواها عبد الله وفرنسيس من أركان النهضة الأدبية في القرن التاسع عشر ، كتبا ودرسا وأصدرا عدة كتب وقد سارت مريانا على غرار أخويها ، كما درست الموسيقى فكانت من أبرع العازفات على البيانو ، وأول سيدة عربية تكتب مقالات متنوعة في الصحف ، نظمت عدة قصائد ومقطوعات في أغراض شتى ، وجمعت أشعارها في ديوان صغير بعنوان (بنت فكر) توفيت عام ١٩١٩. ينظر : سيد إسماعيل بوابة، مريانا مراش رائدة الصحافة العربية، الوطن، العدد ٢٣، ١٥ نيسان ٢٠١٠ .
(٢) أميرة خواسك، رائدات الأدب النسائي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(القاهرة-٢٠٠١)، ص ٨٦.
(٣) رابح لطفي جمعة ، منتديات النساء الأدبية ، مجلة العربي ، العدد ٤٠٣ ، حزيران ١٩٩٢، ص ١٦٨.
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦٨.

كما عرفت مصر لأول مرة ظاهرة الصالونات الثقافية التي تبناها عدد من رجال الأسرة الحاكمة أو من أبناء الشوام والتي صنعت مناخاً ثقافياً أنعش الحركة الفكرية ، وساهم في النهضة الثقافية فقد أنشأت ثريا الحافظ السورية الجنسية ، صالونها الأدبي المعروف في القاهرة باسم (صالون سكينة الأدبي) والذي كان أطول الصالونات الأدبية النسائية عمراً وأهمها من ناحية التنظيم والشمول ، أما لبيبة صدقي (١٨٧٦- ١٩١٦) الشاعرة والأديبة اللبنانية ، فقد كان لها هي الأخرى منتدى أدبي ونشاط كبير في الجمعيات الأدبية عند هجرتها لمصر (١) .

من الأسر الشامية العريقة آل اليازجي ، وهي أسرة علم وثقافة أنجبت خلال القرن التاسع عشر إعلاماً برزوا في اللغة والشعر وفي سائر فنون الأدب ، وحسبنا أن نذكر من هذه الدوحة (٢)، إحدى الرائدات اللواتي أسهمن في النهضة الأدبية العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لابد لنا من التوقف عند شاعرة وكاتبة ، اشتهرت في كل من لبنان ومصر هي وردة اليازجي (١٨٣٨-١٩٢٤) ابنة ناصيف اليازجي وشقيقة إبراهيم وخليل اليازجي ، ولدت وردة في بلدة كفر شيما في جنوب لبنان هاجرت إلى مصر واستقرت في مدينة الإسكندرية ، وكانت مطلعة على نهضة المرأة في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ، فأسست منتدى أدبيا ببيتها في مدينة الإسكندرية باسم (حديقة الورد) ، قالت عنها مي زيادة : (كانت وردة اليازجي الشعاع الأول في ظلام الحالة النسائية في الشرق) (٣) .

من المنتديات النسائية الأدبية التي كانت لها شهرة ذائعة وتأثير عميق في الحياة الأدبية والاجتماعية في أواخر القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين في مصر، كان منتدى الأميرة الكسندرا أفيرينوه الخوري، الذي أقامته في بيتها بالإسكندرية، ويلتقي فيه المفكرون والكتاب والشعراء من النساء والرجال (٤) .

أما منتدى مي زيادة ، فلعله كان من أشهر منتديات النساء الأدبية التي عرفها العالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين ولدت ماري الياس زخور زيادة التي لقبت نفسها (بمي) فيما بعد في ١١شباط ١٨٨٦، في الناصرة قرية في ضواحي الجليل بفلسطين ، والدها الياس لبناني من قرية شحتول ، يعمل معلم ، في عام ١٩٠٠ تركت الناصرة وعادت الى وطنها الآم لبنان هاجرت مع عائلتها إلى مصر عام ١٩٠٨ ، وهو العام الذي شهد الانقلاب ، وإعلان الدستور فاعترت على أثر هذا الحدث فرحة عارمة كل البلاد العربية ، وجدت مي زيادة في القاهرة الأبواب مفتوحة لكي تنطلق في رحاب الحرية ، وضعت أول كتاب بالفرنسية بعنوان (أزاهير حلم) ، عنيت بالحركة النسائية في مصر أثر سماعها محاضرة لبيبة هاشم عن (حرية المرأة) في الجامعة المصرية عام ١٩١١، نشرت مي زيادة في عام ١٩١٢ مقالات في مجلتي (المقتطف) و(الهلال)، ساهمت في حركة الترجمة والتأليف، وأنشأت مي زيادة منتدى وصالون في بيتها تستقبل به المفكرين والشعراء كشأن بعض أديبات فرنسا المشهورات في التاريخ فأجتمع في صالونها ابتداءً من عام ١٩١٣ رواد النهضة الحديثة في العلم والأدب أمثال أحمد

(١) رابح لطفي جمعة ، المصدر السابق ، ص ١٦٨.
(٢) فيليب دي طرازي ، خزائن الكتب العربية ، المجلد الثاني ، منشورات وزارة التربية الوطنية ، (بيروت – ١٩٤٧) ، ص ٤١٦ .
(٣) سلمى الحفار الكزبري ، وردة اليازجي شاعرة وناثرة من رائدات القرن التاسع عشر ، مجلة العربي ، العدد٥٣٩ ، تشرين الأول ٢٠٠٣ ، ص ١٠٣ .
(٤) يوسف سعد داغر ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

لطفي السيد ويعقوب صروف وإسماعيل صبري واحمد شوقي وخليل مطران وعباس محمود العقاد وانطون الجميل وطه حسين ومصطفى صادق الرافعي وغيرهم الكثيرون ([1]) .

كان منتدى وصالون مي زيادة مثالاً راقياً للمجتمعات الأدبية الرفيعة يلتقي فيه رجال الفكر بأعلام الأدب والعلم وتدور فيه الأحاديث في جو يفيض أدباً وفناً وفكاهة وقد خلف هذا المنتدى شعراً كثيراً وأثاراً أدبية ، وترك انطباعاً وأثراً عميقاً في الحياة الأدبية ، وقد وصف عباس محمود العقاد أحد رواد المنتدى قائلاً : " لو جمعت الأحاديث التي دارت في صالون مي لتألفت لنا مكتبة عصرية ، تقابل مكتبة العقد الفريد ومكتبة الأغاني في الثقافتين الأندلسية والعباسية " كل ذلك يصور لنا حياة حية جميلة ممتعة في تاريخ الأدب في العصر الحديث ([2]) .

إما الجمعيات التي أنشئت بمصر من قبل الشوام ، التي تعد من ابرز معالم ديمومة الازدهار الثقافي والفكري ، ومن تلك الجمعيات جمعية رواق الشوام بالأزهر ، تأسست عام ١٨٧٣، وهي أول جمعية خطابية أدبية ظهرت بمصر، اهتمت بتطوير الخطابة والشعر والأدب، وأقامت العديد من الندوات التي دعي إليها الأدباء والشعراء ([3]) .

أسس عدد من الأدباء والكتاب الشوام أمثال : جرجي زيدان وشبلي شميل وفارس نمر ويعقوب صروف جمعية الاعتدال في القاهرة عام ١٨٨٦ وكان الغرض من إنشائها بث روح الفضيلة وترقية الأخلاق ، والتمرن على الخطابة في الموضوعات الاجتماعية ([4]) .

تأسست الجمعية الأدبية السورية ، في عام ١٨٩٥ وكانت ملتقى للمثقفين والأدباء الشوام وغيرهم من المصريين والأوربيين ، فضلاً عن تأسيس جمعية الاتحاد السوري عام ١٩١٤ والغرض من تأسيسها جمع شمل الشوام في مصر ، والنظر في مصالحهم وتمتين علاقاتهم مع المصريين وسائر الجاليات المقيمة على الأرض المصرية ، وكان من ضمن نشاطاتها عقد الاجتماعات والندوات الأدبية ([5]) .

إلى جانب الجمعيات والمنتديات أسس الشوام عدد من الأندية الأدبية، ومن أشهرها (النادي الشرقي) الذي انشأ في القاهرة عام ١٨٩٨، وكان الغرض منه في البداية أن يكون جمعية أدبية على غرار جمعيات بيروت ثم عدل مؤسسوه عن ذلك فجعلوه نادياً يجتمع أعضاؤه للمطالعة والمسامرة ، وكان يضم خيرة المثقفين الشوام ، وعقدت فيه العديد من الحفلات العلمية التي حضرها كبار الأدباء والشعراء ([6]) .

ثانياً : الحركة المسرحية :

ظهرت مقدمات الفن المسرحي إبان عهد الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨، ولعل الخطوة الأولى التي إشارت إلى وجود المسرح في تاريخ العرب الحديث ، ما أشار إليها لانجو

---

(١) أحمد حسين الطماوي ، فصول من الصحافة الأدبية ، دار الفرجاني ، (القاهرة – ١٩٨٩) ، ص ٢٦ .
(٢) محمد عبد الغني حسن ، حياة مي زيادة ، دار المقتطف ، (القاهرة- ١٩٤٢) ، ص ٢٩ .
(٣) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٤٤٢.
(٤) فيليب طرازي ، المصدر السابق ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١٤٠ .
(٥) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٤٤٢.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٤٦.

نكيير(La Jonquiere) في كتابه حملة مصر إذ جاء فيه : (كان يؤثر عن نابليون بونابرت تشجيعه إقامة الحفلات الموسيقية، وقاعات التمثيل، وكان أعضاء لجنة الفنون يتولون تنظيمها ، ولقد ارتجلت البداهة الحاضرة ، في بادئ الأمر ، ألواناً كثيرة من المقاهي ، ومنها النادي الصغير المعروف باسم تيفولي(Tivoli)، وهو مكان فسيح يخصص للضباط دون غيرهم ليسمروا فيه وهو يبنى عادة في المستعمرة الفرنسية الصغيرة مستقلاً عما حوله، وكان يصحب افتتاح هذا النادي استعراض للجيش تطلق خلاله المناطيد في الهواء) ([1]) .

أعطي المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي أول رد فعل مندهش إزاء ما أحدثه الفرنسيون في مصر بكتابه : (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) قائلاً : (أحدثوا بغيط النوبي المجاور للأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة، منتزهه يجتمع فيها النساء، والرجال للهو والخلاعة في أوقات مخصوصة وجعلوا على كل من يدخل إليها قدراً مخصوصاً يدفعه أو يكون مأذوناً وبيده ورقة) ([2]).

ثم يأتي رفاعة رافع الطهطاوي ([3]) ، أول عقل عربي تأمل المسرح في باريس، عن قرب شديد لينقل لنا انطباعاً آخر عن المسرح لا يخلو من الدهشة، وتفهم وظيفة هذا النشاط ودوره في المجتمع فنجده يقول : **" عندهم مجالس للهو تسمى (التياترو)(teatro) ([4]) وهي كالمدرسة يتعلم فيها المتعلم، والجاهل على حداً سواء "** ([5]) .

كان للإيطاليين قصب السبق في إدخال المسرح الأوربي إلى مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ومن المعروف أن إعداد كبيرة من الايطاليين كانوا يسكنون مصر ولاسيما مدينتي القاهرة والإسكندرية ، وبما أن الإسكندرية تميزت على القاهرة بطابعها الأوربي فقد حظيت بأكبر عدد من الفرق المسرحية الايطالية التي زارت مصر في تلك الفترة ([6]) .

هناك رأي ذكره لاندو ، اعتمده من خلال وثائق وزارة الخارجية البريطانية يقول : " في إحدى الوثائق غير المنشورة باللغة الانجليزية في ٦ كانون الثاني ١٨٤٧ ، وبتوقيع ارتن بن مرسلة إلى تشارلي . أ . موري الذي كان يشغل منصب القنصل البريطاني في مصر خلال الفترة (١٨٤٦ – ١٨٥٣) وهو كاتب سيرة محمد علي باشا جاء في رسالته ما يلي **: " بما أن المسرح الايطالي يقع تحت اختصاص البلدية ، فإن البلدية تمارس سلطتها في منع كل من يعكر الصفو**

---

(1) La Jonquiere – I, Expedition d, Egypt 1786 -1801 V. III p . 382

(٢) عبد الرحمن الجبرتي ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٣٥ .

(٣) **رفاعة رافع الطهطاوي** : ولد في طهطا عام ١٨٠١ ودرس في الأزهر ما يقارب الثمانية سنوات وأرسل إمام مع البعثة العلمية المصرية إلى باريس فتعلم الفرنسية، وكان ميال إلى الترجمة والتأليف. تولى منصب مدير مدرسة الترجمة بعد عودته إلى القاهرة، ومديراً لمدارس أخرى عديدة منها التي في السودان عام ١٨٥٣، ثم مديراً للمدرسة الحربية في عهد سعيد باشا ، وتولى إدارة جريدة "روضة المدارس" الصادرة عام ١٨٧٠، وتخرج من تحت يديه عدد من المهندسين والأساتذة والمترجمين . ومن ابرز آثاره " خلاصة الإبريز في تأريخ باريز " وفيه شرح لرحلته إلى فرنسا و" التعريفات الشافية لمريد الجغرافية " مجلد ضخم ترجم من الفرنسية إلى العربية لتدريسه في المدارس المصرية ، وكتاب " المرشد الأمين في تربية البنات والبنين" وهو مجلد واحد ألفه للتعليم في مدارس البنات ، وله كتب في النحو والأدب وأمور الدين والقانون والتاريخ والتعليم وفي الطب " رسالة في الطب" ، وكان يعتبر من إعلام النهضة العلمية في مصر . توفي في القاهرة عام ١٨٧٣. وللمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الكريم حسين الشباني ، اتجاهات التحديث عند المفكر العربي رفاعة رافع الطهطاوي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية ـ الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩ .

(٤) التياترو : كلمة ايطالية تعني مسرح . احمد فارس الشدياق ، كشف المخبا من فنون أوربا ، دار الكتاب المصري ، (القاهرة- ٢٠١٢) ، ص ١٧٠.

(٥) مجموعة من الباحثين ـ ندوة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ـ كلية الألسن ـ القاهرة ١٩٨٤.

(٦) محمد الفيل ، رؤية وبيان حالة المسرح العربي ، الهيئة العامة للكتاب ، (القاهرة – ٢٠٠١) ، ص ٣٦.

في المسرح المذكور، ولذلك فقد أصدرت تحت عنوان لائحة المسارح هذه الوثيقة التي تشتمل مقدمة وستة بنود" (١) .

أكدت المقدمة على أن المسرح خاضع لقوانين البلدية ، واشتملت البنود الستة على ما يأتي :

١. **سوف يلقى القبض على موظفي المسرح أن لم يظهروا الاحترام للجمهور .**
٢. **كل من يتسبب في إزعاج داخل المسرح يطرد لمرة واحدة ، فإذا عاد إلى الإزعاج مرة ثانية يمنع دخوله نهائياً .**
٣. **يمنع التدخين داخل الصالة .**
٤. **يمنع الصفير أو الضرب بالعصي والإقدام .**
٥. **ستواجه السلطة بالشدة كل مظاهر الشغب .**
٦. **سوف يرابط ضابط، وثمانية جنود بالقرب من المسرح لمواجهة جميع حالات الاضطراب** (٢) .

مما تجدر الإشارة إليه بهذا الصدد أن الرحالة الألماني كارستن نيبور (١٧٣٣ -١٨١٥) الذي أرسله فردريك الخامس ملك الدنمارك (٣)، ضمن بعثة علمية إلى الأقطار العربية ، قد أشار إلى تأثير الجالية الايطالية ، بظهور نواة التمثيل والمسرح في مصر إذ يقول نيبور: **(لم نكن نتوقع أن نرى مسرح في مصر ، غير أنه كان في القاهرة عدد من التجار الأوربيين لاسيما الايطاليين فقد دعونا إلى بيت شخص ايطالي متزوج ، وكانوا يتخذون من فناء الدار مسرحاً لهم ويقيمون ستارة تخفيهم عن الجمهور، عندما كانوا يغيرون ملابسهم، ولكننا لم نكن مسرورين بالموسيقى أو بالممثلين)** (٤) .

مما لاشك فيه أن وثائق وزارة الخارجية البريطانية ورحلة نيبور، تبين أن المسرح الايطالي كان له القدح المعلى في تلك الفترة وأن تأثيره كان كبيراً على الجمهور في مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر إذ جعل هذا التأثير الجمهور أكثر إحساساً بالمسرح الأوربي إلا أنه لم يكن كافياً في أوله خلق مسرح عربي في مصر على نمط المسرح الأوربي ، فقد كان لزاماً لوجود مثل هذا المسرح جمهور على مستوى عالٍ من الثقافة ولم يكن متيسراً لتفشي الأمية في المجتمع المصري ، ولأن معظم المثقفين كانوا يعيشون في بلاط محمد علي باشا ويكتبون بالتركية بدلاً عن اللغة العربية .

قد يكون من الصعوبة على الباحث ، أن يلتمس بواكير نشوء المسرح في سورية ، دون أن يتطرق إلى نشوء الفن المسرحي في لبنان ، وواضح من ذلك أن لبنان كان سباقاً إلى هذا الفن

---

(١) لاندو ، تاريخ المسرح العربي ، ترجمة يوسف نور عوض ، دار القلم ، (بيروت -١٩٨٠) ، ص ٥١.
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .
(٣) كان فريدريك الخامس ملك الدنمارك والنرويج وهو الذي قام بتجهيز وتكليف البعثة الاستكشافية بالتوجه إلى العالم العربي في عام ١٧٦١ بناءاً على توصيات وطلب من وزير خارجيته في ذلك الوقت السيد بيرنستورف . احمد محمد هويدي ،الاستشراق الالماني تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، (القاهرة - ٢٠٠٠) ، ص ٣٢.
(٤) كاظم سعد الدين ، نيبور عروض من الشرق ، مجلة أفاق عربية ،" بغداد" ، السنة ١٠ ، آذار ١٩٨٥ ، ص١٣٥ .

بفضل مدارس الإرساليات الأجنبية التي **" تقدم مسرحيات عربية يمثلها طلبة في نهاية العام الدراسي ، فقد كانت ترمي من وراء ذلك إلى أهداف تربوية وثقافية ودينية "** (١) .

كانت بوادر حركة أدبية مزدهرة آخذة في الظهور سرعان ما بلغت قمتها بعد سنوات قليلة ، وكان من نتائجها ظهور المسرح العربي الحديث لأول مرة في ربوع الشام ، وكانت بيروت شبيهة بالإسكندرية من ناحية كونها ثغراً ، تفد من خلاله الثقافة الأوربية إلى الشام ، وذلك ما أهلها أن تكون أول بلدة تقام فيها عروض مسرحية حديثة (٢) .

ويؤيد ذلك جرجي زيدان بالقول :**" لم يدخل التمثيل الحديث إلى اللغة العربية إلا في أواسط القرن الماضي ، والسوريون أسبق المشارقة إلى اقتباسه لما توفر لديهم من أسباب الاختلاط بالإفرنج ، وإتقان لغاتهم والرحلة إلى بلادهم ومشاهدة مسارحهم ومطالعة مؤلفاتهم "** (٣) .

بدأ اللبناني مارون النقاش (٤) ، أول خطواته في سوريا ولبنان، وهاجر في منتصف القرن التاسع حتى وصل الإسكندرية عام ١٨٤٠، ثم القاهرة، ومن هناك مضى وقطع البحر إلى ايطاليا مركز إشعاع فني لاسيما في فنون الأوبرا وقضى سنوات في ايطاليا شاهد خلالها بعض العروض المسرحية ، وقد مكنته معرفته بالإيطالية والفرنسية إلى جانب التركية والعربية من متابعة تيارات المسرح الأوربي، فقد بهره المسرح الإيطالي والفرنسي كمظهر حضاري ، وتعبير اجتماعي ، وفن من فنون التسلية ، ولما أراد الاقتداء بهما لم يجد إمامه سوى الكوميديا بوصفها اللون المسيطر على المسرح الأوربي ، وكان أول ما فعله تعريب مسرحية (البخيل) لموليير شعراً وقد عرضها لأول مرة في منزله عام ١٨٤٨ وحضرها نخبة ممتازة من المشاهدين من بينهم قناصل الدول الأجنبية وأعيان بيروت (٥) .

حقق النقاش النجاح مما شجعه على بناء صالة كبيرة للعرض إلى جانب منزله وقد حصل على فرمان يخوله العرض في تلك الصالة ، فقدم مسرحيته الثانية (أبو الحسن المغفل وهارون

---

(١) محمد يوسف نجم، المسرحية في الأدب العربي الحديث ١٨٤٧- ١٩١٤، دار الثقافة ، (القاهرة- ١٩٦٧) ، ص ٦١ .

(٢) لاندو ، المصدر السابق ، ص ٥٣ .

(٣) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٥٠٢ .

(٤) مارون النقاش : هو مارون بن إلياس بن ميخائيل النقاش ، من الطائفة المارونية ، ولد في ٩ شباط ١٨١٧ في مدينة صيدا التي كانت في بداية القرن التاسع عشر من أهم مدن بلاد الشام في التجارة والثقافة ، وكان أبوه تاجراً ، فانتقل بأسرته إلى بيروت عام ١٨٢٥ ، فأتقن فيها مارون القراءة والكتابة العربية ، وتعلّم النحو والصرف وعلم المنطق والعروض والمعاني والبيانو البديع ، وأخذ وهو في سّن الثامنة عشرة ، ينظم الشعر بعيداً عن التعقيد والركاكة بالقياس إلى الشعر الذي كان سائداً في ذلك العصر ، ثمّ أتقن الحساب والمحاسبة ومسك الدفاتر على الأصول الإفرنجية ، وبرع بتعلّم اللغات ، فأتقن إلى حدّ ما التركية لغة البلاد الثانية في ذلك الزمان ، والإيطالية لحاجة التجارة إليها ، والفرنسية ، كما تعلّم الموسيقى وأتقنها ، ثمّ انصرف إلى التجارة بعد أن شغل منصب رئيس كتّاب جمرك بيروت ، ازدهرت تجارته، ودرّت عليه الربح الوفير ، وكان يقوم في سبيلها برحلات إلى أوربا ولاسيّما إيطاليا ، ليدرس حالات السوق ويستورد بعض السّلع ، إضافة إلى أنه كان يسافر إلى بعض المدن الشامية كحلب والشّام ، وسافر إلى الإسكندرية والقاهرة عام ١٨٤٦، ثمّ عرّج من هناك إلى إيطاليا ، شاهد النقّاش في رحلاته إلى أوربة عامة وإيطاليا خاصة بعض المسرحيات والأوبريت ، فاستهواه ذلك عاد من إيطاليا بزادين : زاد التجارة وزاد الفتح المسرحي، ثمّ سافر إلى طرطوس في أيلول ١٨٥٤ في رحلة تجارية ، ومكث هناك ثمانية أشهر، وأصيب بحمّى شديدة في أواخر أيار سرعان ما أودت بحياته في الأول من حزيران عام ١٨٥٥، ثمّ نقلت أسرته، فيما بعد، جثته إلى لبنان. مارون نقاش، أرزة لبنان، المطبعة العمومية ، (بيروت – ١٨٦٩) .

(٥) عبد الله أبو هيف ، المسرح العربي المعاصر ، اتحاد الكتاب العرب ، (القاهرة – ٢٠٠٢) ، ص ١٦٧ .

الرشيد) عام ١٨٥٠ ، وهي المسرحية التي اعتبرها النقاد تعريباً لإحدى مسرحيات موليير ، وأول عمل درامي في المسرح العربي وكان المشاهدون من طبقة والي الإيالة ونخبة من رجال الدولة العثمانية ووزرائها وكانوا حينذاك في زيارة إلى بيروت ([١]) .

لعل من محاسن الصدف، وحظ تاريخ المسرح العربي، إن يكون من بين المدعوين لحضور المسرحية الرحالة الإنكليزي ديفيد اركوهارت (David Urquhart) مؤلف كتاب (لبنان – جبل سوريا – تاريخ ومذكرات) وأن يذكر وصفاً لذلك في مذكراته فيقول : (في ١٣ كانون الثاني عام ١٨٥٠ ذهبنا إلى المسرح ، وكان موضوع الرواية المعلن عنها(هارون الرشيد) مكتوبة باللغة العربية تتخللها إشعار تنشد إنشاداً ، امتطينا الخيول ، واخترقنا زقاقاً ضيقاً ، وهبطنا درجاً منحدراً يصعب على الخيل اجتيازه ، وبلغنا بيتاً تعمه الفوضى ، وهو يغص بجمع حاشد كانوا في هرج ومرج ، ولما أدخلنا إلى قاعة الاستقبال فتوالت علينا عبارات الترحيب ، وأما الأزياء فقد كانت تبدو مطابقة للتاريخ ، أما ادوار النساء فقد قام بها شبان مرد نجحوا تماماً ، ولم يكن بين الممثلين نساء ، ولم تقع عيني على امرأة بين الحضور ، ولا في النوافذ المفتوحة المطلة على الحديقة([٢]) .

قدم مسرحيته الثالثة (الحسود) في بيروت ، وقد اختلف في بعض مواضعها عن النص الأصلي لمسرحية موليير ، وفي عام ١٨٥٥ توفي مارون النقاش في سن الثامنة والثلاثين خلال رحلة تجارية إلى طرطوس، وكان موته ضربة قاصمة للحركة المسرحية العربية الحديثة وهي ما تزال في بداياتها وقد تأثرت الحركة المسرحية بموت رائدها ، الذي تحولت صالة العرض بعد موته إلى كنيسة عملاً بوصيته ([٣]) .

بدأت هجرة الفنانين الشوام إلى مصر، في منتصف القرن التاسع عشر بعد أن أخذت المعارضة التقليدية لرجال الدين في بلاد الشام للفن المسرحي بالأتساع ، وكان المعارضون يتهمون الممثلين بضعف الوازع الديني والإلحاد والكفر وعلى أثر ذلك هاجر سليم النقاش وفرقته إلى مصر وبقيت سوريا بدون عروض مسرحية حتى مطلع القرن العشرين ([٤]) .

هناك رأي لمحمود تيمور نابع عن أدراك عميق منه لواقع ملموس بالنسبة له ، راقبه بنظرة فاحصة، ليرسم لنا إبعاده بصورة معبرة بالقول: **(كان أمر غير مألوف في مجتمع لا يعرف المسرح كظاهرة حية ضمن مظاهر النشاط الاجتماعي المتعددة، وينظر إلى المسرح باستخفاف ومضيعة للوقت ، لن يسمح للفن المسرحي بالانتشار والأتساع ، فضلاً عن رجال الدين الذين يرون فيه مفسدة للأخلاق)** ([٥]) .

كانت الحركة المسرحية في بلاد الشام في مجملها متواضعة بسبب المعارضة الدينية والفقر المادي للعاملين في الفرق المسرحية وكان نتيجة لذلك أن بدأ الكتاب المرموقين والممثلون

---

(١) عبد الرحمن ياغي ، مارون النقاش وتجربته الرائدة في المسرح ، مجلة العربي ، العدد٢٥٢ ، ١٩٧٩ ، ص١٠٧ .
(٢) محمد بهجت ، مارون النقاش وبداية المسرح العربي ، دنيا الثقافة ، السنة ١٣٣ ، العدد ٤٤٧٧٢ ، ٦ تموز ٢٠٠٩ ، ص ١١ .
(٣) لاندو ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٥ .
(٥) محمود تيمور ، طلائع المسرح العربي ، المطبعة النموذجية ، (القاهرة – ١٩٧٢) ، ص ٢ .

النابهون يتجهون إلى مكان آخر يحققون فيه طموحاتهم فهاجروا إلى مصر في عهد الخديوي إسماعيل الذي عرف بحبه للحضارة ورغبته في إدخال مصر الحداثة والمدنية ، كما كان يستعد لفتح قناة السويس ، ولأجل ذلك شيد دار الأوبرا وغيرها من المسارح الصغيرة ([1]) .

كان اهتمام الخديوي إسماعيل بالمسرح ، حافزاً لكثير من الشوام العاملين في مجال المسرح للهجرة إلى مصر ، ومن بين ممن هاجروا من الكتاب اللامعين هما سليم خليل النقاش وأديب اسحق وقد حضر معهما ممثل سوري لامع هو يوسف الخياط ، وباشروا إعمالهم المسرحية في بمجرد وصولهم مصر عام ١٨٧٦ وفضلوا أن تبدأ عروضهم الفنية على مسارح الإسكندرية على أساس أن المجتمع في مدينة الإسكندرية أكثر تحرراً من مجتمع القاهرة ، وأن نظرة الناس إلى الممثل باعتباره مهرجاً أقل في الإسكندرية عنها في القاهرة ([2]) .

يمكننا أن نعزو هذا التحرر في جانب منه إلى أن الإسكندرية ، بالرغم من كونها من أقدم المدن المصرية تاريخياً ، فهي من أحدثها اجتماعياً ، ذلك أن أغلب سكان الإسكندرية الحديثة وفدوا إليها سواء من سائر إنحاء مصر أو خارجها ، ومثل هذه المجتمعات الوافدة تكون اقل ارتباطاً بتقاليد المجتمعات القديمة، التي جاءت منها ، وهي بالتالي أكثر قبولاً للجديد من المجتمعات المحافظة التي جاءت منها ، فضلاً عن قبولهم الأفكار الجديدة بالعكس من المجتمعات الشرقية المحافظة .

بدأت مظاهر الحياة الأوربية تغزو مصر بفعل كثرة الوافدين الأجانب ، وبان اثر ذلك في إحياء كاملة من مصر وخاصة في القاهرة والإسكندرية ، واثر ذلك في حياة الناس ([3]) واقتبس المجتمع المصري من المجتمع الأوربي كثيراً من عاداته ومال الناس إلى محاكاة الأوربيين في الملبس والمسكن والمأكل ، وسائر مظاهر الحياة الأخرى ، واقبل الناس على الرياضة والتنزه وسماع الموسيقى و حضور المسارح ([4]) .

أسس من الشوام سليم النقاش أول فرقة مسرحية بالإسكندرية بدأت عروضها على مسرح قصر الزيزينيا (Zizinia) عام ١٨٧٦ ، وكتب لها أديب إسحاق وطانيوس عبده ونجيب حداد وغيرهم كما قام النقاش بأعداد أوبرا عايدة وألف مسرحية من خمسة فصول تداخل فيها الشعر بالنثر أسماها (الظلوم) تحكي قصة الحب والمؤامرات في أحد القصور التي لم يحددها ولكن فهمت ضمناً على أنها تعني قصر إسماعيل وفي نفس الوقت قدم أديب اسحق إحدى مسرحياته وترجم مسرحية بعنوان (شارلمان) ، كما عرب إحدى الكوميديات اسماها (غريب الاتفاق) وهي مسرحية مقتبسة ، أما يوسف الخياط لم يحالفه الحظ باختيار مسرحية (الظلوم) في أول عروضه فقد وجد من أوعز للخديوي إسماعيل بأن المسرحية إنما تنتقد نظام حكمه فما كان منه إلا أن طرد يوسف الخياط وفرقته من مصر ([5]) .

---

(١) لاندو ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .
(٢) يونان لبيب رزق ، الأهرام ديوان الحياة المعاصرة ، الجزء الأول ، (القاهرة -١٩٩٣) ، ص ٢٨ .
(٣) محمد أنيس ، دراسة في المجتمع المصري من الإقطاع إلى الاشتراكية (١٧٩٨ – ١٨٨٢) ، مجلة الكاتب المصري " القاهرة " ، العدد ٥٢ ، السنة ٤ ، تموز ١٩٦٥، ص١١٠.
(٤) عبد الرحمن الرافعي ، عصر إسماعيل ،ج٢ ، ط٢ ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٤٨، ص٢٧٣.
(٥) لاندو ، المصدر السابق ، ص ٥٨.

شعر الخديوي إسماعيل أن العروض المسرحية التي يقدمها اللبناني سليم النقاش ، تحمل في طياتها بعض الانتقادات لممارساته في الحكم ، ولم يعد يحتمل ذلك طويلاً ، لاسيما بعد أن قدم على خشبة المسرح رواية (الطاغية) بحضوره ، الأمر الذي فسره الخديوي اتهاماً لشخصه ، مما دفعه إلى طرده وفرقته خارج الأراضي المصرية (١) .

لا ننسى هنا انطلاقة فن التمثيل في دمشق، في عهد الوالي العثماني مدحت باشا في عام ١٨٧٨، وكان رائد المسرح العربي الدمشقي أحمد أبو خليل القباني (١٨٣٣ – ١٩٠٣) من أهم رواد المسرح الذين عرفتهم بلاد الشام ، ويعتبر المؤسس الأول للمسرح الحديث في سوريا إذ يقول الباحث في مجال المسرح محمد نجم عنه : **(لا نعرف للتمثيل تاريخا في سوريا ، قبل ظهور أحمد أبو خليل القباني فيها)** (٢)، قدم أول أعماله آنذاك (الشيخ ووضاح ومصباح وقوت القلوب) و (ناكر الجميل) و (هارون الرشيد) و (أنس الجليل) وغيرها وحقق نجاحاً كبيراً (٣) .

لكن سرعان ما هب التيارات السلفية المتعصبة حانقة ، وبعض المغرضين ، تناشد السلطان أن يتصدى لهذه البدعة متذرعة بظهور شخصية هارون الرشيد على المسرح ، وصاح صائحها في خطبة الجمعة بالآستانة في أذن السلطان عبد الحميد الثاني : **(أدركنا يا أمير المؤمنين فأن الفسوق والفجور قد تفشيا في الشام ، فهتكت الأعراض ، وماتت الفضيلة ، ووئد الشرف واختلط النساء بالرجال ...)** فأدركه السلطان، وأغلق المسرح وترك خليل القباني دمشق، وهاجر إلى مصر حاملاً معه عصر الازدهار للمسرح العربي، لأن المناخ الثقافي، والفني في مصر أفضل، وأكثر حيوية (٤) .

اعتمد أبو خليل القباني بشكل واضح على القصص الشعبية التي اعتاد قصاصو المقاهي على قصها للزبائن ، وعلى السير الشعبية ، ولم يعتمد النص الأدبي ، في المقام الأول ، أساساً لمسرحياته التي ألفها ، بل جعل الإنشاد والرقص والغناء أهم عناصر مسرحه المهمة ، مما جعل أحد الباحثين يعلن بأن : **(القباني هو صورة متطورة للقاص الشعبي ، متخذا المسرح أداته في القص)** ، ولقد رأى بعض الدارسين أن مسرح القباني أضعف صياغة من مسرح مارون النقاش لأن معرفة القباني بالمسرح الأجنبي اقتصرت على اللغة التركية ، فعمد إلى الموسيقى والإنشاد والرقص لتغطية ضعف البناء المسرحي ، فكانت النتيجة العملية لكل هذا نشأة البراعم الأولى لفن الأوبريت في البلاد العربية (٥) .

من الشوام إسكندر فرح ، الذي تلقى تعليمه في مدرسة يسوعية في دمشق ، وبتشجيع من مدحت باشا قدم أولى عروضه المسرحية في دمشق في حديقة عامة ، وبعد أن جرب حظه في بيروت هاجر إلى مصر وانشأ فرقة خاصة به والتي اسماها (الفوج المصري العربي) قدمت عدداً كبيراً من المسرحيات الكلاسيكية منها مسرحية (ابنة الحارس السعيد) (٦) .

---

(١) لاندو ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .
(٢) رياض كامل سكران ، المصدر السابق ، ص ٥ .
(٣) محمد سليمان حسن ، الحركة الأدبية في دمشق (١٨٠٠- ١٩١٨) مجلة المعرفة ، العدد ٥٣٢ ، كانون الثاني ٢٠٠٨ ، ص٤٧١.
(٤) عمر الدقاق ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٠ .
(٦) لاندو ، المصدر السابق ، ص ٦٢ .

شهدت الأعوام التي أعقبت عام ١٨٨٢ وهو عام الاحتلال البريطاني لمصر ، تحولاً في البنية الاجتماعية بالانفتاح على مواكبة التطور والحداثة ، لاسيما في عهد الخديوي توفيق بما ساعد على هجرة سليمان القرداحي وفرقته من سوريا إلى مصر ، ويعتبر سليمان أول من استخدم المرأة على خشبة المسرح في مصر ، ولعل أول امرأة ظهرت هي زوجته تبعتها امرأة يهودية تدعى ليلى ، وحين سمع الخديوي إسماعيل أمر بإيقاف عروض سليمان في دار الأوبرا ولم يفت من عضد سليمان ، فأخذ يجوب الأقاليم والأرياف مقدماً عروض فرقته ([1]) .

يبدو إن ارتقاء المرأة خشبة المسرح ، كان يعد تجاوزاً للأعراف والتقاليد السائدة ، وشجاعة متفردة ، وجرأة لا تضاهى في داخل مجتمعات منغلقة تتراكم فيها التراتبية الذكورية والدينية والاجتماعية ، إزاء هكذا واقع كيف استطاعت المرأة إن تحطم تلك القيود وتقتحم أسوار المسرح لتكون عنصراً فاعلاً في نشأت الحركة المسرحية ، ولا يخامرنا أدنى شك في إن بعض النفوذ الديني قد استخدم عند الخديوي إسماعيل لمنع هذه العروض .

حدثت قبل وبعد الحرب العالمية (١٩١٤-١٩١٨) تطورات هامة بالنسبة للمسرح العربي من خلال الاحتكاك بالأوربيين واقتباس الكثير منهم مما كان له نتائج واضحة على الحركة المسرحية وقد تمثل أثر ذلك في تنوع رواد المسارح من مختلف طبقات المجتمع ، مما جعل كتاب المسرح بمواجهة وضع جديد في كتابة إعمال مسرحية تتلاءم مع الأذواق المتباينة التي أخذت ترتاد المسرح ([2]) .

قبيل الحرب العالمية الأولى ، ظهر أحد الشوام وهو جورج ابيض والذي ولد في بيروت عام ١٨٨٠ هاجر إلى الإسكندرية مع عائلته عام ١٨٩٩وانضم إلى إحدى فرق التمثيل ، وسرعان ما ظهرت فيها موهبته ، وجورج ابيض ، من القلائل الذين امتلكوا الموهبة والإحساس بالفن المسرحي مثل دوراً كبيراً في الحركة المسرحية المصرية وقد دعم موهبته الفطرية بالدراسة ([3]) .

أرسله الخديوي عباس حلمي الثاني إلى فرنسا لدراسة الفن المسرحي على نفقة الدولة عام ١٩٠٤ ، وحين عاد إلى مصر في عام ١٩١٠ أسس فرقة مسرحية وكانت أول مسرحياته مأساة سوفكليس (أوديب ملكاً) ترجمة فرح انطون ومسرحية (عطيل) و (هاملت) و(الملك لير) لشكسبير ، وكان يقوم بدور البطولة في جميع مسرحياته وعمت شهرته إرجاء مصر ([4]) .

عاون خليل مطران جورج أبيض في تكوين فرقته المسرحية ، وأهتم بترجمة معظم المسرحيات العالمية ، ولاشك أن نقل هذه المسرحيات وترجمتها إلى العربية حينذاك ، أمدت المسرح العربي في بواكير ظهوره ، بثروة نفيسة ، واحتلت مصر بهذا العمل مكانتها بين دول العالم العربي في النهضة الفنية والمسرحية ([5]) .

---

(١) لاندو ،المصدر السابق ، ص ٦٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .
(٣) إبراهيم المصري ، ذريات مسرحية ، مجلة الهلال ، العدد الثامن ، السنة ٧٣ ، ١آب ١٩٦٥ ، ص٤٦.
(٤) دولت أبيض ، زوجي جورج أبيض ، مجلة الهلال ، العدد الثامن ، السنة ٧٣ ، ١آب ١٩٦٥، ص ٥٦.
(٥) خميس سلمونة ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

لو عدنا إلى بدايات المسرح العربي لوجدنا أن دور المرأة كان شبه غائب آنذاك إذ كان الكتاب يتحاشون توظيف الأدوار النسائية بشكل مباشر ، بل كانوا يجتهدون في حضورها وهمياً أو غيابياً ، وأن تطلب الموقف وجودها فقد كان الرجال يقومون بتمثيل دورها على الخشبة وظل العرض المسرحي ناقصاً بالرغم من كل المحاولات التعويضية التي لم تشغل هذا الفراغ .

كانت نساء الشوام أول من ظهرن على خشبة المسرح في مصر ، بدلاً من الرجال الذين يؤدون أدوار النساء ، عندما هاجر الرائد المسرحي أبو خليل القباني(١٨٣٣-١٩٠٣) الذي استطاع أن يحقق بعض الحضور للمرأة في مسرحه ، وحرص على إشراك المرأة ، وكانت عناصر نسائية شامية تقوم بالتمثيل على مسارح القاهرة والإسكندرية بشكل فاعل مثل المظ ستاني وأبريزستاني ومريم سماط ، ووردة ميلان ، وصالحية قاصين وغيرهن ([1])، الأمر الذي عرضه إلى نقد شديد وهجوم من بعض الأصوات المناهضة لمشاركة المرأة في الأعمال المسرحية ([2]) .

كان مطلع القرن العشرين بمنزلة تمهيد لدخول المرأة بوابة المسرح العربي ، وكان لنساء الشوام قصب السبق في اعتلاء خشبة المسرح ، فقد سبقن أقرانهن من المصريات في ذلك وتحول كبير مهد السبيل إمام المرأة لدخول بوابة المسرح العربي وعزز دور المرأة الثقافي والإبداعي فضلاً عن رفد الحركة المسرحية بالعنصر النسوي .

أما على مستوى الكتابة النسوية للمسرح باعتبارها ظاهرة ثقافية ، اجتذبت هذا الفن بعض كاتبات الأدب من الشوام ممن كان لهن اهتمام بارز بقضايا المرأة وهمومها وآمالها أمثال مي زيادة وزينب فواز ، حيث مارسن الكتابة مع بدايات القرن العشرين ، وسط مناخ ثقافي شبه منغلق ومنحاز لجنس الرجال ([3]) .

ويمكننا القول أن الفضل بالأساس يعود في نشوء وتطور الحركة المسرحية في مصر للرواد الأوائل للمسرح من الشوام أمثال مارون النقاش وأديب اسحق، وأحمد أبو خليل القباني، وجورج ابيض وغيرهم الذين اقتنصوا البذور المسرحية من الغرب، وزرعوها في التربة المصرية ، بعد أن اتخذوا من كتابات موليير، وراسين، وفولتير، وفكتور هيجو، وشكسبير نماذج يحتذى بها ، ووضعوا نصب أعينهم إنشاء صورة لمسرح يقدم فن راق، وتمحو ما علق في أذهان الناس من نظرة للممثل بأنه مجرد مهرج، والمسرح مفسدة للأخلاق .

انعكس هذا التطور على الحياة الثقافية والفكرية ايجابياً واسهم في نمو الوعي السياسي في ولايات المشرق العربي وأدى إلى ظهور فئة مثقفة في المجتمع طرحت أفكارها وتباينت آراؤها بين إعطاء دور لسكان الولايات العربية المشاركة في الحياة العامة وإدارة شؤون ولاياتهم ضمن إطار الدولة العثمانية، وبين الاتجاه للعمل السري، والمطالبة بالاستقلال التام عن الدولة العثمانية

---

(١) محمد جبريل ، المصدر السابق ، ص ٣٨٦ .

(٢) تعرض مسرح السوري أبو خليل القباني، إلى هجوم من رجال الدين والمحافظين، بسبب ظهور المرأة على خشبة المسرح، ووصل الأمر حد إتلاف محتويات المسرح، وتعرض أعضاء فرقته للضرب، الأمر الذي أضطره، بتجنيد صبية لأداء دور الإناث. للمزيد عن نشأة المسرح العربي ، ينظر: رياض كامل سكران المصدر السابق ، ص ٦.

(٣) بث بارون ، المصدر السابق ، ص ٥٢.

، وهناك من الشوام من قتل دفاعاً عن مبادئه أمثال أنطون مارون، و رفيق جبور، و شبلي شميل وقد دللت تلك الآراء على نضج في الفكر العربي أدى إلى تطور الفكر السياسي في الولايات العربية، ولاسيما مصر في منتصف القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين ، وكان يقود تلك التوجهات الفئة المثقفة في المشرق العربي، التي هاجرت إلى مصر فقدر لها، في ظل غياب الرأي العام مع وعيها لحقوقها، وواجباتها السياسية، الهيمنة على مجريات الأمور السياسية في المشرق العربي، والتي أسهمت في إدارة الكيانات السياسية العربية التي ظهرت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وتفكك الدولة العثمانية عام ١٩١٨ .

الخاتمة

مما لاشك فيه، أن العوامل المؤثرة في سير الأحداث التاريخية، تتفاعل فيما بينها سلباً وإيجاباً لتشكل في ضوء ذلك أنماطاً جديدة تسهم في تكوين أحداث تاريخية جديدة، فالصراعات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، لم تنفصل في يوم ما عن الحدث التاريخي، ولا يمكننا حصر أسباب هجرة الشوام الى مصر بعامل واحد، وإنما هناك عوامل اخرى اسهمت بالهجرة في مناطق الطرد، ومناطق الجذب، على حدٍ سواء، وانطلاقاً من هذه الرؤية المنهجية يمكننا رصد الأسباب الجوهرية لتلك الهجرة من خلال النتائج، والاستنتاجات التي توصل اليها الباحث في نهاية الأطروحة وهي :

١- كان لانتشار تيار (القومية) السريع في أوروبا بالقرن الثامن عشر والذي لاقى فيها قبولاً، كما كان لإعلان حقوق الإنسان، وحقوق المواطن تأثير كبير على الأقليات في السلطنة العثمانية ، لذا جاهرت هذه الفئة بالتعبير عن مصالحها استناداً إلى دعم الغرب، الذي ضغط على السلطنة العثمانية وطالبها بإجراء إصلاحات جذرية لصالح الاقليات غير المسلمة، وكان فرمان الإصلاحات في السلطنة يكرس مبدأ المساواة في الحقوق بين المسلمين والنصارى، مما أدى إلى مشاركـة هؤلاء بتقاسم السلطة، شبه الحصريـة بالفئات الإسلامية، وأتاح لأبنائهم حضوراً مؤثراً في مختلف المناصب الإدارية، والقضائية، وسواها .

٢- أدّى هذا الوضع الجديد إلى بروز تنافر في التطلعات المستقبلية بين طوائف بلاد الشام بين أكثرية لا تريد التنازل عن مكاسبها التاريخية في دولة الإسلام، ولم تكن مستعدة لانتقال جذريّ من مجتمع الشريعة وسيادة الأمة الإسلامية إلى مجتمع (المواطنة للجميع) وأقلية استقوت بالسياسة الغربية فراحت تلح بالمزيد من الحقوق، وقد خشيت النخب المسيحية أن تخسر تحت مظلة التنظيمات، ما حققته من مكاسب اقتصادية وثقافية وحماية أجنبية في ظل الامتيازات، ولم تر في (العثمنة) ما يحقق طموحاتها ، فظلت الدولة العثمانية في نظرها دولة إسلامية ليست دولتها مفضلة البقاء(أقلية) مدعومة من الخارج محتفظة بعاداتها ولغتها وثقافتها على المواطنة الجديدة ، لذلك قادت التطلعات المتنافرة إلى تفجر الفتن الطائفية في بلاد الشام، ولاسيما في جبل لبنان .

٣- تسببت التنظيمات باستفزاز مشاعر المسلمين، لسلبها إياهم وضع الأمة صاحبة السيادة في المجتمع العثماني، وترافقت مع الاختراق الأوربي للسلطنة، وتفوق الملل غير الإسلامية اقتصادياً على المسلمين بفعل الامتيازات، ومبادراتهم الخاصة، لقد أثرت هذه التحولات على جبل لبنان بالذات، الذي كان يعيش حالة اجتماعية دقيقة نتيجة تغير العلاقات الوظيفية للطوائف بفعل التغلغل الأوربي، فخرجت النزاعات عن إطارها الإقطاعي السابق ، وتحولت إلى صراعات دموية طائفية .

٤- شهدت بلاد الشام أحداثاً جساماً بلغت ذروتها حينما اندلع أوار الفتنة الطائفية الكبرى عام ١٨٦٠ بين الموارنة والدروز، والتي تعتبر مفصلاً تاريخياً أساسياً ساهمت في بلورته قوى خارجية، دخلت بلاد الشام في نفق الصراعات الطائفية والحروب الأهلية، وأطاحت بالأسس البنيوية للمجتمع، وتكللت بتدخل أوربي وأعادت توحيد جبل لبنان في نظام طائفي سياسي يقوم على قاعدة التناسب، بإعلان النظام الأساسي لمتصرفية جبل لبنان في ٩ حزيران ١٨٦١، وبالتالي ألقت الصراعات الطائفية والفوضى والفساد،

وتدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بظلالها على المجتمع في بلاد الشام، وأسهمت في تنامي الهجرة وأتساعها .

٥- برزت النخبة المثقفة من الشوام ضد السلطان العثماني الذي تبنى مشروع الخلافة العثمانية، فوقف ضده الكواكبي، ناشراً كتابيه الشهيرين (طبائع الاستبداد) و(أم القرى) داعياً إلى خلافة عربية قريشية، ثم ولد بعد ذلك جيل الاستنارة الذي اكتسب له وعياً قومياً، إثر انقلاب تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨، وبمؤازرة وإعجاب عربيين ، ولما انكشفت سياسة الاتحاديين عن ممارسات مضادة للعرب دعيت خطايا بـ"التتريك" ثار العرب ضدهم ثورتهم المشهورة " الثورة العربية الكبرى" عام ١٩١٦.

٦- ويتضح جلياً مما سبق ذكره، أن هذه العوامل هي من أسهمت في دفع الشوام بالهجرة إلى مصر، بعد أن وجدوا فيها الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي وهامش من الحرية، التي أتاحها النهج الإصلاحي للدولة الخديوية، ولاسيما في عهد الخديوي إسماعيل الذي سعى إلى بناء دولة عصرية تحاكي النموذج الأوربي في مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٧- فلا غرو، أن يسخر مؤرخ مثل نبيه أمين فارس رئيس قسم التاريخ في جامعة بيروت الأمريكية، من دعاة نظرية (الإشعاع) الذين ينسبون لبلاد الشام رسالة حضارية عمرها ستة آلاف سنة ، فيقول: **" إنه كمؤرخ لم يرصد للشوام أي دور حضاري عبر التاريخ، سوى دورهم فيما يسمى بعصر النهضة العربية، الذي بدأ في منتصف القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وهذا الدور لا يجحده وينكره أحد، والذي أشع إشعاعاً لا نظير له في المحيط العربي، ولاسيما مصر "** .

قائمة المصادر

- القرآن الكريم :

الوثائق غير المنشورة :

- **باللغة العربية :**

١. أرشيف المحكمة الشرعية ، محكمة القسمة العسكرية ، سجل ١٧٥، ص ٢٤٢ ، وثيقة ٣٤٦ .

- **باللغة الفرنسية :**

1. **Archives du ministere des affaires etrangeres de France , nouvelle serie , 1896 – 1914 , -Annexe a la dépêche du consulat general de France a Beyrouth , n . 125 , du December 1912 .**

- **باللغة الإنكليزية :**

1. **La Jonquiere I, Expedition d, Egypt 1786 -1801 V. III .**

الوثائق المنشورة :

- باللغة العربية :

١. أحمد حامد إبراهيم ، نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة -٢٠٠٩) .
٢. دار الوثائق القومية المصرية في القاهرة ، معية تركي وثائق منشورة ،محفظة ٦٥ ، ترجمة جزء من التقرير ٧٩ ، في ٤ صفر ١٢٤٩ (١٨٣٣) .
٣. أسد رستم ، الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا ، المجلد الثالث ، منشورات الجامعة الأمريكية ، (بيروت – ١٩٣٣) .
٤. الخوري بولس فرالي ، فتوحات إبراهيم باشا في فلسطين ولبنان وسوريا ، نقلاً عن تقارير انطون كتافاكو ، قنصل النمسا في عكار وصيدا ، مطبعة العلم ، (بيروت – ١٩٣٧) .
٥. الوثائق الانكليزية التي نشرها المسيو (دوان) في منشورات الجمعية الجغرافية المصرية تحت عنوان (مصر وانجلترا) .
٦. حسين مؤنس وآخرون ، قناة السويس حقائق ووثائق، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة- ١٩٦٥) .
٧. سهيلة الريماوي ، جمعية العربية الفتاة السرية ، دراسة وثائقية (١٩٠٨ – ١٩١٨) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، (عمان- ١٩٨٨) .
٨. طلال عتريسي، البعثات اليسوعية مهمة إعداد النخبة السياسية في لبنان (دراسة وثائقية) ، الوكالة العالمية للتوزيع ، (بيروت- ١٩٨٧) .

٩. عبد العزيز سليمان نوار، وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧ ــ ١٩٢٠ ، جامعة بيروت ، (بيروت- ١٩٧٤) .

١٠. "وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث١٥١٧-١٩٢٠"، جمعها معلق عليها الدكتور عبد العزيز سليمان نوار، بيروت، ١٩٧٤.

١١. وجيه كوثراني ، بلاد الشام : السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين قراءة في الوثائق ، معهد الإنماء العربي ، (بيروت - ١٩٧٨) .

- باللغة الإنكليزية :

1. **Correspondence Relatiue to The Affairs of Syria , pt. I, 1843,1844, 1845, (L0ndon,Vol ,I ,PP., 176 seq. De Testa, vol . III, PP.174 seq. Khazin, Vol. I ,176 seq ,Rabbath, vol.II, .**
2. **Khazin , vol , I , .**
3. Further Papers Relating to the Disturbances in Syria June 1860 (London- 1860), .
4. Miller ,The ottoman empire,andTssuccessore 1801-1927 (London-1966) .
5. Stephen Hemsley Longrigg , Syria and Lebanon Under French Mandate, p. 21 .
6. Vol. 283 (1836), July --- Aug., From Col . p Campbell , Diplmatic No 27 .
7. Ismail Adel , Documents diplomatiques et consulaires relatives a l'histoire du Liban Beyrouth , 1975 -1978 , T16 , p 310-311.
8. M. Constantine de Volney, Travels through Syria and Egypt in the Years 1783, 1784, and 1785 (London: 1787), p. 80-83.
9. John W.Jandora , (Butrus AI- Bustani, Arab **Consciousness and Arabic Revival), The Muslim World , April -1984) , Vol LXXIV , No . 2 , p . 71 .**

باللغة الفرنسية :

10. Archives des Affaires EtrangeresFrancaises (A. A. E. F), Corresp.pol., BeyrouthRegistrell, fol 18 .
11. A. A. E. F .,Registrell, Depeche de Bourree a Guizot, 22 Juin 1841.

12. Fo . 78, Vol. 283,Mr Barkers Report , April 30 , 1838, Farren : op .p.449, Dodwell: op. 256 .
13. Correspondence Relating to the Affairs of Syria ,1860- 61 (London- 1860), De Testa , vol . VI , pp . 67-101, Khazin, vol . II,pp.1 seq : Edward Driault , La Question d" Orient ,8th ed . (Paris- 1921), pp. 194-5 Churchill , Druzes, pp. 123 seq : Riley , pp.250 seq. Charies- Roux , France ,pp. 183- 6 : Souvenirs de Syrie (Paris – 1903) , pp. 32- 89 .
14. ActaApoatollcaeSedis vol. XVLLL.(1926) , Les Routes de la soie, par François Pernot, edition Artémis –.
15. Supplement de I" Asiefrencaise : " Ia famine au Liban 1915 – 1919 – Fevrier 1922 – .
16. Fo . 78. Vol . 283 .MrWerry"s Answers , Douin : op . cit ., Le Baron de Boislecomte au Minstre , Iere Sept . 1833.

المذكرات الشخصية :

- باللغة العربية :

١. احمد شفيق باشا ، مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، ق ١ ، مطبعة مصر، (القاهرة - ١٩٣٦) .
٢. أسعد داغر، مذكراتي على هامش القضية العربية، دار القاهرة للطباعة ،(القاهرة - ١٩٦٨) .
٣. جرجي زيدان ، مذكرات جرجي زيدان ، دار الهلال ، (القاهرة – ١٩٢٣) .
٤. عبد الحميد الثاني ، مذكراتي السياسية ١٨٩١- ١٩٠٨ ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت- ١٩٧٩) .
٥. سليمان البستاني ، عبره وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، تحقيق خالد زياد ، ط١ ، دار الطليعة ، (بيروت- ١٩٧٨) .
٦. سليمان فيضي، مذكرات سليمان فيضي ، تحقيق وتقديم باسل سليمان فيضي ، ط٤ ، (بغداد – ٢٠٠٠) .
٧. عبد الرحمن الرافعي ، مذكرات ١٨٨٩ – ١٩٥١ ، دار الهلال ، (القاهرة - ١٩٥٢) .
٨. محمد كرد علي ، مذكرات ، دار أضواء السلف ، المجلد الثالث ،(دمشق – ٢٠١٠) .

الأطاريح والرسائل :

- باللغة العربية :

١. إجلال خليفة، الصحافة النسائية في مصر ١٩١٩- ١٩٣٦، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة القاهرة - كلية الآداب ، ١٩٦٦ .

٢. احمد محمد نوري، إمارة ظاهر العمر في فلسطين(١٧٥٠– ١٧٧٥)، دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير، (غير منشورة) ، كلية الآداب - جامعة تكريت، ٢٠٠٨ .

٣. آلاء حمزة الفتلاوي، السياسة البريطانية تجاه تركيا ١٩١٩-١٩٢٣، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة بغداد، ٢٠٠٠.

٤. بان حسب الله علوان، إبراهيم باشا نشاطه العسكري ودوره السياسي والإداري (١٧٨٩- ١٨٤٨)، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، كلية التربية - جامعة ديالى، ٢٠٠٥ .

٥. بشرى ناصر، الإدارة المصرية في بلاد الشام (١٨٣١- ١٨٤١)، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية التربية - الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ٢٠٠٣ .

٦. حسين عبد الواحد بدر، المسألة اليونانية ١٨٢١- ١٨٣٢ دراسة تاريخية في ثورة اليونان واستقلاله عن الدولة العثمانية ، رسالة ماجستير، (غير منشورة) ، كلية الآداب - جامعة بغداد ،٢٠٠٣ .

٧. حسين محمد القهواتي العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني (١٥٣٤- ١٦٣٨) ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٧٥.

٨. حنان حسين تقاله، تطور التقسيمات الإدارية لبلاد الشام في ظل الاحتلال العثماني (١٥١٦- ١٩١٨) ، رسالة ماجستير، (غير منشورة) ، كلية الآداب والعلوم - جامعة دمشق ، ٢٠٠٦ .

٩. خليل علي مراد، تاريخ العراق الإداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني (١٦٣٨- ١٧٥٠) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥ .

١٠. زهراء فاروق علوان المشايخي، الأمير بشير الشهابي الثاني وأثره السياسي في إمارة جبل لبنان ١٧٨٨- ١٨٤٠ (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية للبنات - جامعة بغداد ، ٢٠١١ .

١١. سحر عباس خضير، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه تركيا ١٩١٧- ١٩٢٣ دراسة تاريخية ، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب- جامعة بغداد ، ٢٠٠٢ .

١٢. سرمد عكيدي فتحي ، دور الدروز السياسي في سوريا ١٩٢٠- ١٩٤٦ ، رسالة ماجستير ، (غير منشورة) ، كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد ، ٢٠٠٨ .

١٣. سؤدد عبدالحسين سبتي الربيعي، دور النخبة في تطوير الفكر القومي العربي في بلاد الشام في عهد الاتحاديين ١٩٠٨-١٩١٨، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي للدراسات القومية والاشتراكية العليا- الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٢.

١٤. ظاهر محمد صكر الحسناوي ، شكيب ارسلان ودوره السياسي في حركة النهضة العربية الحديثة ١٨٦٩-١٩٦٤ رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،١٩٩٠ .

١٥. عبد الرزاق أحمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق ١٩٠٨-١٩٣٢، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة بغداد، ١٩٩٠.
١٦. عبد الكريم حسين الشباني ، اتجاهات التحديث عند المفكر العربي رفاعة رافع الطهطاوي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية - الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٩ .
١٧. عدنان عبد الهادي سرحان الخالدي ، الكنيسة القبطية والحياة والاجتماعية والسياسية في مصر ١٧٩٨ – ١٩١٤ ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، ٢٠١٤ .
١٨. كريم عباس حسون ، التغلغل الأوربي في جبل لبنان في عهد الأمارة الشهابية (١٦٩٧-١٨٥٦) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ، جامعة القادسية ، ٢٠٠٨ .
١٩. ماجد حمدان بهير ، متصرفية جبل لبنان ١٨٦٠- ١٩١٤ ، رسالة ماجستير(غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٦ .
٢٠. ماهر محمد سعيد درويش ، هجرة الشوام إلى مصر خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، أطروحة دكتوراه ، (غير منشورة) ، جامعة النجاح الوطنية في نابلس ، فلسطين ، كلية الدراسات العليا -٢٠٠٣ .
٢١. محمد جمال أبو مرق ، أثر الترجمة على فكر رفاعة رافع الطهطاوي ، تلخيص الإبريز نموذجاً ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية – جامعة الجليل ، ٢٠٠٧ .
٢٢. محمد عصفور، العراق في عهد مدحت باشا (١٨٦٩- ١٨٧٢) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب، جامعة بغداد ، ١٩٥٣ .
٢٣. مواهب معروف سالم الجبوري ، جمال باشا حياته ودوره السياسي ، رسالة ماجستير ، (غير منشورة) ، كلية التربية للبنات- جامعة بغداد ، ٢٠٠٤ .
٢٤. نادية ياسين عبد ، الاتحاديون دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وأطروحاتهم الفكرية أواخر القرن التاسع عشر- ١٩٠٨ ، أطروحة دكتوراه ، (غير منشورة) ، كلية الآداب ، جامعة بغداد - ٢٠٠٦ .
٢٥. نجلاء عدنان حسين العكيلي، الدولة العثمانية والمشكلة الأرمينية ١٨٩٤- ١٩١٦، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية - الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٣ .
٢٦. نمير طه ياسين ، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩ – ١٩١٤، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦ .

الكتب

- باللغة العربية :

١ أ . سيميليا نسكايا ، " الحركات الفلاحية في لبنان في النصف الأول من القرن التاسع عشر " ، ترجمة عدنان جاموس ، (بيروت- ١٩٧٢) .
٢ أ . سيميليا نسكايا ، المقدمات الاجتماعية والاقتصادية للحركة المناوئة للإقطاع ، دار الفارابي ، (بيروت – ١٩٧١) .
٣ إبراهيم خليل أحمد ، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ، (جامعة الموصل – ١٩٨٦) .
٤ إبراهيم شحاتة حسن ، مصر والسودان ووجه الثورة في نصيحة احمد العوام (دراسة مقارنة في الأصول التاريخية للثورتين العرابية والمهدية واتجاهات الفكر الثوري في عهدهما) ، (الإسكندرية –١٩٧٠) .

٥ إبراهيم عبده ، تطور الصحافة المصرية ، مكتبة الآداب ، (القاهرة – ١٩٥٨) .
٦ إبراهيم علي طرخان ، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، (القاهرة – ١٩٦٨) ، ص ١٣ .
٧ إبراهيم يزبك ، مؤتمر الشهداء، مطبعة جريدة اليوم ، (بيروت – ١٩٥٥) .
٨ إجلال خليفة ، الحركة النسائية الحديثة ، (القاهرة – ١٩٧٣) .
٩ أحمد أحمد الحتة ، جهود إبراهيم باشا في خدمة الزراعة والصناعة والتجارة ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، (القاهرة – ١٩٤٨) .
١٠ ـــــــــــــ ، تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة-١٩٦٤) .
١١ أحمد الشهال، الحركات السكانية في لبنان، دار الشمال، (بيروت – ١٩٨٧) .
١٢ أحمد أمين ، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة-١٩٤٧) .
١٣ احمد حسن يوسف العثمان ، الشيخ نجيب الحداد : حياته وأدبه ، جامعة الأزهر ، (القاهرة -١٩٩٧) .
١٤ احمد حسين الصاوي ، فجر الصحافة في مصر – دراسة في أعلام الحملة الفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة - ١٩٧٥) .
١٥ أحمد حسين الطماوي ، فصول من الصحافة الأدبية ، دار الفرجاني ، (القاهرة – ١٩٨٩) .
١٦ أحمد طاهر حسنين ، دور الشاميين المهاجرين الى مصر في النهضة الأدبية الحديثة ، دار الوثبة ، (دمشق- ١٩٨٢) .
١٧ احمد عبد الرحيم مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ،(القاهرة – ١٩٨٢) .
١٨ أحمد عرابي ، مذكرات أحمد عرابي ، ج ١ ، دار الهلال ، (القاهرة – ١٩٥٤) .
١٩ احمد عزت عبد الكريم، دراسات في تأريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت - ١٩٩٧) .
٢٠ أحمد عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم في عصر محمد علي ، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة- ١٩٣٨) .
٢١ احمد فارس الشدياق ، الساق على الساق في ما هو الفارياق ، تقديم وتعليق نسيب وهيبة الخازن ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت – ١٩٦٦) .
٢٢ ـــــــــــــ ، كشف المخبا من فنون أوربا، دار الكتاب المصري ، (القاهرة - ٢٠١٢) .
٢٣ احمد محمد هويدي ، الاستشراف الألماني تاريخه وواقعه وتوجهاته المستقبلية ، ط١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، (القاهرة - ٢٠٠٠) .
٢٤ أديب اسحق ، الكتابات السياسية والاجتماعية، جمع وتقديم ناجي علوش ، ط٢ ، (بيروت –١٩٨٢) .
٢٥ أديب خضور، الصحافة السورية نشأتها تطورها وواقعها الراهن، (دمشق- ١٩٧٢) .
٢٦ أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها، منشورات دار مكتبة الحياة ،(بيروت – ١٩٦٠) .
٢٧ استيريو سأرجيريو ، المسيحيون في العصر العثماني الأول (١٥١٥-١٦٥٠) .
٢٨ أسد رستم ، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، ط٢ ، المكتبة البوليسية، (بيروت - ١٩٨٨) .
٢٩ اكرم كيدو ، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة، هاشم الأيوبي ، منشورات جروس برس، (طرابلس – ١٩٩٩) .

٣٠ الأعمال الكاملة للكواكبي ، دراسة وتحقيق محمد جمال طحان، ط ٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت - ٢٠٠٦) .
٣١ البرت حوراني ، الفكر العربي الحديث في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩٣٩ ، ترجمة كريم عزقول، ط٣ ، دار النهار، (بيروت - ١٩٧٧) .
٣٢ الجمعية الملكية للدراسات التاريخية ، ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨- ١٩٤٨ ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة - ١٩٩٨) .
٣٣ الخوري بولس قرالي ، السوريون في مصر ، ق١ ، المطبعة السورية ، (دمشق – ١٩٢٨) .
٣٤ السيد سمير عبد المقصود ، الشوام في مصر منذ الفتح العثماني حتى أوائل القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة -٢٠٠٣) .
٣٥ الكزاندر شولش ، تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦- ١٨٨٢، ترجمة كامل العسلي ، ط٢ ، دار الهدى ، (عمان- ١٩٩٠) .
٣٦ الياس زخورا ، السوريون في مصر ، ج ٢ ، ط ١، المطبعة العربية ، (القاهرة – ١٩٧٢) .
٣٧ أميرة خواسك ، رائدات الأدب النسائي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة -٢٠٠١) .
٣٨ أمين سامي ، تقويم النيل ، دار الكتب ، (القاهرة – ١٩٣٦) .
٣٩ اندري كلو، سليمان القانوني ، تعريب البشير بن سلامة ، دار الجبل ، (بيروت- ١٩٩١) .
٤٠ أنس الدين الرفاعي، تاريخ الصحافة السورية ، دار المعارف ،(القاهرة – ١٩٧٨) .
٤١ انطوان العقيقي ، ثورة وفتنة في لبنان ، (بيروت – ١٩٣٨) .
٤٢ أنور الجندي ، الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والحرية والتجمع ، مطبعة الرسالة ، (القاهرة -١٩٦٠) .
٤٣ أنور الجندي ، تطور الصحافة العربية ، مطبعة الرسالة ، (القاهرة – ١٩٦٦) .
٤٤ ـــــــــــــــ ، الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية ، مطبعة الرسالة ، (القاهرة - ١٩٦٢) .
٤٥ ـــــــــــــــ ، أعلام وأصحاب أقلام ، دار نهضة مصر ، (القاهرة- د . ت) .
٤٦ أنيس المقدسي ، الفنون الأدبية وإعلامها ، (بيروت – د ت) .
٤٧ بثينة عباس الجنابي ، تاريخ العرب الحديث ، (بغداد -١٩٩٠) .
٤٨ بدر الدين السباعي ، أضواء على الرأسمال الأجنبي في سوريا ١٨٥٠- ١٩٥٨ ، دار الجماهير ، (دمشق -١٩٦٧) .
٤٩ بسام عبد السلام البطوش ، رفيق العظم (١٨٦٥ - ١٩٢٥) دراسة في فكره ودوره في الحركة الإصلاحية ، الجامعة الأردنية، (عمان – ١٩٨٨) .
٥٠ بطرس البستاني ، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، ط٣ ، مكتبة صادر ، (بيروت – ١٩٣٧) .
٥١ بطرس الخوري، تاريخ الرسالة المارونية في القطر المصري (١٧٤٥-١٩٢٧) ،(القاهرة - ١٩٢٧) .
٥٢ بول ستاركي ، الأدب العربي الحديث، ترجمة هند تركي السديري ، (الرياض- ٢٠١٢) .
٥٣ بولياك . أ . ن ، الإقطاعية في مصر وسورية وفلسطين ولبنان ، ترجمة ، عاطف كرم ، (بيروت – ١٩٤٨) .
٥٤ تشارلز آدمز ، الإسلام والتجديد في مصر ، ترجمة عباس محمود، دائرة المعارف الإسلامية ، (القاهرة – ١٩٣٥) .

٥٥ تشارلز تشرشل ، الدروز والموارنة تحت الحكم التركي من سنة ١٨٤٠ – ١٨٦٠ ، ترجمة دار لحد خاطر ، (بيروت - ١٩٨٦) .
٥٦ توفيق برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤، (القاهرة - ١٩٦٠) .
٥٧ جابر عصفور ، فجر الرواية العربية ، فصول (القاهرة : الهيئة العامة المصرية للكتاب ، المجلد السادس عشر ، العدد الرابع ، تشرين الأول ١٩٩٨) .
٥٨ جاك تاجر، حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر ، ترجمة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، (القاهرة – ٢٠١٢) .
٥٩ جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، ج٤ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (بيروت -١٩٦٧) .
٦٠ ـــــــــــــــ ، الانقلاب العثماني ، دار الهلال ، (القاهرة – ١٩٥٠) .
٦١ جلال يحيى ، العالم العربي الحديث ، (القاهرة – ١٩٦٦) .
٦٢ جمال الدين الألوسي ، محمد كرد علي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد – ١٩٨٦) .
٦٣ جمال الدين محمد سعيد، التطور الاقتصادي في مصر منذ الكساد العالمي ، ط١ ، (القاهرة – ١٩٥٤) .
٦٤ جمال بدوي ، مصر من نافذة التاريخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة- ١٩٩٥) .
٦٥ جميل عويدات ، أعلام نهضة العرب في القرن العشرين ، الطبعة الأولى ، (بيروت - ١٩٩٤) .
٦٦ جمال الدين الشيال ، تاريخ الترجمة في مصر في عصر الحملة الفرنسية ، دار الفكر العربي ، (القاهرة-١٩٥٠) .
٦٧ جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، دار العلم للملايين ، ط ٨ ، (بيروت - ١٩٨٧) .
٦٨ جوزيف الياس ، تطور الصحافة السورية في مائة عام (١٨٦٥- ١٩٦٥) ، الجزء الأول ، دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت - ١٩٨٣) .
٦٩ جوزف حجار ، أوربا ومصير الشرق العربي ، ترجمة بطرس الحلاق وماجد نعمة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت – ١٩٧٦) .
٧٠ جهاد العقل ،الهجرة الحديثة من لبنان ١٨٦٠- ٢٠٠٠ ، (بيروت – ٢٠٠٥) .
٧١ حازم النعيمي ، الحرية والصحافة في لبنان ، العربي للنشر والتوزيع ، (القاهرة ــ ١٩٨٩) .
٧٢ حسان حلاق ،أصول العائلات البيروتية ، دار الشروق ،(القاهرة- ٢٠٠٩) .
٧٣ حسن كامل الموجي ، دور الشاميين في الصحافة المصرية ١٨٤١ – ١٩٠٠، (القاهرة – ١٩٩٣) .
٧٤ حسين توفيقي ، دروس في تاريخ الأديان ، ترجمة أنور الصافي ، ط٣ ، جامعة المصطفى العالمية ، (قم -٢٠٠٣) .
٧٥ حسين فوزي النجار، احمد لطفي السيد أستاذ الجيل ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (القاهرة – ١٩٦٥) .
٧٦ حسين كفافى ، الخديوي إسماعيل ومعشوقته مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة -١٩٩٧) .
٧٧ حلمي النمنم ، الرائدة المجهولة : زينب فواز، دار النهر ، (القاهرة- ١٩٩٨) .
٧٨ حليم اليازجي وآخرون ، بحوث في الفكر القومي العربي ، المجلد الأول ، معهد الإنماء العربي ، (بيروت - ١٩٨٣) .

٧٩ حماده حسني أحمد ، الباشا صاحب مصر(محمد علي الكبير) ، مكتبة بيروت ، (القاهرة – ٢٠٠٨) .
٨٠ حنا عبد الله ، الحركات العالمية في سوريا ولبنان ١٩٠٠ -١٩٤٥ ، (دمشق – ١٩٧٣) .
٨١ حيدر أحمد الشهابي ، تاريخ احمد باشا الجزار ، نشره ووضع مقدمته انطونيوس شبلي وآخرون ، مطبعة مكتبة انطوان ، (بيروت – ١٩٥٥) .
٨٢ ـــــــــــــــ ، تاريخ لبنان في عهد الأمراء الشهابيون، ج١ ، (بيروت – ١٩٧٣) .
٨٣ خالد زيادة ، اكتشاف التقدم الأوربي دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر ، دار الطليعة ، (بيروت – ١٩٨١) .
٨٤ خيرية قاسمية ، النشاط الصهيوني في المشرق العربي ١٩٠٨-١٩١٨ ، مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، (بيروت – ١٩٧٣) .
٨٥ داود بركات ، البطل الفاتح إبراهيم باشا وفتحه الشام ١٨٣٢ ، المطبعة الرحمانية ، (القاهرة – ١٩٢٥) ، ص ١٠٢ .
٨٦ رفاعة رافع الطهطاوي ، تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، الهيئة العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٩٨٦) .
٨٧ رفعت السعيد ، ثلاثة لبنانيين في القاهرة : شبلي شميل ، فرح انطون، رفيق جبور ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت-١٩٧٣) .
٨٨ ـــــــــــــــ ، تاريخ الحركة الاشتراكية ، الفارابي ، (بيروت – ١٩٧٥) .
٨٩ رنده عبد الوهاب الكيالي ، الأمريكيون العرب ، ترجمة محمود برهوم ورغدة عزيزية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت -٢٠٠٧) .
٩٠ ز . أ . ليفين ، التنوير والقومية : تطور الفكر الاجتماعي العربي الحديث ، ترجمة بشير السباعي ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة -١٩٧٨) .
٩١ زاهر رياض ، المسيحيون والقومية المصرية في العصر الحديث ، دار الثقافة ، (القاهرة- ١٩٧٨) .
٩٢ زاهية مصطفى قدوره ، تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ، (بيروت – ١٩٦٧) .
٩٣ ز. ل . ليفين ، الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر ، ترجمة بشير السباعي ، دار أبن خلدون ، (بيروت- ١٩٧٨) .
٩٤ ـــــــــــــــ ، مدخل إلى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة مصطفى الحسيني ، دار الحقيقة ، (بيروت – ١٩٧٣) .
٩٥ زينب العاملي ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، المطبعة الكبرى الأميرية ، (القاهرة- ١٨٩٤) .
٩٦ زين نور الدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ط٢ ، (بيروت – ١٩٧٧) .
٩٧ ـــــــــــــــ ، نشوء القومية العربية، مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية، دار النهار، ط٣، (بيروت -١٩٧٩) .
٩٨ ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، (القاهرة -١٩٥٧) .
٩٩ سامي الدهان ، الأمير شكيب ارسلان : حياته وآثاره ، دار المعارف ، (القاهرة- ١٩٦٠) .
١٠٠ سامي الكيالي ، الحركة الأدبية في حلب ، (القاهرة -١٩٥٧) .

١٠١ ـــــــــــــــــ ، الأدب العربي المعاصر في سورية ١٨٥٠-١٩٥٠، دار المعارف ، (القاهرة- ١٩٦٨) .
١٠٢ سالم علي البهنساوي ، تهافت العلمانية في الصحافة المصرية ، دار الوفاء للطباعة ، (المنصورة – ١٩٩٠) .
١٠٣ سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ، (بيروت -١٩٣٦) .
١٠٤ سليمان أبو عز الدين، إبراهيم باشا في سوريا ، دار الشروق، (القاهرة – ٢٠٠٩) .
١٠٥ سليم خليل النقاش ، مصر للمصريين ، ج ٥ ، (الإسكندرية -١٨٨٤) .
١٠٦ سعيد إسماعيل علي ، الفكر التربوي العربي الحديث ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،(القاهرة- ١٩٨٧) .
١٠٧ سعيد عبد الفتاح عاشور ، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية للطباعة ، (بيروت -١٩٨٥) .
١٠٨ سيار كوكب جميل ، تكوين العرب الحديث ١٥١٦- ١٩١٦ ، (الموصل – ١٩٩١) .
١٠٩ سليم حسن هشي ، تاريخ الأمراء الشهابيون ، (بيروت – ١٩٧١) .
١١٠ سليم سركيس ، غرائب المكتوبجي ، (بيروت -١٨٩٦) .
١١١ سوسن سليم إسماعيل ، الجذور التاريخية للأزمة اللبنانية فتنة الشام أسبابها ونتائجها السياسية ١٨٦٠- ١٨٦٤ ، ج١ (القاهرة – ١٩٨٦) .
١١٢ شارل عيسوي ، التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط وشمال إفريقيا ، ترجمة سعد رحمي ، (بيروت – ١٩٨٥) .
١١٣ شاهين مكاريوس ، حصر اللثام عن نكبات الشام ، ج ٦ ، ط ١ ، (القاهرة – ١٨٩٥) .
١١٤ شبلي شميل ، فلسفة النشوء والارتقاء ، ج١ ، (القاهرة – ١٩١٢) .
١١٥ شكري نصرالله ، تاريخ لبنان واللبنانيين، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، (بيروت – ٢٠٠٦) .
١١٦ شمس الدين محمد بن احمد السفاريني (ت١١٨٨ هـ)، كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، تحقيق نور الدين طالب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،(الكويت – ٢٠٠٨) .
١١٧ شهاب الدين ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٣ ، دار صادر، (بيروت – ١٩٩٣) .
١١٨ شمول موريه ، المطبوعات العربية التي إلفها أو نشرها الأدباء والعلماء اليهود ١٨٦٣- ١٩٧٣ ، (القدس – ١٩٧٣) .
١١٩ شوقي أبو خليل ، جرجي زيدان في الميزان ، دار الفكر ، ط٢، (دمشق – ١٩٨٠) .
١٢٠ شفيق جحا وبهجت عثمان ومنير البعلبكي ، المصور في التاريخ ، ج ٨ ، دار العلم للملايين ، (بيروت- ١٩٧٢) .
١٢١ شفيق العمروسي ، صفحات مجهولة من تاريخ الحركة النسائية، (القاهرة ـ ١٩٨٨) .
١٢٢ شفيق البقاعي، أدب عصر النهضة، دار العلم للملايين، (بيروت - ١٩٩٠).
١٢٣ صالح رمضان ، الحياة الاجتماعية في مصر في عصر إسماعيل من(١٨٦٣ – ١٨٧٩) ، دار المعارف ، (الإسكندرية – ١٩٧٧) .
١٢٤ صديق الدملوجي ، مدحت باشا ، مطبعة الزمان (بغداد – ١٩٥٣) .
١٢٥ صلاح زكي أحمد ، قادة الفكر العربي ، دار سعاد الصباح ، (الكويت -١٩٩٣) .
١٢٦ طلال ماجد مجذوب ، تاريخ صيدا الاجتماعي ، منشورات المكتبة العصرية ، (صيدا – ١٩٨٣) .
١٢٧ عاصم الدسوقي ، كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في المجتمع المصري ، ١٩١٤-١٩٥٢ ، (القاهرة- ١٩٧٥) .
١٢٨ عادل الغضبان ، الشيخ نجيب الحداد، دار المعارف ، (القاهرة -١٩٦٥) .

١٢٩ أبو العباس احمد القلقشندى (ت ١٨٢١هـ) ، صبح الأعشى في صناعة الأنشا،ج٤، دار الكتب العلمية ، (بيروت – ٢٠١٠) .
١٣٠ عبد الرحمن الكواكبي ، الأعمال الكاملة ، تحقيق وتقديم محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت- ١٩٧٥) .
١٣١ عبد العزيز محمد عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤ -١٩١٤ ، دار المعارف ، (القاهرة - ١٩٦٩) .
١٣٢ عفاف لطفي السيد ، مصر في عهد محمد علي باشا، المجلس الأعلى للثقافة ، (القاهرة- ٢٠٠٦) .
١٣٣ عبد اللطيف حمزة ، قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها حتى منتصف القرن العشرين، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، (القاهرة - ١٩٨٥) .
١٣٤ عماد احمد الجواهري ، الأوضاع الإقطاعية في فلسطين في العصر الحديث ، ط١ ، (بغداد – ١٩٨٣) .
١٣٥ عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦، (دمشق - ١٩١٦) .
١٣٦ عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية ، (بيروت - ١٩٧٥) .
١٣٧ عماد عبد السلام رؤوف العطار ، الحياة الاجتماعية في العراق إبان حكم المماليك ، (القاهرة – ١٩٦٧) .
١٣٨ عيسى اسكندر المعلوف ، تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني، المطبعة الكاثوليكية ، (بيروت – ١٩٢٧) .
١٣٩ علاء موسى كاظم نورس ، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠ – ١٨٣١ ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد – ١٩٧٥) .
١٤٠ علماء الحملة الفرنسية ، وصف مصر ، ترجمة زهير الشايب ، ج ١ ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة – ١٩٧٩) .
١٤١ عبد الرحمن الرافعي ، الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي ، ط٢ ، دار المعارف (القاهرة - ١٩٨٤) .
١٤٢ ـــــــــــــــــــــــــ ، الزعيم احمد عرابي ، دار الهلال ،(القاهرة – ١٩٥٧) .
١٤٣ ـــــــــــــــــــــــــ ، عصر إسماعيل ،ج٢ ، ط٢ ، مكتبة النهضة ، (القاهرة - ١٩٤٨) .
١٤٤ ـــــــــــــــــــــــــ ، عصر محمد علي ، ط ٦ ، دار المعارف ، (القاهرة- ١٩٨٩) .
١٤٥ عيسى ميخائيل سابا ، إبراهيم اليازجي ، دار المعارف ، (القاهرة -١٩٦٥) .
١٤٦ عبد الخالق محمد لاشين ، سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية حتى عام ١٩١٤ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٧١) .
١٤٧ عبد الرحيم غالب ، مئة عام من تاريخ الصحافة ، لسان الحال ، جروس برس ، (بيروت – ١٩٨٨) .
١٤٨ عبد الكريم غرايبه ، سورية في القرن ١٩ ، (القاهرة -١٩٦٢) .
١٤٩ عائشة الدباغ ، الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، دار الفكر ، (بيروت – ١٩٧٢) .
١٥٠ عبد العزيز محمد عوض ، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤- ١٩١٤ ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٦٩) .
١٥١ عبد العزيز الدوري ، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ط ٣، دار الطليعة ، (بيروت - ١٩٨٠) .

١٥٢ عبد الله حنا، القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان (١٨٢٠-١٩٢٠)، القسم الأول ، (بيروت- ١٩٧٥) .
١٥٣ عبد الكريم غرايبة ، سوريا في القرن التاسع عشر ١٨٤٠- ١٨٧٦ ، معهد الدراسات العربية ، (القاهرة – ١٩٦٢) .
١٥٤ عبد الرحمن زكي، التاريخ الحربي لعصر محمد علي باشا ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، دار المعارف ، (القاهرة -١٩٥٠) .
١٥٥ عبد المنعم مصطفى ، لورنس، قصة حياته وحقيقة موقفه من الثورة العربية ، (بغداد – ١٩٩٠) .
١٥٦ عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، العربي للنشر والتوزيع، (القاهرة -١٩٨٩) .
١٥٧ عبد المجيد عبد الملك ، تاريخ الإقطاع في لبنان ، المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، (بيروت -٢٠٠٠) .
١٥٨ عبد العزيز الشناوي ، الأزهر جامع وجامعة ، مكتبة الأنجلو، (القاهرة -٢٠١٣) .
١٥٩ عبد الرحمن الكواكبي الإعمال الكاملة، محمد عمارة ، دار الشروق ،(بيروت – ٢٠٠٧) .
١٦٠ عواطف عبد الرحمن ، دراسات في الصحافة المصرية المعاصرة ، دار الفكر العربي ، (القاهرة – ١٩٨٥) .
١٦١ عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، الجزء الأول ، (القاهرة – ١٩٨٠) .
١٦٢ عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج٢ ، دار الأنوار المحمدية ، (القاهرة - ب د) .
١٦٣ عبد الله أبو هيف ، المسرح العربي المعاصر ، اتحاد الكتاب العرب ، (القاهرة – ٢٠٠٢) .
١٦٤ عبد الزهرة مكطوف الجوراني ، الفكر السياسي في المشرق العربي أواخر القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٤، (بغداد – ٢٠٠١) .
١٦٥ عبد اللطيف حمزة ، أدب المقالة الصحفية في مصر ، ج ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة- ١٩٩٤) .
١٦٦ عمر الدسوقي ، في الأدب الحديث ، دار الفكر العربي،(القاهرة -٢٠٠٠) .
١٦٧ عمر الدقاق ، فنون الأدب المعاصر في سورية ، دار الشرق العربي ، (بيروت – ١٩٦١) .
١٦٨ علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٩٨- ١٩١٤ ، (بيروت - ١٩٨٣) .
١٦٩ عبد اللطيف حمزة ، قصة الصحافة العربية في مصر منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين ، دار الفكر العربي ، ط٢ ، (القاهرة – ١٩٨٥).
١٧٠ علي الدين هلال ، التجديد في الفكر السياسي المصري الحديث ، أصول الفكرة الاشتراكية (١٨٨٢- ١٩٢٢)،معهد البحوث والدراسات العربية،(القاهرة – ١٩٧٥) .
١٧١ علي إبراهيم حسن ، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ، (القاهرة – ١٩٣٣) .
١٧٢ عبد الرازق عيسى، عبير عيسى، مصر وميلاد القرن العشرين : دراسة تحليلية ، العربي للنشر والتوزيع ، (القاهرة – ٢٠٠١) .
١٧٣ عبد العليم القباني ، نشأة الصحافة العربية بالإسكندرية ١٨٧٣- ١٨٨٢، الهيئة العربية العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٩٧٣) .
١٧٤ عبد الله محمد عزباوي ، الشوام في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، دار النهضة العربية ، (القاهرة- ١٩٨٦) .

١٧٥ أبو عبد الله محمد بن احمد المقدسي (ت٣٣٦ هـ) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٢ ، دار صادر ، (بيروت ـ ١٩٩١) .
١٧٦ عيسى عبيد ، ثريا ، مكتبة الوفد ، (القاهرة ـ١٩٩٦) .
١٧٧ فارس يواكيم ، ظلال الأرز في وادي النيل، دار الفارابي، (بيروت – ٢٠٠٩) .
١٧٨ فاروق أبو زيد، عصر التنوير العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت ـ ١٩٧٨) .
١٧٩ ـــــــــــــ، الصحافة العربية المهاجرة، مكتبة مدبولي، (القاهرة ـ١٩٨٥) .
١٨٠ ـــــــــــــ، أزمة الديمقراطية في الصحافة المصرية، مكتبة مدبولي، (القاهرة ـ ١٩٧٧) .
١٨١ فاروق حبلص ، الأقليات والقوميات في السلطنة العثمانية بعد ١٥١٦ ، منشورات الجمعية التاريخية اللبنانية ، (بيروت – ٢٠٠١) .
١٨٢ فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة عفيفة البستاني ، دار التقدم ، (موسكو ـ ١٩٧١) .
١٨٣ فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ترجمة كمال العسلي ، ط٢، (عمان ـ ١٩٧٠) .
١٨٤ فرانسوا جورجو ، النزع الأخير ١٨٧٨ ـ ١٩٠٨ ، تاريخ الدولة العثمانية ، الجزء الثاني ، أشراف روبير مانتران ، (القاهرة ـ ١٩٩٣) .
١٨٥ فيليب حتى ، تاريخ سوريا ولبنان ، ج ٦ ، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة ، (بيروت ـ ١٩٨٢) .
١٨٦ ـــــــــــــ ، تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترجمة أنيس فريحه ، دار الثقافة ، (بيروت ـ ١٩٥٦) .
١٨٧ فيليب دي طرازي ، خزائن الكتب العربية ، المجلد الثاني ، منشورات وزارة التربية الوطنية ، (بيروت – ١٩٤٧) .
١٨٨ فؤاد شاهين ، الطائفية في لبنان حاضرها وجذورها التاريخية والاجتماعية ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، (بيروت ـ ١٩٨٦).
١٨٩ فوزي الخطبا، شهداء النهضة العربية، مطبعة الصفدي، (عمان ـ١٩٨٨) .
١٩٠ فوزي منصور، خروج العرب من التاريخ ، ترجمة ظريف عبدالله وكمال السيد ، (بيروت – ١٩٩١) .
١٩١ قتيبة الشهابي ، نقود الشام : دراسة تاريخية للعملات التي كانت متداولة في الشام ، (دمشق – ٢٠٠٠) .
١٩٢ قدري قلعجي، محمد عبده بطل الثورة الفكرية في الإسلام،(بيروت ـ ١٩٥٦).
١٩٣ قسطنطين بازيلي ، سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة طارق معصراني ، دار التقدم ، (موسكو ـ ١٩٨٩) .
١٩٤ قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية. قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ط٢، (بيروت – ٢٠٠٣) .
١٩٥ كارستن نيبور، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها ، ترجمة، عبير المنذر ، ج٢ ، مؤسسة الانتشار العربي ، (بيروت ـ ٢٠٠٧) .
١٩٦ كمال اليازجي، رواد النهضة الأدبية في لبنان الحديث (١٨٠٠ ـ ١٩٠٠) ، مكتبة رأس بيروت ، (بيروت ـ ١٩٦٢) .
١٩٧ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي ، الجزء٤ ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، (بيروت – ١٩٥٥) .
١٩٨ كمال الصليبي، تاريخ لبنان الحديث ، ط٧، دار النهار للنشر ، (بيروت – ١٩٩١) .

١٩٩ لاندو ، تاريخ المسرح العربي ، ترجمة يوسف نور عوض ، دار القلم ، (بيروت - ١٩٨٠) .
٢٠٠ لحد خاطر، عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١- ١٩١٨، (بيروت -١٩٦٧) .
٢٠١ لطيفة محمد سالم ، الحكم المصري في بلاد الشام ، ط٣ ، مكتبة مدبولي ، (القاهرة- ١٩٩٩) .
٢٠٢ لويس شيخو ، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين ط٣ ، دار المشرق ، (بيروت - ١٩٩١) .
٢٠٣ لويس عوض ، تاريخ الفكر المصري الحديث من عصر إسماعيل إلى ثورة ١٩١٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة - ١٩٦٢) .
٢٠٤ محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، تحقيق وتقديم محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت- ١٩٧٢) .
٢٠٥ مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي (ت ٨١٧ هـ) ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت – ٢٠٠٨) .
٢٠٦ محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ج١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ١٩٨٧) .
٢٠٧ محمد كرد علي ، خطط الشام، ج١ ، ط٢، دار العلم للملايين (بيروت - ١٩٧٠) .
٢٠٨ محمد فؤاد كوبرلي، قيام الدولة العثمانية ، ترجمة احمد السعيد سليمان ، دار الكاتب العربي ، (القاهرة - ١٩٦٧) .
٢٠٩ محمد مهران رشوان ، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، (القاهرة- ١٩٨٤) .
٢١٠ محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، ط١١ ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، (بيروت - ٢٠٠٩) .
٢١١ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي في العهد المملوكي والعثماني ،ج ٧ ، المكتبة الإسلامية ، (القاهرة - ٢٠٠٠) .
٢١٢ محمد مصطفى هلالي ، السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود ، دار الفكر ، (القاهرة -٢٠٠٤) .
٢١٣ محمد أحمد درنيقة ، الشيخ محمد رشيد رضا ، دار الرسالة ، (بيروت – ١٩٨٦) .
٢١٤ محمد رشيد رضا ، مختارات سياسية من مجلة (المنار) ، تقديم ودراسة وجيه كوثراني ، دار الطليعة ، (بيروت -١٩٨٠) .
٢١٥ مارون عيسى الخوري ، في اليقظة العربية ، جروس برس ، (طرابلس -١٩٩٤) .
٢١٦ محمد رضا رشيد ، رحلتان إلى سورية ١٩٠٨- ١٩٢٠ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت – ٢٠٠١) .
٢١٧ محمد عبد الرحمن برج ، عبد الرحمن الكواكبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة -١٩٧٢) .
٢١٨ محمد عبد الغني حسن ، حياة مي زيادة ، دار المقتطف، (القاهرة- ١٩٤٢).
٢١٩ ملحم قربان، تاريخ لبنان السياسي الحديث ، ج١، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، (بيروت - ١٩٨١) .
٢٢٠ محمد سعيد الطريحي ، معالم الشام وإعلامها ، تاريخ التشيع في بلاد الشام ، الجزء الثالث ، دار الرافدين ، (الكوفة – ٢٠١٠) .
٢٢١ محمد علي كرد، خطط الشام ، ج٤ ، ط٢، دار العلم للملايين، (بيروت – ١٩٧٠) .
٢٢٢ محمد كرد علي ، الإسلام والحضارة العربية ، الجزء الثاني ، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع ، (القاهرة -١٩٣٤) .
٢٢٣ محمد ترحيني ، الأسس التاريخية لنظام لبنان الطائفي ، (بيروت –١٩٨١) .

٢٢٤ منير إسماعيل ، لبنان في السياسات الأوربية ١٨٤٠- ١٨٦٠ ، دار النشر للسياسة والتاريخ ، (بيروت - ٢٠٠٥) .
٢٢٥ محمد أنيس. الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٦-١٩١٤) مكتبة الانجلو مصرية ، (القاهرة – ١٩٨٥) .
٢٢٦ محسن الأمين ، خطط جبل عامل ، الجزء الأول ، ط١ ، (بيروت -١٩٦٠) .
٢٢٧ مسعود ضاهر ، هجرة الشوام : الهجرة اللبنانية إلى مصر ، دار الشروق ، (القاهرة – ٢٠٠٩) .
٢٢٨ محمد كرد علي، الحكومة المصرية في الشام، المطبعة السلفية،(القاهرة – ١٩٢٥) .
٢٢٩ مصطفى بزي ، الهجرة والنزوح من لبنان خلال القرن العشرين ، دار المحجة البيضاء ، (بيروت – ٢٠٠٨) .
٢٣٠ محمد كامل حسين، طائفة الدروز تاريخها وعقائدها ، دار المعارف للطباعة ، (القاهرة -١٩٦٠) .
٢٣١ محمد عبد الفتاح أبو الفضل ، الصحوة المصرية في عهد محمد علي باشا ، (القاهرة - ١٩٩٨) .
٢٣٢ محمد فؤاد شكري ، بناء دولة مصر محمد علي ، (القاهرة - ١٩٤٨) .
٢٣٣ محمد جبريل، مصر في قصص كتابها المعاصرين ، الجزء الأول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة - ٢٠٠٨) .
٢٣٤ محمود أبو العيون ، الجامع الأزهر - نبذة في تاريخه ، مطبعة الأزهر ، (القاهرة - ١٩٤٩) .
٢٣٥ محمد عبد المنعم خفاجى ، الأزهر في ألف عام ، الجزء الثاني ، ط٢ ، عالم الكتب ، (القاهرة-١٩٨٨) .
٢٣٦ محمود زايد ، من أحمد عرابي إلى جمال عبد الناصر الحركة الوطنية المصرية الحديثة ، ط١ ، الدار المتحدة (بيروت - ١٩٧٣) .
٢٣٧ محمد عبد الغني حسن ، احمد فارس الشدياق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (القاهرة – ١٩٨٦) .
٢٣٨ ميخائيل صوايا، احمد فارس الشدياق حياته وآثاره، دار الشرق الجديد ، (بيروت - ١٩٦٢) .
٢٣٩ مارون عيسى الخوري ، ملامح من الحركات الثقافية في طرابلس خلال القرن التاسع عشر ، ط٢ ، جروس برس ، (طرابلس – ١٩٨٣) .
٢٤٠ ميخائيل نعيمة، سبعون حكاية عمر ١٨٨٩- ١٩٥٩ ، ط٧ ، نوفل للنشر والتوزيع ، (بيروت -١٩٩١) .
٢٤١ محمد يونس ، الحركة الوطنية في المشرق العربي ١٩٠٨- ١٩١٤ ، الجزء الأول ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد – ٢٠٠٨) .
٢٤٢ محمد أنيس ورجب حراز ، التطور السياسي للمجتمع المصري الحديث ، النهضة العربية ، (القاهرة – ١٩٧٢) .
٢٤٣ محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤- ١٩١٤ ، مكتبة الأنجلو ، (القاهرة – ١٩٩٠) .
٢٤٤ مارون نقاش ، أرزة لبنان ، المطبعة العمومية ، (بيروت – ١٨٦٩) .
٢٤٥ محمد يوسف نجم ، المسرحية في الأدب العربي الحديث ١٨٤٧- ١٩١٤ ، دار الثقافة ، (القاهرة- ١٩٦٧) .
٢٤٦ محمود تيمور، طلائع المسرح العربي، المطبعة النموذجية، (القاهرة – ١٩٧٢) .
٢٤٧ مصطفى النحاس جبر ، سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦- ١٩١٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٩٩٧) .

٢٤٨ مصطفى النحاس جبر ، سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦- ١٩١٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٩٩٧) .
٢٤٩ محمد شفيق غربال ، الجنرال يعقوب والفارس لا سكارس ، المعارف ، (القاهرة – ١٩٢٣) .
٢٥٠ محمد الفيل ، رؤية وبيان حالة المسرح العربي ، الهيئة العامة للكتاب ، (القاهرة – ٢٠٠١) .
٢٥١ محمد عبد الغني حسن ، جرجي زيدان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة-١٩٧٠) .
٢٥٢ محمد ضاهر، طه حسين أيقونة الفكر النقدي العربي المعاصر، (بيروت ـ ١٩٧٣) .
٢٥٣ محمود كامل ، الإسلام والعروبة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة – ١٩٧٦) .
٢٥٤ محمد فؤاد شكري وآخرون ، بناء دولة مصر محمد علي (السياسة الداخلية) ، دار الفكر العربي ، (القاهرة - ١٩٤٨) .
٢٥٥ محمد عبد السلام الشاذلي ، تطور الفكر العربي ، ج ٢ ، الهيئة العامة المصرية للكتاب (القاهرة، - ١٩٩٣) .
٢٥٦ ابن منظور، لسان العرب ، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، (بيروت – ١٩٩٧).
٢٥٧ نادية كرامي، واقع الثورة اللبنانية، اسبابها وتطورها وحقائقها، (بيروت – ١٩٥٩) .
٢٥٨ نجيب صليبا ، الهجرة من سوريا ، ط١ ، مؤسسة سجل العرب ، (القاهرة -١٩٨٥) .
٢٥٩ نجيب مخول ، تاريخ لبنان الحديث (بيروت - ١٩٤٨) .
٢٦٠ نقولا زيادة ، علم العرب ، (بيروت – ١٩٨٤) .
٢٦١ ـــــــــــ ، دراسات في الحضارة والتاريخ ، شاميات، دار رياض الريس، (لندن – ١٩٩٢) .
٢٦٢ نهدي الحمصي، أضواء كاشفة على الاغتراب العالمي اللبناني، (بيروت – ١٩٩٨) .
٢٦٣ نزيه كباره ، عبد الرحمن الكواكبي حياته وعصره وآراؤه ، جروس برس ، (بيروت – ١٩٩٤) .
٢٦٤ نقولا يوسف ، تاريخ دمياط منذ أقدم العصور ، (القاهرة - ١٩٥٩) .
٢٦٥ هادي الحمداني و عبد الله عبد الرحيم السوداني ، مهارات في الخط العربي ، الفنون للطباعة ، (بغداد -١٩٩٠) .
٢٦٦ هاشم عثمان ، الصحافة السورية ماضيها وحاضرها ١٨٧٧-١٩٢٠،(دمشق-١٩٩٧) .
٢٦٧ هدى عدره ، ثلاث رجالات إلى الشرق (لامارتين ، نرفال ، فلوبير) ، دار الحسيني للطباعة والنشر، (بيروت -١٩٩٤) .
٢٦٨ هشام شرابي ، المثقفون العرب والغرب ، عصر النهضة ١٨٧٥- ١٩١٤ ، ط٤ ، دار الهلال ، (بيروت – ١٩٩١) .
٢٦٩ هملتون جب وهارولد باروون ، المجتمع الإسلامي والغرب ، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، (القاهرة – ١٩٧١) .
٢٧٠ هلا سليمان ، دور الإرساليات الأجنبية في طرابلس ١٨٠٠ – ١٩١٤ ، دار تريبوليس للنشر، (طرابلس – ٢٠٠٦) .
٢٧١ هيلين آنريفلين ، الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة : احمد عبد الرحيم مصطفى ومصطفى الحسيني، دار المعارف، (القاهرة – ١٩٦٧) .
٢٧٢ وجيه كوثراني ، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام ، ط١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت - ١٩٨٨) .

٢٧٣ ـــــــــــــــ ، الفقيه والسلطان جدلية الدين والسياسة ، وضاح للنشر ، (النجف الأشرف – ٢٠٠٧) .
٢٧٤ ـــــــــــــــ ، الاتجاهات الاجتماعية ، السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠، ط٢، (بيروت- ١٩٧٨) .
٢٧٥ ـــــــــــــــ ، بلاد الشام : السكان الاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين ، ط١ ، معهد الإنماء العربي ، (بيروت- ١٩٧٨) .
٢٧٦ ولي الدين يكن، المعلوم والمجهول ،ج١، مطبعة الشعب ،(القاهرة – ١٩٠٩) .
٢٧٧ وسيم خالد، الكفاح السري ضد الاحتلال الانجليزي لمصر مكتبة الأسرة ، (القاهرة - ١٩٨٥) .
٢٧٨ يوسف إبراهيم يزبك، الجذور التاريخية للحرب اللبنانية من الفتح العثماني إلى بروز القضية اللبنانية ، دار نوفل ، (بيروت – ١٩٩٣) .
٢٧٩ يوسف أسعد داغر، مصادر الدراسة الأدبية ، (بيروت- ١٩٧٢) .
٢٨٠ يوسف الياس الدبس، الموجز في تاريخ سورية، المطبعة العمومية المارونية ، (بيروت – ١٩٠٧) .
٢٨١ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة ، الطبعة الخامسة، (القاهرة – ١٩٨٦) .
٢٨٢ يونان لبيب رزق، الأحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢، مطابع الأهرام، (القاهرة- ١٩٧٧).
٢٨٣ ـــــــــــــــ ، الأهرام ديوان الحياة المعاصرة ، الجزء الأول ، مطبعة الأهرام ، (القاهرة – ١٩٩٥) .

ـ باللغة الإنكليزية :

1. Benjamin Braude, Bernard Lewis, Christians and Jews in the Ottoman Empire Vols, Vol 1.
2. Tibawi . A .L : A modem History of Syria , London, 1967,p.136 .
3. P . 52.M. A. Bakhit, The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century (Beirut- 1982).
4. Gorg , E- Kirk , Ashort History of the Midill East Second Edition , London , 1964, p149 .
5. Henry Smith, the Question of Greek Independence, a Study of British Policy in the Near East 1821-1942, (London-1942), PP. 10-76 .
6. Near East 1821-1942, (London-1942), PP. 10-7.
7. Devereux The First Ottoman Constitutional Period, pp. 61-79 .
8. J.W.Redhouse , A Vindication of the Ottoman Sultan‘s ,London- 1877, P.7 .
9. Ziya Gokalp, The Principles of Turkism., ranslated From Turksh by Robert Devereux , (London , 1936) P . 17 –20 .
10. C. Ernest Dawn, From Ottomanism to Arabism: Essays on the Origins of Arab Nationalism, Urbana, 1973, pp. 152-175 .

11. **Vital cuinet " Syrie Liban et Palestine, geographie administrative paris 1886-1901.p. 56.**
12. **A.D.Novichev, The Development Agriculture in Anatolia, "The Economic History of the Middle East 1800-1914", Ed.CharlesIssawi, U.S.A., 1966, PP.68-69.**
13. **H.Gerber, The Social Origins of the Modern Middle East, London, 1982, P.112 Kemal H. Karpat, The Land Regime Social Structure and Modernization in the Ottoman Empire, "Beginnings of Modernization in the Middle East the Nineteenth Century", Ed. W.R.Polk and R.L.Chamber, U.S.A, 1968, P.87.**
14. **Kayyali .A. W . Palestine Amodern History .London , Third World Centre . p 12 .**
15. **.. G. Charmes," La situation de la Turquie, la Turquie, la du Califat et ses consequences" , in: Revue des deux Mondes, 47 (1881) p.745.**
16. **Richard Edwards, La Syria , 1840 – 1860 (Paris, 1862) , p . 71.**
17. **Philip Hitti : A Short History of Lebanon , Mac Millan , London , 1965 , pp. 184 .**
18. **Cromer Lord , Modern Egypt, VII , p 217 .**
19. **R.H.Davison, Westernized Education, P.291 .**
20. **Nagib Azoury , Le reveil de le nation Arabe , Paris – 1905 .**
21. **Cromer Lord , Modern Egypte PPV . 11 . p 217 .**
22. **Edward W. Said , OT OF PLACE ,(London- 1975) , p . 116 .**
23. **Thomas Philipp , " Demographic Patterns of Syrian Immigration to Egypt , p. 98.**
24. **Byron D. Cannon , Nineteenth – Century Arabic Writings on Women and Society : The Interim Role of Masonic Press in Cairo (aI- Lata"if, 1885-1895), International Journal Of Middle East Studies 17 1985) : P 84 .**
25. **Martin Harmann , The Arabic press of Egypt (London : Luac, 1899) , p.48 .**
26. **Albert Hourani : Arabic Thought in the Liberal Age, 1798-1939, Oxford University Press, London , 1970 , pp.** 60 .

باللغة التركية :

1. Hasan Ali Koçer, Türkie'De Modern Eğitimin Doğuşu ve Gelişimi, S.125-127.
2. Şerif Mardin, Jön Tuklerin Siyasi Fikirleri, S. 228- 229; Hilmi Yücebaş, Yedi Şairden Hatıralar, S. 7 .

باللغة الفرنسية :

1. Joseph AbouNohra, (Genese de la dialectique entre **entente intercommunautaire et Souverainete au Liban), in Social Compass, XXX _4, 1988, p 441.**
2. **. Vingtrinier, Aime , SolimanPacha , Paris , 1886 , p .227.**
3. **Richard Edwards, La Syri, 1840 – 1860 (Paris, 1862) ,P. 17 .**
4. **Churchill Druzea , p. 52 : Jessup , p. 162.**
5. **The World (New York, April ,23 , 1861 .**
6. **MoustaphaSabry , L, empire egyptien Sous Mohammed Ali et La question d, orient ,Paris, 1930 .p 79 .**
7. **A.G.Polotis , I, Hellenisme et I,Egypte modern . P 173.**
8. **ssawi . C. Egypt in Revolution : An Economic Analysis 1963, p.212.**
9. **Le Lotus 1 , no 12 (1902) Max de Zoghob , Causerie Retrospective , Le Lotus 1 no 1(1901) : 3-6 .**
10.
11. **Zachary Lokman, "The Egyptian Nationalist Momvement and the Syripans in Egypt " Lmmigrants and Minorities 3 (1984): pp.233- 51.**

البحوث والدراسات

- باللغة العربية:

١. **إبـراهيم المصـري ، ذريـات مسـرحية ، مجلـة الهـلال ، العـدد الثـامن، السـنة ٧٣ ، آب ١٩٦٥ .**
٢. **أحمد حسن سليمان ، لبنانيون على ضفاف نيل المنصورة ، مجلة صله ، العدد ، ٤ كانون الأول ٢٠١٤ .**
٣. **احمد رضا ، الشيعة في جبل عامل ، مجلة العرفان ، م٢ ، ج ٧ .**
٤. **أحمد عُلبي ، تجربة محمد علي باشا ، مجلة العربي ، العدد ٣٦٧ ، حزيران ١٩٨٩ .**
٥. **احمد محرم وولي الدين يكن ، الأميرة الكسندرا : فتاة الشرق ، السنة العاشرة ، العدد ١ ، ١٩١٥ .**

٦. أسعد الأسطواني ، بزوغ الوعي القومي في بلاد الشام ، مجلة العربي ، العدد ٣٦٧ ، حزيران ١٩٨٩ .
٧. السيد فهمي الشناوي ، قصة تكوين الطبقة المثقفة المصرية ، مجلة الهلال ، العدد ، نيسان ١٩٧٢ .
٨. أميل زيدان ، الأهرام ، مجلة الهلال ، المجلد ٦٢ ، ١ أيار ١٩٥٤ .
٩. أمين عبدا محمود ، بطرس البستاني دراسة في فكره الثقافي والاجتماعي والسياسي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٤٤ ، السنة السادسة عشرة ، ١٩٩١ .
١٠. تاريخ حوادث بيروت منذ سنة ١٥١٧ " ، مجلة أوراق لبنانية ، بيروت ، ج١ ، السنة الأولى ، كانون الثاني ، ١٩٥٥ .
١١. خالد عزب ، إعادة اكتشاف مطبعة بولاق ، مجلة العربي ، العدد٥٥٩ ، حزيران ، ٢٠٠٥ .
١٢. خليل علي مراد، الدكتور، تغلغل الرأسمال الأجنبي في الدولة العثمانية ١٨٥٤-١٩١٤، " دراسات تركية " (نشرة علمية) ، الموصل، العدد٢، كانون الأول ١٩٩١.
١٣. جلال أحمد أمين ، المشرق العربي والغرب ، بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية ، ط٤ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت - ١٩٨٣) .
١٤. جميل قاسم ، زينب فواز درة الشرق ، مجلة العربي ، العدد٦٠١ ، أيلول ٢٠٠٨ .
١٥. حسين خلاف ، المصريون والهجرة ، جريدة الأهرام ، ١٧ تشرين الثاني ١٩٨٠ .
١٦. حسين العودات ، المطابع والمكتبات والصحافة في دمشق في القرن التاسع عشر في المعرفة ، كانون الثاني ٢٠٠٨ .
١٧. حمزة عليان، الهجرة اللبنانية إلى مصر آل تقلا و (الأهرام) ، القبس ، العدد ١٥١٢٨ ، في ١٢ تموز ٢٠١٥ .
١٨. حمزة عليان ، هجرة الشوام إلى مصر ... وثائق ومعلومات ، صحيفة القبس الكويتية ، العدد ١٥١٣٤ ، ٢٠ تموز ٢٠١٥ .
١٩. خالد عزب ، افتتاح قناة السويس ، مجلة العربي ، العدد ٥٩٣ ، نيسان ٢٠٠٨ .
٢٠. دولت أبيض ، زوجي جورج أبيض ، مجلة الهلال ، العدد الثامن ، السنة ٧٣ ، ١آب ١٩٦٥.
٢١. رشاد اكرم كوجه ، تاريخ الانتخابات في تركيا ، مجلة عالم التاريخ ، العدد (٥) ، ١٩٥٠ .
٢٢. رشيد محمد رضا ، " منافع الأوربيين ومضارهم " ، مجلة(المنار)، السنة ١٠ ، العدد ٤ ، ١٩٠٧ .
٢٣. ريم منصور الأطرش ، بحث " سورية بين طوشتين في منتصف القرن التاسع عشر والألفية الثالثة " ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، (باريس- ٢٠١١) .

٢٤. زاهي حواس، قصر السكاكيني، مجلة البصارة ، العدد ١١ ، ٣٠ تشرين الأول ٢٠١٣ .
٢٥. سامي الكيالي ، أبو الهدى الصيادي ، مجلة العربي ، العدد١٥٢ ، تموز ١٩٧١ .
٢٦. سعد سليمان ، المهاجرة ، مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، مج٢ ، ج١ ، كانون ثاني – شباط ، ١٩٣١ .
٢٧. سليم نفاع ، علاقات لبنان الخارجية في عهد الشهابيين ، مجلة المشرق ، بيروت ، ج٧ ، السنة الثانية عشر ، تموز ، ١٩٢٠ .
٢٨. سلمى الحفار الكزبري ، وردة اليازجي شاعرة وناثرة من رائدات القرن التاسع عشر، مجلة العربي ، العدد٥٣٩ ، تشرين الأول ٢٠٠٣ .
٢٩. سليمان إبراهيم العسكري ، العربية والأقليات اللغوية ، مجلة العربي ، العدد ٥٦٤ ، تشرين الثاني ، ٢٠٠٥.
٣٠. سيار كوكب الجميل ، هناك حقيقة في التاريخ ، ولكن ؟ ، جريد الأسواق الأردنية ، " عمان " ، العدد ٨٢٣ ، ٩ آذار ١٩٩٦ .
٣١. ـــــــــــــــــــــــــــ ، تحديث الاقتصاديات العثمانية دراسة في فهم طبيعة المشاكل الاقتصادية التركية خلال القرن التاسع عشر، ''دراسات تركية''(نشرة علمية) ، الموصل، العدد الثاني ، كانون الأول ١٩٩١.
٣٢. ـــــــــــــــــــــــــــ ، (انتلجينسيا) العراق – التكوين ، الاستشارة القومية ، مجلة آفاق عربية " بغداد " ، السنة ١٦، أيلول ١٩٩١ .
٣٣. سيد إسماعيل بوابة ، مريانا مراش رائدة الصحافة العربية ، الوطن ، العدد ٢٣ ، ١٥ نيسان ٢٠١٠ .
٣٤. سليم أحمد سعيد ، الامتيازات الأجنبية في الإمبراطورية العثمانية وأثرها على البلدان العربية ، بحث دبلوم (غير منشور) ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية- الجامعة المستنصرية ،٢٠٠٠ .
٣٥. شريف الراس، غرائب المكتوبجي، مجلة العربي ،العدد٣٦٧ ، حزيران ١٩٨٩ .
٣٦. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، النظم الإدارية العثمانية وأثرها في العلاقات العربية العثمانية ، مجلة الدرة ، السنة التاسعة ، العدد ١ ، (الرياض - ١٩٨٣) .
٣٧. عبد الرحمن شاكر ، القيم السياسية فوق رمال متحركة ، مجلة العربي ، العدد ٥٤٨ ، تموز ٢٠٠٤ .
٣٨. عبد الرحمن ياغي ، مارون النقاش وتجربته الرائدة في المسرح ، مجلة العربي ، العدد٢٥٢ ، ١٩٧٩ .
٣٩. عبد الرزاق احمد النصيري ، أثر الصحافة العربية في التطور الفكري للنخبة المثقفة في العراق (١٨٦٩-١٩٠٨) ، مجلة أفاق عربية "بغداد" ، السنة ١٧ ، نيسان ، ١٩٩٢ .
٤٠. عبد المنعم البيه ، بحث في استثمار رؤوس الأموال الأجنبية بمصر، جامعة القاهرة – ٢٠١٢ .
٤١. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، مصر والشام في العصر العثماني من خلال وثائق المحكمة الشرعية ، مجلة الدوحة ، العدد ٨٤ ، أيلول ١٩٨٢ .

٤٢. عيسى فتوح ، فجر اليقظة العربية في الشام والعراق ، مجلة " آفاق عربية "، بغداد ، السنة (٥) ، كانون الأول ١٩٧٩ .
٤٣. فاروق شوشة ، خليل مطران شاعر القطرين ، مجلة العربي ، العدد ٥٤٦ ، أيار ٢٠٠٤ .
٤٤. فاروق شوشة ، علاقة الشام بمصر ، مجلة العربي ، العدد ٥٩١ ، شباط ٢٠٠٨.
٤٥. فتحي رضوان ، العمامة المتمردة : تتجه إلى الاعتدال ومهادنة الاحتلال ، مجلة الدوحة ، العدد ٨٤ ، كانون الثاني ١٩٨٢ .
٤٦. فتحي رضوان ، صحافة بلا أحزاب ، وأحزاب بلا صحافة ، مجلة الدوحة ، تشرين الثاني ١٩٨٤.
٤٧. كاظم سعد الدين ، نيبور عروض من الشرق ، مجلة أفاق عربية ،" بغداد" ، السنة ١٠ ، آذار ١٩٨٥ .
٤٨. كامل الشناوي ، الكواكبي الرحالة العربي الثائر ، مجلة الهلال ، العدد ١٢ ، أيلول ١٩٦٢ .
٤٩. كامل الغزي ، مجلة الحديث ، العدد السادس ، ١٩٢٩ .
٥٠. ماهر حسن، اغتيال رئيس الوزراء بطرس باشا، صحيفة المصري اليوم ، العدد ، ٢٤٤٣، ٢٠ شباط ٢٠١١ .
٥١. محمد أنيس ، دراسة في المجتمع المصري من الإقطاع إلى الاشتراكية (١٧٩٨ – ١٨٨٢) ، مجلة الكاتب المصري " القاهرة " ، العدد ٥٢ ، السنة ٤ ، تموز ١٩٦٥ .
٥٢. محمد العربي ، الهجرة اللبنانية إلى مصر، مجلة صله ، العدد (٣) ، ٢ أيلول ٢٠١٤ .
٥٣. محمد بهجت ، مارون النقاش وبداية المسرح العربي ، دنيا الثقافة ، السنة ١٣٣ ، العدد ٤٤٧٧٢ ، ٦ تموز ٢٠٠٩ .
٥٤. محمد سعيد بسام ، الحركة العربية في جبل عامل في أواخر عهد الدولة العثمانية ، الفكر العربي ، (بيروت : معهد الإنماء العربي ، العددان ٣٩-٤٠ حزيران ، تشرين الأول ١٩٨٥) .
٥٥. محمد كرد علي ، الحكومة المصرية في بلاد الشام ، مجلة الزهراء ، المجلد الأول ، في ٥ شباط ١٩٥٢ .
٥٦. محمد عبد المنعم خفاجى ، مي أديبة العصر ، مجلة الهلال ، العدد ١ ، ١٩٨٦ .
٥٧. محمد سليمان حسن ، الحركة الأدبية في دمشق (١٨٠٠- ١٩١٨) مجلة المعرفة ، العدد ٥٣٢ ، كانون الثاني ٢٠٠٨ .
٥٨. محمود السمرة ، طبائع الاستبداد للكواكبي ، مجلة العربي ، العدد ١١٨ ، أيلول ١٩٦٨.
٥٩. مختار محمود ، الإخوان تقلا والأهرام ، الرأي ، العدد ١٣١٧١ في ٢٤ تموز٢٠١٥ .
٦٠. مسعود ضاهر ، التاريخ أخذ مكانته بتجاوز الأسطورة إلى الوثائق ، مجلة العربي ، العدد ٦٤٠ ، أيار ٢٠١٢ .

٦١. ـــــــــــــــــ ، الديمقراطية اللبنانية ، مجلة العربي ، العدد ٦٠٩ ، أب ٢٠٠٩.
٦٢. ـــــــــــــــــ ، صراع الأقباط لبناء دولة المواطنة والعدالة في مصر ، الحياة ، ٩ تشرين الأول ٢٠١١ .
٦٣. ـــــــــــــــــ ، النهضة العربية والنهضة اليابانية تشابه المقدمات واختلاف النتائج ، الكويت ، عالم الفكر ، ١٩٩٩ .
٦٤. ـــــــــــــــــ ، الديمقراطية اللبنانية ، مجلة العربي ، العدد ٦٠٩ ، أب ٢٠٠٩.
٦٥. مصطفى رمضان ، رواق الشام بالأزهر إبان العصر العثماني ، المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام ، الجزء الثاني ، مجلة جامعة دمشق ، ١٩٧٩ .
٦٦. مصطفى نبيل ،الشوام في مصر ، مجلة الهلال ، السنة السادس بعد المائة ، حزيران ١٩٩٨ .
٦٧. ممدوح مبروك ، اللبنانيون ونشأة الصحافة في الإسكندرية ، مجلة صله ، العدد ٣ في ١٥ تشرين الأول ٢٠١٤ .
٦٨. نعمة الله دنو ، مجلة (لسان المشرق) ، آذار ١٩٥١ .
٦٩. نهاد سمعان ، أديب اسحق (١٨٨٥ – ١٨٥٦) إنتاج غزير في حياة قصيرة ، صحيفة حمص ، العدد٢٨٥٢ ، ٢٤ آذار ٢٠١١ .
٧٠. أبو الهدى الصيادي ، داعي الرشاد لسبيل الاتحاد والانقياد ، (الأستانة – ١٨٨٠) .
٧١. هدى علي بلال، الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، المجلد ١٠ ، العدد ٤ ، في ١٦ حزيران ٢٠١١ .
٧٢. هشام السروجي ، صناعة الحلويات بين مصر وبلاد الشام ، مجلة صله ، ٢٥ أيلول ٢٠١٤ .
٧٣. وجيه الخيمي ، المؤتمر العربي الأول ، مجلة الجيل ، المجلد ٩ ، العدد ١٢ ، كانون الأول ١٩٨٨ .
٧٤. وجيه كوثراني ، التنظيمات العثمانية ، مجلة تبين الصادرة عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، العدد٣ ، أيار ٢٠١٣ .
٧٥. وداد سكاكيني، الشيخ أحمد الزين منشئ مجلة العرفان، مجلة العربي، العدد ١٦١، نيسان ١٩٧٢.

الندوات والمؤتمرات :

١. البير حوراني ، السوريون في مصر خلال القرن ١٨- ١٩، ضمن أبحاث الندوة الدولية بالقاهرة .
٢. بولس قرألي ، السوريون الأرثوذكس في مصر ، المجلة السورية ، السنة الأولى ، الجزء الأول ، ١٥ كانون الثاني ١٩٢٦ .
٣. مجموعة من الباحثين - ندوة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي - كلية الألسن - القاهرة ١٩٨٤.

٤. محمد يسار عابدين ، إيالة دمشق دراسة توثيقية نقدية في مخطوطة عن بلاد الشام للأديب رفاعة الطهطاوي، بحث في مؤتمر دمشق عاصمة للثقافة العربية، ٢٠٠٨ .
٥. وديع فلسطين، محاضرة ضمن ندوة فكرية في " دار الندوة " حول " هجرة الأدباء الشوام إلى مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين" أقامتها " دار نلسن للنشر" ، (بيروت – ٢٠١١) .

الصحف والمجلات

- **باللغة العربية :**

٦. " البشير الأدنى " (مجلة) لبنان ، ١٩١٢ .
٧. " الجامعة " (مجلة) ، مصر ، ١٩٠٠.
٨. " الجنان " (مجلة) ، لبنان ، ١٨٨٢ .
٩. " الجيل " (مجلة) ، لبنان ، ١٩٨٨ ، ١٩٨٩ .
١٠. "المنار" (مجلة) لبنان ، مصر ، ١٩٠٦، ١٩١٠ ، ١٩١١، ١٩١٢ ، ١٩١٣ .
١١. " نفير سوريا " (جريدة) لبنان ١٨٦٠ .
١٢. " المقطم " (جريدة) ، مصر ، ١٨٨٩ ، ١٩٠٨ .
١٣.
١٤. " الطليعة " (جريدة) ، مصر ، ١٩٦٩ .
١٥. " صله " (مجلة) ، مصر ، ٢٠١٤ .
١٦. " الجامعة العثمانية " (مجلة) ، مصر ، ١٨٩٩ .
١٧. " المقتطف " (مجلة) ، مصر ، ١٨٩٠ ، ١٩٠٣ ، ١٩٠٩ .
١٨. " الهلال " (مجلة)، مصر، ١٨٩٦ ، ١٩٠٢ ، ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ .
١٩. " الأهرام " (جريدة) ، مصر ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٩ .
٢٠. " العربي " (مجلة) ، الكويت ، ١٩٦٨، ١٩٨ .
٢١. " الدوحة " (مجلة) ، قطر ، ١٩٨٢، ١٩٨٤ .

شبكة المعلومات العالمية (الانترنيت)

باللغة الإنكليزية :

284 http: llwww.manhal.net larticls .php? action=show &id= 16837.

الموسوعات

باللغة العربية :

١. آلان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث، الجزء الأول، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف أمين، بغداد، ١٩٩٢.
٢. الموسوعة الذهبية (الخالدون)، دار الرأي العام ، المجلد الرابع، (القاهرة - ١٩٨٤) .
٣. بطرس البستاني ، دائرة المعارف ، ج٦ ، مطبعة المعارف ، (بيروت – ١٨٨٣) .

٤. بيت الحكمة ، موسوعة إعلام العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ، الجزء الأول ، (بغداد- ٢٠٠٠) ، ص ٢١٨ .
٥. جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق ، ج٢، ط٣، دار الحياة، (بيروت – د ت).
٦. جيرار، ب ، س ، موسوعة الحياة الاقتصادية في مصر في القرن الثامن عشر ، الجزء الأول ، ترجمة زهير الشايب ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة- ١٩٧٨) .
٧. خير الدين الزركلي ،الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط١٢ ، ج١ ، دار العلم للملايين ،(بيروت – ١٩٩٧) .
٨. دعاء الحمصي ، الموسوعة اللبنانية (لبنان تاريخ وحضارة بين الأمس واليوم) ، ج٨ ، (بيروت -١٩٩٨) .
٩. سائر بصمه جي ، معجم مصطلحات ألفاظ الفقه الإسلامي ، ط ٢، دار صفحات للنشر والتوزيع ،(القاهرة -٢٠٠٩) .
١٠. سعد سعدي ، معجم الشرق الأوسط ، دار الجيل ، (بيروت – ١٩٩٨) .
١١. صالح زهران ، موسوعة رجالات من بلاد العرب ، المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، (بيروت- ٢٠٠١) .
١٢. عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، موسوعة السياسة ، الجزء الثالث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت – ١٩٩٠) .
١٣. عبد الوهاب المسيري ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية : رؤيةٌ نقدية (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام ، (القاهرة - ١٩٧٥) .
١٤. عمر رضا كحالة ، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، الجزء الثاني ، الطبعة العاشرة ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت- ١٩٩١) .
١٥. موسوعة الجيب الاشتراكية ، الجزء الرابع ، شبلي شميل ، (القاهرة – ١٩٦٦) .

- باللغة الانكليزية :

1- “The Encyclopedia Americana”, Vol. 5, NewYork, 1948.

- باللغة التركية :

1. “Atatürk Ansiklopedisi”, Hazırlayan Ömer Sami Coşar, Cilt 1, İstanbul, 1981

" موسوعة أتاتورك " ، إعداد عمر سامي كوشر، المجلد الأول ، اسطنبول ،١٩٨١.

2. "Türk Ansiklopedisi" , Cilt XXIV, Ankara, 1979

" الموسوعة التركية "، الجزء الرابع والعشرون، أنقرة ، ١٩٧٩.

- باللغة الروسية :

1- “Bolshaya Sovetskaya Ecyclopedia”, Trete Izdanie, T. IV, Moskva, 1971.

٢ ـ"الموسوعة السوفيتية الكبرى" ، الطبعة الثالثة، المجلد الرابع، موسكو، ١٩٧١.

3- Soretskaya Istoricheskaya Encyclopedia" , Vol. IV, Moscow, 1963

٤ـ الموسوعة التاريخية السوفيتية " ، المجلد الرابع، موسكو، ١٩٦٣.

المقابلات :

١ـ مقابلة تلفزيونية مع ماريز صوصة ، الشوام في مصر، قناة المستقبل ، في ١١ تشرين الأول ٢٠٠٨ .

Abstract :

Levant saw a grave events culminating when he broke the flames of major sectarian strife in 1860 between the Maronites and the Druze, which is a detailed historical fundamental contributed crystallized external forces, entered the Levant in the tunnel sectarian conflicts and civil wars, and toppled foundations structural community, culminating in the intervention of a European and re-unite Mount Lebanon in the sectarian political system based on the rule of proportionality, to declare the statute of Mt Lebanon on June 9, 1861, thereby throwing the sectarian conflicts and chaos and corruption, and the deterioration of the political, economic and social conditions of a shadow over the community in the Levant, and contributed to the growth of immigration and breadth as it saw the Levant since the mid-nineteenth century and early twentieth century, the emigration movement increasingly widespread in Egypt, and to varying degrees, the different and varying ways, and intermittent, weakened administrative Ottoman state structures, economic institutions, the central power following the shock the West, began steps of reform in the nineteenth century. ten, Jill organizations was had acquired him conscious reformer within the framework of the Ottoman life, Vhsr West trade relations minorities in the Sultanate and make it an important economic force, and was able to involves them in his privileges, which has caused a split vertically in Shami society between the numerical majority of a certain sect monopoly on political and minority decision on the other sects stuck joints of the region's economy, and in time began to minorities is gradually transformed into a pillar of foreign countries in the Levant in the hope of escape from the constraints (Ottoman Milli system), and the preservation of the economic, social and political gains, and in the nineteenth century came the question of minorities place first and it has become the main concern of the Ottoman Empire.

As the Ottoman Empire relied on legacies characterized traditions Mamluk, military, and that it has increased and Bala persecution he suffered (dhimmis), in which the Ottoman Empire bear the bulk of responsibility for the outbreak of conflict in the Levant as it was unable to find answers specific to the problem of political power relationship community, and in particular the

problem of minorities in this category became a game, however, European countries have enabled it to intervene in the Ottoman state affairs, Venco conditionality generation who gained consciousness constitutionally, especially during the reign of Abdul Hamid II looked to the Ottoman state reforms in order to restore the cohesion of the Ottoman social fabric, particularly in the Levant but was to spread current (national (fast in Europe in the eighteenth century and which met with the acceptance, as was the declaration of human rights, the rights of the citizen a significant impact on minorities in the Ottoman Empire, so outspoken this category to express their interests based on the support of the West, which put pressure on the Sultanate Ottoman and demanded to conduct radical reforms in favor of the dhimmis, and it was Furman reforms in the Sultanate enshrines the principle of equality of rights between Muslims and Christians, which led to the participation of such power-sharing, semi-exclusive Islamic groups, and provided for their children attended influential in various administrative positions, and judicial and others and caused groups of provoking feelings Muslims, for robbed them of the development of the sovereign nation in the Ottoman society, and coincided with the European penetration of the Sultanate, and the superiority of non-Islamic religions economically on the Muslims by the franchises, and their own initiatives, such shifts have influenced the Mount Lebanon in particular, who lived minutes Marital status due to changes in functional relationships denominations by European penetration, went out disputes framework of the feudal past, and turned into a bloody sectarian conflict, it has emerged the intellectual elite of Shawwam against the Ottoman Sultan who adopted the Ottoman Empire project, and then born after that enlightened generation that has earned him an awareness nationally, following Turkey coup girl 1908 and with the support and admiration of Arabs, and when exposed federal policy for anti practices of the Arabs called the sins of "Turkishness" revolted against the Arab revolt famous "Great Arab revolt" in 1916.

Republic of Iraq
Ministry of HigherEducation and
Scientific Research
University of Qadisiyah
Department of History

The migration of the people of AL.Sham to Egypt, (1860-1918)

(Historical Study)

Thesis submitted by the student

Raheem Judi Ghayadh AL-Abadi

To the Council ofthe College of Education-
University of Qadisiyah

Supervised by
Dr . Ahmed Mohammad Danash

1438A.H **2017A.D**